المـتلعثـم

المـتلعثـم
تأليف: تشارلز ليفنسكي
ترجمة: د. نيفين صبح
تحرير: إيزيس عاشور

مراجعة لغوية: كارم أحمد
تصميم الغلاف: أحمد عز

الطبعة الأولى: يوليو 2021
رقم الإيداع: 2020/14851
الترقيم الدولي: 9789773195953

© جميع الحقوق محفوظة للناشر
60 شارع قصر العيني - 11451 - القاهرة
ت 27921943 – 27954529 فاكس 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

Copyright © 2019 by Diogenes Verlag AG Zürich
All rights reserved
First published as *Der Stotterer* by Charles Lewinsky.

تابعونا لمعرفة أحدث إصداراتنا

@alarabipd

تشارلز ليفنسكي

المتلعثم

رواية من سويسرا

ترجمتها عن الألمانية: د. نيفين صبح

العربي للنشر والتوزيع

المؤسسة الثقافية السويسرية

prohelvetia

Publication of this work was supported by Pro Helvetia

تم نشر هذا العمل بتمويل من المؤسسة الثقافية السويسرية في القاهرة.

بطاقة فهرسة

ليفنسكي، تشارلز

المتلعثم/ تشارلز ليفنسكي؛ ترجمة نيفين صبح.

– القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2020.

ص؛ سم.

تدمك 9789773195953

1– القصص الألمانية

أ– صبح، نيفين (مترجم)

ب– العنوان 833

إلى "توماس"

الذي أراد كتابًا أحداثه غير تلك التي خرجت للنور.

"وَأَمَّا أَنَا فَلأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي"

إنجيل يوحنا (45,8)

"يمكن للحقيقة أن تنتظر، فما زال العمر أمامها طويلًا"

"آرتور شوبنهاور"

إلى القس

حسنًا. بالطبع سأشارك. سأكون غبيًّا إذا لم أفعل. إذن فلنلتزم بصفقتنا؛ أنت تدبر حصولي على وظيفة في المكتبة، وأنا أكتب لك قصصًا من حياتي، لأنني - على حد تعبيرك - عندي مَلَكة الكتابة. وهي موهبة عليَّ ألا أضيعها، على حسب قولك.

صدقني أيها القس، أنا في حقيقة الأمر لم أهدر مواهبي، لقد كنت شخصًا سيئ الحظ لا أكثر. وهو ما جعل الأمر ينتهي بي هنا. ما حدث كان مصادفة مستبعد حدوثها.

إنها صفقة عادلة. مربحة للطرفين. أنت تريد أن ترى نجاح عملك وتعتقد أنك قد وجدت النموذج المناسب متمثلًا في شخصي.. تريد أن تصبح قادرًا على قول: "لقد جعلت منه شخصًا أفضل". وأنا قبلت!

هذه مهنتك، والمحاولة في حد ذاتها ليست بجريمة يمكن أن يعاقب عليها القانون.

من ناحيتي، أحتاج إلى مكانٍ أكثر إثارة للعمل فيه. فعملي يتلخص من الصباح إلى المساء في ثقب لوحات ترخيص السيارات. إنه عمل كفيل بتحويل الإنسان المفكر إلى إنسان غبي، وبمقابل اثني عشر يورو وستة وثلاثين سنتًا في اليوم، مسموح بصرف نصفها فقط، بدعوى "حتى يتسنَّى أن يكون لديك رصيد نقدي لفترة ما بعد الإفراج" واضح! إنه رصيد نقدي يكفي بالكاد لقضاء ليلة واحدة في ملهى ليلي، يحتاج إليه المرء بشكل مُلحٍّ بعد الخروج من هنا.

أحب الكلمات. أحب القراءة وأحب الكتابة. أنا لا أتلعثم عندما أكتب. إنها حقًّا صفقة مربحة للطرفين.

ثمَّة شرط صغير فقط؛ إذا قرأت في هذه السجلات أشياءَ لا تعجبك، فمن غير المسموح لك أن تصب عليها غضبًا ذا بعد أخلاقي. ومن الآن أَصْدُقُكَ قولًا إنه سيكون هناك الكثير من الأشياء التي لن تعجبك. اتفقنا؟ اتفقنا!

أعدك أنك لن تشعر بالملل فيما ستقرأه. لكن بالتأكيد لا أستطيع أن أضمن لك أنك ستقرأ الحقيقة في كل مرة، لكنك حتمًا ستشعر بالفرق. "وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُم" إنجيل يوحنا، الإصحاح 8، آية 32. مع العلم أن كل ما يتعلق بالحرية يُعدُّ أمرًا نسبيًّا، وحتى مع حسن السير والسلوك يجب أن أقضي في السجن عامين ونصف. لقد نويتُ أن أكون قدوة صالحة، وفي كل أحد ستجدني موجودًا في الكنيسة وقت الصلاة.

كما ستجدني أيضًا في جلسة النقاش الخاصة بك التي تعقدها لنا كل خميس، والتي تحثنا فيها بالبعد عن الجريمة مثلما يحث مدمنو الكحول مجهولو الهوية زبائنهم بالإقلاع عن شرب الخمور. أليس كذلك؟ أيها القس: ألم أكن أكثر مَن لفت انتباهك من كل المشاركين الذين حضروا جلسات النقاش التي عقدتَها أكثر من أي وقت مضى؟ إنني أتقن التعبير عن الندم بشكل مقنع، وبعض التجارب التي شاركتها معك قد حدثت بالفعل.

في بعض الأحيان، كنت أرسل إليكَ رسالة بعد انتهاء تلك الجلسات، لأنني لم أستطع التعبير عن نفسي بشكل صحيح بسبب التأتأة. لقد أبهرتك بمدى معرفتي العميقة بالكتاب المقدس، ولم أخبرك حتى الآن من أين لي بكل هذا الإلمام الكبير به. أظنك اعتقدت أن سيل اقتباسات الإنجيل

الذي استشهدت به منبعه التقوى، لكن الأمر ليست له علاقة بذلك؛ بل على العكس تمامًا "بصبركم اقتنوا أنفسكم" إنجيل لوقا، الإصحاح 21، الآية 19. بإمكانك البحث عن هذا الاقتباس لاحقًا، إن كنت لا تحفظه.

لقد جذب تلعثمي اهتمامك الشديد. على المرء أن يستغل ما لديه من ثروة. نعم أنا حقًّا أتلعثم.. أتلعثم بشدة. ولا سبيل لتغيير ذلك.

إنه التلعثم - الذي يُسمى أيضًا التأتأة - وهو مجرد طريقة للتحدث التي.. أقول لك.. فلتتحقق من ذلك بنفسك!

تحقق من ذلك بنفسك بالبحث في "ويكيبيديا". ابحث عن مصطلح "التأتأة الصوتية".

على قدر ما أذكر، كنت أتحدث دائمًا بطريقة متقطعة. فقط عندما كنت رضيعًا، كنت أصرخ مثلي مثل غيري من الأطفال الرضع. لقد عشت طفولة كانت وحدها سببًا كافيًا للصراخ.

لا داعي للخوف، لن تكون في كلامي حسرة على مرحلة شباب بائسة كانت سببًا في إبعادي عن طريق الفضيلة. بالتأكيد لن تسمع مني تلك الأغنية التي غناها لك الكثيرون قبلي. لم أبكِ أمام المحكمة ولن أبكي أمامك أيضًا. على الرغم من أن مهنتك في الأساس تجبرك على الوقوع في دوامة من العويل.

أليس كذلك، أيها القس؟

عندما كنت صبيًّا، كنت أحلم أن أصبح قسًّا. هل يمكنك أن تتخيل ذلك؟ أتتصور أن يقف متلعثم على كرسي الوعظ؟ أيمكنك تخيلي وأنا أقول: "باسم الأب والابن والرو.. رووو.. الرووح القددددس"؟

"لويس كارول" مؤلف "أليس في بلاد العجائب" أراد أيضًا أن يصبح قسًّا، لكن تلعثمه حال دون ذلك.

أستطيع أن أسرد لك العديد من المشاهير ذوي تلك المزية؛ "ونستون تشرشل"، و"مارلين مونرو"، فأنا أنتمي إلى نخبة راقية من كتاب وسياسيين وممثلين أو أي مهنة يُعدُّ الكذب فيها أساسيًّا لتلك المهنة. التلعثم ما هو إلا فن منقوص.

على ما أعتقد، كنت سأؤدي مهنة القس على أكمل وجه، لأنها لا تتطلب أي نزعة إيمانية. إنها تحتاج إلى أن يكون لدى المرء مَلَكة معرفة ما يفكر فيه الآخرون فقط، وتلك المَلَكة هي العامل المشترك بين رجال الدين والنصابين.

هل تشعر الآن بالإهانة؟ فلتعتبر ما ذكرته دليلًا على صدقي.

من أين ينبغي لي أن أبدأ؟ أظنني سأبدأ من مرحلة الشباب. أسرتي كانت تشبه لعبة الكلمات المتقاطعة، لأنها مكونة من كلمات. أسرتي كانت كلمة أفقية مكونة من ثمانية أحرف بمعنى: "أعداء بالفطرة لكل طفل".. إنها كلمة: **الوالدين.**

كان أبي يمشط شعره بطريقة معينة ليداري صلعته. لا يوجد ما أضيفه إلى تلك المعلومة وصفًا لشخصيته. ظنَّ أن لا أحد يلاحظ ذلك. لكن الرب يرانا من فوق سبع سماوات. بالتأكيد يرى كل شيء حتى الصلعات. وعلى الرغم من أن الرب هو مَن خلق أبي بهذا الشكل، فإنه كان يقف دائمًا إلى جانبه.

الرب عند أبي هو سلطة عُليا، تحسم كل قضية لصالحها. كان أبي يردد جملة: "أنا آثم" بكل فخر ويتوقع المعارضة. على الرغم من أنه في حقيقة الأمر كان يقصد جملة "أنا أصلًا قديس". كان أبي صارمًا في محاسبة نفسه. نعم.. كان بالفعل صارمًا.

هذا في حالة إذا ما أردت أن تتخيل صورة أبي.

أرى أنه من الأفضل ألا تتخيله، لأن أبي كان من النوع البشري الذي لا يترك أي أثر لدى مَن يقابله، عدا تلك الآثار التي تركها على جسدي.

أما عن أمي فكانت من النوع الذي يرتدي الفساتين القصيرة المزركشة ذات أزرار أمامية. وهذا يكفي لوصفها أيضًا بشكل شامل.

كان لديَّ أخ وأخت؛ وأخي فقط هو مَن لا يزال على قيد الحياة. تزوَّجتْ أختي في سن الثامنة عشرة، وأصبحت أمًّا لثلاثة أطفال وهي في الرابعة والعشرين، ثم دعسها الترام وهي في السادسة والعشرين. اعتبرناه حادثًا، لأن أي شيء آخر لن يكون مقبولًا من وجهة نظر العالم.

لا يزال أخي على قيد الحياة، هذا إذا كنت تستطيع أن تسميها حياة. كان يود أن يكون نموذجًا يُحتذى به في دراسته، وأن يَدْرُس **النفاق** كمادة جانبية. لكن لأنه من غير المسموح في الدراسة الجامعية الجمع بين التخصصات الدراسية، أصبح مدرسًا فقط. كانت دراسته في تخصص اللغة الألمانية والدين وكان يغضب بشدة يوميًّا، لأنهم لا يسمحون له أن يقوم بالتدريس وفقًا لسفر الأمثال 23:13، والذي يقول: "لَا تَمْنَعِ التَّأْدِيبَ عَنِ الْوَلَدِ، لَأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصًا لَا يَمُوتُ". كان هذا الاقتباس هو المفضل عند أبي، فنحن ننتمي إلى طائفة تستند دائمًا إلى حجج قوية.

ستلاحظ أنني لم أذكر اسم أي فرد من أسرتي. وأعتقد أن هذا أفضل. لقد كرهت نفسي دومًا بسبب اسمي الأول الإنجيلي المركب.. "يوهانس هوزاي". يجب أن تُحظر تسمية الأطفال بهذا الاسم. اسمي هو "يوهانس هوزاي شتركليه".

والداي، أو دعنا نقول مَن أنجباني أو من أتيا بي إلى الحياة، لم تكن لديهما أي فكرة عن نوعية الفيلم الذي سأؤدي فيه دور البطولة، على

الرغم من توقعهما مصيرًا سيئًا لي منذ البداية؛ ليس فقط لأنني كنت أتلعثم، بل لأن تلعثمي سيزيد لمصيري السيئ سوءًا.

كان والداي أعضاء فاعلين في كنيستنا. لم تكن كنيستنا طائفية. لقد أكدوا ذلك مرارًا وتكرارًا. كنيستنا هي الكنيسة الوحيدة التي تمكِّننا من فهم الكتاب المقدس بالطريقة المُثلى التي يفضلها والداي؛ ألا وهي طريقة الفهم الحرفي للإنجيل. هذه الطريقة كانت تقتضي ألا تقتني أي كتب أخرى غير الإنجيل، ليس فقط في منزلك ولكن أيضًا داخل رأسك. وهذا هو سبب تفوقي عليك في الاقتباسات التي ذكرتها أيها القس؛ فأنت درست التظاهر بالتدين كطالب نجيب، أما أنا فقد تعلمته كناشئ نجيب.

الكنيسة لم تعد موجودة الآن، لقد تأكدت من ذلك. سأحكي لك عنها مرة أخرى في وقت لاحق. لقد رنَّ جرس وجوب إطفاء الأنوار داخل السجن الآن. خمس دقائق وسيسود الظلام أرجاء المكان هنا في الداخل. منتهى العبث، فلا يزال ضوء النهار يملأ الأرجاء في الخارج. ما زال هناك ضوء كافٍ بالخارج، هذا في حالة إنْ كان مسموحًا لي بالخروج أصلًا.

إلى القس

إذا كانت قواعد السجن الصارمة لا تسمح لي باستخدام الكمبيوتر، فعلى الأقل يجب أن تضمن لي توفير ورق مناسب للكتابة، ولا بدَّ من أن يكون ذلك جزءًا من صفقتنا. فمَن يستطيع أن يمضغ وفمه مقيَّد؟

سأحكي لك الآن عن أساليب التربية التي اتبعها أبي في تربيتي. كانت أساليب مؤلمة للغاية بالنسبة إليَّ، أما من وجهة نظره فكانت أساليب عادلة. لدى أبي ثلاث أدوات مختلفة للعقاب، وذلك على حسب صعوبة الخطأ الذي أقترفه: عصا من الخيزران، وحزام، ومضرب تنس. لكنَّ كيفية حصول أبي على مضرب للتنس لا تزال لغزًا بالنسبة إليَّ. لقد كان شخصًا غير رياضي على الإطلاق، لكن ربما اشتراه خصوصًا لأغراض تربوية.

كانت الدقة جزءًا من شخصيته، وأعتقد أنه ربما اشترى بالفعل مجلة متخصصة لرياضة التنس قبل شرائه المضرب، لمعرفة الأشكال المختلفة لمضارب التنس. لم يضربنا أبي أبدًا بيديه فقط دون استخدام أدوات للعقاب، لأنه في هذه الحالة سيكون الضرب شخصيًّا للغاية بالنسبة إليه. أما أمي فقد كانت تقف دائمًا خارج دائرة العقاب؛ لقد كانت مُشاهِدة موهوبة لكل تلك المواقف.

اعتنى والداي بتربيتي، سمعت هذا مرارًا من أبي. كان ذلك من منطلق حب أبوي صرف، وهذا ما يقودني إلى استنتاج أنه أحبني أكثر من إخوتي.

لم يعلن أبي سالفًا عن عدد الضربات التي سيقوم بها. كان يَدَّعي أن عدد الضربات متوقف على مستوى الندم الذي يجده في الضحية (لقد قال هذا بالفعل). تعلمت في وقت مبكر أن المقياس الحقيقي لكم الضربات

كان مختلفًا، وهو ظهور قطرات من العرق على جبينه وبداية تنفسه بشدة. كان ذلك دليلًا على أن إجراء الضرب اقترب من نهايته هذه المرة.

"هذا يؤلمني أكثر منك"، قالها أبي في كل مرة كان يضربني فيها. فقط بسبب هذا النفاق، أصبح بإمكاني على الأقل الانتقام منه بعد عدة سنوات. كان أبي يرقد في المستشفى، جسده مليء بالأورام الخبيثة، ولم يجدوا أي علاج لآلامه. كان يصرخ ساعات بصوتٍ عالٍ لدرجة أنهم عزلوه في غرفة منفردة. وعلى الرغم من مرضه، وقفت بجوار سريره وقلت: "هذا يؤلمني أكثر منك". قلتها دفعة واحدة ودون أي تأتأة.

لقد حذرتك أيها القس: الحقيقة ليست دائمًا مفرحة.

إذا لم يكن هذا المشهد من نسج خيالي، لكنت الآن موضع ثقة عندك.

لم يضربني "باخوفن" أبدًا، أو بمعنى أصح لم يضربني بيديه، لكنه بالطبع كان مسؤولًا عن ذلك.

آه، معذرة. يجب أن أوضح لك أولًا مَن هو "باخوفن"، أو بالأحرى مَن كان "باخوفن". إنه من نوعية البشر الذين يشعرونك أن الجميع في حاجة إلى معرفتهم، فقط لأنك نشأت في عالم يجلسون فيه على عرش كل شيء.

كان "باخوفن" Big boss كنيستنا، أو كبيرنا، أو يمكن أن نلقبه بلقب المعلم في الهندوسية "الجورو". هو مَن أسس كنيستنا وعاملها كأنها ملكيته الخاصة. أطلق على نفسه اسم "الأكبر" وأضفى على نفسه قيمة خاصة بهذه التسمية، بطريقة توحي أنه مرجع لكل شيء. أتمنى لو كنت أستطيع أن أفهم ذلك جيدًا، فلو كان اسمي "باخوفن"، لكان من الأفضل أن يكون التوقيع الخاص بي باللقب وليس باسمي الأول. حرصت دائمًا على الوصول إلى اسم مناسب.

بالنسبة إلى أبي، كان "الأكبر" هو أعلى سلطة في جميع المسائل العقائدية. أما فيما يخص القضايا الأخرى، كان لا يفقه شيئًا. من وجهة نظر أبي، لا يوجد أحد متمكن من تفسير الإنجيل مثل "باخوفن"، لأن الإنجيل كان يمثل بضاعته التي يتاجر بها. عذرًا أيها القس، فأنا في كثير من الأحيان لا أستطيع مقاومة التلاعب بالألفاظ.

عندما لم يعد هناك أدنى شك في أن تلعثمي كان أكثر من مجرد اضطراب لغوي منذ الصغر، قررت أسرتي عرضي على "باخوفن". أخبرتني أختي لاحقًا أنهم اشتروا لي أول سروال طويل لهذه المناسبة. ربما كان هذا ما حدث فعلًا، لكنني لا أتذكر ذلك.

ما زلت أتذكر أمي وهي تحشرني بين ركبتيها وتمشط شعري بعنف، لدرجة أن أسنان المشط تركت أثرًا على فروة رأسي حينها. كان هذا هو إسهامها الوحيد في الاحتفال بهذه اللحظة، لأنها لم يكن مسموحًا لها بالوجود بين الجمهور "دعوا النساء يصمتن في الكنيسة".

مرَّ كل الأطفال من أمام باب الصومعة الخاصة بـ"باخوفن". تتملكنا رجفة خفيفة، تمامًا مثل التي تعتري أحدهم في إحدى الزوايا المظلمة لقطار الأشباح إذا ما دخله في المرة الثالثة. قيل لنا إن الدخول إلى هنا من دون إذن محظورًا علينا، على الأقل مثل حظر الوقوف عند كشك بيع الصحف الموجود على الجهة الأخرى من قاعة الصلاة. فقد كان حظرًا من دون ذكر مبرر أيضًا.

(من أين جاءت فكرة جعل كشك الصحف هذا من "التابوهات" أو المحظورات؟ لكنني اكتشفت السبب في وقت لاحق؛ وهو أن الكشك كانت به مجلات تحتوي على صور نساء عاريات تباع هناك).

عندما التقيت "باخوفن" أول مرة، كان لا بدَّ لي من أن أشعر أنني صغير للغاية، وإلا لم أكن لأشعر بضخامة غرفة التدريس الخاصة به. لكن في الزيارات اللاحقة، كان يتقلص حجمها أكثر فأكثر، حتى أصبحت تبدو لي تدريجيًّا كأي غرفة عادية. ظل تصميم الغرفة بالنمط نفسه دائمًا؛ مكتب ضخم، لا يوجد أعلاه سوى صليب، بحيث لا تستطيع عند رؤيته إلا التفكير في صورة المذبح. وعلى عكس ذلك التصور تمامًا، كان يوجد كرسي بسيط يوحي بتواضع مسرحي، ورف كتب مكتظ بطبعات بلغات مختلفة من الكتاب المقدس. لم يكن ذلك بسبب أن "باخوفن" كان يجيد كل تلك اللغات، لكنه أراد أن يشير إلى أنه قد يقف أمام بابه فنلندي أو إسباني أو ماساي أفريقي طلبًا للمشورة، نظرًا إلى كونه ذائع الصيت على المستوى الدولي. وعليه يجب أن يكون مستعدًّا دائمًا، ليكون قادرًا على أن يضع كل واحد منهم على حدة في مكانه الصحيح.

هذه المرة لم يكن دخول حجرة "باخوفن" ممنوعًا. دخلت مع أبي الذي انحنى أمام "باخوفن" ثم أمسكني من رقبتي ودفع برأسي إلى الأسفل للانحناء أمامه أيضًا. أعتقد أن هذا هو ما حدث بالفعل، أو قد يكون أنني قد أضفت هذه التفصيلة إلى ذاكرتي في وقت لاحق، لأنني شاهدت هذا النوع من التحية بعد ذلك عدة مرات. انحنِ أمام "الأكبر"، تلك هي القاعدة. أما مَن كان عليه أن يعترف بالخطيئة، فعليه أن يجثو على ركبتيه. لقد كانت هناك الكثير من الخطايا في كنيسة "باخوفن" والكثير من الجلوس على الركبتين.

وضع "باخوفن" يده على رأس أبي ليباركه وسأل:

– ما الذي أتى بك يا بني؟

كان والدي أكبر بكثير من "الأكبر"، حيث كان واضحًا جدًّا أن "باخوفن" هو الأصغر، هذا في حالة إن سمحتَ لي بإلقاء هذه النكتة السخيفة.

من أجل توضيح سبب زيارتنا، اضطررت إلى قراءة صلاة الرب. وتحت ضغط الموقف، لم أستطع تجاوز نطق جملة "أبانا الذي في السمواا.. السمواا.. السمواااااا.."، والتي بدت بالنسبة إليَّ وكأنها تجديف شيطاني ضد التيار في هذه البيئة المحيطة. أومأ "باخوفن" برأسه، تمامًا كما كان يفعل في أثناء مراقبتي إياه في السنوات القليلة اللاحقة، عندما كان يأتي أحدهم إليه ليسأله عن شيء ما. وكان غرضه من ذلك هو أن يشير إلى أنه لم يفهم المشكلة فحسب، بل أن لديه الحل بالفعل. أما الحلول التي كان يعرفها كانت تنحصر في نوعين لا ثالث لهما: إما التوبة أو الضرب.

كان هناك فتى في الكنيسة أكبر مني بعدة سنوات، ضربوه لتخليص جسده من الشذوذ الجنسي، أو بالأحرى تخليص روحه. طبعًا هذا على حسب، هل حب الرجال سببه فيروسات أم شياطين؟ إنها وصفة ناجحة يحب الناس تكرارها دائمًا.

الآن حان دورك أيها القس، لإجراء اختبار بسيط معك: في أي موضع ذُكر أي شيء عن التلعثم في الكتاب المقدس، بخلاف عندما أراد "موسى" أن يتنحى عن الذهاب إلى "فرعون" بسبب ثقل لسانه؟ ها؟

أتخيلك الآن وأنت تجلس غارقًا في أفكارك في غرفة مكتبك التي لن تكون أكبر من زنزانتنا بكل تأكيد.

في حالة ذاك الصبي، كنت ستقطعه إرْبًا بلا شك. إن المواضع التي وعدت الشاذين جنسيًّا بالجحيم تعلمناها ونحن في الفصل الدراسي الأول من دراستنا لعلم اللاهوت. في الكتاب الثالث الذي يحكي عن "موسى"،

والرومان، وأهل "كورنثوس"، وأهل "جلاطيا"، كان هذا جيدًا جدًّا أيها القس. يا لها من عقوبة ناعمة! لكن أين توجد مواضع تهديد المتلعثمين بالعقوبة الإلهية في الإنجيل؟ وأين الوعد بأن مشكلة نطقهم يمكن علاجها؟ لقد تركتْ لي الآيتان المذكورتان في الإنجيل في هذا الصدد المزيد من الأوجاع في نفسي أكثر من أي شيء آخر.

ألم تدرك ذلك بعد؟ أنت ضعيف أيها القس! ضعيف جدًّا، لأنك درست اللاهوت في الجامعة وليس على يد "باخوفن".

سأقترح عليك لعبة صغيرة؛ سأعطيك بضعة أيام مهلة للتفكير فيما قلته لك، وفي الرسالة القادمة ستصلك الإجابة، بشرط أن يحوز ورق الكتابة الذي أحضرته لي على إعجابي.

إلى القس

خمسمائة ورقة، من المقاس المتداول، مناسبة لجميع الطابعات وآلات النسخ. ورق غير مسطر وبدون مربعات. اختيار ممتاز أيها القس! لم أعهد أبدًا أن أكون مقيدًا هكذا.

لقد أرفقتَ ورقة مع ما أرسلته لي، مكتوب عليها ملاحظة من سفر أشعيا: "وَقُلُوبُ الْمُتَسَرِّعِينَ تَفْهَمُ عِلْمًا، وَأَلْسِنَةُ الْعَيِيِّينَ تُبَادِرُ إِلَى التَّكَلُّمِ فَصِيحًا" 32.4. ممتاز! هذا يعني أنك قد توصلت إلى نصف الإجابة. لكن النصف الآخر الذي لم تفكر فيه كان أكثر إيلامًا بالنسبة إليَّ. إنه ما جاء في سفر الأمثال 6:18 "شَفَتَا الْجَاهِلِ تُدَاخِلاَنِ فِي الْخُصُومَةِ، وَفَمُهُ يَدْعُو بِضَرَبَاتٍ".

عندما فسر "باخوفن" الكتاب المقدس، كان يستند في كثير من الأحيان إلى تلك المقولة "شِفَاه اَلأحمَقُ تَجلِبُ العِرَاكَ، وفَمَه ُيُقَاومُ بَعدَ اللَكَمَاتِ". أما حالتي، فكانت وصفته للعلاج كالآتي؛ مقابل كل تلعثم ضربة على اليد. لقد اتبع طريقة العلاج الديني بالتنفير، وكان يقول دومًا بوجه صارم يكسوه لطف مصطنع: "لا يجب أن تكون الضربة عنيفة". كان يتدرب على تغيير ملامحه أمام المرآة. لم أره قط وهو يفعل ذلك، لكن من المستحيل ألا يكون هذا ما قد حدث.

بالنسبة إلى أبي، كان حكم "باخوفن" على حالتي مؤلمًا وجميلًا، حيث كانت كل ضربة تنزل على يدي تؤلمه أكثر مني. قد أكون في غاية الامتنان لـ"باخوفن" اليوم إنْ كان من الممكن حقًّا التخلص من التلعثم بهذه الطريقة. لكن هذه الطريقة لم تنجح، أو على الأقل لم تنجح معي، لكنها نجحت مع كل الحالات الأخرى، وهذا ما كان دائمًا ولا يزال حتى اليوم سببًا لفخر الكنيسة.

هل تعلم أن في أثناء الضرب كان للخيزران شظايا في بعض الأحيان؟ وأن الشظايا كانت تخترق جلدي؟ لا، لا أريد أن أشعرك بالملل بسرد قصص مخيفة. على الرغم من خبرتي، اتضح أن سرد حكايات عن معاناة الآخرين تجذب أسماع معظم الناس. ومن هنا جاءت شعبية الشهداء. أليس كذلك أيها القس؟

أشعر بالتزام أنني مضطر إلى أن أقدم لك قدرًا معينًا من الترفيه في هذه التقارير، فقط لضمان حصولك على الجزء الخاص بك من صفقتنا. ما أودُّ أن أرويه لك أتمنى أن يسعدك، لأن ما سوف أحكيه لك من قصص لا بدَّ أن ينال إعجاب رجل في مثل مهنتك.

كان عيد ميلادي العاشر؛ ذلك السن الذي كان لا يزال ممكنًا أن يتحدث فيه المرء عن الواقع، إذ يمكن أن يتحقق بالضبط كما خُطط له. ذلك السن الذي يؤمن فيه المرء بأنه يستطيع أن يبتكر شيئًا ما وينفذه على أرض الواقع كما تمنى. كل ما اعتقدته حينها كان ساذجًا وخاطئًا، لكن بعد بضعة أيام، بدا وكأن الخدعة قد بدأت تؤتي ثمارها.

كانت تلك الأيام لها طابع سحري.

من المعتاد في عائلتنا أن يتلو أحدنا آية من الإنجيل قبل العشاء لنفكر فيها في أثناء تناول الوجبة في صمت. كانت هذه هي الطريقة نفسها المتبعة في الأديرة أيضًا، وكان ينبغي ألا يكون سعينا إلى القداسة أثنائها أقل من سعي أي راهب للقداسة.

عادة كان اختيار آية الإنجيل المناسبة امتيازًا خاصًّا بأبي. لقد اكتشفت مبكرًا أن اختياره كان في الغالب مؤيدًا لقرار اتخذه بالفعل. فمع القليل من البحث، يجد في الكتاب المقدس دليلًا على أي شيء يريده تقريبًا؛ مثلًا، إذا ما سأل أينبغي لنا نحن الأطفال المشاركة في كرنفال مدرستنا؟ (وبالتأكيد كان الإنجيل رافضًا المشاركة).

دائمًا ما كان مسموحًا لأفراد العائلة الآخرين بتقلد منصب فخري في أعياد ميلادهم، وبموجب هذا المنصب، يمكن تبادل الهدايا التي لم نحصل عليها بعد. حينها كنت أعرف سالفًا متى سيحل دوري، ومن ثَمَّ كان لديَّ ما يكفي من الوقت للتفكير في كيفية اغتنام الفرصة. يحلم الأولاد في هذا العمر بأن يكونوا نجوم حفل ختام كأس العالم لكرة القدم، أو أن يصبحوا رواد فضاء على أحد الكواكب البعيدة. لكنني كنت أفتقر إلى مثل

تلك النماذج في تطلعاتي. ويرجع ذلك إلى أنه لا يوجد في الإنجيل سوى نموذجين لا ثالث لهما للأبطال الخارقين هما "جالوت" و"شمشون".

أحدهما خسر أمام مقلاع حجري بسيط، والآخر فقد بصره وكلاهما ليسا بالنماذج التي يسعد المرء بها عندما يصبح مثلهما. أما الرسل فهم أناس ذوو مكانة كبيرة؛ ولهذا قررت أن أصير واحدًا منهم.

سأخبرك بكل صدق عن الآية التي تلوتُها على عائلتي في ذلك المساء والتي كانت تقول "سوف آتي إليك وأعاقبك، إذا كنت تضلل الأعمى وتضحك على ذي اللسان الثقيل". بكل تأكيد تعرف موضعها في الإنجيل.

أنت لا تعرفها أصلًا؟ جيد جدًّا أيها القس. هذا هدف آخر أسجله في شباكك. لا توجد في الكتاب المقدس هذه الآية من الأساس، لكنها تبدو حقيقية. نسخة لا تشوبها شائبة من الطبعة اللوثرية للإنجيل. لقد كنتُ مبدعًا في صياغة الجمل منذ نعومة أظافري، وأنت وضعت يدك على موهبتي بالفعل بشكل صحيح.

اليوم لم أعد أستطيع أن أقسم إنه عندما كنت في العاشرة من عمري، اعتقدتُ حقًّا أنه يمكنني الإفلات من فعلتي باستخدام هذا الخداع. كنت حريصًا جدًّا على إسناد الجملة إلى الرسول "ملاخي"، والذي يأتي في آخر العهد القديم ولا يقتبس منه أحد. كان "ملاخي" في ترتيب الأنبياء غير مهم مثله كمثل السجين الذي يجب أن يقضي ثلاثة أشهر فقط وليست له أي قيمة؛ لا مال ولا هيئة جذابة. فهو شخص موجود ولكن لا أحد يشعر بوجوده.

"سوف آتي إليك وأعاقبك، إذا كنت تضلل الأعمى وتضحك على ذي اللسان الثقيل". وحينها ربما نطقتها "على ذي اللس.. سسس.. سساان".

صمت الجميع في تلك الأثناء واستمروا بالمضغ. كان العشاء على ما أذكر بطاطس مسلوقة. (في الحقيقة أنا لا أتذكر على الإطلاق، لكن البطاطس المسلوقة كانت موجودة دائمًا على مائدتنا).

لم يتصور أحد أنني أَلَّفت تلك الآية. كان هذا الأمر غير وارد بالنسبة إليهم. لذلك لم يخطر على بال والدي أنه كان من الضروري البحث عن هذه الجمل في الكتاب المقدس قبل الذهاب إلى الفراش. لقد ملَّس على شعري يومها بشكل لافت، وهذا ما لم يفعله أبدًا من قبل. والدتي أيضًا كانت فخورة جدًّا بولدها الخبير العارف بالإنجيل.

في اليوم التالي، سُمح لي بالتلعثم بالقدر الذي أردتُه دون معاقبة، وحدث الشيء نفسه في اليوم الذي يليه أيضًا. وانطلاقًا من تفاؤلي الطفولي، اعتقدتُ حينها أن الحال سيستمر هكذا دائمًا. اعتقدت حينها أنني غيرت الواقع من خلال قوة مخيلتي وشعرت بالتفوق على العالم بأسره.

كان شعورًا رائعًا، يمكن أن يدفع الإنسان إلى إدمانه. تمامًا مثل المقامر الذي يركض دائمًا إلى صالة القمار لمجرد أنه فاز مرة واحدة.

بالطبع لقد كذبت من قبل عندما دعت الحاجة إلى ذلك؛ مثلًا عندما ادعيت أنني لم أكن أعرف مَن سرق التفاحة أو مَن كسر الطبق. بالتأكيد إنه ليس الشيء نفسه، ولكن يمكن لأي شخص أن يلوي عنق الحقيقة للدفاع عن نفسه. هذا لا يتطلب أي موهبة خاصة، ولكن تكرار فعل الشيء نفسه بشكل مبتكر وإبداعي لا يستطيع فعله سوى عدد قليل.

كانت اللحظة التي اكتشفت فيها هذه القدرة داخلي نقطة تحول بالنسبة إليَّ. واستخدامًا للغتك الاصطلاحية، كانت كلحظة تحول "بولس" إلى المسيحية. أعتقد أن هذا هو ما شعر به "بيكاسو" عندما أمسك فرشاة الرسم

في يده أول مرة أو كشعور "موزارت" عندما جلس على كرسي البيانو لأول مرة أو إحساس "آل كابوني" عندما أمسك أول مسدس في حياته.

الأمر لا يستدعي التفكير مليًّا للوصول إلى حقيقة هذا الإحساس، ولكن عندما أرجع بذاكرتي إلى هذا الوقت، يتبين لي أنني قد حددت مساري المهني في الأيام القليلة التي تلت احتفالي بعيد ميلادي العاشر. على الرغم من علمي أنك ستعترض على أن ما كنت أفعله على مرِّ كل هذه السنين لم يكن مهنة أساسًا. دعنا نتفق على مصطلح "توظيف"، لأن هذا هو ما حدث معي على أي حال، إذ اُستُدْعِيتُ لهذه الوظيفة دون بذل أدنى مجهود من تجاهي للوصول لها.

استمرت تلك السعادة مدة يومين أو ثلاثة، ثم جاء يوم الأحد. بعد صلاة الصبح، أخبر والدي "الأكبر" بفخر عن ابنه الذي يحفظ آيات من الكتاب المقدس. الكنيسة كلها كانت تعرف أن "باخوفن" يحفظ الإنجيل كله عن ظهر قلب. لقد كان يحفظه كلمة كلمة، ولكن ربما كانت هذه مجرد دعاية. فقط فيما يخص الرسول "ملاخي"، كان يبحث سرًّا عن صحة الآيات. سواء كان هذا أم ذاك، فإن التزييف الذي اقترفته قد انكشف بالفعل.

عندئذ جاء دور مضرب التنس. لم يكن من الممكن أن أتعرض للضرب بسبب الكذب، بالقدر نفسه الذي كان بسبب تلعثمي. لذلك لن تعرف أبدًا أيها القس إذا كان ما أخبرك به قد عشته بالفعل حقًّا أم لا، لكن ربما سيمكنك ذلك عندما نتعرف بعضنا بعضًا أكثر.

إلى القس

لا أيها القس، لا لا لا. لا تفعل ذلك معي. الاتفاق اتفاق.

قلت إنك لم تستطع إقناع مدير السجن. وقلت إنه يشك في مدى ملائمتي لهذه المهمة. مَن غيري إذن يستطيع أن يعهد إليه بأمر المكتبة؟ واحد من الأميين الذين يعج بهم المكان هنا؟ أم أحد الذين لا يستطيعون حتى تهجية ما وشموه على عضلاتهم؟

أم أنه يريد الانتظار ومعرفة الرجل الذي أدار شأن الكتب في السنوات القليلة الماضية قد عاد؟ لكنه قضى للتوِّ مدة سجنه، وسيكون من قمة التفاؤل اعتماد مدير السجن على فكرة أنه يمكن بسبب ثمالته أن يردي شخصًا آخر نصف قتيل، طبقًا للمادة 224 من القانون الجنائي. لقد حفظت جميع فقرات هذا القانون بدقة مثل حفظي لآيات الإنجيل.

هل سألت عما إن كانت هناك وظيفة في المكتبة من الأساس. نعم، أيها القس، لا بدَّ أن تكون هناك وظيفة ما. فوظيفة المطبخ التي عرضتها عليَّ بديلًا لا تعادل أبدًا وظيفة المكتبة بالنسبة إليَّ. على الرغم من أنك ستكون سببًا في سعادة الكثير هنا داخل السجن إذا ما أوصيت بتعييني في هذه الوظيفة.

تقشير البطاطس ليس المحفز الروحي الذي أحتاج إليه الآن. توجد بيننا صفقة، أنا وأنت، وأتوقع أن تلتزم بها. دع خطابك يكون إما نعم، نعم، أو لا ، لا.

لقد وعدتني بتلك الوظيفة كما لو لم تكن هناك أي مشكلة لديك في تعييني فيها. لقد قلت: "المدير يستمع لي في مثل هذه الأمور"، لأن المكتبة أُسِّست بناءً على اقتراحك، ولأن كل شيء يخص المكتبة تحت أمرك. لقد

زعمت أن ما عليك فقط إلا أن تشير بإصبعك ليُعاد ترتيب أرفف الكتب. ولكن كيف يبدو الحال الآن؟ لقد قطعتَ وعدك عبثًا. مجرد وعود فارغة.

أيها القس! أنت مخادع، مجرد محتال روحاني. لقد وعدتني بشيء لم يكن بوسعك تنفيذه، ومَن ليست لديه مقدرة الحفاظ على كلمته، فعليه على الأقل أن يصمت.

هل حاولت أصلًا؟ أم كان كل ذلك مجرد ادِّعاء؟ هل أصابك الخجل من أن تطلب ذلك في آخر لحظة؟ إن كان هذا ما حدث فلا عجب، لأنه يلائم تمامًا شخصيتك العاجزة. ربما ما حدث أنك انتظرت حتى سافر مدير السجن في رحلة عمل وتسللت إلى حجرة مكتبه الفارغة وهمست باسمي بصمت؛ فمهنتك مبنية في الأساس على أداء إجراءات رمزية.

أم سألته بالفعل وباءت محاولتك بالفشل؟ هل انصرفت من أمامه مرة أخرى وأنت تجر ذيول الخيبة بسبب عدم امتنانه من الاقتراح الذي قدمته له؟ بالتأكيد ليس من الحكمة أن تفسد علاقتك مع الـBig Boss وهو ما يعني أن أكون مجبرًا الآن على أن أقبل بالوظيفة الأخرى التي اقترحتها عليَّ، كقبول من لا يجد أي غضاضة في إجباره على الأكل بمضرب البيض المعدني.

شكرًا لك أيها القس، شكرًا لك على هذا العرض السخي. لكنني إذا فكرت مليًّا في الأمر، فإنني أدرك أنني أستمتع حقًّا بالعمل على آلة طباعة أرقام اللافتات. تك.. تك.. تك.

أعلم أنني على وشك جعل نفسي شخصًا بغيضًا عندك مرة أخرى وإلى الأبد. تريدني أن أنتصر للصليب، وبدلًا من ذلك أقول لك: "لا تضعني في حساباتك عند التفكير في هذا الأمر". أُغنِّي أمامك أغنية "الطريق السريع إلى الجحيم"، حينما تريد أن تسمع مني ترنيمة "كومبايا". أنت راعٍ

روحاني لا تحب هذا النوع من الزبائن. لكن هذه مزية أن يكون المرء سيئًا؛ بحيث ألا تكون هناك حاجة إلى مراعاة مشاعر الآخرين، فمن الآن فصاعدًا، لن أكترث بما يعجبك وما لا يعجبك. لم أعد في حاجة إلى ترك انطباع جيد عندك.

لن ألطخ نفسي معك من جديد مثلما يفعل الآخرون في جلسات نقاش الخميس بلطف لافت، كما لو كان الذي يجري في عروقهم شاي البابونج. يتظاهرون بالتقوى، لدرجة تخيلهم أنه لا يوجد شيء جميل في هذا العالم أجمل من تغيير الحفاض المتسخ لـ"يسوع" الصغير. صدقني أيها القس، لا يأتي الناس إلى حلقات الثرثرة تلك لأنهم حركوا حليب التفكير المتدين في القهوة في أثناء وجبة الإفطار، ولكن فقط من باب التغيير. فكل مَن يشارك في مسرح تنظيف الروح الخاص بك أراد فقط الخروج من هذه الزنزانة وأن يُسمح له بمشاهدة التليفزيون ساعة أخرى على ما هو مسموح به.

هل صدقت بالفعل أنهم سيغيرون العالم بثرثرتهم معك؟ وهل صدقت أيضًا أن الشرير؛ الرجل الشرير قد دمر أوهامك عن تغيير هذا العالم؟ هكذا نبدو دائمًا مجرمين جادين.

لماذا يجب أن أهتم بمشاعرك في حين أنني لم أحصل منك على أي شيء مما أريد؟ لماذا يجب أن ألتزم بالجزء الخاص بي من الصفقة، إذا لم تنفذ الجزء الخاص بك؟ لقد اُستغرِق الأمر مني أكثر من أربعين عامًا لتجربة كل ما تريد أن أسرده لك، لماذا تريد أن أهديك كل هذه الذكريات؟ أن أمنحك الحقيقة مقابل لا شيء. أنت أيضًا لا تقوم بعملك بدافع تفانٍ خالص من القلب.

صدقني أيها القس، سيفوتك الكثير. ستفوتك مجموعة كاملة من القصص التي لم تُروَ بعد وكانت في انتظارك ولن تتمكن من قراءتها أبدًا. كنت سأقدم لك قائمة طعام مليئة بأصناف مختارة. لكنني الآن سأغلق المطبخ في وجهك، لأنك تريد أن تأكل وتهرب من دون أن تدفع الحساب. كان بإمكاني أن أخبرك عن الأشخاص الذين دمرتُهم تمامًا بمنتهى الإتقان، لدرجة أنهم فضلوا الموت. لن تعرف أبدًا كيف استطعتُ فعل ذلك. يمكنك محاولة تخيل ما حدث، لكنك إنسان عديم الخيال. سيكون عليك أن تصبح مثل "شهرزاد" التي يتحتم عليها أن تختلق القصص حتى لا تُعدم. لكنك لن تنجو حتى في الليلة الأولى.

كنت سأخبرك عن الأشخاص الذين كنتُ السبب في سعادتهم الذين انتزعتُ لهم أموالهم وكانوا ممتنين لي حتى الموت. صدقني، ما أوشكت أن أقدمه لك كان استعراضًا فنيًّا حصريًّا جاهزًا للعرض في السيرك. وكنت ستحصل على مقعد في الصف الأمامي، حيث يمكنك أن تشمَّ رائحة نشارة الخشب ورائحة روث الفيل. لكنك كنت بخيلًا جدًّا حتى لدفع رسوم الدخول.

الخمسمائة ورقة التي أرسلتها إليَّ لم تكن كافية لإخبارك عن كل الأشياء التي عشتها. الآن تغيرت الأمور بشكل حاسم. لقد انتهى كل شيء بالفعل. والورق الذي أرسلته لم أستخدم منه سوى القليل. يمكنك أن تسترده في أي وقت، فأنا لن أستخدمه بعد الآن. إنه ورق ناعم جدًّا ولا يمكنني حتى استخدامه كمناديل للمرحاض.

لقد فشلت أيضًا على الصعيد المهني. أردتَ أن تنقذ روحي ولكنك لم تستطع. فشل مشروعك قبل أن يبدأ بالفعل. وحسن النية لا يكفي، وإلا لكان والدي قد تمكنَ من منعي من التأتأة. أيها القس، أنت لست مختلفًا

عن "باخوفن" على الإطلاق، حتى في مظهرك وأنت تسير بالسترة مستديرة الياقة وتقوم بتوزيع العطايا بمنتهى الانفتاح على العالم بشكل لا يصدق. إن مجرد دراسة اللاهوت ليست كافية ليشعر المرء بأنه نور الكنيسة. ربما من الأفضل لك أن ترتدي الزي الكنسي الرسمي. الجندي الذي لا يرتدي الزي العسكري ما هو إلا قناص ورابطة العنق هي ما تجعل للقرد قيمة.

لكن لكل شيء أيضًا جانبه الإيجابي. على الأقل لن أكون مضطرًا إلى أن أغني ترانيم منافقة. عندما أغني، لا أتلعثم، هل لاحظت ذلك؟ يقولون إن لديَّ صوتًا مميزًا في الكورال. سيكون عليك أيضًا الاستغناء عن ذلك في المستقبل، لأنني لن أشارك في غناء تلك الترانيم بعد الآن.

إنها النهاية، آخر كل شيء، الخاتمة. لكم كنت أتمنى أن يستفيد كلانا من تلك الصفقة.

خسارة.

لقد لاحظت وأنا أصب غضبي على الورق في أثناء كتابة التقارير التي طلبتها مني أنني أشعر بسعادة شديدة وأنا أكتب. ربما كان سينتج مما أكتبه شيئًا ما ككتاب مثلًا.

أن أترك أثر أيامي التي عشتها على الأرض ما بين دفتين من ورق مقوى. لكم كنت أود أن أترك شيئًا من هذا القبيل من ورائي بعد أن أرحل، فأنا لم أزرع شجرة قط ولم أنجب طفلًا على حد علمي.

لم يكن من المفترض أن يحدث ذلك. أرى أنه سيكون عنوانًا جيدًا لسيرتي الذاتية، وسيكون عنوانًا مناسبًا لكل السير الذاتية. *لم يكن من المفترض أن يحدث ذلك.*

لم يكن من المفترض أيضًا أن أصبح أمينًا للمكتبة. قد يكون لوجودي أهمية فقط في حالة أن وظيفتي هي جمع القراء بالكتب الصحيحة التي تناسبهم، ما يجعلها أشبه بخدمة المواعدة. وهذا يتطلب معرفة الناس وأنا عندي هذه المَلَكة.

وربما العكس، فلقد كنت أعتقد أيضًا أنه يمكنني الاعتماد على وعد قطعته معي.

إلى القس

أتريد أن تفعل ذلك الآن إذًا؟ لماذا لا نؤجل ذلك قليلًا؟

لا، هذه النبرة ليست في محلها. شكرًا لك أيها القس. أود مبدئيًّا أن أسحب كلامي الذي قلته عنك سالفًا. ما كان ينبغي أن أكتب لك ذلك، فأنت لا تستحق أبدًا ما كتبته عنك.

من ناحية أخرى، دعني أستعيد ما حدث مرة أخرى. لقد أخبرتني أنني لن أحصل على الوظيفة ثم أهنتك ثُم حصلت عليها. سيكون من الصعب عليَّ تخيل انقطاع الاتصال بيني وبينك. فلنكمل ما بدأناه إذًا وهلم جرا.

هل ذهبت بالفعل إلى مدير السجن مرة أخرى بعد رسالتي التوبيخية؟ ما الحجج الجديدة التي قلتها له؟ هل ناشدته من أجل جمعيته الخيرية المسيحية وطلبت منه دعم مشروع إنقاذ روح الذي تنوي فعله معي، وذلك بتوظيفي أمينًا للمكتبة؟ أم أنك ابتززته؟

من منطلق مهنتك، تعرف الكثير عن طريقة أدائه عمله، بما في ذلك الأشياء التي لا يرغب في قراءتها في الصحيفة. أم أنه غيَّر رأيه بشأني من تلقاء نفسه؟

لا أحب أن يجبرني أحد على القيادة وأنا أعمى.

ربما لأن هذا لا يتناسب مع شخصيتك التي تصدِّرها عن نفسك. ربما لم تكن هناك "لا" من الأساس، وأنت مَن ادَّعى هذا الرفض، لتجعلني أفكر أن الردَّ كان "نعم". إنه لأمر رائع، أن يتحمس مدير السجن لمنحي هذه الوظيفة! وإن كان هذا ما حدث، فهل اضطررت إلى أن تُظهر أمامه إحساسًا دينيًّا يدعم موقفي؟ وهل حولت الماء إلى نبيذ، بعد أن قررت أن يكون الاحتفال بحفل الزفاف حفلًا خاليًا من الكحول؟ ما فعلته معي كان كمَن أحيا الموتى؛ أن تجعلني أحصل على تلك الوظيفة بعدما فقدت الأمل في ذلك تمامًا.

لقد فعلت ذلك من أجل الوصول إلى وضع أفضل في المبارزة المعقودة بيننا، ولا تقل الآن إنه لا توجد بيننا أي مبارزة. أينما يوجد شخصان، توجد مبارزة، وأحيانًا أيضًا من دون توزيع عادل للأسلحة. لكنها في النهاية تظل مبارزة في كل مرة. لقد غُلب أمرنا على ذلك. قال "شوبنهاور": "أفضل شيء في العالم أن يفترس أحدهما الآخر". لقد فعلها "قابيل" مع "هابيل"، والأب مع ابنه، ووكيل شركة التأمين مع عميله. أما في حالتنا؛ المرشد مع المريد.

وكالعادة الكرة في ملعبك في هذه الجولة أيضًا.

في الصباح الباكر، كنتُ مكتئبًا. كان السبب هو آمالي التي لم تتحقق. لم يكن هذا الشعور يزعجني على الإطلاق في السابق، لكن أصبح الآن

مرعبًا بالنسبة إليَّ؛ أن أعمل بصحبة أحدهم في ورشة اللافتات النحاسية. في المكتبة يعمل المرء منفردًا، ولكم تمنيت أن أعمل بلا صحبة. لكن من الواضح أنني لم أُعدُّ جديرًا بالترقية حتى الآن؛ برفعي من المستوى الثالث إلى المستوى الثاني.

كنت أتمنى الحصول على حلوى المنِّ المذكورة في الإنجيل، لكنهم لم يطعموني سوى الخبز الجاف. لقد جهزت نفسي لـ"شكسبير"، لكن ما حصلت عليه كان "مولر الرابع" (لا أكترث إن كان هذا اسمه فعلًا، لكن ذاك المشرف كان يتميز بوجه ممل، لدرجة استحالة تسميته باسم آخر غير "مولر الرابع"). نظرًا إلى موقع زنزانتي، كنت دائمًا آخر مَن يمرون عليه، كمَن تمرُّ عليه حافلة مدرسية تسير على الطريق نفسه كل صباح.

بكل شجاعة، سرت في الطابور مع السجناء الآخرين. لكن عندما وصلنا إلى الورشة، لم يكن اسمي على قائمة السجناء المُعينين. كان على "مولر الرابع" أن يصحبني إلى زنزانتي مرة أخرى، وهو ما كان لا يروقه على الإطلاق، فعندما يفسدون على الضعفاء روتين يومهم، سيبدؤون بالصراخ في كل مكان.

في تلك اللحظة، تحولت كل آمالي إلى مخاوف لا نهاية لها. لقد تصورت أنه عندما اقترح القس توظيفي في المكتبة وقدم طلب التوظيف ورُفض، كان هو السبب الذي أوحى إلى مدير السجن بنقلي لوظيفة أخرى.

اعتدت حاليًّا العمل في ورشة لوحات الترخيص جيدًا. بالطبع أشعر بالملل في هذه الوظيفة، لكن على الأقل تسود ضوضاء كبيرة في الورشة، لدرجة تجعلك لا تحتاج إلى التحدث، وهو ما يناسبني كوني متلعثمًا. بالطبع هناك مهن غير مريحة؛ في المغسلة مثلًا. على الأقل تعرف ماذا

يجري هناك ومَن هو المسؤول. مثلما تعرف إدارة السجن بالتأكيد، ولكنها تفضل ألا تحيط أحدًا علمًا بذلك. هل كان هذا ما ابتززت به مدير السجن؟

نادرًا ما يحدث أن يخصصوا لي زنزانة، وهو في الواقع ما لا ينبغي أن أتفوه به أصلًا؛ أن أقول "زنزانتي". لفظ "زنزانتنا" يبدو مألوفًا أكثر لمجتمع لم أختره. "أمبروس" مغني "البوب" الشهير النمساوي والمتهم بتهمة القتل الخطأ لا أعتبره رفيق زنزانة سيئ، على الرغم من كونه شخصية مزعجة بسبب أحاديثه الطويلة التي يسرد فيها أنه بريء في الواقع، لأنه لم يرَ تلك الجدة التي دعسها بسيارته أبدًا من قبل وأنه لم يكن ثملًا أيضًا. لكنني لست مجبرًا على الاستماع له.

يشعر "أمبروس" بالرضا التام عندما أصدق على كلام "جلالته" من حين إلى آخر. بخلاف ذلك، أرى أن سلبياته قليلة، باستثناء أنه يغني لنفسه باستمرار ويئنُّ في أثناء استمنائه ليلًا، كما لو كان قد وصل للتوِّ إلى أقوى هزة جماع لا مثيل لها في الحياة. ربما وضعونا في زنزانة واحدة لأننا لا ننتمي إلى فئة النزلاء المشهورين بالتمرد.

أعتذر عن الإطالة، فعندما يكون لدى الشخص عامان ونصف لسرد حكايته، لن يجد مشكلة أبدًا في أن يسرد حكاياته في ألف صفحة بدلًا من مائة. حتى أنت لديك الوقت الكافي لتُقيِّم حكاياتي روحانيًّا. وطبقًا لتقديري للظروف ولفرص العمل المتاحة لمهنتك، أعتقد أنك سوف تظل هنا مدة أطول من مدتي. ربما مدى الحياة، أو حتى سن التقاعد.

وهكذا، حصلت على زنزانة بمفردي دون أي تخطيط لبرنامج اليوم. لقد سقطتُ سهوًا من مخططات الإدارة. لم أعد مسجلًا حتى على القائمة

القديمة، ولم يُعلموني بعد بالمكان الجديد الذي سُجِّلتُ فيه. لقد كنت شخصًا حرًّا، إن صح قول ذلك عن نزيل في سجن.

مبدئيًّا – وآسف لما سأقوله الآن أيها القس – لقد كانت هذه هي أول مرة التي أتبرَّز فيها على راحتي. على الشخص أن ينتهز الفرصة، إذا كان يستطيع أن يفعل ذلك دون وجود شريك في الزنزانة. قللت بالفعل قبل مجيئي إلى هنا من شأن رفاهية وجود الإنسان في مكان هادئ. من المعروف بديهيًّا أنه لا يمكن توفير مرحاض خاص لكل زنزانة، لكن بالتأكيد وجود ستارة للمرحاض أمر مهم. على الرغم من أنها ستُستخدم بالطبع في جميع التصرفات التي لا يرغب أي شخص أن يراقبها من ثقب الباب.

أعلم أن ما سمعته مني الآن ليس ما كنت تأمل سماعه، وسألزم نفسي بألا أثقل عليك بمثل هذه الحكايات التافهة مرة أخرى. لكن ما كان قد كان.

كنت أجلس في الزنزانة فترات أطول من اللازم، مستمتعًا بالخصوصية، حتى اكتشفت الظرف. كان مصنوعًا من ورق مُعاد تدويره بني اللون مائل للرمادي، أرادت به الإدارة إثبات مدى وعيها بالبيئة. في البداية لم ألاحظ الرسالة، لأنها كانت على نصف الطاولة الخاصة بـ"أمبروس". لقد قسمنا المناطق التي نستخدمها معًا داخل الزنزانة بالتساوي؛ نصف المنضدة لي والنصف الآخر له، وهذا النصف من الحوض يخصني والنصف الآخر له. وبناءً على ذلك يعتاد المرء ألا يأخذ الجزء الذي لا يخصه في الاعتبار، للحفاظ على وهم الخصوصية على الأقل. فمثلًا، يترك "أمبروس" لعبة الكلمات المتقاطعة ملقاة على النصف الخاص به، والتي يحلها بمنتهى الحماس؛ أو بالأحرى يفشل في حلها لأنه يفتقر حتى إلى أساسيات التعليم.

لو كان بإمكاني إلقاء نظرة على ورقة كلماته المتقاطعة، لما كنت استطعت مقاومة الرغبة في ملء الخانات الفارغة له أو تصحيح أخطائه. فذات مرة، لأن ثلاثة من الحروف كانت موجودة بالفعل، كتب عن إلهة الحب الرومانية: PENIS؛ "القضيب". في الواقع هو لم يكتب ذلك، لكنني متأكد أن إجابته ستكون كذلك حال كون هذا هو السؤال.

كانت الرسالة موضوعة على جزء الطاولة الخاص به، وقد أغفلتها بالمعنى الحرفي للكلمة. ولكن الآن خُيِّل إليَّ أن مَن ترك الظرف في الزنزانة الفارغة ليس لديه أي علم بمسألة التقسيم الذي اتفقنا عليه. لذا كان من الممكن أن يكون هذا الخطاب موجهًا إليَّ. لا تأخذ ما سأقصه عليك على محمل سيئ، لكن اعتبره فكرة هزلية. عند وصولي إلى الطاولة، كانت مؤخرتي عارية تمامًا وساقاي مقيدين بسروالي الداخلي، كما لو كانوا يعرضونني على القاضي في فيلم جريمة أمريكي.

أنت تعلم بالطبع ما كان مكتوبًا في الخطاب، شكرًا أيها القس!

إلى القس

رتَّب أمين المكتبة الذي سبقني الكتب حسب ألوان أغلفتها. أقسم لك إن مسرحية "المؤامرة والحب" لـ"شيلر" مصنفة تحت اللون الأخضر الفاتح بجوار مجلد مصور للسيارات الكلاسيكية والمميز باللون الأخضر الداكن. لا يوجد فهرس للكتب على الإطلاق. بادئ ذي بدء، سأفعل..

كلا، إنهم لا يريدون سوى قراءة القصص، وليست هناك خطط لتجديد أرفف الكتب. لقد جهزت لك لوح حلوى سميكًا مصنوعًا من القصص. إنك تستحق هذا مقابل خدمة الوظيفة التي قدمتها لي. قصص بها مزيج من الجنس والعدالة؛ ذاك المزيج الذي جنوا منه الكثير من المال في هوليوود.

كنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمري، كنت طالبًا حينها في المدرسة الثانوية، وهو السن الذي يكتشف فيه الصبي أنه يمكنه استخدام أعضائه السفلية لأغراض أخرى غير التبول. في ذلك الوقت، تعلمت أن أفعل ذلك ببطء أكثر مما أفعل اليوم. اليوم يشاهد تلميذ المدرسة العادي العديد من الممارسات الجنسية اثنتي عشرة مرة أكثر مما كان يشاهدها في الماضي المتلصص المجتهد. كنا دائمًا ننتمي إلى جيل لا يعرف غير الشائعات فقط حول هذه الأمور، وهو ما لم نعترف به حينها بكل تأكيد.

أكثر شخص كان يزعم الكثير في مسألة العلاقات مع الجنس الآخر زميل يُدعى "نيلز"؛ ملك الملوك في صفنا. لقد حصل على هذه المرتبة بالطريقة المعتادة، وذلك من خلال الاستعداد لثني عضلاته أمام أي استفزاز لا يُذكر أو حتى من دون أي استفزاز أصلًا. لم يكن الأمر مختلفًا

في مدرستنا عما يحدث هنا في السجن، وكان المعلمون يفضلون صرف نظرهم بعيدًا عما يحدث أمامهم، كما يحدث هنا أيضًا.

مثل أي شخص آخر في هذه السن، كان "نيلز" يعرف تفاصيل جسد الأنثى فقط من خلال الرسومات الصريحة على أبواب المرحاض المختلفة، ومن خلال الشائعات النهمة التي يتهامس بها التلاميذ فيما بينهم سرًّا. ما نتج عن هذا الإعلام الصامت كان من شأنه أن يجعل كل طالب يجلس مذهولًا في حصة علم التشريح. لكن جهل "نيلز" لم يمنعه من أداء دور بطل الصولات الجنسية وزير النساء، ولم يمنعه أيضًا من التباهي أمامنا بمغامرات لم يفعلها. وعندما كان يُسأل عن تفاصيل تجاربه الوهمية، كان يداري جميع فجواته المعرفية بجملة: "الجينتل مان يتمتع ويظلُّ صامتًا"، إذ عدَّ – على غرار أمثاله من أشباه المتعلمين – أن الكليشيهات التي عفا عليها الزمن تُعدُّ إبداعًا جديًّا من وجهة نظره. لكن من وجهة نظري أن التمسك بالقديم ما هو إلا قصور في الاطلاع على المراجع.

لم تعد مواقف زعمه الكثيرة تزعجني، لكن لسوء الحظ كان يشعر أنه مضطر إلى إثبات تفوقه العام من خلال البحث بانتظام عن ضحية، ليقضي عليها على الملأ.

أي ضحية يمكن أن تكون أفضل عنده من زميل تنتمي عائلته إلى طائفة؟ زميل لا يستطيع إنهاء جملة دون أن يتعثر لسانه في النطق.

لقد اخترع "نيلز" كلمة للسخرية من اضطراب اللغة عندي. لم يسمِني بـ"المتلعثم"، ولكن "المتلعلعــ.. ثم". كان فخره باختراع هذا الاسم يصل إلى حد السماء. لقد كان "نيلز" مولعًا باللعب بالألفاظ. ولأنني كنت لا أمتلك المقدرة لمواجهة ضربه لي، نعتني بـ"المهزوم" بدلًا من "المتماسك".

كانت لعبته المفضلة هي اعتراضه لي في طريق عودتي إلى المنزل أو في زاوية فناء المدرسة وإجراء تدريب سريع على التحدث سماه "كوتبوزر بوستكوتشر" أو بمعنى أصح أن أقول: "صاد صياد سمك سمين اسمه صادق صيدة سمك سمكمك قد السما" سريعًا. كان بإمكانه أن يطلب مني أن أتحول إلى طائر وأطير فوق مبنى المدرسة، وإذا لم أستطع فعل ذلك - وبالطبع لم أستطع - كان يستخدم أسلوب أبي نفسه، إلا أنه كان أكثر تكبرًا. مثلًا، كان يثبت شارة على سترته عليها شعار نادي كرة القدم الذي يلعب فيه، ومعها الدبوس الذي يحمل شعار النادي أيضًا.

لك أن تتخيل ذلك.

كنت أود أن أصف "نيلز" بأنه وحش قبيح، وأن مظهره سيئ مثل شخصيته، لكنه كان على عكس معظمنا لم تصبه طفرة النمو بأي تغيير في تفاصيله، وعلاوة على أنه نجا من حب الشباب، كان "نيلز" شابًّا وسيمًا جدًّا.

كان "نيلز" مهاجم خط الوسط في فريق الناشئين لكرة القدم وحصل على لقب شرفي خاص؛ مدير صندوق الغرامات، وهو الصندوق الذي تُدفع فيه الغرامات لكل مَن لم يحضر في الوقت المحدد للتدريب أو مَن يخالف قواعد النادي. كان متواضعًا كذلك كونه طالبًا والوحيد الذي يشيد مدرس الألماني بمقالاته. كنت أنا و"نيلز" أفضل كتَّاب مقال في الصف، لكنه كان دائمًا أفضل مني قليلًا. وعلى العكس تمامًا كان يمكن أن يسبب ذلك شعورًا مؤلمًا لي، لكن في العموم كنت أنا مَن يكتب مقالاتي ويُسلِّمها، وهذا ما خفف شعوري بالألم.

كان التحدي في مهمتي - بصفتي الكاتب الشبح الممثل لـ"نيلز" - هو أن أكتب بالطريقة نفسها التي من المفترض أن يكتب بها "نيلز"، هذا إن

كان بإمكانه أن يكتب أصلًا. كتابة جيدة بشكل كافٍ تُسعد المشرف الذي يقرأ، وفي الوقت نفسه ليست فائقة الروعة لدرجة عدم تصديقها. في المحاولة الأولى أخطأت في جعله يقتبس جملة من "شوبنهاور" الذي لم يكن فيلسوفي المفضل في ذلك الوقت. في أول الأمر، وجد المعلم أن الأمر رائع، حتى تبين له أن "نيلز" ليست لديه أدنى فكرة عمن يكون "شوبنهاور". لقد اعتقد "نيلز" أن ما فعلته كان تخريبًا متعمدًا، وهذا ما دفعه إلى طمس هويتي، ولقبني بسبب ذلك بـ"شوبنهاو" وليس "شوبنهاور"، وسط إعجاب عام من التلاميذ بخفة ظله.

كنت دائمًا سريع التعلم، لذلك لم أكرر هذا الموقف مرة أخرى. منذ ذلك الحين، تجنبت أي تركيبات لفظية لا تتناسب مع مفرداته، واستخدمت فقط الصور اللغوية التي تنتمي إلى عالمه وكان معظمها من عالم كرة القدم. أتذكر أنني في إحدى المرات قارنت بين الأمم المتحدة والفيفا وشدَّدت في حديثي على ضرورة وضع قواعد ملزمة بشكل عام للعبة كرة القدم، وإلا لن تكون هناك سوى مشاجرات بدلًا من مباريات كرة قدم منظمة، أو بالأحرى لن تكون هناك سوى حروب. حينها أشاد "نيلز" بمصداقية تلك الصورة البلاغية (اليوم يبدو من قمة السخرية استخدام الفيفا كمثال للسلطة الأخلاقية).

في الواقع، يجب أن أكون ممتنًا لـ"نيلز" الذي أجبرني على ممارسة شيء استفدت منه جدًّا في مسيرتي المهنية؛ إنها القدرة على التأليف تحت اسم زائف، بحيث لا يشك أي قارئ في أن التأليف مزيف. تلك الطريقة التي لا يشك فيها القارئ أن هذا التأليف وهمي. كان ينبغي لي فقط أن أفكر بالطريقة نفسها التي من المفترض أن يفكر بها "نيلز". في وقت

لاحق، أصبح بإمكاني على الفور كذلك اختلاق الشخص الملائم لفكرة بعينها. لو كانت هناك جائزة لفن التزوير، لكنت فزت بها عدة مرات؛ جائزة الرسام المزور الشهير "بلتراتشي".

هل اسم "دالتون ترامبو" يعني لك شيئًا؟ إنه كاتب سيناريو مُنع من الكتابة في هوليوود إبان التحريض الشيوعي. لكن إدمان الكتابة مرض عضال، لذلك استمر ببساطة في الكتابة تحت اسم مستعار، لدرجة فوز أحد نصوصه بجائزة الأوسكار واستلم شخص آخر الجائزة بدلًا من المؤلف المستعار في حفل توزيع الجوائز، تمامًا مثلما كان يحصل "نيلز" على أعلى الدرجات على مقالاتي.

أما عني كـ"دالتون ترامبو" مراهق، فقد كنت أجز على أسناني بشدة عندما كان يُكرَّم بسبب مقالاتي. بمرور الوقت، تطور الأمر بيني وبين "نيلز" إلى عقد هدنة. تركني وشأني لأنه كان يستفيد مني، أو ربما لأن جاذبيتي عنده كضحية قد أُستُهلكت. مدينة الملاهي تحتاج دائمًا إلى عوامل جذب جديدة.

لكن ما لم يتغير هو كرهي إياه.

Hass (كُره)، "كلمة من أربعة أحرف". كلمة دقيقة ورائعة الجمال. صوت القلقلة في حروفها الألمانية يصف بكل دقة كيف يكون الشعور بها. قلقلة توحي بسماع صوت ثعبان سام قبل أن يلدغ. الاستياء هو الرعد والكراهية هي البرق.

أعرف أيها القس، أعرف مقولة "حِبَّ أعداءك"، خاصة الشخص الذي يحفر في ذراعك بإبرة بدافع المزح والجنون. سيكون من الجيد فعلًا إتقان مثل هذه الخدعة العاطفية. لكن بالتأكيد لن يتمكن الكل من تنفيذها. إن

الوصول إلى موهبة أن تكون قديسًا ليست بالمهمة السهلة. نحن مَن نواسي الآخرين بكراهيتنا. مَن لا يزال بإمكانه الكره، لا ينهزم أبدًا في النهاية.

من المستبعد أن يبتسم المرء بمجرد تلفظه بكلمة "كراهية"، في حين يحدث ذلك وبشكل تلقائي بمجرد نطق كلمة "انتقام". لقد توصلت إلى طريقة للانتقام من "نيلز"؛ انتقام به شيء من تناغم رائع. ستكون عدالة ذات طابع أدبي.

رنَّ جرس نهاية اليوم بالسجن مرة أخرى. كنت أتمنى لو أستطيع أن أنتقم من المسؤول الذي ينهي اليوم في السجن في هذا الوقت المبكر جدًّا؛ كنت سأطفئ عليه المصباح في أكثر لحظات حياته إثارة. "نحن سعداء لإخبارك أنك.." ثم يعم ظلام، أو "الجائزة الأولى تذهب إلى.." ثم يحدث ماس كهربي، أو "أتوافقين على الزواج بي؟" ثم تسود العتمة.

يُتبع..

إلى القس

هذه ليست مكتبة من المفترض أن أديرها، إنها فوضى عشوائية. عذرًا، مضطر أن أقول ذلك، حتى لو كانت المؤسسة بأكملها تسير وفقًا للمبادرات التي تقدمها لهم. الأدب بدلًا من الجريمة، ربما كانت هذه هي الفكرة الأساسية؛ تشكيل الشخصية من خلال القراءة. على ما يبدو أن مجموعة من الناس من الذين حصلوا على خطاب التسول منك لم يفهموه بشكل صحيح، ووفروا على أنفسهم الذهاب إلى سلة المهملات وعوضًا عن ذلك تبرعوا للسجن بكل ما احتل مساحة في أرفف الكتب الموجودة في منازلهم بكل سخاء. ما وجدته في المكتبة كان شكلًا من أشكال تدنيس المقدسات جُهِّزَ ليكون مكانًا للقراءة. توجد نسختان قديمتان ممزقتان من الأعمال الكاملة لـ"جوته"، لا يقدر سواي على تجميعها مرة أخرى، ومسرحية "فاوست" غير موجودة فيهما. من وجهة نظري، أعتبر كل هذا أنقى كومة سماد مكونة من كتب.

كان يتحتم عليَّ التخلص منها. لكن دعنا الآن نكمل بقية القصة.

بدأ انتقامي من "نيلز" عندما وجد رسالة حب في حقيبة مدرسته. كانت رسالة من ورق وردي، مكتوب عليها بحبر أخضر، وقلوب صغيرة مكان الحروف الألمانية المتحركة المائلة مكتوب فيها ***"رأيتك في ملعب كرة القدم ومنذ ذلك الحين وأنا أفكِّر بك"*** . وهكذا كانت بقية الرسالة مليئة بالكلام الفارغ ودون توقيع. لم يكن صعبًا عليَّ على الإطلاق تقليد مبالغات البنات في الحديث. عندما يتعلق الأمر باللغة الصحيحة، يمكنني تقبل أي لون لغوي. اليوم وفي أثناء ترتيب مجلدات "جوته"، حدث أن

فتحت القصيدة الملحمية "هيرمان ودورثيا" ثم جلست أفكر لمدة نصف ساعة في التفعيلة السداسية الذي كُتبت به القصيدة. "**هذه تسمى مكتبة، لكن القليل منها ما يصلح للقراءة**" لقد استعرت بعض العبارات الجميلة المميزة من قسم رسائل القراء من مجلة "برافو" في الرسالة الغرامية التي كتبتها لــ"نيلز".

نظرًا إلى قلة مصروفي، اضطررت إلى سرقة بعض الأعداد من المجلة الموجودة بالكشك الذي لم يكن من المسموح لي بالوقوف أمامه. ربما لم يكن من الضروري الحذر بشأن حسن صياغة الجمل في الرسالة، لأن "نيلز" لم يكن قارئًا ناقدًا على أي حال. لقد اعتاد المغرورون أن يمدحوا من حولهم، فلماذا لن يصدق "نيلز" إذًا؟ هناك شخص ما قد وقع في غرامه بسبب بنيته الذكورية وقدرته الرياضية؛ فالغرور يجعل الإنسان غبيًّا والغباء يجعله مغرورًا.

لقد طلبت منه المعجبة الولهانة، في رسالتها الغرامية، ألا يُري أحدًا تلك الرسالة، لكنه بالطبع فعل العكس تمامًا. وبختم السرية الصارمة، افتتح إشهار الأمر أمام أقرب أصدقائه، ثم أكمل ذلك أمامنا علانية بمنتهى اللذة، لدرجة جعلته يضمني، أنا المتلعثم الفقير، إلى دائرة أصدقائه. كان نهمًا إلى إخبار أكبر عدد ممكن من أقرانه، ونحن - "أريد أن أُثني على الرب في جميع الأوقات" - أسدينا له معروفًا وأُعجبنا بالرسالة. كنت الوحيد الذي أبدى إعجابه بصوتٍ عالٍ، لأنه عليك أن تعوي مع الذئاب، خصوصًا إذا كنتَ مَن رفع القمر الذي يعوي عليه القطيع وثبته بنفسك في السماء.

بالطبع بدأ على الفور التخمين حول مَن قد تكون تلك المعجبة المجهولة، أهي من مدرستنا؟ أو ربما حتى من فصلنا؟ فجأة أصبح النظر

إلى جميع الفتيات بأعين جديدة تمامًا، ومن المحتمل أنهم أرجعوا هذا الانتباه الذي استيقظ تجاههم فجأة إلى جاذبيتهم المزدهرة.

وجد "نيلز" رسالة غرامية ثانية ملقاة على دوَّاسة باب منزله، وسمح لنا جميعًا بقراءتها. أما الرسالة الثالثة فرفض أن يُريها إيانا قائلًا: "إنها شيء خاص للغاية"، لكن ما يقصده كان.. دعنا نقول: "كانت رسالة جريئة للغاية". لا أريد إيذاء روحك اللاهوتية الحساسة أيها القس. لقد وصفت له صديقته صاحبة الرسائل الغرامية ما يجب أن يفعله بها وبجسدها وأغلب ما كان مكتوبًا بالتفصيل الممل. لكنني حتى بعد دراسة ما كتبه دكتور "زومر" في عموده بمجلة "برافو"، لم أستطع تخيل التفاصيل الحسية لعملية الاتصال الجنسي. على كل حال، كان "نيلز" قليل الخبرة في هذه الأمور مثلنا جميعًا.

لاحقًا، مزَّق "نيلز" جميع المراسلات، تلك المُرسلة من طرف واحد، على الرغم من القلوب المرسومة ورائحة البنفسج الرقيقة التي كانت تفوح منها (كنت أعرف أين تخفي أختي عطرها المحرم). خسارة أن تلك الرسائل لم تعد موجودة. لو كان هناك معرض خاص بي، لكانت قد أصبحت هذه الرسائل من أهم المعروضات به، تلك الرسائل كانت خطوتي الأولى في مسيرتي، والتي تطورت لاحقًا إلى بطولة. إنه Learning by doing؛ "تعلُّم بالممارسة".

كانت الرسالة الرابعة ملتهبة أكثر، أما الخامسة..

في الرسالة الخامسة، تركت لمخيلتي العنان لدرجة أنني وصلت إلى ذروة النشوة في أثناء الكتابة. "الأعضاء التناسلية هي تجسيد لصدى المخ"، كما كتب فيلسوفي المبجل "شوبنهاور" في مكان ما.

(ملحوظة جانبية: لا تلبي مكتبة السجن احتياجات مستخدميها في هذا الصدد أيضًا. حتى الآن لم أجد كتابًا واحدًا يحتوي على محتوى جنسي مثير، خصوصًا أن مثل هذه النماذج مطلوبة بشكل كبير بكل تأكيد لمسألة الإشباع الذاتي الذي يحدث كل ليلة. إن **الفهرس المرجعي للباحثين عن الإثارة** ليس مفيدًا على الإطلاق).

استمرت حملة إرسال البريد هذه أقل من شهر، كنت أود أن تدوم فترة أطول. لقد شعرت بسعادة التلصص وأنا أراقب "نيلز" وهو يستثار ويزداد شهوانية يومًا بعد يوم. لا، لم تكن "سعادة تلصص"، هذه صياغة خاطئة، ما دمت أنا المقصود بذلك. أنا لست لصًّا. لقد كنت دائمًا بعيدًا عن أي نشاط إجرامي. بل إن الشعور الذي انتابني كان أشبه بفرحة الفنان الذي تأكد أن عمله أدى بالضبط التأثير نفسه الذي خططه له منذ البداية. إنه انتصار الإبداع، إذا ما أردنا التعبير عن ذلك بشكل عاطفي.

اضطررت إلى وقف إرسال الخطابات في وقت مبكر، لادعاء "نيلز" بمنتهى الثقة أنه اكتشف مَن التي ترسل له تلك الخطابات. كان يعتقد أنها فتاة تنتمي إلى طبقة راقية، شاحبة اللون وخجولة. عن نفسي، أظن أنني ما كنت لأصدق أن فتاة بتلك المواصفات يمكنها أن تكتب عن كل هذا التدفق الشهواني، لولا أنني أنا مَن كان يكتب كل هذا.

كان اسمها "داجمار"؛ اسمًا يناسبها تمامًا، لأنه اسم بدا حينها من الطراز القديم. لم أستطع وقتها أن أدرك لماذا رأى "نيلز" في "داجمار" أنها جسد المتعة أو بالأحرى تجسيد لذات رغبته. أما اليوم، ونظرًا إلى اعتقادي أنني أصبحت على دراية أكثر بعلم النفس، يمكنني بكل جرأة أن أخمن أنه عرض عليها رغباته الممنوعة، لأنه خاف بشدة من عميق قلبه

مما وعدته به رسائلها. الأسلوب الخجول لـ"داجمار" جعلها غير مؤذية بالنسبة إليه. لكن كان لـ"نيلز" سبب آخر. كان يقول: "عليكم مشاهدة كيف تنظر إليَّ". لكن "داجمار" – كشخصية لا تتمحور حول ذاتها مثل "نيلز" - كل ما لفت نظرها هو كيف ينظر إليه الجميع بسبب قوته الظاهرة. لم يكن لهذا أي علاقة بالعاطفة، ولكن فقط لأنها كانت تعاني بشدة قصر النظر. كان غروره في غير محله، لأنها لم تكن تضع نظارتها خارج المدرسة (لم تكن العدسات اللاصقة شائعة في ذلك الوقت).

لم يكن من الحكمة أن يعارض أحد منا "نيلز". لذلك لم يجرؤ أحد على الاعتراض على ما يقوله، عندما أعلن بفخر أن مثل هذه الرسائل ما هي إلا طلب صريح موجه إلى رجل حقيقي لاتخاذ خطوة جادة من جانبه، "هذا ما تنتظره النساء". لقد أمر أحد أتباعه ليعلن عن مكان سكن "داجمار"، لتبدو جميع الظروف مواتية. كانت غرفة نومها موجودة بالطابق الأول بأحد المنازل المستأجرة، ولغرفة نومها نافذة تطل على فناء. وبالنسبة إلى شاب رياضي مثل "نيلز"، كان من السهل التغلب على فَرْق الارتفاع بالوقوف فوق سطح خزانة الأدوات للوصول إلى تلك النافذة.

وقتها، كان "نيلز" قد شاهد فيلم Pretty Woman "سيدة جميلة"، وكان فيلمًا جديدًا آنذاك، والذي رأى "نيلز" أنه فيلم مبتذل. أحب "نيلز" مشهد النهاية، وخصوصًا الطريقة التي صعد بها "ريتشارد جير" واجهة المبنى لغزو قلب "جوليا روبرتس" مرة واحدة وإلى الأبد. هذا بالضبط ما أراد "نيلز" فعله؛ أن يطرق نافذة "داجمار" أو أن يدفعها بسهولة ليفتحها ويدخل غرفتها، ثم.. لم يكن بإمكانه وصف ما سيحدث بعد ذلك

بالضبط. لكن انطلاقًا من قوله المفضل عن الرجل المحترم الصامت، تجنب كل الأسئلة التي وُجِهت له عن هذا الأمر.

في مثل هذا النوع من القصص المثيرة، يوجد دائمًا لكل سر تسريبات. وعلى الرغم من أنني لم أكن من الدائرة المقربة منه، فإنني سرعان ما علمت بنية "نيلز". كان من الواضح أنه يجب أن أتدخل؛ من ناحية لإنقاذ فتاة بريئة من الهجوم عليها ليلًا، ولكن الأهم وقبل كل شيء لكيلا تفسد خططي. لم تكن المرة الأخيرة في مسيرتي المهنية التي يتخذ فيها المشروع الذي خططت له بالتفصيل منعطفًا غير متوقع. The best laid schemes o' mice an' men؛ "أفضل المخططات وُضِعت من الرجال والفئران"، كان علينا أن نحفظ هذا عن ظهر قلب في حصة اللغة الإنجليزية. gang aft agley؛ "في كثير من الأحيان عليك أن تسير بانحراف". لكن هذا لا ينبغي أن يكون سببًا للاستسلام.

وهذا بالفعل ما فعلته هذه المرة.

لم يكن جرس الإعلان عن إغلاق المصابيح هو ما جعلني أتوقف عن الكتابة. لقد أكدتَ لي سابقًا أيها القس أن لديَّ موهبة خاصة في الكتابة، لذا أعلم الآن أنه يجب إنهاء هذا الفصل باستخدام تقنية "النهاية المُعلَّقة"، ليُتابع فيما بعد إن أمكن، لذا أهيب بكَ أن تتعلق بلطف عند المنحدر الكائن أمامك.

إلى القس

ليس من السهل أن أحافظ على تركيزي داخل هذه الزنزانة. حيث يغني "أمبروس" لنفسه مرة أخرى، أو بتعبير أدق وببعض النية الحسنة من تجاهي، يصدر بعض الضوضاء التي يمكن أن نطلق عليها غناءً. ربما يغني لأنه وجد للتو حلًّا رائعًا لآخر لغز في الكلمات المتقاطعة؛ حيوان أليف مكون من حرفين؟ ثم كتب الإجابة: "يد".

عندما كنت طفلًا وأرغب في أن أبقى وحدي، كنت أتسلل إلى السندرة الصغيرة التي كانت جزءًا من منزلنا. لم يكن لدينا كوننا أسرة فقيرة الكثير من المساحة للاحتفاظ بالأشياء التي لا قيمة لها، لكن لم يكن هذا الأمر مصدر إزعاج للأسرة على الإطلاق. في إحدى المرات، ضبطتني أمي متلبسًا هناك، كان عليَّ أن أدَّعي أمامها أن السندرة الصغيرة ما هي إلا خلوة بالنسبة إليَّ لأتقرب إلى الله. "وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي" إنجيل لوقا، 5:16. كنت إذا أدخلتُ أي شيء له علاقة بالرب في اللعب، كان يمكنني أن أقنع أمي بأي هراء.

جميع الرسائل التي كتبتها لـ"نيلز"، بما في ذلك الرسالة الأخيرة الحاسمة، كتبتها من داخل ملجأ الكنيسة، لدرجة جعلتني كنت أكثر حرصًا على الصياغة المثالية للرسائل أكثر من حرص الشاعر "راينر ماريا ريلكه"، عندما كان يكتب قصائده. لم يعد باستطاعة المُرسلة المجهولة - مثلما كانت توقع على رسائلها باللون الأخضر على الورق الوردي - أن تنتظر حتى تحقق رغبة قلبها، لأنها كانت عندما تفكر في "نيلز" يتأجج جسدها بالكامل - مع إضافة قلبين مرسومين مكان الحروف الألمانية

المتحركة المائلة ذات النقطتين - ووحده "نيلز" هو القادر على إطفاء هذه النار. ثم قلبان آخران في نهاية الجملة.

كتبت له المُرسلة المجهولة أنه لا ينبغي أن يتحقق حلمها في أي غرفة عادية، لكن يجب أن يحدث ذلك في مكان خاص جدًّا؛ مكان ساحر بالنسبة إليها وزارته سرًّا عدة مرات قبل ذلك، لتتمكن من تنفس عبق جسده عند اللقاء. كنت قد قرأت للتو رواية "العطر" وأصبحت مولعًا بالروائح. كان من المفترض أن يجري اللقاء الذي سينصهر فيه جسداهما في جسد واحد في ليلة اكتمال القمر، أي السبت المقبل. في تمام منتصف الليل بالضبط، ستنتظره "عارية تمامًا، كما خلقها الله له". كما أصرت أنه يجب أن ينتظرها هو الآخر عاريًا تمامًا؛ دون أي ملابس قد تشكل عائقًا للقاء.

كان المكان السحري الذي يمكن فيه استنشاق رائحة جلد "نيلز" الذكورية حتى في غيابه هو غرفة تغيير الملابس بنادي كرة القدم الذي يلعب فيه. فالنادي كان يُغلق ليلًا، لكن الطلاب يعرفون مكان مفتاح باب النادي الموجود تحت إحدى أواني الزهور الموجودة على حافة النافذة. كان الناضجون يستخدمون تلك المعلومة لتنفيذ لقاءاتهم الحميمية هناك.

كان "نيلز" في حالة تسمم هرموني دائم بسبب الرسائل السابقة، لذلك لم يكن لديَّ أدنى شك في أنه لن يتمكن من رفض الدعوة، فعندما يتراكم الدم في الأجزاء السفلية من الجسم، لا يتبقى لقرارات الدماغ شيء. ولقد أظهر لي رد فعله بعد العثور على الرسالة في حقيبته الرياضية بوضوح أنني كنت على صواب. كان يجلس على مقعده تعلو وجهه ابتسامة عريضة غبية وحالمة، ومن ثم كان يتفاعل ببطء شديد عندما يتحدث إليه

شخص ما. عندما تبعته خلسة بعد انتهاء اليوم الدراسي، راقبته من وراء نافذة عرض متجر "روسمان" بإمعان ولاحظت مكان الرف الذي كان يقف أمامه داخل المتجر ثم دخلت بعد انصرافه لأرى ما كان موجودًا على هذا الرف. كان صابون استحمام برائحة التبغ، مستحضر عناية شخصية للرجال الحقيقيين.

كان وضع الطُّعم أمرًا في منتهى السهولة، لأن الفأر الذي يتضور جوعًا يجري مباشرة تجاه الجبن، وما كان عليَّ حينها إلا بناء بقية الفخ.

في الوقت الذي لم تكن فيه رسائل البريد الإلكتروني موجودة وكان لا بدَّ من كتابة كل حرف على حدة، كان عملي - أو بمعنى أدق ما أصبح فيما بعد عملي - لا يزال مجالًا لفناني النصب فقط. وظيفة للحرفيين الماهرين الذين يهتمون بكل كلمة بعناية فائقة للوصول إلى أكبر قدر من التأثير. اليوم يسيطر على منصة النصب الغشاشون اللغويون، متنكرين في زي أمراء نيجيريين، لديهم المقدرة على وضع الملايين من الفخاخ بضغطة زر واحدة لا يكلف نفسه عناء التأكد من أن كل فخ موضوع في مكانه الصحيح، لأنه سيقع فيه ما يكفي من السذج بكل تأكيد.

كانت رسائل الحب التي أرسلتها لــ"نيلز" تحديًا مبتكرًا. أما الرسائل الأخرى فكانت عملًا شاقًا. في هذه الحالة، يأتي الواجب بعد العمل الحر.

كنا ثمانية وثلاثين طالبًا في الفصل، وهذا يعني أنني مضطر إلى كتابة سبع وثلاثين رسالة؛ إحداها موجهة إليَّ، لكي أتمكن - إذا لزم الأمر - من إثبات أنني متلقٍّ مثلي مثل غيري ولست المؤلف. كتبت الخطاب نفسه سبعة وثلاثين مرة، لكن هذه المرة لم أستطع أن أجلس بأريحية وأكتب ما يرد على خاطري. كان لا بدَّ أن أزوِّر توقيع "نيلز" بكل ما يحويه من

شكل للخط يملأه بالغرور. تقليد خطه كان يشكل مخاطرة كبيرة، لأنه كان ينبغي على الأقل ألا يشك به زميله الذي يجلس بجواره على مقعد الدراسة نفسه داخل الفصل.

لحسن الحظ، أحضر والدي من عمله ذات مرة – من باب أن الإهدار هو سوء استخدام لعطايا الله – آلة كاتبة خارج الخدمة. وعندما اتضح لأبي أنه لا يوجد لدينا ما نحتاج للكتابة عنه، انتهى المطاف بالآلة الكاتبة إلى السندرة. كانت ماكينة رمادية من ماركة "أولمبيا" وشريط الحبر بها باهتًا، لكن لا يزال من الممكن استخدامه. ولأنني كنت حينها عديم الخبرة في استخدام تلك الأشياء، اُستغرقت مني كتابة الرسائل ساعات، على الرغم من قصر كل رسالة على حدة.

كان عنوان الرسالة مكتوبًا بحروف كبيرة كالآتي:

"سري للغاية! لا تتحدث عن هذا الأمر مع أي شخص!".

وكان نص الرسالة كالآتي:

"إذا كنت تريد أن تكون صديقي، فلتأتِ ليلة السبت عند منتصف الليل في غرفة تغيير الملابس بالنادي الرياضي. لا تضيء المصابيح وكن مستعدًا للمفاجأة!

إمضاء: نيلز"

كان للرسائل أثرها؛ ففي المدرسة، كان هذا التأثير جليًّا على الوجوه. ودَّ كل تلميذ أن يعرف هل تلقى زميله الذي يجلس بجواره في الفصل الدعوة أيضًا أم لا، لكن ما كان أحد يجرؤ أن يطرح هذا السؤال. كان الجميع يراقب "نيلز". حاولوا أن يفعلوا ذلك بشكل غير لافت للنظر لكن طريقتهم كانت لافتة للنظر، كمَن شاهد شخصًا من المريخ في أحد محلات الآيس كريم جاء وجلس فجأة عند الطاولة المجاورة لك. هذا بالإضافة إلى

أن تصرف "نيلز" غير المعتاد أكد أيضًا أنه كان يخطط لشيء غير عادي. لقد كان لدى "نيلز" أيضًا شيء غير عادي أو ربما اعتقد على الأقل أنه كان يخطط لشيء غير عادي.

(بالمناسبة – مع أن هذا لا يُعدُّ جزءًا من القصة التي أحكيها، لكنه يبدو مثيرًا للاهتمام بالنسبة إليَّ – لدى كل من النساء والرجال، أو بمعنى أصح لدى البنات والأولاد تطبيق على حالتنا هنا؛ تقنيات متباينة تمامًا لمراقبة شخص ما بطريقة غير لافتة. فالأولاد ينظرون من زاوية أعينهم، بينما تتجول البنات بنظراتها على هدف فضولها بطريقة بريئة وتتفحصه بتمرير نظرات سريعة أشبه بأن تكون محض مصادفة، لكن بشكل أكثر دقة. معرفتي بمثل هذه الأمور كانت مفيدة لي في كثير من الأحيان).

كان ترتيب "نيلز" في الفريق يأتي في المقدمة بلا منازع، لدرجة أنه لم يكن يخطر ببال أحد أن بإمكانه رفض دعوته. عندما يوجه الملك الدعوة، يجب أن تُلبى دعوته على الفور. في يوم السبت القادم المزمع، سيكون الكل هناك، الكل بلا استثناء.

يغني "أمبروس" مرة أخرى للغز الكلمات المتقاطعة. الآن أتفهَّم جيدًا لماذا تنشب الشجارات بصورة متكررة داخل السجن.

إن التعامل الأمثل مع رفقاء الزنزانة الذين يغنون يجب أن يكون "الخنق".

تصرف غير أخلاقي، أليس كذلك؟ نعم، ولكن ما البديل؟ تمامًا كما قال "شوبنهاور". يمكنني أن أُزيدك من الهراء بيتًا من اقتباسات "شوبنهاور". "الأخلاق هي أسهل العلوم"، وأنا من الأشخاص الذين يفضلون الطرق السهلة.

لم أفهم أبدًا هذه الجملة بطريقة جعلتني أسلِّم خدي الآخر لمن يضربني. هنا في السجن عندما تكون غبيًّا بما فيه الكفاية لدرجة تجعلك لا ترد الضربة بضربة مثلها، أو تجعلك تهرب في الوقت المناسب عند الهجوم عليك، تشعر عندئذ إلى أي مدى يمكن أن تؤلمك عظمة أنفك بعد كسرها، هذا في حالة إذا كنت لا تزال واقفًا على قدميك بعد الضربة الثانية. أو حين تكتشف أن الشيء الذي يحمله الآخر في يده هو ملعقة شُحذتْ لتتحول إلى سكين. لكن ندبة في الوجه لا يمكن أن تصرفك عن صلاة الرب.

لا أيها القس، إنني أفضل ما جاء في العهد القديم: العين بالعين، والسن بالسن، اليد باليد، والقدم بالقدم، وطبعًا الخبث بالخبث. "نيلز" هو مَن جعلني متلعثمًا، هو مَن جعلني شخصية هزلية كشخصية "ووتشينمان"، هو مَن حولني إلى أضحوكة، ومَن حطَّ من قدري ليجعلني ضحية، من قبل أن يصبح لفظ "ضحية" كلمة سب شائعة بين أقرانه. أَبَعْدَ هذا كله كان ينبغي لي أن أتعامل أخلاقيًّا معه؟ إذا كنتَ تعتقد حقًّا أنك لا تؤدي الترهيب المكسو بالتقوى ببساطة - لأنه غُرس فيك في أثناء تدريبك لدرجة اعتقدت أنك تفعله حقًّا من صميم قلبك - فلا بدَّ أن تكون

على يقين أن لك مكانًا محفوظًا في يد الرب اليمنى وأنك لم تخسر أي شيء مما كان في الدنيا. لكن في السجن لا يحدث هذا أبدًا بكل تأكيد.

لو كنت قويًّا بما يكفي حينها، لكنت أوسعت "نيلز" ضربًا. ولولا تلعثمي لكنت أهنته على الأقل، لكنني لم أستطع فعل أي منهما. لذلك اتبعت نصيحة أحد الفلاسفة المفضلين لديَّ حين قال: Float like a butterfly, sting like a bee؛ "حلِّق مثل الفراشة والدغ مثل النحلة". هذه المرة ليس "شوبنهاور" هو الفيلسوف، وإنما "محمد علي". "محمد علي" كان مفكرًا عظيمًا أيضًا.

هل تعرف كيف تطور الأمر؟ The hands can't hit what the eyes can't see؛ "لا تستطيع الأيدي أن تضرب ما لا تراه الأعين". طالما لم يكتشف أحد أنني مَن دبرت كل هذا، فلن يحدث إذًا ما أخاف عقباه.

حتى لو توصل "نيلز" إلى الاستنتاج الصحيح لاحقًا، سيكون قد فات الأوان بالفعل.

الاختراعات يكون تأثيرها أكبر إذا كانت مستوحاة من الواقع. لا أعرف أكتبت لك هذا من قبل أم لا؟ كانت رائحة العرق الرياضي تفوح في المكان كله في غرفة تغيير الملابس. في تمام الحادية عشرة والنصف، تسلل كل زملاء الفصل إلى ما بين المقاعد الخشبية الطويلة التي تعلوها خطافات المعاطف من جهة والخزانات المعدنية من جهة أخرى. وبعد عشر دقائق، وصل آخرهم إلى المكان. لقد تسللوا جميعًا من غرف نومهم، سائرين على أطراف أصابعهم عبر الممرات المظلمة، أو حتى قفزوا من النوافذ. كل هؤلاء سيستقبلهم آباؤهم بصفعات على وجوههم، ولا سيما الفتيات منهم، بسبب هذه النزهة المحرمة. لكن الخوف من حدوث ذلك لم يردع أحدًا

منهم. "هأَنَذَا أَرْسِلْنِي" سفر أشعيا 6:8. هذا طبعًا بالإضافة إلى أن القصة كلها كانت مثيرة جدًّا، بحيث لا يمكن تفويتها. أُطفئ الضوء في وقت مبكر، لم تكن أضواء نيون ولكنها بضعة مصابيح تتدلى من السقف. حتى أحد العمال الدؤوبين كان قد أغلق مصاريع النوافذ. لقد خلق هذا الظلام الدامس مناخًا ناعمًا مخيفًا. كان مثيرًا للاهتمام أن ألاحظ في البداية كيف يتكلم الجميع بصوتٍ عالٍ جدًّا، وكيف يفعل المرء ذلك لإبعاد خوف تنامى بداخله. كلما اقترب منتصف الليل، أصبحت الأصوات أكثر هدوءًا، حتى وصلوا إلى مرحلة الهمس ثم صمتوا جميعًا.

في ذلك الوقت، كانت ساعات اليد الرخيصة ذات الشاشة الرقمية قد وصلت للتو إلى السوق، وفي الدقائق الأخيرة قبل تمام الساعة الثانية عشرة، كان الجميع يحدقون في الأرقام الصغيرة المضيئة. لا أحد يشك في أن "نيلز" سيظهر في الوقت المحدد.

مَن يخطط لإحداث انفجار يجب أن يكون قادرًا على إشعال المفرقعات. لذلك اخترت مكانًا لم يلاحظه أحد بجوار مفاتيح الإضاءة مباشرة، وشخص مهمش مثل "المتلعثم" بطبيعة الحال من الطبيعي أن يكون مكانه في المؤخرة.

كانت الملاعب الرياضية في المنطقة الصناعية الصغيرة في المدينة، لذلك لم تكن هناك أبراج كنيسة قريبة من الممكن أن تعلن عن وصول "نيلز" عند منتصف الليل. عندما كنت أكتب، أفكر في إضافة التأثير الصوتي الدرامي المناسب لتقريري، ولكن هناك ذكريات جميلة جدًّا أردتُ أن أبقيها بلا تزوير. ثم إن هناك آخرين لا يمكن تحملهم إلا إذا كذبت عليهم. لذلك تنازلت عن دق الأجراس وعن العد التنازلي الهامس. لم يحسب أحد

الثواني من عشرة إلى صفر، لكن الجميع سمعوا كيف ضُغِط على مقبض الإضاءة في الوقت المحدد.

كان القمر بدرًا، والليل صافيًا، ومن ثَمَّ هناك صورة حادة منعكسة على إطار الباب. ثم ظهر "نيلز". وللحظة لا نهاية لها، كان الجميع ينتظرونه ليقول أي شيء.

في تلك اللحظة، شَغَّلتُ الإضاءة.

لقد أحسست مرة بشعور مثير للإعجاب، وأنا على مسرح الكنيسة أؤدي صلاة الغروب، لأنها كانت تمطر بالخارج في أثناء أداء "نشيد مريم". مر ضوء أحد الكشافات بسرعة خاطفة على التمثال المصلوب على المذبح رافعًا عنه ظلمة كانت تغطي نصفه.

بالضبط هذا ما حدث في تلك اللحظة في غرفة تغيير ملابس لاعبي كرة القدم. لم يكن "نيلز" مصلوبًا بمسامير في يديه وقدميه، لكن تنقصه قطعة قماش تغطي أعضاءه التناسلية بلمسة من الرحمة. على ما أذكر، لم يكن انتصابه ضخمًا كما أردته في مخيلتي، لا أحد يمتلك مثل هذه القوة الشديدة، لكنه كان بالفعل ذا ذكورة لافتة ومجرد التفكير في تحقيق أحلامه الوهمية التي وعدته بها في رسائلي جعلت كل جسده ينتفخ ويكتسب حجمًا أكبر.

نزولًا على رغبتها، كان لا بدَّ أن يأتي "نيلز" إليها عاريًا تمامًا. "مجردًا من ملابسه" تعني في الأصل "عاريًا مثل شجرة منزوعة اللحاء"، هكذا قدِّم "نيلز" منزوع اللحاء أمام زملائه. تقدم "نيلز" دون أي قطعة ملابس على جسده، ولكن بوردة في يده. لم يكن يرغب في أن يظهر في صورة المتلذذ الصامت، وإنما في صورة الرجل المهذب النبيل.

يفوح منه عطر برائحة التبغ.

من أجل تقييم صحيح لقوة تأثير هذا الموقف، يجب أن تضع في اعتبارك أيها القس أن التأخر الثقافي في بلدة صغيرة كبلدتنا يمكن أن يكون له تأثير هائل في بعض الأحيان، وأنه لا يزال هناك الكثير مما يُعدُّ من المحرمات عندنا ويعتبر أمرًا مسلمًا به منذ فترة طويلة في أماكن أخرى. كنت أنتمي إلى جيل منغلق يتناسب تمامًا مع فترة الخمسينيات البرجوازية. نميل دائمًا إلى كل ما هو غامض، إلى كل ما هو خفي وراء الصدريات التي يرتدينها زميلاتنا في المدرسة، وإلى ضحك الفتيات بمنتهى الخجل في حصة الفنون عندما يحين الدور لعرض شريحة عليها صورة تمثال "أبولو فون بيليفيدره" العاري. أن يقف أمامك تمثال عارٍ وأنت وسط زملائك كانت أكثر المواقف التي يمكن أن تتخيلها عارًا.

في تلك اللحظة الحاسمة، سوف يصرخ ويضحك الجميع. ربما وضع بعض الفتيات أيديهن على أعينهن واستمتعن بالمشاهدة فقط من خلال النظر من بين أصابعهن. لم ألاحظ أيًّا من هذا، فقد كنت أصب كل تركيزي على "نيلز" وعلى التغيير الذي كسا وجهه عندما أدرك وضعه، عندما أدرك أيَّ عار حلَّ عليه، من أنه أصبح أكثر شخصية مثيرة للسخرية في المدرسة وفي المدينة بأسرها. استدار "نيلز" - وشعره الأشقر البرَّاق بفعل توهج المصابيح منسدل على وجنتيه مثلما يحدث في إعلانات الشامبو - ثم ركض ولم يُسمع منه سوى نقر خطواته وهو يهرب.

تخيلت كيف كان نيلز يحاول ارتداء بنطاله الذي ألقاه تحت شجيرة في الغابة بأقصى سرعة ممكنة، وكيف أنه لا يتمكن من ذلك لأن فرع الشجيرة أعاقه من شد البنطال من فوقه. وكيف حاول عبثًا مواصلة سحب سحاب

بنطاله ولا يستطيع ذلك لأنه كان لا يزال منتصبًا وهو يجري على قدم واحدة، ولا يتمكن من العثور على فردة حذائه الأخرى لأنه كان على عجلة من أمره. أحببت أيضًا التفكير في الكيفية التي انفجر بها في البكاء وهو في طريق عودته إلى المنزل، وحتى وهو يفكر في أن يرمي بنفسه من فوق الجسر. لكن كان كل ذلك محض خيال. والحقيقة أنه لم يجلس في مكانه داخل الفصل في اليوم التالي، ولا اليوم الذي تلاه وقيل إنه غيَّر المدرسة لأسباب خاصة.

أيها القس! هل تجيد الإنجليزية لدرجة تمكنك من فهم معنى كلمة private parts "أعضاء حميمية"؟ هذه كانت أسبابه الخاصة التي ترك المدرسة بسببها.

لم أتابع ما حدث له بعد ذلك، ولم يكن ذلك ضروريًّا بالنسبة إليَّ. لكنني أراهن أنه في مدرسته الجديدة لم يعد ذلك الإنسان المغرور الذي كان عليه. قضيبه جعل منه أضحوكة فجأة وإلى الأبد.

إلى القس

أعرف أيها القس، أعرف. "لا تفرح بسقوط عدوك ولا تسمح لقلبك أن يكون سعيدًا بتعاسته". قال "شوبنهاور" شيئًا قريبًا من هذا المعنى، لكن صياغته بالتأكيد كانت أفضل. أنا لا أعارضك على الإطلاق في أن ما فعلته مع "نيلز" لم أجنِ من ورائه أي مكاسب. لقد كان فعلًا بغيضًا، إن كان هذا ما تريد سماعه. ولكن أمَا كان ينبغي لي أن أنتهز تلك الفرصة؟ لماذا كان ينبغي لي أن أحرم نفسي من إحساس بشماتة مستحقة تجاهه؟

أعترف بأنني مذنب وأتقبل منك أي إدانة ترغب في أن توجهها إليَّ بهذا الشأن. "أنا مذنب، مذنب إلى أقصى حد". لكن ما لا أقبله هو طريقتك في التعبير عن إدانتك لي. أكان يجب أن أجد طريقة أخرى للتعامل مع "نيلز"؟ حسنًا، يمكن أن يكون هذا صحيحًا. لكن هل كان من الضروري أن تضيف: "على الرغم من عيب النطق الذي يعانيه"؟ اللعنة! تقولها مرة أخرى أيها القس، أنا لا أعاني أي عيوب في النطق. الأعمى ليس لديه عيب في الإبصار والأصم ليس لديه عيب في السمع. هو أعمى أو أصم ليس إلا. وأنا أتلعثم في أثناء الكلام ليس إلا. مَن كان مختلفًا لا يعني أن به نقصًا، وإن كنت لا تدرك ذلك فهذا يعني أنك لست أكثر ذكاءً من "باخوفن" الذي أراد أن يعالج علتي بالضرب.

ما الذي أعطى لك الحق أن تصف الآخرين بأن لديهم نقصًا؟ فقط لمجرد أن وضع لسانك ليس في وضع أفقي داخل فمك؟ أتصف راقص باليه بسوء الأخلاق، لمجرد أنه أدى دور شخصية شريرة في باليه بحيرة البجع؟ هل تصف لاعب ألعاب قوى يشارك في سباق العُشاري بأن به

نقصًا، لمجرد أنه لم يكن على المستوى نفسه في سباق واحد من العشرة؟ كلا، أنت تفهم ما أقصد.

أم أنك في حاجة إلى أخطاء الآخرين لتتمكن من القول بتسامح عبثي: "أنا لا أمانع، أنا حتى لم ألاحظ ذلك"؟ هل هذا يجعلك أفضل عندما يكون الآخرون أسوأ في عينيك؟

عندما تفكر في الأمر، سرعان ما سيتضح لك ذلك، أليس كذلك أيها القس؟ لكن على المرء أيضًا أن يدير الأفكار في رأسه.

لطالما كرهت مصطلح "عيب في النطق" عندما كنت طفلًا. حاولت في إحدى المرات وأنا في المرحلة الثانوية أن أنفِّس عن غضبي من هذا المصطلح في صورة أدبية. في الماضي، كان كل شيء ينحني أمام ما يريده الأديب الصغير. لو كانت القصة التي كتبتها عن هذا الشعور في متناول يدي لكنت ألحقتها بما أكتبه الآن لإرساله إليك. كان صياغتها لها طابع مراهق وبائس، لكنني ما زلت متفقًا مع مضمونها الذي حملته في طياته، تمامًا كما كنت وأنا أكتبها حرفًا بحرف على ورق الآلة الكاتبة المتهالكة في السندرة بمنزلنا، حينما كنت أصدق أن المرء يمكن أن يكتب من أجل مسابقة أولمبياد الشعراء على آلة "أولمبياد" الكاتبة المتهالكة. لكن تلك المخطوطة لم تعد موجودة، يا للأسف! فأنا لست من النمط الذي يحتفظ بالأشياء القديمة.

في أثناء محاولتي الأوسع في الكتابة، كانت الأفكار التي أكتب عنها مسروقة بالطبع، لأن كل أديب يبدأ عادة كمقلد. عندما كنت طالبًا، كنت مستخدمًا مجتهدًا للمكتبة العامة. أرعى الرفوف وأعيد هضم وكتابة ما

قرأته بأسلوبي. من تلك المحاولات، جاءت إعادة كتابتي لعمل "ج. ه. ويلز" الذي يحمل في الأصل عنوان "وادي المكفوفين" أو "في أرض المكفوفين".

أو شيء من هذا القبيل. (أكثر ما افتقدته هنا هو القدرة على البحث عن مثل هذه الأشياء على الإنترنت في أي وقت). كانت تدور أحداث تلك القصة عن أحد الرحالة أو الباحثين - لا أتذكر أيضًا - الذي وصل إلى أحد الوديان الذي كان كل سكانه عميان. لم يصدق أحدٌ من سكان الوادي أن هذا الزائر يمكنه أن يرى واعتقدوا أن ادعاءه هو مجرد خيال. فحصه الأطباء المحليون وعرضوا عليه أن يزيلوا له جراحيًّا، ما بدا أنه التصاقات غريبة موجودة في تجويف عينيه (لم أخطط للسخرية من هذه التركيبة، لكنني أحبها الآن)، لأن كلمة "ما بدا" في هذا السياق يكمن فيها أصل الارتباك الذي كان يشعر به حينها. بدافع الحب للسكان الأصليين، كان على استعداد لاقتلاع عينيه، لكنه استطاع أن يهرب في اللحظة الأخيرة بعد ذلك. كيف انتهى الأمر في رواية "ويلز" في النهاية؟ لا أعرف، وهذا أيضًا لا يهم.

سمَّيت قصتي "جزيرة المتلعثمين". لم تكن لديَّ وقتها سوى هذه الورقة الرفيعة جدًّا لاستخدامها في حين أردتُ عمل نسخ متعددة من النص الذي ألَّفته. وعندما حاولت تمييز العنوان بشكل صحيح، خطت مسطرة الكتابة خطًا أفقيًا على الورقة؛ جزيرة المتلعثمين، بقلم..

نسيت الآن الاسم الذي فكرت فيه ليكون اسم المؤلف لهذه القصة، لكن الشعور المريح الذي صنعه اسم مستعار بداخلي لا يزال قائمًا حتى اليوم. كان أول اسم مستعار من ضمن أسماء كثيرة أتت بعد ذلك. أما الثاني فكان "ملاخي"، هذا إذا ما أردت أن تبدأ في العد.

كانت الشخصية الرئيسة في هذه المرة شخصية مبشِّر. هذه الشخصية الكاريكاتيرية الشريرة، والتي زخرفت ملامحها بمنتهى المتعة بالعديد من التفاصيل المشوهة، كان سيعرف كل فرد على الفور أنني قصدت "باخوفن". واعظ ثرثار مدعي معرفة يقفز بالمظلة فوق جزيرة تقع في بحر الجنوب بغرض إنقاذ الوثنيين القابعين هناك. لماذا اخترت بحر الجنوب؟ لا أعرف. في القصة نسخت وصف الجزيرة من كتابات أديب الرحلات الإسكتلندي "ستيفينسون". لم أعر أي اهتمام لشرح لماذا كان أهل هذه القبيلة - التي لم تسمع عن أي حضارة قط - يتحدثون اللغة الألمانية. هذه الصغائر - التي ربما كانت عذري وقتها في افتقار ما أقوله إلى المنطق - كانت المعوق لظهور الأديب الحقيقي الذي يكمن بداخلي. هبط الواعظ، المفعم بغضب هداية الآخرين، على الجزيرة أو بالأحرى كاد يهبط، لأنني تركته يتدلى من شجرة نخيل لعدة أيام، حتى قُبِض عليه عالقًا في مظلته. ما فائدة الكتابة إذًا لو لم يكن بإمكان الأديب أن يعذب شخصياته؟ أخيرًا جرى التحفظ عليه وهو نصف جائع من قبل المتوحشين، ثم قادوه إلى مستوطنة "كارل". (اليوم أصبحت أعلم بالطبع أن مستوطنة "كارل" موجودة في أفريقيا وليس في جنوب المحيط الهادي كما كتبت، لكنني لم أكن أهتم بمثل هذه التفاصيل الدقيقة في ذلك الوقت). ثم وضعوا التوابل وحليب جوز الهند والسمك النيئ عليه، وعندها تفاجأ أن كل سكان هذه المستوطنة يتلعثمون عند كلامهم. كانت اللغة المحلية هي لغ..لغ.. لغة، والواعظ هو الوحيد الذي لا يتقنها. كان يعاني "عيب في النطق" على حد تعبيرك.

كلما يحكي لسكان المستوطنة شيئًا – وهو يحفظ الكتاب المقدس كله عن ظهر قلب – ينفجرون في الضحك. كانوا يعتبرون أنه من المضحك جدًّا أن يقول أحدهم "الرب" بدلًا من قوله "الراا.. الراا.. الراا.. الرب"، أو أن يقول "خطيئة" بدلًا من "خطي.. خطي.. خطي.. خطيئة" فيصبون على ما قاله جلَّ ضحكهم. (ماذا يصب المرء في الواقع عندما لا يمكنه التحكم في ضحكه؟ "باخوفن" كان ليقول: "روحه"، بطريقته نفسها الخالية من حس الفكاهة).

هذا المُهْتَدي الذي أراد أن يكون نبيًّا منذرًا تحول إلى شخصية محل سخرية من الجميع، ورجا زعيم القبيلة أن يسمح له بالتواصل مع كبير المتلعثمين طلبًا للمساعدة والنصيحة. كان يوجد في تلك الجزيرة أحد أنواع العقارب التي تلدغ دون أن تُميت، لكنها مؤلمة للغاية ويجب أن يلدغ هذا العقرب الواعظ في كل مرة يتكلم فيها دون أن يتلعثم.

الآن فقط وبعد عدة سنوات، تذكرت هذه القصة الطفولية، لدرجة جعلتني أدرك أن العقوبة التي طبقتها مضاعفة على "باخوفن" كان لها خلفية مذكورة في الإنجيل؛ في سفر الأخبار الأول: الجزء الثاني 10:14 "أَبِي ثَقَّلَ نِيرَكُمْ وَأَنَا أَزِيدُ عَلَيْهِ. أَبِي أَدَّبَكُمْ بِالسِّيَاطِ وَأَمَّا أَنَا فَبِالْعَقَارِبِ".

لقد اخترعتُ اسمًا علميًّا زائفًا معقدًا للحيوان الذي اخترعته، والذي لا أتذكره الآن. في ذلك الوقت، كان لي رأي في منتهى السذاجة، ألا وهو أنه كلما كان مسمى الشيء له صبغة لاتينية، جعل الاختراع أكثر مصداقية. كان ذلك قديمًا، فبعد بضع سنوات فقط، توصلت الكنيسة الكاثوليكية إلى استنتاج معاكس لما كنت اعتقدته، فيما يتعلق بالطقوس الدينية.

الألم المضاعف الذي تحمله "باخوفن" بعد ذلك صِغتُه ليس فقط بدقة تامة وإنما أيضًا باستمتاع كبير. كان من المريح لي أن أجعله يعاني، لذلك جعلوا الكتابة أحد أشكال العلاج. بمتعة فريدة، دونت نهاية القصة على الورق. على الرغم مما لاقاه المبشِّر من عذاب، فإنه لم يستطع أن ينطق "أعظ.. أعظ.. أعظ.. أعظكم" بطريقة متلعثمة صحيحة. ولهذا السبب دُفن في قفص من الخيزران في البحر، وحُسِبت المسافات بين القضبان، بحيث لا تسمح له بالخروج من القفص. لكن سمك "البيرانا" - والذي نقلته أيضًا إلى بحر الجنوب - كان يمكن أن يدخل له بكل سهولة. وبدأ في التهامه حتى تحول إلى هيكل عظمي أمام أعين كل المتلعثمين.

ما زلت أتذكر الجملة الأخيرة في هذه القصة. لقد جعلتها على لسان زعيم القبيلة بعد أن رأى أن الأسماك المفترسة قد أدَّت واجبها. قال: "هذا جزاء مَن لم يستطع أن يتلعثم بطريقة صحيحة". بهذه الجملة، ختمت قصتي.

أيها القس، ما زال لديَّ الكثير عن موضوع أخطاء النطق.

ملحوظة: هل من الممكن أن ترسل إليَّ صندوقين من البطاقات الخاصة بفهرسة الكتب؟ لأنني إذا حصلت عليهما، سأتمكن من إنشاء فهرس حقيقي لهذه المكتبة.

إلى القس

لم يعد يأتي أحد إلى المكتبة ولا أستطيع تفسير ذلك. بطبيعة الحال، لم يكن السجن يعجُّ بمحبي القراءة ذوي النظارات السميكة، لكن دائمًا في وقت الاستعارة كان هناك إقبال حقيقي، وأنا على علم بذلك بالفعل. كان بمجرد تسجيل الدخول – لقد واجهت هذا مرات عديدة في السابق كمستخدم عادي – يتوجب عليك الانتظار في الخارج، حتى تتوفر مساحة ما بين أرفف الكتب. ذلك لأن الزنزانتين المُعدتين لاستيعاب أربعة أشخاص لا تصلحان لأن تكونا قاعة قراءة. لهذا السبب، وُضِعَت دِكَّة خاصة لأولئك المنتظرين في الخارج – أعتقد أن تلك الخطوة كانت بناءً على اقتراح منك أيضًا.

أصبح هذا المكان جيدًا للمحادثات دون إزعاج؛ ذلك لأن الحراس المناوبين لا يشكُّون أبدًا في أن المهتمين بالكتب يمكن أن يفعلوا أي شيء سيئ. بعض السجناء من الفئة (أ) و(ب) كانوا يأتون فقط من أجل هذه المحادثات ولم يفتحوا أبدًا الكتب التي استعاروها. لكن أيًّا كان السبب الذي أتوا من أجله، فعلى الأقل جاؤوا.

ولكن ماذا الآن؟ لا أحد.

وهذا ما يُخيفُني.

السجناء هم في الواقع رواد مثاليون للمكتبة. إنهم الجمهور الأسير؛ يا له من تعبير دقيق! يعاقبك القانون ليس فقط بالحرمان من الحرية، ولكن أيضًا وقبل كل شيء يعاقبك بالملل. الأمر كان أشبه بصراع طوال اليوم بالسير في صحراء الساعات الفارغة وتوق العقل العطش إلى الانتعاش الروحي. ولم يكن من الممكن حتى في أثناء أوقات مشاهدة التليفزيون

المحددة بدقة اكتساب القليل من الرحيق الفكري. وهذا يرجع إلى أن البرنامج الذي نشاهده كان يُحدَّد بطريقة ديمقراطية؛ أي من قِبل غالبية من الأغبياء. فكانوا يستقرون مثلًا على مشاهدة برنامج "ألمانيا أيدول" من بداية التصفيات الأولى وحتى التصفيات النهائية أو برنامج "فلاح ثري يبحث عن عروسة". لهذا لم يتبقَّ أي مخرج أمامي سوى الكتب.

يبدو أن السجن بأكمله قد تخلى تدريجيًّا عن القراءة.

لم أقم بتصنيف جميع المجلدات حتى الآن، ولكنني صنفتها بالقدر الذي يُمكِّنني من تقديم عرض مناسب عنها أمام الجميع. لقد صنفتها كالآتي: قراءة سهلة وقراءة صعبة؛ أي قراءة مناسبة للكلاسيكيين ومجلدات مصورة للأميين. لكن لا أحد يأتي. كما لو كان كل السجناء قد اقتنعوا فجأة بأن القراءة يمكن أن تصيبهم بالإيدز.

يا له من أمر محير!

أنا محاط بأمر غامض.

أمر لا يشعرني بالضحك على الإطلاق.

حتى "أمبروس" رفيقي في الزنزانة يتصرف بغرابة أيضًا. منذ أول يوم حُبسنا فيه معًا، كان يتحدث معي دون توقف، بالطبع كان يتحدث عن أشياء غير مثيرة للاهتمام على الإطلاق، لكنها كانت تشبه المحادثة على كل حال. الآن صمت فجأة. في بعض الأحيان، ينسى نفسه ويبدأ بالدردشة، ولكن بعد جملة أو اثنتين يصمت مرة أخرى، بل وأحيانًا في وسط الجملة. لقد حاولت أن أستجوبه بطريقة لم تمثل أبدًا أي مشكلة بالنسبة إلى مناور متمرس مثلي، لأن "أمبروس" ليس بالذكاء الذي يؤهله للحصول على جائزة نوبل مثلًا. أخبرته عن كتاب لألغاز الكلمات المتقاطعة، وجدته

في أثناء ترتيبي لكتب المكتبة وسألته عن رغبته في أن أحضره له. كان الكتاب موجودًا بالفعل، أما عما يحويه من ألغاز، فقد كانت بالتأكيد أعلى من مستوى ذكائه بمراحل. كان الأمر أشبه بوعد لاعب جيتار مبتدئ ليست لديه سوى ثلاثة أوتار على جيتار بإحضار نوتة موسيقية منفردة خاصة بعازف الجيتار الشهير "جيمي هندركس". بالنسبة إلى شخص كان يبحث بمنتهى الهوس عن أي جريدة ملقاة في أي مكان بها ألغاز كلمات متقاطعة غير مكتملة، كان لا بدَّ أن يلتقط الطعم. لكن "أمبروس" - الذي كان يبحث باستمرار عن ألغاز الكلمات المتقاطعة المسماة بـ"الممرات الفرانكونية" ذات الثلاثة أحرف - ادعى أنه لم يكن مهتمًا بألغاز الكلمات المتقاطعة على الإطلاق، وقال: "شكرًا! لا أريد". لم يكن يعرف في الأساس ماذا يفعل بهذا الكتاب لو كان قد حصل عليه وهو أمر يمكن تصديقه كما يمكن تصديق ادعائه أنه لم يدن بسبب قيادة سيارة وهو تحت تأثير السكر أفضت إلى موت، ولكن بسبب عضويته في رابطة "الصليب الأزرق" لراغبي التعافي من الإدمان.

كان كاذبًا سيئًا، فبينما يعبِّر عن عدم اهتمامه التام بهوايته المفضلة، يهرب بنظراته عني ويفرك في شحمة أذنه. كان الأمر واضحًا كأنه لصق ورقة على جبهته مكتوبًا عليها "لا تصدق كلمة مما أقوله". لكن لماذا كل هذا؟ اللعنة، لماذا؟

لا أحد يتحدث معي على الإطلاق. في أحد الأيام على العشاء، جلست بجانب رجل التقيت به مرتين قبل ذلك عندما كنت أسلم الكتب. وهذا يعني أنه قارئ. مسجون طبقًا للمادة 30 أ من قانون المخدرات ومعرفة اسمه ليست مهمة على الإطلاق في السياق. أخبرته أنني أصبحت الآن

مسؤولًا عن المكتبة وسألته لماذا لم يعد يأتي للحصول على الكتب، وعندها رفع صينية الأكل وهو صامت وذهب للجلوس في مكان آخر.

هل أنا مصاب بالجذام؟

لا أفهم ماذا يجري.

في المجتمعات المغفلة، يكون من الطبيعي جدًّا تداول الشائعات الغريبة. عندما وصلت للتو وكانت "لا تزال تفوح مني رائحة الشارع في الخارج"، كما قال أحد النزلاء هنا، وهو محكوم عليه بالسجن مدى الحياة، حذروني من تناول أي طعام مطبوخ بالسمن لاحتوائه على مادة كيميائية تعمل على تخفيف الدافع الجنسي وتتسبب إن آجلًا أو عاجلًا في العجز الجنسي. ربما يكون هناك شيء ما مثل هذا الهراء فيما يتعلق بالمكتبة. ولكن لماذا؟ لماذا الآن؟ أم أن تلك المقاطعة الواضحة ليست لها علاقة بالكتب، وإنما لها علاقة بي أنا شخصيًّا؟ إذا كان الأمر يتعلق فقط بعدم رغبة أحد في استعارة أي شيء، لأي سبب من الأسباب، فهذا أمر لا يهمني على الإطلاق. على الأقل يكون لديَّ وقت لأقرأ بهدوء أو لأكتب.

ولكن إذا ما كان الأمر متروكًا لي..

لقد سبق لي أن شعرت كيف يكون الإنسان غير مرغوب فيه، أن يكون منبوذًا ومن الأفضل عدم الاحتكاك به. يحدث ذلك دون أي إعلان رسمي عنه، فلا يُميَّز الشخص المعني بالشارة القرمزية، ولا يتدلى على صدره الجرس الدال على مرضى الجذام، لكن الكل يعرف، لقد تجاوزت ذلك. في ذلك الوقت، كان الشخص المقصود هو من يُشتبه في أنه يعمل مخبرًا لإدارة السجن، وإذا ما كان يعمل حقًّا جاسوسًا لديهم أم لا سوف يتعرض

لحادث مفاجئ، كأن ينقلب عليه الحساء ويحرقه، أو يتعثر تحت الدش فتصطدم رأسه بالحائط. ومثل هذا الشك في حد ذاته يهدد الحياة.

لذلك إذا كانت مثل هذه الشائعات تدور حولي فإنه..

منذ أن وصلت إلى هنا، بذلت جهدًا كبيرًا للالتزام بجميع القواعد، المكتوبة وغير المكتوبة. لقد كنت أتدرب منذ الطفولة على التكيف مع البيئة المحيطة بي. أنا لا أزعج أحدًا، ولا سيما الأقوياء. كنت أتعامل معهم مثل الطيور مع التماسيح التي ينحصر دورها في تنظيف أسنان التماسيح.

يجب عليك أن تساعدني أيها القس. ليس فقط لأن المكتبة هي مسؤوليتك وطفلك المدلل، ولكن لأن المشكلة قد تطالك بشكل مباشر. لقد حصلت على وظيفة ورُقِّيتُ إلى المستوى (ب) بعد نصف عام فقط، في حين يُستغرق هذا عادةً ضعف المدة. وإذا علم أحد أن كل هذا قد جرى بتوصية منك، فإنه..

بالتأكيد قد لاحظ هذا أحد ما، فهنا لا توجد أسرار، هنا توجد فقط أشياء لا نتحدث عنها. لقد أصبح من المعروف أيضًا أنه تصلك مني بعض الأوراق التي كتبتها خصوصًا لك. ألا تعرف أن الأمر يتعلق فقط بتمارين أصابع في صورة أدبية، وإذا كنت تعرف، فأنت لا تصدق. الخلاصة أنه أمر مريب، إذ إن الجميع هنا سيفترضون أنني أرسل إليك تقارير عن نزلاء السجن بغرض إحالتها إلى الإدارة. ولهذا تبعات بالتأكيد وهي..

كان يجب أن أفكر في ذلك عندما عقدنا اتفاقنا، لكنني لم أفعل. وبالتأكيد لم تفعل هذا أيضًا. لكن الآن عليك مساعدتي.

أنت تجري العديد من المحادثات مع السجناء كل يوم، نظرًا إلى ما تفرضه عليك طبيعة مهنتك. لذلك أرجو منك تحويل دفة الحوار بشكل

غير ملحوظ إلى المكتبة، كأن تقدم عرضًا للحصول على كتب خاصة بموضوع المحادثة. وانتبه إلى ردود أفعالك، لأن كل إجابة ممكن أن تكون كاشفة لحقيقة الأمر، وكل إجابة تحوي رفضًا يمكن أن تكون كاشفة أكثر. أنت تعلم جيدًا أنني لست مخبرًا لإدارة السجن، لذلك لا أرى غضاضة من أداء دور المخبر من أجلي. بالطبع إنك ستنتهك بذلك سر الاعتراف – هذا إن كان هناك شيء من هذا القبيل في المذهب المسيحي الذي تعتنقه – لكن يمكنك بذلك أن تنقذ حياتي. لا أريد أن أكون خائفًا باستمرار من أن يتعثر أحد المارين بجواري وهو يحمل سكينًا في يده.

أرجوك أيها القس.

~~إلى القس~~

كل شيء صار مختلفًا.

تعد وجبة الغداء يوم الأحد الوجبة المميزة التي يكون فيها المزاج دائمًا أكثر استرخاءً. ويرجع ذلك إلى أنه يجب عليك أن تعمل ستة أيام، وفي اليوم السابع تحصل على تحلية حقيقية بعد الوجبة، وليس فقط بسكويت مع قهوة. ذلك لأنه لن يضطر أحد للذهاب إلى العمل بعد ذلك ويكون هناك مزيد من الوقت لتبادل الحديث..

لم يرغب أحد في التحدث معي وتقبلت ذلك. كانت المقاعد بجانبي فارغة كما كانت فارغة طوال الأسبوع. كما صار المحيط من حولي منطقة محظورة، كأنني موبوء. وما زلت لا أعرف لماذا. عندما جلس شخص ما

أمامي – على الأقل هذا ما كان لا يمكن تجنبه دائمًا – كان يتجول بنظره في صحنه ثم ينظر إلى الفراغ. لقد حدث ذلك منذ بضعة أيام. ونظرًا إلى أنني أمين المكتبة، أحضرت كتابًا معي لقراءته في أثناء تناول الطعام وأديت الدور كقارئ نهم. إذا لم يتحدث إليك أحد، فمن الأفضل أن تتظاهر أنك لا تريد التحدث إلى أي شخص. لقد كنت أستعد بالفعل لأداء ذلك في كل وجبة. ظل الوضع على هذا الحال حتى حانت لحظة تغير فيها كل شيء.

جاء أحدهم، مثله مثل الآخرين، من طابور تسليم الطعام ولكن دون أن يحمل صينية الطعام، وإنما حملها عنه شخص آخر يسير وراءه ذو عضلات ممن يعملون في المغسلة، "لأن هناك أشياء ثقيلة لرفعها". كان هذا السبب الرسمي المعلن لهذا الأمر، لكن الجميع كان يعرف السبب الحقيقي. وأنت أيضًا أيها القس، تعرف السبب.

لم يأتِ ويجلس بجانبي فحسب، بل طلب الجلوس بجواري بأدب، ثم قال:

– هل تسمح لي بالجلوس يا سيد "شتيركله"؟

كان يعرف اسمي، وخاطبني بصيغة الاحترام. لقد كانت هذه أول مرة يخاطبني فيها سجين زميل بصيغة الاحترام.

لم أتحدث إليه من قبل قط، لكن بالطبع كنت أعرف مثل الجميع هنا مَن هو. كان شعره المثالي المموج شعرًا مستعارًا، والجميع هنا يعرفون هذا أيضًا، ومن المحظور ذكر هذا تحت أي ظرف. ثم إن الكل يعرف أيضًا أنه يفضل ألا يكون له اسم، بل مجرد مسمى وظيفي؛ "المحامي". تقول الشائعات إنه انتهك الإفراج المشروط عمدًا لأن رئيسه أراده أن يكون

بصحبته. إذا كنت لا تعرف مَن هو هذا الرئيس، فهذا يعني أنك لم تفهم النظام بأكمله هنا، لكنني لن أقول سوى كلمة "غسيل". قال:

- أتسمح لي؟

وانتظر إيماءة من رأسي تعني الموافقة قبل أن يجلس. ثم وضع الرجل ذو العضلات الطبق أمامه ووقف خلفنا، كحارس شرف أو بغرض التهديد. لقد حصل "المحامي" على قطعة لحم كبيرة، وليس شريحة رقيقة مثلنا، لكنه لم يأكل. ظل ممسكًا بأدوات المائدة ثم أعادها.

كل مَن كانوا حولنا حاولوا عدم إظهار فضولهم بشكل واضح للغاية.

عندما بدأ بالحديث، كان صوته منخفضًا للغاية لدرجة أنني اضطررت إلى الاتكاء لفهمه. قال:

- مكتبة السجن مكان مثير للاهتمام للعمل فيه، ألا تعتقد ذلك أيضًا؟

قلتُ:

- مثير جدًّا للاهتمام.

أو بالأحرى هذا ما أردتُ قوله. إن التلعثم يزداد عادة في المواقف غير الاعتيادية، وهذا ما جعلني لم أستطع تجاوز الكلمة الأولى وهي كلمة "مثير".

قال مبتسمًا لي كما لو كنت قد اجتزت للتو امتحانًا:

- جيد. جيد جدًّا. من الإيجابي للغاية أنك تتلعثم.

كان عليَّ أن أستمع إلى العديد من التعليقات حول تلعثمي، ولكن لم يثني عليَّ أحدٌ بشأنها حتى الآن.

- كيف.. كيف.. لماذا؟

- أعتقد أن المتلعثمين مدربون على إبقاء أفواههم مغلقة. أليس معي حق؟

أومأت برأسي. هناك بعض الأشياء التي أحتاج إلى إتقانها بالإضافة إلى الصمت الهادف.

ابتسم مرة أخرى ثم قال:

- ثم حصلت على الوظيفة المناسبة.

بعدها، قطع قطعة من الخبز فقط، قطعها بعناية شديدة، ولم يمزقها وحسب، ومضغها بتركيز شديد كما لو كانت كل حركة في فكه مسبوقة بفكر دقيق. كان أكثر شخص مسيطر قابلته على الإطلاق.

مسح فمه وقال بلطف مصطنع:

- أعتقد أنك لاحظت أنك في الآونة الأخيرة.. كيف أستطيع أن أصيغها لك؟ كنت وحيدًا إلى حدٍ ما، هل معي حق؟

وأؤكد لك أيها القس أنه كان على حق.

- ما حدث كان مجرد مظاهرة صغيرة لتدرك ماذا يمكن أن يحدث إذا لم نتفق، هل فهمت؟

لم أفهم أي شيء على الإطلاق، لكننا اتفقنا.

لوَّح لي من مسافة قريبة، لدرجة أنني شممت رائحة كولونيا ما بعد الحلاقة التي يستخدمها، وقال شيئًا بدا لي أنه لا معنى له على الإطلاق، فقد قال:

- Simplicius Simplicissimus "سيمبليكوس سيمبليسيسموس".

نظرت إليه وكأن ما قاله سؤال أتوقع الإجابة عليه. قال:

- رواية خيالية، منذ القرن السابع عشر. ألفها "جريميلزهاوزن"، هل وقعت في يديك بالمصادفة في المكتبة؟

حركت رأسي نافيًا.

- لا توجد في المكتبة، أعرف ذلك. لسوء الحظ.

ثم قال بصوت منخفض لم يصل إلى درجة الهمس:

- لكن يمكن أن يهديها إلى المكتبة شخص ما؛ شخص كريم، وشخص آخر متعطش للمعرفة يقوم باستعارتها. هل يمكنك أن تمرر هذا الكتاب للمهتمين؟

ما الذي كان ينبغي لي أن أفعله؟ أن آكله؟

" أن أمرر الكتاب من دون أن أفتحه؟"

لم يكن ينظر إليَّ حينها وبدا منشغلًا بفصل الدهون عن قطعة اللحم بدقة جراح. وعندها أدركت أنه من المحظور عليَّ اقتراف أي خطأ. عندما تكون متلعثمًا، يسيء الناس فهمك أحيانًا. لكن لحسن الحظ كانت لديَّ قصاصة ورق - كنت أضعها كإشارة مرجعية في رواية الجريمة التي كنت أقرأها – كتبت عليها الإجابة التي تمنيت أن تكون الصحيحة. في المواقف الصعبة، أتواصل أفضل عن طريق الكتابة. كتبتُ على قصاصة الورق: "لم يكن لديَّ أدنى اهتمام بالقرن السابع عشر سالفًا"، ثم دفعت الملاحظة جهته.

مسكها بإصبعين، قرأها ومزقها إلى قطع صغيرة، ثم أسقط رقائق الورق في كأس الماء واستمر في التقليب حتى أصبحت عجينة رقيقة. عندها فقط سمح لنفسه بابتسامة، وضعها في الحديث مثلما يضع الأشخاص الآخرون نظارتهم أو قبعاتهم، وقال:

- إنه لشيء مفرح أن تصادف أشخاصًا عاقلين.

ثم توجه بنظره إلى ذي العضلات الواقف بجوارنا بلا حراك وقال:

- اجلس معنا! يرغب صديقنا هنا أن يحظى ببعض الصحبة.

عندها فقط لاحظت أن جميع المحادثات من حولنا قد توقفت تمامًا.

دفع "المحامي" طبق الطعام الخاص به ناحيتي؛ الطبق ذا قطعة اللحم الكبيرة، وقال:

– ليست لديَّ شهية. يبدو كأنك تستطيع أن تأخذ قضمة جيدة عني.

وفجأة سحب مني كلمة "حضرتك" في حديثه معي وعاملني كصديق، أو بالأحرى كشريك.

يمكنك حساب ما يعنيه كل هذا بمنتهى السهولة. محور المطلوب هو هذا الكتاب، والذي سأجده بلا شك في صندوق الكتب المهداة إلى السجن، وسيأتي قريبًا شخص ما ليأخذه مني. يجب ألا ألقي نظرة على الكتاب من الداخل، وألا أفحص كون شخص ما قد جوَّف فجوة في منتصف الصفحات ليضع بداخلها..

هل أصابني الجنون لأكتب لك هذا؟ ليس من المسموح أن يعلم أي أحد أي شيء عن هذا الأمر، فـ"المحامي" يمثل موكلًا اعتاد إصدار أحكامه بنفسه. في حديثي معك، يجب أن أكتب لك شيئًا آخر. شيء غير مؤذٍ. والأفضل أن يكون بغيضًا أخلاقيًّا بعض الشيء. الغضب يشتت الانتباه.

إلى القس

تحذير أيها القس، كان ذلك مجرد إنذار كاذب. اعذرني إن كنت قد تسببتُ في قلقك حيال هذا الموضوع. لقد وجدتُ تفسيرًا غير مؤذٍ لكل شيء.

أمر لا يصدق فعلًا، كيف تنتشر الشائعات السخيفة هنا! فقط لمجرد أنني مسحت الأرفف لترتيب الكتب بشكل أكثر منطقية – لتجنب العبث المنتشر بالمكان – أُغلقت المكتبة تمامًا. ولهذا السبب لم يأتِ أحد طوال الوقت. أما بالنسبة إلى سبب عزوف الآخرين عن الجلوس بجواري، فسبب ذلك ببساطة هو رائحة فمي الكريهة. لا عجب أن "أمبروس" فضل عدم التحدث معي. هذا الأحمق كان يشعر بكبت في أن يخبرني ما يزعجه بكل بساطة. لكنه في مرحلة ما قالها. لهذا اشتريت بخاخة لتغيير رائحة الفم من متجر السجن، وهو ما كلفني اثنين يورو وستة وثلاثين سنتًا، ثم أصبح كل شيء على ما يرام بعدها. ألن يكون لطيفًا إذا حُلَّت جميع المشكلات في العالم بهذه السهولة؟ (لو كان لديَّ كمبيوتر الآن، لكنت أضفت إلى نهاية الجملة هنا رمزًا تعبيريًّا، أو ربما اثنين؛ وجهًا مبتسمًا ووجهًا مرتاحًا).

لذا نعود الآن إلى ما يهمك حقًّا، عودة إلى الحكايات. الفصل التالي من حياة إنسان عديم الفائدة. في هذه المرة حلقة ذات نهاية غامضة، أو يمكنك قول حلقة تنتهي بمعجزة، وسترى.

كنت حينها في أوائل العشرينيات من عمري ولم أكن أعرف الكثير عن العالم بعد. كنت عديم الخبرة، لدرجة أنني أصدق أنني أستطيع العيش في برلين بنقود إعانة التعليم فقط.

كان ترك المنزل بالنسبة إليَّ بمنزلة فرار. ذهبت لا أحمل معي سوى حقيبة سفر صغيرة وحزمة كبيرة من اللعنات الأبوية. اخترت علم اللغة الألمانية وآدابها تخصصًا لدراستي، إعمالًا بالفكرة الساذجة التي تدعي أنه من الممكن التعمق في فهم روائع الأدب الألماني من خلال محاضرات الجامعة. مجرد أوهام قروي ساذج. في هذا التخصص، علمونا كيف نقوم بتشريح النصوص حتى تتلاءم أجزاؤها المبتورة مع قوالب التحليل الأدبي المحددة سالفًا. أكثر ما كان يهم أساتذتنا بشكل خاص هو التصميم الصحيح للحواشي السفلية طبقًا لقواعد الكتابة بمعيار "DIN 5008". في ألمانيا لكل شيء معيار. بعدما أصبحت بغيضًا بشكل لافت للانتباه – لأنني كنت مضطرًا في كل مهمة بحثية إلى أن أعثر على شخص ما ليقرأ البحث الخاص بي أمام المجموعة الدراسية – فُصِلتُ أكاديميًّا بشكل نهائي، بعدما ارتكبت خطيئة تمحو جميع الخطايا البشرية؛ لقد كتبت عن كتاب أعجبني بالفعل. كتاب أعجبني! مجرد إعجاب! أتريد أن تقرأ الكتب للمتعة بدلًا من جعلها كائنات للتفكيك؟

"أباجيه (Apage)، اذهب إلى الجحيم أيها الشيطان الجاهل! أيتها القديسة دريدا احمينا!". لم يكن بوسع أي "باخوفن" أيًّا مَن كان أن يطردني فجأة من مجتمع المؤمنين، لكننا انفصلنا باتفاق متبادل.

لم يكن البحث عن وظيفة لتوفير لقمة العيش بالأمر الهين. لقد بحثت في كثير من الاتجاهات؛ بحثت في مراكز الاتصال وعند مهربي البيرة وفي البارات. ولكي أتمكن من سداد الإيجار بعد أن أحصل على إحدى هذه الوظائف بعيدة المنال، كان ينبغي لي أن أتمكن من إنهاء الجملة دون الاضطرار إلى التوقف عند كل مقطع. لهذا قضيت أسبوعين في أحد المطاعم

الراقية في كشط المقالي المحروقة وتنظيفها، لأنني لم أكن مضطرًا إلى الحديث معهم.

حتى جاءت تلك اللحظة التي صادفت فيها إعلانًا كان من المفترض أن يغير مجرى حياتي. بالنسبة إلى شخص مثلك ووفقًا لنظرياتك اللاهوتية الوردية ربما تسميها مصادفة. أما بالنسبة إليَّ فأفضل التمسك بقول "شوبنهاور": "القدر يخلط الأوراق ونحن نلعب". وأنا لعبت مع القدر بشكل جيد.

اليوم ومنذ فترة طويلة أيضًا أصبحت هناك صناعة رائجة؛ فيضان من مواقع الإنترنت التي يمكن للرجال فيها الحصول على نساء، وللنساء الحصول على رجال أو أي توليفات ممكنة يمكن أن تجمع بين البشر.

آنذاك، كان هذا شيئًا جديدًا وشريرًا لكن بلطف. كان شعار العرض الخاص بنا في الإعلانات "نجد غطاءً لكل وعاء" أو شيئًا من هذا القبيل، إذ لم تكن لصياغة جمل الوعود في الإعلانات وقع أدبي. كانت المشكلة الوحيدة في أن عدد الأواني كان أكثر بكثير من الأغطية المناسبة لها. كان هناك نقص حاد في عدد النساء المطلوبة من قبل عملائنا، وإذا ما فُتِح باب النقاش حول هذه الحقيقة، فلن يكون ذلك مفيدًا للشركة بأي حال من الأحوال. فالرجال لا يذهبون إلى ملهى "القلوب الوحيدة" من أجل الرقص مع رجال آخرين. لكن الشركة الديناميكية حقًّا لا بدَّ أن تجد دائمًا طريقة لتلبية احتياجات عملائها. فإذا كان المطلوب "إنچي" و"لويزا" و"ألكسندرا" و"ميشيل"، فإن "إنچي" و"لويزا" و"ألكسندرا" و"ميشيل" هن مَن سجري توصليهن بالعملاء. في ذلك الوقت، أي في عصر الاتصال التليفوني، كانت الرسائل النصية المتبادلة ذهابًا وإيابًا تجسيدًا

لأعظم المشاعر. وأنا كنت موهوبًا بالفطرة في كتابة مثل تلك الرسائل. "Mundus vult decipi، العالم يحب مَن يخدعه". ولهذا السبب أنا هنا.

احتيال؟ يمكنك أن تسميه كذلك أيها القس، لكن مصطلح خدمة العملاء أجمل بكثير. كنا ثلاثة أشخاص، "سابستيان" و"كارلهاينز" وأنا. كان "سيبي" متخصص الكمبيوتر والمنوط بإعداد النظام. لقد حاول بكل إصرار الإقلاع عن التدخين. كان لا يتحدث سوى عن هذا الأمر وقادرًا أن يشرح لنا تمثيلًا على رئتيه كيف شعر أن العلاج بالوخز بالإبر الذي تلقاه عند أحد الصينيين أصبح له تأثير واضح، وهذا هو السبب الذي جعله يشتري في آخر مرة علبة سجائر صغيرة وليس قاروصة. أما "كارلهاينز" فقد كان منسق الكتابة المحترف الذي أنهى دورة تدريبية لتغيير مسار عمله إلى مجال الجمع الإلكتروني أولًا ثم إلى تنسيق الكتابة الرقمية بعد ذلك، والذي كان لا يسأم أبدًا من الحديث عن الأيام الخوالي التي لم يكن فيها عبدًا للآلة بسبب وظيفته.

وفي وسط كل ذلك، كنت أنا الديناصور المنقرض الذي يتحدث عن الأزمنة التي كان فيها كل شيء أفضل بكثير، على الرغم من أنها كانت بالفعل أفضل بكثير. فعندما كنت أنصب على أحد العملاء في أثناء أدائي دور محاور وهمي، كنت أفعل ذلك بنفسي، بمفردي. أما اليوم، فيمكن لخوارزمية بلا روح أن تنتزع المال من جيب العميل.

لن تفهم ما أعنيه أيها القس، ولكن حتى المحتال يشعر بالفخر بمهنته. وهو مَن يطلقون عليه في الإنجليزية Confidence artist "فنان جدير بالثقة"، ويطلقون عليه في الألمانية "فنان موثوق به". وضَعْ خطًا تحت كلمة فنان هذه! لقد كانت حقًّا مهمة صعبة وإبداعية، خاصةً عندما تكون

قد خططت فعلها بشكل محترف، فتحتال على محاوريك وفقًا لمعايير ولا تقوم فقط باختراق العبارات المستخدمة بشكل مفرط في لوحة المفاتيح.

(عندما أفكر في التقنيات التي كنا نستخدمها آنذاك، أشعر إلى أي مدى كانت تلك التقنيات عتيقة. لقد كنا نعمل على كمبيوتر "آي بي إم" تشغيل ويندوز 95؛ تلك الحقبة التي تلت عصر الكتابة بالريشة والمحبرة).

حتى لا تراودك أفكار خاطئة عن طبيعة ما كنا نفعله أيها القس، أحب أن أوضح لك أننا لم نقدم لعملائنا أوهامًا إباحية، مع أن هذا لا يضايقني على الإطلاق، لكن لم تكن هذه طبيعة عملنا. فقد كان الموظفون في المكتب المجاور مسؤولين عن هذا الأمر، هم وأربع نساء لم يعدن صغارًا، عوضن أنفسهن عن فراغ حياتهن اليومية من خلال ممارسة تجاوزات لفظية في هذه الوظيفة. ما كان عليَّ تقديمه هو آمال وشيكات بلا رصيد لرغبات مستقبلية يمكن الوفاء بها. في الأساس، كان شيئًا مشابهًا لرسائل الحب المزيفة التي كنت أرسلها إلى "نيلز"، ولكن بمستوى أصعب. لقد حولت لعبة "هالما" إلى شطرنج؛ جعلتها لعبة متزامنة ودائمة. بعد الساعة العاشرة مساءً، عندما ترتفع مستويات الهرمونات لدى الرجال بالتوازي مع الشعور بالوحدة، كنت أُضطر في بعض الأحيان إلى إجراء نصف دستة من المحادثات النصية في الوقت نفسه.

كل امرأة تظاهرت بأنني هي كانت لها شخصيتها الخاصة، لأن كبريائي المهني لم يكن ليسمح بأي شيء آخر. كانت "إنچي" تبدو لطيفة بسبب خجلها، أما "لويزا" فكانت فتاة صغيرة، و"ألكسندرا" كانت من النوع المسيطر وهلم جرا هلم جرا. لقد تخيلت "الحريم" اللاتي اختلقتهن بكل تفاصيلهن، لدرجة أنني كنت أشعر حينها أنني كنت سأعرفهن فورًا

إذا ما التقيت إحداهن في الشارع. لقد أقروا بموهبتي الأدبية في الشركة أيها القس، وقتها كسبت رزقي بمجهودي الشخصي لأول مرة.

لا أعرف كيف يُنظَّم مثل هذا النشاط حاليًّا، فعندما كنت أمارسه، كان يُقدَّر المكسب بحسب طول مدة المحادثات (لم تكن كلمة "شات" من الكلمات الشائعة في ذلك الوقت).

كان الأمر يتعلق بكيفية تقديمي للشخصية بشكل مغرٍ في إطار راقص من المغازلة اللفظية، لدرجة تجعل الرجل على الطرف الآخر من الخط ينسى ما تكلفه الدقيقة، أو أن يرغب في استثمار ماله في هذا النشاط بكل رضا. "ما ستطلبه مني، سأعطيك إياه، حتى لو كان نصف مملكتي". كانت المشكلة الوحيدة هي المرحلة التي يجب فيها رفع الستار السابع عن "دراما سالومي" تلك التي نؤديها؛ حين يريد العملاء في النهاية أن يحصلوا على شيء من استثماراتهم، ويفضل طبعًا أن تكون بالعملة نفسها التي لم تتغير منذ أن تزوج "آدم" "حواء".

لكن يا لسوء الحظ، وجدت "إنچي" يا للأسف شريكًا آخر في الوقت نفسه بالضبط، وانتقلت "لويزا" إلى أستراليا، ومرضت "ألكسندرا" بمرض عضال لا شفاء منه. صدقني أيها القس، وظيفتي هذه كانت هي المدرسة العليا التي كنت أعهد فيها بنقل الحبيب المحبط إلى حبيبة أخرى في أسرع وقت ممكن، ومن ثَمَّ الحفاظ على رقص المغازلة اللفظي، مصحوبًا برنين قيثارة أكثر حلاوة، مع همس الكمان الأكثر رقة ورنين ناعم لصوت تسجيل نزول النقدية.

كان ترتيبي الأول في جميع أقسام الشركة التي كانت لها علاقة بهذا النشاط. حتى ذهب كل شيء أدراج الرياح فجأةً بسبب خطأ ما، وهو ما أريد أن أروي لك قصته.

تلك القصة هي ما ستصلك مني في التسليم التالي. قبل أن تنطفئ الأنوار هنا، لا بدَّ أن أساعد "أمبروس" في حل مشكلة عويصة، لأنه لا يستطيع معرفة عاصمة أوروبية مكونة من ستة أحرف تبدأ بـ"تي" وتنتهي بـ"نا". لهذا ينبغي لي أن أمعن التفكير بجدية الآن في هذا الأمر.

إلى القس

لا أتذكر ما كان اسمه. كان يُسمى "موللر"، أو "شنايدر"، أو "ماورير"، أو شيئًا من هذا القبيل. كان اسمه من نوعية الأسماء التي يتجنب المرء اختيارها كاسم مستعار، لأنها لا تحفز الخيال.

مكتبنا الرئيسي كان يقع في شارع "شيرينج" في حي "فيديج" ببرلين، حيث كانت كلمة "المكتب الرئيسي" توحي بالاحتيال، مثله مثل نشاط الشركة ككل. كان للشركة مكتبان في أحد المباني الإدارية القديمة لمصنع أعلن إفلاسه، ولم تكن هناك لافتة تحمل اسم الشركة، لأننا لم نكن نهتم بالزوار. لا أعرف حتى الآن كيف حصل على العنوان، لأن العنوان لم يكن مكتوبًا في إعلانات الشركة. كان ينتظر على الرصيف المقابل للمدخل ويتجاذب أطراف الحديث مع كل مَن يخرج منه.

"هل تعمل في شركة "R & J؟". كان هذا الاسم الأحمق لشركتنا الذي من المفترض أنه يعني "روميو وجوليت". من منظور تكنولوجيا الإعلان، لم يُنتقَ هذا الاسم بعناية، لأنه كان لا بدَّ أن يؤخذ في الاعتبار أن كليهما قد ماتا في الفصل الخامس.

لقد تحدث مع زملائي "سيبي" و"كارلهاينز"، كما أخبراني بذلك لاحقًا، لكنهما أخبراه أنهما لم يسمعا بشركة بهذا الاسم من قبل. كان يظل منتظرًا بكل عناد أمام المبنى، حتى ينطفئ مصباح آخر مكتب فيه، هناك حيث كنت أعمل. كانت الساعة الواحدة والنصف صباحًا عندما خرجت من المبنى. كنت مضطرًا إلى العمل ساعات إضافية، فقد كنت أتحدث مع عاشق عنيد، أصر على إبقاء عمل العداد حتى الساعات الأولى من الصباح.

- هل تعمل في شركة "R & J"؟

أنا لست بطلًا، وإذا ما ظهر رجل يسد طريقي في شارع خالٍ من البشر في منتصف الليل، فلا بدَّ أن يخيفني فعلًا.

لكنه لم يفعل. كان يبدو وديعًا جدًّا، تمامًا مثل خباز أو خياط أو عامل بناء. تمامًا كالصنف الذي يرشده كل نادل تلقائيًّا إلى الطاولة الموجودة بجانب المرحاض. كان يبدو في أواخر الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات، أصلع الرأس. يرتدي معطفًا واقيًا من المطر الذي كان من المتوقع أن يفتحه فجأة لإظهار بنطاله المفتوح، على الرغم من أن المرضى النفسيين محبي التعري كانوا يقفون عادة عند مفترق الطرق في الزوايا المظلمة لمنتزه "هومبولدهاينس".

كنت غبيًّا للغاية للإجابة على سؤاله بالإيجاب. وعندها أجابني:

- لقد كنت في انتظارك.

أن تُقال مثل هذه الجملة لأي شخص في شارع مظلم في الليل كفيلة بأن تبث في قلبه الرعب. لكن في ذلك الموقف يحتاج المرء فقط إلى طبقة صوت "مارلون براندو"، لأن صوت الرجل كان يشبه صوت الشخصية الكارتونية "بامبي".

في بداية الأمر، اعتقدت أنه شخص معتوه. كان مزعجًا وغير مؤذٍ مثل الموسيقيين الذين يعزفون في محطات مترو الأنفاق، يرغبون في العزف على جيتار مشدود لإجبارك على دفع ثمن البيرة الخاصة بهم. في ذلك الوقت، كنت قد عشت في برلين فترة كافية لتعلم السلوك الصحيح في مثل هذه المواقف؛ تجاهلها والمضي قدمًا. لكن هذا الرجل أمسكني من ذراعي بشدة وقال إنه لا بدَّ ومن الضروري أن يتحدث معي ورجاني أن أسمح له بالحديث معي لدقيقتين لا أكثر.

لطالما كان فضولي أكثر وضوحًا من حذري، لذلك أومأت برأسي وتوقفت. عندها ربت على ذراعي بامتنان، كما لو كان قد تسبب في اتساخه بإمساكه لذراعي. ثم بدأ أخيرًا في شرح ما أراده مني.

بالتأكيد خمنت مَن هو أيها القس. لقد كان أحد عملاء شركتنا. واحد ممن اعتنيت بهم، أو بالأحرى ممن احتلتُ عليهم، كلٌّ على حسب تسميتك لطبيعة الاتصال المهني الذي دار بيني وبينه.

توسل إليَّ قائلًا:

- عليك مساعدتي. لا يمكنني تحمل حقيقة أنني لن أستطيع الوصول إلى "فيرونيكا" بعد الآن.

"فيرونيكا"!

حتى لو قلت ذلك عن نفسي؛ ما حدث كان أحد أفضل إبداعاتي. لقد كنا نقيِّم جمالنا الخيالي في ذلك الوقت حسب عدد الدقائق التي كان يقضيها المتحدث في المتوسط في أثناء المحادثة، وكانت "فيرونيكا" هي الوحيدة التي يزيد المؤشر عندها عن عشرين. بالطبع كانت نموذجًا نمطيًّا، لكنها مبنية بشكل جيد. سارت قصة حياتها كالآتي؛ كانت "فيرونيكا" فتاة فائقة الجمال، أتت من إسبانيا مع والديها عندما كانت طفلة ولم تشعر بعد بالراحة في برلين بعد كل هذه السنوات. ولأن اللغة الألمانية لم تكن لغتها الأم، كان ينعكس هذا في بعض الأخطاء الإملائية القليلة جدًّا التي ظللت أدرجها في الحوار من آن إلى آخر من خلال أحد التفاصيل الدقيقة التي تجعل الكذب مقنعًا. بالطبع كانت أيضًا سريعة الانفعال، كما يتوقع العميل من إسبانيَّة، لكن الحياة الصعبة والحب الذي خذلها قد أطفأ وهج تصرفاتها النارية. أما الآن فهي تبحث عن رجل يشعل نار حبها مرة أخرى ويمنحها الأمان الذي تتوق إليه بعد زواج فاشل. "Kitsch as Kitsch can، ابتذل على قدر ما تستطيع!".

كان للابتذال أثره وسار كل شيء على خير ما يرام، لأن "موللر" أو "شنايدر" أو "ماورير" كان مقتنعًا اقتناعًا راسخًا أنه كان الرجل الذي تنتظره "فيرونيكا". كان يرى نفسه – على الرغم من المظهر السيئ لمعطف المطر الذي يرتديه – فارسها الذي سيأتي إليها متسلحًا بدرعه اللامع. لقد غنَّى أمامي لحن حبه الخالد، في الشارع ما بين مباني المصنع القديمة وثكنات سكنية للإيجار في الواحدة والنصف ليلًا.

بصفتي متلعثمًا، لا أميل إلى الاسترسال في الحديث مع الآخرين، لكن في هذه الحالة لم أكن لأفعل ذلك أيضًا، حتى لو كان الحديث سهلًا قدر

سهولة الخطاب المائة لأحد السياسيين في حملته الانتخابية. أخيرًا، لقد حصلت على العرض الذي يتمناه كل مؤلف؛ وهو أن يعرف مردود ما كتبه من قارئ متحمس. إن "موللر" أو "شنايدر" أو "ماورير".. ما هذا الهراء، فلنجعله "موللر" فقط، لأن اختلاف الاسم لن يشكل فارقًا. إذن، لقد أكد لي السيد "موللر" من خلال حبه أنني أبدعت في خلق شخصيتي الاصطناعية بشكل مثالي. إن مجموع التفاصيل الصغيرة للسمات الشخصية التي اخترعتها أعطته صورة مقنعة لشخص حقيقي لا يقاوم. كانت مشاعر جامحة لم يعهدها من قبل. لقد وقع بجنون في حب "فيرونيكا". لقد وقع بجنون في حب اختراعي.

لا أريد أن أقارن نفسي بشخصيات معروفة، لكن كلماته كانت جذابة للغاية بالنسبة إليَّ، كما لو كان أحدهم قد قال لـ"فلوبير": "عليك أن تقدمني إلى مدام بوفاري!". هذا الشخص يبدو لي مثيرًا للاهتمام للغاية. كنت أود أن أستمع للمناجاة الحماسية من "موللر" لفترة أطول، لولا مقاطعة أحدهم لنا من الجانب الآخر للشارع طالبًا بشكل قاطع الهدوء من نافذة غرفة نومه.

انتهى بنا المطاف على مقعد في منتزه "هومبولدتيان" وشرح لي "موللر" ما يريده مني. لقد اقترب جدًّا من "فيرونيكا" في أثناء محادثاتهما. تسللت إلى مشاعره لدرجة جعلته يشعر بالحب من جديد وأصبح متأكدًا من ذلك. لكن فجأة، انقطع الاتصال، ومنذ ذلك الحين توقفت عن الرد على رسائله كلما حاول. لم يكن يعرف كيف يفسر هذا الصمت المفاجئ، وكان على يقين لدرجة تجعله يقسم أنه لم يعطها أي سبب للقيام بذلك. لقد كان قلقًا جدًّا عليها.

وددت لو كان بإمكاني أن أشرح له ما حدث، لأن المرأة التي اخترعتها مهما كان اختراعها مثاليًّا، لا يمكن أن أضعها في فستان أنيق وأرسلها إلى موعد غرامي. كان لا يمل من حث محاورته الخفية على مقابلتها، حتى لم أستطع في مرحلة ما التفكير في أي أعذار. في نهاية المطاف، سحبت فرامل الطوارئ وجعلت "فيرونيكا" تصمت وأسمعته "هذا الرقم غير موجود بالخدمة".

بالطبع، فعلتُ معه ما نفعله عادةً مع مثل هذه الحالات، وحاولت تحويله إلى شخصية خيالية أخرى. لقد تلقى بالفعل رسائل نصية من نساء أخريات اطلعن على ملفه الشخصي واعتقدن أنه سيكون ملائمًا لهن. عادة كنت أستطيع حل هذه النوعية من المشكلات، لأن الرجال لا يكترثون عادة لمبدأ الولاء. لكن في حالة "موللر" لم تفلح هذه الخدعة.

بالنسبة إليه، كان لا بديل لـ"فيرونيكا"، هناك فقط "فيرونيكا" ثم "فيرونيكا". لهذا كان يجلس بجواري في هذا المنتزه المظلم محاولًا إقناعي بأن أعطيه عنوانها. قال لي:

– بالتأكيد أنا ملزم بالحفاظ على سرية عناوين مَن يعملون لديكم.

لكن الحقيقة "أن الأمر كان بالنسبة إليَّ مسألة حياة أو موت".

خرجت كلمة "حياة أو موت" من فمي مثلما تصدر من فم موظف صالح من الطبقة المتوسطة الذي لم يعهد أبدًا الاقتراب من الموت إلا عندما وضع على الخبز بكل شجاعة نقانق انقضى تاريخ صلاحيتها قبل يومين.

وهنا تكمن قوة الكتابة الأدبية، لأنها يمكن أن تثير العواطف العظيمة حتى في أصغر النفوس، فبعضهم يحتاج إلى "يوريديس" لإشعال نار الحب، على حين يحتاج آخرون إلى "فيرونيكا". إن ألحان قداس "باخ" أو موسيقى "أندريه ريو" الخفيفة كليهما يمكن أن يجلبا المستمع إلى الدموع.

بالطبع، كان يمكن أن أقول للسيد "موللر" العاشق إن "فيرونيكا" مجرد شبح، اخترعها كاتب ساخر لتحويل الرغبات غير المحققة إلى نقود. ربما كنت مضطرًا إلى فعل ذلك. أردتُ أن أستشهد له برسالة "أفسس" 4:25: "ذلِكَ اَمتَنِعوا عَنِ الكَذِبِ، وليَتكَلّمْ كُلُّ واحدٍ مِنكُم كلامَ الصِّدق"، لكنني لم يكن لديَّ كتابي المقدس حينها.

لذلك شرحت للسيد "موللر" أنني من حيث المبدأ سأكون مستعدًا لمساعدته، ولكن ما يريده مني كان معقدًا. ليس مستحيلًا، ولكنه صعب. قبل كل شيء، يجب أن أجد أولًا طريقة للوصول إلى البيانات الشخصية السرية للغاية الخاصة بـ"فيرونيكا". أخبرته أن الأمر سيُستغرَق بعض الوقت، ولكن بعد ذلك سأتصل به مرة أخرى. وعد.

لقد كان ممتنًا جدًّا، لدرجة أنه كاد يعانقني عندما أراد المغادرة. ما زلت أستطيع استحضار صورته وهو يفرد ذراعيه ثم يضمهما مرة أخرى من فرط الشعور بالألفة تجاهي. ومثل هذا التصرف لا يصدر من شخص بشخصية "موللر".

إلى القس

الآن يجب أن أعود بالحديث إلى هنا مرة أخرى. في بعض الأحيان، يكون "أمبروس" شخصًا ودودًا للغاية، فهو لا يزال يشعر بالحرج لأنه تجنب الحديث معي في اليومين الماضيين، وعرض عليَّ اليوم من باب التعويض إعطائي لغز كلمات متقاطعة جديدًا لم تمسه يد من قبل. ربما

أود بالفعل تجربة شيء كهذا يومًا ما. أكدتُ له أنه لا يوجد ما يستدعي الاعتذار عنه ولا ما يستدعي الرفض من جانبي. كان يكافح من أجل ألا يلاحظ أحد تساهله في التعامل معي.

كان كرمه سهلًا للغاية بالنسبة إليَّ. ما قدمه لي لم يكن من نوعية الألغاز التي من الممكن أن أستمتع بها. كانت ألغازًا سهلة للغاية، مجرد ملء صناديق فارغة بطريقة ميكانيكية؛ شاعر ألماني: "جوته"، أو بحيرة فنلندية: "إيناريه". هذه مهمة للأغبياء. أحب الألغاز، لكن فقط إذا كانت صعبة حقًّا. المهام التي تبدو مستحيلة هي بالنسبة إليَّ إغراء لا يقاوم، مثل القصة التي حدثت سابقًا مع السيد "موللر".

(في تلك الأثناء، خطر ببالي مرة أخرى أن اسمه لم يكن "موللر" ولا "شنايدر" ولا "ماورير"، ولكن اسمه كان "باور". وعليه لما كنت قد أعدتُ تسميته الآن، فيجب أن يظل اسمه على هذا النحو).

يمكنني الآن أن أقول إن صعوبة المهمة هي التي دفعتني إلى البحث عن حل مبتكر لمشكلة "موللر". مثل هذا التصرف يناسب شخصيتي تمامًا. لكن إذا أردتُ أن أكون صادقًا مع فكرة التغيير، فإن السبب الحقيقي كان شيئًا آخر؛ كان مجرد غرور عادي وبسيط، إلى جانب بعض من الأنانية واندفاع جنون العظمة.

قبل أن يظهر السيد "موللر"، كنت أكتب رسائلي النصية في الفراغ دون أن أحدد مَن سيستقبلها، لأنني لم أكن أعرف العملاء الذين كنت أكتب إليهم. بالنسبة إليَّ، كانوا مجرد شخصيات فنية غير واقعية مثل "إنچي" و"لوزين" و"فيرونيكا" التي اخترعناها من أجلهم. أما الآن فالأمر مختلف، لأن هناك شخصًا حقيقيًّا؛ قارئًا من لحم ودم أصبح طرفًا

في الموضوع، وللعجب أنه كان مولعًا بما أبدعته أناملي. لقد داعب موقفه هذا شعور الغرور بداخلي، ويا له من شعور ممتع! يأبى المرء أن يسلِّم له بمنتهى السهولة هكذا مرة أخرى، لأن المدح إدمان.

أنت تفهم أيضًا ما أقصده أيها القس. عندما يهتف أمامك أحد السجناء ليخبرك كم تعلَّم منك في جلسات المحادثات التي تعقدها للسجناء في كل خميس، وإلى أي مدى غيَّر ذلك حياته إلى الأفضل، فبالتأكيد سيشع وجهك نورًا من الفرح. على الرغم من أنه ربما قال ذلك فقط ليحصل على بعض التسهيلات البسيطة داخل السجن التي قد تمنحه إياها. على أي حال، لقد أردتُ فقط مواصلة استمتاعي بنجاحي الأدبي. (نعم أيها القس، ما كنت أفعله كان كتابة أدبية، وأصر على ذلك، فالكاتب هو مَن يكتب. نقطة ومن أول السطر. لا يمكن لأي شخص أن يبدأ طريق القراءة مباشرة برواية "بودنبروكس" لـ"توماس مان"). فبدافع من الأنانية، أردتُ الحفاظ على السيد "موللر" كقارئ ممتن، ولا يهمني على الإطلاق أهو نفسه سعيد بذلك أم لا؟ لأنه لم يجبره أحد على الغوص في وحل إعلانات "R & J". ثمن الغباء المستحق غير قابل للتمديد.

في نهاية القصة ستقرأ كيف بدا السيد "موللر" سعيدًا حقيقةً، على الرغم من أن ذلك لم يكن ممكنًا وقتها. وما زلت حتى اليوم لا أفهم كيف حدث ذلك. ربما كانت هناك جنية طيبة تنفض فوق العالم غبارًا يتبعثر من جراب مليء بالنهايات السعيدة مثلما تنفض السيدة "هولَّه" الغبار عن على غطاء السرير.

كان الغرور والأنانية وجنون العظمة هي القوى الدافعة وراء أفعالي. وقد تجسد جنون العظمة عندي عندما وثقت بقدرتي على اختراع

"فيرونيكا" جديدة من الإصدار القديم لها، بمعنى أن أوجد بطلة جديدة من أجل استمرار رواية السيد "موللر" الرومانسية.

ولما كنت أعيش اليوم أقصى لحظات صدقي، فيجب أن أعترف أنني لم أذكر بعد سمة شخصية أخرى كانت حاسمة في القرار الذي اتخذته؛ إنه الطمع في المال. في ذلك الوقت، كنا نحصل على الحد الأدنى للأجور في شركة "R & J"، وهو ما لم يصل إلى عشرة ماركات في الساعة. ولكن لا نتضور جوعًا، فقد كانوا يمنحوننا مكافأة في نهاية الشهر بناءً على مقدار الأموال التي ضخَّها العملاء في خزينة الشركة. وهذا يعني أنني إذا استطعتُ أن أجعل السيد "موللر" يواصل الحديث مع شريك وهمي بشكل منتظم، فإنه..

أيها القس، أعرف فمك السليط المستنكر. وقبل أن تطرح عليَّ السؤال الذي يجول بخاطرك، لا لم أحس بتأنيب ضمير، لأن ضميري مثلي، متلعثم هو الآخر. ففي الوقت الذي ينتهي فيه ضميري من صياغة كل الحجج الرادعة، أكون أنا قد تصرفت بالفعل.

كان هناك شيء واحد واضح بالنسبة إليَّ منذ البداية؛ أنني لن أتمكن من تلبية طلب السيد "موللر". الشخصيات الخيالية ليس لها عنوان، بحيث يمكنك دقُّ جرس بابه، وليس لديهم رقم تليفون للاتصال به. حتى لو أَلَّفتَ عنوانًا وهميًّا، فسيُكتشفُ في اليوم التالي.

أو بالأحرى كنت فارغ الصبر - كحال السيد "موللر" آنذاك - في تلك الليلة. لم تكن أبدًا بالمهمة السهلة.

على كل حال، لقد اكتسبت بعض الوقت بالفعل. أخبرته سالفًا أن مسألة الخصوصية لها أولوية قصوى في شركتنا، وأن أسماء وعناوين عملائنا تُخزَّن

بشكل مُشفَّر على الكمبيوتر الخاص برئيس مجلس الإدارة. التسلل إلى هناك ليس مستحيلًا، ولكن قد يُستغرق الأمر بعض الوقت حتى تسنح الفرصة.

عند اختلاق الأعذار، يُعدُّ التلعثم مزية عملية. فأثناء انشغال فمي بتكوين الجمل بشكل صحيح، يكون لديَّ مزيد من الوقت للتفكير بغرض "الإنتاج التدريجي للأفكار عند التحدث". لا بدَّ أن "كلايست" قد فكَّر في أحد المتلعثمين عندما كتب مقاله الشهير "الإنتاج التدريجي للأفكار عند التحدث".

لقد وعدت السيد "موللر" بالاتصال به مرة أخرى. وبعد بضعة أيام وصلت إليه بالفعل رسالة نصية، لكنها لم تكن مني. لقد كانت من امرأة يقتلها الفراغ ولم يكن لديها أي شيء لتفعله. كان اسمها "باربرا" (هذا شيء تعلمته أيضًا خلال مسيرتي المهنية؛ وهو أن الأسماء التي تحتوي على تكرار في مقاطعها تُعدُّ أمرًا إيجابيًّا. لاحظ هذا عند مشاهدتك أحد برامج الجريمة؛ إن أي شخصية تحمل اسم "باربرا" قد تكون محل شبهة، حتى لو لم تكن هي من ارتكب جريمة القتل).

"باربرا" التي اختلقتها كانت أكبر من "فيرونيكا" ببضع سنوات. لم تكن مهمتها أن تكون حبيبة، ولكن أن تكون المرأة التي يمكنك البكاء معها، أن تكون المرأة التي يمكنك اللجوء إليها عندما يسوء وضعك فتواسيك بعناق مريح ويمكنك أن تحكي لها عن مخاوفك. باختصار، شخصية لها طابع الأمومة. ولكي أختلقها، تذكرت كل صفات أمي التي لم أجعل "باربرا" تتصف بأي منها.

قضيت الكثير من الوقت في إعادة صياغة الرسالة الأولى التي أرسلتها إلى السيد "موللر". يجب أن يكون الطُعْمُ مصنوعًا بقدر الصنارة. جعلتُ "باربرا" سكرتيرة في شركة "R & J" وجعلتها تكتب له أنها علمت أنني

حاولت معرفة عنوان "فيرونيكا". لكن لسوء الحظ، لم تستطع أن تعطيني إياه، لأن "فيرونيكا" أنهت عملها بالشركة وحُذفت جميع المعلومات الخاصة بها وفقًا لشروط وأحكام العمل بالشركة. فقط لا يزال مسجل بالشركة الحساب المصرفي الخاص بها الذي سوف تحوَّل عليه أي تسويات مالية نهائية خاصة بها. (كما لو كانت شركة "R & J" تسدد ما هو مستحق عليها في السابق). ولكن قبل أن تخبره بمعلومات أكثر، كان يجب عليها أن تتأكد أولًا أنه شخص يمكن الوثوق به.

طُعم جميل، أليس كذلك؟ كانت السمكة التي علقت في الصنارة بمنتهى السرعة تُسمى "موللر". ومع ذلك، وحفاظًا على الصورة التي صَدَّرتها له، لم تكن لديَّ أي نية لسحبه على الشاطئ. كل ما أردته فقط أن أجعله يتململ أطول فترة ممكنة.

يُتبع.

إلى القس

لم يسبق لي أن تعرفت أي أحد بهذا القدر من القرب من قبل مثلما عرفت السيد "موللر". ولم أكن مهتمًا بأحد ما هكذا أيضًا مثلما اهتممت به. كان لا يحكي عن نفسه سوى الأشياء المملة، ولكن بتفصيل كبير. المهم في النهاية استطاع أن يقنع "باربرا" أنه شخص جدير بالثقة.

عندما يتحدث الصامتون أول مرة، يتدفق منهم الكلام كما تتدفق الفقاعات من البيرة في أثناء احتفالات عيد أكتوبر للبيرة في ميونخ. كان السيد "موللر" يرسل إليَّ رسالة نصية تلو الأخرى، وهذا ما كان مفيدًا جدًّا لزيادة مكافأتي في نهاية الشهر.

مرت بضعة أيام قضاها "موللر" أمام لوحة المفاتيح في كتابة نصف سيرته الذاتية التي لو كانت قد طُبعتْ لأصبحت أكثر الكتب مللًا على مستوى العالم.

كان "موللر" يعمل مديرًا لأحد فروع سلسلة متاجر للأدوية، وهي وظيفة مرموقة، كما أكد ذلك إثباتًا لجديته. كان جادًّا درجة القرف. لقد كان قادرًا على تقديم شرح تفصيلي حول ترويج المبيعات لمنتجات العناية بالبشرة مثلما يشرح مدرب كرة القدم الموقع الدقيق للاعبي فريقه في المباراة النهائية لـ"دوري أبطال أوروبا".

كانت حياته الخاصة تدعو إلى التثاؤب. لقد كان شخصًا لم تكن لديه أي علاقة مع أي شخص، لأن تركيزه كله على مر السنين كان منصبًّا على تقدمه المهني. لكنه لم يكن سعيدًا بهذا الالتزام الذي كان بمنزلة الالتزام باستخدام آلة التشيللو داخل الموسيقى التصويرية. على الرغم من أنه كان

يملك كل ما يجعل الحياة مستقرة؛ شقة جميلة، سيارة، دفتر ادخار، فإنه كان يدرك يومًا بعد اليوم أنه يفتقر إلى شيء حاسم؛ إنه يفتقر إلى شريك حياة يتشارك معه حياته ويمكنه وضع جميع ممتلكاته تحت قدميه. طوبى لمساكين الروح. في الواقع، لقد استحوذ عليَّ نوع من إدمان القياس الأدبي لمعرفة إلى أي مدى يمكن تطبيق التجربة على السيد "موللر". إلى متى سأتمكن من الحفاظ على ثقة المحاور الجديد في الشخصية الجديدة. لقد كانت لديَّ بالفعل خطة درامية دقيقة، أردتُ فيها الحفاظ على تصاعد وتيرة التشويق شيئًا فشيئًا. ولكن بعد ذلك تغير كل شيء.

ظهر رئيسنا - الذي كان شريكًا مع أحدهم في بعض الشركات ذات النشاطات المشبوهة كشركتنا، والذي كان نادرًا ما نراه في الشركة لهذا السبب - فجأة ذات يوم في الشركة. وأبلغنا أنه قرر إعادة هيكلة سير العمل. كان السبب هو أن عملاءنا لا يجلبون ما يكفي من المال إلى خزينة الشركة، على عكس ما كانت تجلبه السيدات في الغرفة المجاورة لنا. لذلك أراد أن يغير النشاط كليًّا ليصبح جنسًا عبر التليفون في المستقبل. وعليه أصبحنا أنا و"سيبي" و"كارلهاينز" موظفين غير مناسبين لهذه المهمة، لأن أصوات الرجال ليست مطلوبة في هذا العمل، وبالأخص المتلعثمين مرفوضين نهائيًّا. ستُلغى وظائفنا في المستقبل، ومع نهاية الشهر ستحل النهاية في مناخ مرح مصحوبة بجملة نشكركم على تعاونكم المثمر معنا ووداعًا.

لم يتوقع أي منا الحصول على وظيفة في شركة "R & J"، لذلك لم تنكسر قلوبنا بسبب الطرد. فقط كنت آسفًا بسبب تجربة "موللر". لم يكن يعنيني حسن حظه أو سوء حظه، ولكنه كان خيبة أمل فنية بالنسبة

إليَّ، لأنني لن أستطيع تحقيق كل التحولات الجميلة التي خططت لها على أرض الواقع. كان الأمر أشبه بمَن كتب رواية طويلة مليئة بالأحداث ثم أخبره أحد الناشرين أن من الأفضل لو كانت لديه قصة قصيرة فقط.

إذا كان ما أرادوه هو قصة قصيرة فقط، فعلى الأقل يجب أن تكون ذات نهاية أنيقة؛ هذا ما قررته. بقدر شعوري بالالتزام تجاه قارئي المتحمس "موللر"، شعرت أيضًا أنه يستحق عناء، ألا أقطع عنه قصته الرومانسية ببساطة هكذا فجأة. لذا أعلمته أن "باربرا" مقتنعة الآن بصدق نواياه ومن ثَمَّ ستخبره بكل ما تعرفه عن محبوبته "فيرونيكا". لقد وضعت مشهد النهاية كالآتي؛ منذ أن عادت "فيرونيكا" إلى وطنها الأم إسبانيا، لم يتوفر لدى الشركة أي عنوان دقيق لها و"باربرا" لم تسمع منها شيئًا إلا مرة واحدة حين أخبرتها أنها شعرت بالحنين إلى الوطن في المدينة التي كانت تتمتع فيها بطفولة خالية من الهموم؛ مدينة "بلاسينثيا" في "إكستريمادورا".

لا، أيها القس، لم أقصد مدينة "إسترمادورا" الموجودة في البرتغال. كنت أعرف أن "موللر" – مع نصف تعليمه القوي – كان سيطرح السؤال نفسه وسينظر في الخريطة ويجد مدينة "إكستريمادورا". ولهذا السبب اصطدتُ هذه المقاطعة الإسبانية خاصة بنفسي من الأطلس. لأن وفقًا لدائرة معارف "بروكهاوس"، لم تكن "بلاسينثيا" مدينة شاسعة جدًّا، لكنها كانت كبيرة بالقدر الذي يجعل فرصة العثور على شخص هناك لا نعرف عنه سوى الاسم الأول فقط شبه مستحيلة.

لقد تخيلت أن السيد "موللر" سيشعر باليأس من مواصلة البحث، وأنه سيستأنف حياته المؤذية المألوفة ويعود إلى حياته اليومية المعتادة ما بين بودرة تعطير الجسم والمناديل الصحية. وبصرف النظر عن تدني

حسابه المصرفي، لن يبقى له من كل ذلك سوى شيء واحد؛ ذكريات المغامرة الرومانسية الوحيدة في حياته. لقد تخيلته في أثناء جولته لفحص المنتجات وهو يسير ما بين الأرفف ويحلم كيف تبدو "فيرونيكا" وهي تفكر فيه في أثناء سيرها تحت أشجار النخيل في وطنها الإيبيري الأم (هذا في حالة إن كان لديهم أشجار نخيل في "إكستريمادورا"). تخيلته أيضًا وهو ينسى كل شيء حوله بضع دقائق من وقت إلى آخر وابتسامة حزينة تعلو وجهه، في الوقت الذي يهمس موظفوه: "لقد تغير رئيسنا تمامًا".

رسمتُ في مخيلتي ما سيحدث بصورة مشابهة لما وصفته لك. لكن الحياة ليست حقيرة كمخيلتي، لكنها أكثر حقارة بكثير. لقد أخذت القصة منعطفًا لم أكن لأفكر فيه أبدًا، وما زلت لا أستطيع أن أشرح ذلك لنفسي. في يوم عملنا الأخير في شركة "R & J"، قررنا ثلاثتنا أن نشرب الخمر معًا قبل الظهيرة. خطرت على بال "سيبي" و"كارلهاينز" الفكرة نفسها مصادفة، وجلب كل منهما معه زجاجة خمر إلى العمل. لم يكن شرب براندي البطاطس مع النبيذ الأحمر بالمزج المناسب لتلك اللحظة، نظرًا إلى تكرار شكوى سيدات الفن الإباحي في الغرفة المجاورة لمكتبنا بالفعل مرتين من ضحكنا الصاخب للغاية. فعلى ما يبدو أننا أفسدنا وهم الحميمية التي كن يحاولن إيصالها إلى عملائهن.

بقدر ما كنا ملتزمين به من عمل، والذي لم يكن بالكثير على أي حال، انشغلنا بحذف السجلات المختلفة على أجهزة الكمبيوتر الخاصة بنا. كنت على وشك نقل ملف "باربرا" إلى سلة المهملات، عندما رأيت رسالة السيد "موللر" مرة أخرى. كانت رسالة طويلة للغاية؛ أراد فيها أن يشكر "باربرا" من أعماق قلبه، لأنها جعلته سعيدًا بشكل لا يصدق. كتب لها أنه

سافر فورًا إلى "بلاسينثيا"، لأن أي شيء آخر لم يكن واردًا بالنسبة إليه، لدرجة أنه لم يتقدم بطلب للحصول على إجازة من عمله. بالتأكيد لم يكن مديروه في المركز الرئيسي سعداء بغيابه، لكنه لم يهتم، لأنه لن يعود إلى تلك الوظيفة المملة على أي حال. طار أولًا إلى مدريد ومنها إلى "سالامانكا". من هناك استقل سيارة أجرة سارت به مسافة أكثر من مائة كيلو متر، لأن هناك مواقف لا يهم فيها المال. حتى وصل إلى "بلاسينثيا" وهناك التقى "فيرونيكا" بالفعل في الليلة الأولى وعرفا بعضهما بعضًا على الفور، على الرغم من أنه لم تسبق له رؤيتها من قبل ولا هي أيضًا. لقد أصبح الآن سعيدًا، سعيًدا أكثر من أي وقت مضى، ولن يسمح لنفسه أبدًا أن يفترق مرة أخرى عن حبيبته "فيرونيكا".

لن يفترق عن "فيرونيكا" التي لا وجود لها أصلًا.

أقسم لك أنني لم أقرأ هذا الكلام وأنا سكران، وأن السيد "موللر" كتب بالضبط ما سردته لك. أنا بالفعل لا أفهم ماذا حدث وربما يمكنك مساعدتي، أيها القس. هل لديك تفسير لهذا؟ ما الذي يمكن أن يكون قد حدث في "بلاسينثيا"؟ هل لدى الرب قسم خاص لمديري الصيدليات؟ يجب أن يكون شخص مثلك ليست لديه مشكلات في أن تلد عذراء أو مشكلات مع فكرة الثالوث قادرًا على إيجاد تفسير لمثل هذه المعجزة.

ملحوظة: شكرًا جزيلًا على إرسال صناديق بطاقات فهرسة الكتب. سأبدأ على الفور بالعمل على الفهرس. لا أريد عندما يُطلق سراحي أن يبدأ من يأتي بعدي من نقطة الصفر.

بطاقة فهرسة

رواية "الألماني المغامر الأبله". تأليف: "جريملزهاوزن" و"هانز ياكوب كريستوفل".

وصل الكتاب المطلوب اليوم في صندوق مع كتب أخرى وسُلِّم إلى الشخص الذي سوف يوصله.

كان لا بدَّ أن يُسلَّمَ في زنزانتي في إجراءات أكثر سرية، لذلك كان يجب أن أكون هناك بمفردي.

اليوم هو يوم سعدي. حزم "أمبروس" ألغاز الكلمات المتقاطعة الخاصة به ونُقلَ إلى بلوك رقم 2 آملًا في الحصول على إفراج مبكر. وقتها جرى اقتباس "شوبنهاور" على لساني الذي يقول: "الأمل هو الخلط بين الرغبة في حدوث شيء ما وبين احتمالية حدوثه" وأردتُ إخباره به لكنني لم أرغب في تدمير وهمه.

لقد كذبنا في لحظة الوداع حين قلنا لبعضنا بعضًا: "سنبقى على اتصال"، لكن لحسن الحظ، لن تكون هناك فرصة لذلك. كان الغرض من تقسيم السجن إلى مبنيين منفصلين هو منع الاتصالات بين الجانبين. بالتأكيد عند التفكير في تطبيق هذا النظام، لم تفكر إدارة السجن في شخصيات بائسة مثل "أمبروس"، وإنما في المتواطئين الذين يريدون التخطيط لجريمة ولا ينبغي أن تتاح لهم الفرصة للتحدث مع بعضهم بعضًا.

الخبر الجيد هو أنهم لم يرسلوا لي نزيلًا جديدًا في الزنزانة بعد. ربما نسوا. أيها القس، إذا كنت تعرف صلاة للنسيان الأبدي، أعدك أن أرتلها على الفور ثلاث مرات في اليوم بدءًا من الآن. يسعدني أيضًا أن أشعل شمعة أو أي شيء آخر تحتاج إليه لرشوة الرب.

لم أدرك كم كنت مفتقدًا الشعور بالوحدة سوى الآن. أنا مقتنع تمامًا أن الناسكين لا ينسحبون من المجتمع بدافع التقوى، ولكن لأن البشر الذين يتعاملون معهم يدفعونهم إلى الجنون. كانت الزنزانة التي أصبحت ملكي الآن كبيرة بحجم الغرفة نفسها التي تشاركتها مع أخي عندما كنت طفلًا. كان سريرنا ذا طابقين، ويتبول أخي دومًا في الفراش وأحيانًا كانت قطرات من بوله تنفذ إليَّ عبر المرتبة. كي أكون صادقًا، لقد اخترعت أمر نفاذ بوله عبر المرتبة هذا من مخيلتي. لكن حقًّا كان يبلل أخي فراشه، وغالبًا كان ذلك ليلة يوم الإثنين، عندما يصف "باخوفن" أهوال الجحيم في عظة الأحد. لهذا كان يستيقظ أخي مبكرًا لغسل ملاءات سريره، ويشيد والداي بما فعله كشكل من أشكال الأعمال التطوعية في الأعمال المنزلية. بالطبع كانت تعرف أمي ما حدث، لكنها دربت نفسها على التغاضي عن بعض الأشياء. يُخيل لي أن مزمور 39 قد كُتب عنها: "صَمَتُّ. لَا أَفْتَحُ فَمِي، لَأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ".

أول غرفة سكنت فيها بمفردي كانت في شقة في برلين. كان أثاثها كرسيًّا وحقيبة سفر تحوي أشيائي القليلة ومرتبة، كنت أضعها بميل على الحائط خلال النهار.

سكنت بعدها في غرفة داخل شقة الأم "شباكمان". لم تكن الغرفة كبيرة ولكنها كانت الأكثر راحة في رحلة حياتي. لقد تبنتني السيدة "شباكمان" عمليًّا بعد أن حملت عنها حقيبة التسوق إلى الطابق الثالث. ثم أصرَّت على تناول القهوة معًا، لأن الأجر الجيد هو فقط ما يجعل الأيدي سريعة. وفي أثناء شربنا فنجان القهوة الثاني معًا، حكيتُ لها متلعثمًا أنني أبحث عن سكن أفضل رخيص، لأنني لا أستطيع دفع إيجار عالٍ.

لهذا عرضت عليَّ السكن في غرفة ابنها مجانًا، إذ كان ولدها في ذلك الحين في أمريكا؛ في "كاليفورنيا" على ما أذكر، يفعل هناك شيئًا تقنيًّا ما.

كانت الغرفة مليئة بنماذج الطائرات التي كانت هوايته على ما يبدو، لكن السرير كان مريحًا جدًّا. لقد سكبت السيدة العجوز كل أمومتها المكبوتة عليَّ، فكانت تناديني بأسماء دلع وتطهو لي. وفي المساء كنا نجلس أحيانًا في غرفة معيشتها – من طراز "جيلزينكريرشنر باروك" الأصلي – ونتبادل أطراف الحديث. كانت تحمل في يديها دائمًا زجاجة من المشروب الكحولي ذي المذاق المسكَّر المفضل لديها، بالإضافة أيضًا إلى زجاجة مياه السكر بنكهة النعناع، وعادة ما كانت تبدو ثملة قليلًا بعد أول كأس. وكانت دلالة سكرها تتجلى في تصرفها معي بالطريقة نفسها التي كانت تتصرف بها كفتاة مراهقة في شبابها، حيث قبلتني على فمي ثم استدارت ويديها على فمها، ثم جرت بعيدًا خجلًا وبدأت في الضحك.

أحببتُ الأم "شباكمان" من كل قلبي وبذلت جهدًا كبيرًا لأداء دور الابن البديل على أكمل وجه. رافقتها إلى السوق الأسبوعي وأُعجبت بتصفيفة شعرها عندما صففتها بتلك التجعيدات الغريبة عند مصفف الشعر. ونظرًا إلى عدم وجود شخص آخر يعرفها غيري، تسلَّمتُ لاحقًا رماد جثتها من محرقة الجثث، والذي ليست لديَّ أدنى فكرة أين يوجد الآن. في بعض الأحيان، كان عليَّ أن أنتقل للعيش في مكان آخر بمنتهى السرعة، لكن في كل مرة كان يبقى هناك الكثير من الأمور العالقة.

في وقت لاحق، عندما بدأت في جني المال، كنت أستأجر دائمًا شققًا واسعة قدر الإمكان، على الرغم من أنه كان نادرًا ما أستطيع تدبير تكلفة تأثيثها بشكل كامل. لم أحب غرف الفنادق أبدًا، خاصة الراقية منها.

يكفي فقط رائحة المطهرات التي تفوح في المكان! رائحة مثل رائحة العطر القوي الذي تضعه العاهرة، حتى لا يشم الزبون الجديد على جسدها رائحة مَن سبقوه.

معظم هذه العنابر الفخمة وصلت إلى تصنيف نجومها الخمسة فقط عن طريق الاحتيال، لقد فهمت ما وراء ذلك. لا، بكل صراحة أنا أُفضِّل الرخيص القذر.

إن أجمل الغرف على الإطلاق هي غرف نوم الغرباء. غرف النوم النسائية. عندما تدخلها أول مرة بدعوة من صاحبتها؛ أحيانًا بشكل صريح وأحيانًا فقط بنظرة واحدة من عينيها. عندما ينظر المرء حوله أول مرة ولا يدري ما الذي ينتظره، ولكن مع بعض من اليقين اللطيف يسمح لنفسه بتوقع شيء ما على وشك الحدوث. آه، أيها القس، يا لها من لحظات رائعة! (آمل ألا تكون قد اختبرت مثل هذه اللحظات من قبل. صحيح أنك لا تعمل في قسم الرهبنة، لكنك ستقوم بكل تأكيد بفرد القليل من سمن العفة السحري على خبزك كل صباح).

أكاد أزعم أنه بإمكان المرء أيضا أن يتنبأ من خلال تأثيث غرفة النوم بما سيُقدَّم له في أثناء الليل، بداية من الأوضاع التبشيرية البسيطة وصولًا إلى التدخلات البهلوانية. على الرغم من ثقل لساني أو لعله بسبب ذلك فقط، كنت ناجحًا تمامًا ودائمًا مع الجنس الأنثوي، ويمكنني أن أخبرك بالكثير من القصص حول هذا الموضوع.

لا، من الأفضل ألا أخبرك بأي منها وأرجو تفهُّمك. في السجن لا يحصل مَن يقيمون فيه على إمداد لأوهامهم الليلية، لذلك يُنصح بالتعامل مع المخزون الموجود وفقًا لذلك وبمنتهى الحرص. عندما نستخدم الذكريات

كثيرًا كنموذج، فإنها ستفقد بريقها بمرور الوقت ومن ثَمَّ ستفقد فعاليتها. ربما أكتب لك في وقت لاحق عن أحد التجارب التي تذكرتها الآن. فاليوم أريد أن أخصصه لنفسي فقط، أن أستمتع من دون أن أكون على عجلة من أمري، حيث أصبحت الزنزانة لي وحدي أخيرًا.

ليلة سعيدة، أيها القس.

يوميات

فتاة مراهقة. نعم هذه هي الكلمة التي كنت أبحث عنها. هذه اليوميات لا يمكن إلا أن تكون لفتاة مراهقة. إنها تلك السن التي لا توجد لها كلمة أخرى مناسبة لتسميتها. سن نصف الفتاة، نصف امرأة. كنت كفتاة مراهقة تضع مشبكًا ورديًّا في شعرها وتقوم بانحناءة أمام معلمها بكل براءة. أنا صغير وقلبي طاهر. واليوم أنا مجرد شعار مكتوب على شاهد قبر. قبر إذا لم يُفتح مدة طويلة، سيُصقل حجر شاهد قبر جديد ويعيدون تسميته. ربما كانوا قد كتبوا عليه: "ذكرى أبدية" ثم أعادوا استخدام الشعار نفسه مرة أخرى. فالعبارات الفارغة صالحة لكل زمان ومكان.

آاه..

من الجيد جدًّا أن أتمكن أخيرًا من كتابة شيء لم يُكتب خصوصًا للقس. لأنه لا يجب أبدًا أن يشاركني التفكير عندما أكتب. لن يقرأ أحد هذه الكتابات. ممنوع قراءتها أصلًا، لأن "ما تَلُوكُهُ الألْسُنُ لا يأتي إلا بالخسائر".

ربما يجب أن أتوصَّل إلى طريقة كتابة سرية مثلما فعل "ليوناردو دافنشي". لكنه مجرد كتاب من بين كل الكتب، سيلفت نظر مَن؟ من المحتمل أن الشخص الذي أخذه من على رف الكتب لم يلاحظ ما كان يحمله ووضعه بطريق الخطأ في صندوق جمع المقتنيات الموجود في السجن، ولن يخطر بباله مطلقًا أنه سيجعل شخصًا سعيدًا للغاية بما فعله.

كان يبدو كأنه كتاب، أو بمعنى أدق تشعر تجاهه وكأنه كتاب، لكنه في الأصل ليس كتابًا بالتأكيد. الآن يمكنني أن أتغنى بكل فخر بمقطع الحكاية الأسطورية الشهير: "أوه، يا له من شيء عظيم ألا يعرف أحد أنني أُدعى رامبيل ستيلتسكين".

سيكون الكتاب على هيئة هدية عيد ميلاد، لمراهقة شقراء في السابعة عشرة من عمرها. لا فلنجعلها في الرابعة عشرة من عمرها، سيبدو هذا مقنعًا أكثر. لأن هذه هي السن التي يُظهر فيها أولياء الأمور درجة من الفهم مفادها "لقد وصلت صغيرتنا الآن إلى السن التي تكون لديها فيها أسرارها الخاصة". ومن المحتمل أن يجد أبواها هذا الكتاب بطريق المصادفة في أحد متاجر الأدوات المكتبية ويكتشفان أنه نسخة أصلية، ثم قدماه هدية لابنتهما مصحوبة بابتسامة.

من المحتمل أن تكون ابنتهما قد كست وجهها بحركة منقار البطة المتأفف كردِّ فعل لاعتقادها أن الهدية كانت كتابًا من كتب الأطفال، وتشعر الآن أنها غير مناسبة لسنها على الإطلاق. مجرد تصرفات سن البلوغ ليس أكثر.

يبدو غلاف الكتاب كأي طبعة كلاسيكية؛ مصنوعًا من جلد بني له ختم ذهبي. تفتح الفتاة الكتاب مباشرة بمجرد نزع غلاف الهدايا عنه،

وربما بإيعاز من والديها. "إنها تصبح لطيفة جدًّا عندما تكون سعيدة". ثم تقع عيناها على الصفحات البيضاء التي يحويها الكتاب، ما عدا صفحة الغلاف المكتوب عليها العنوان: "مذكراتي بقلم.." ثم خط مكون من نقاط منفصلة متتالية، كان من المفترض أن تُكتب عليه الأسماء التالية: "دورثيا" و"مارجريتا" و"فيلهيلمينه". لكنها لم تفعل ذلك قط.

لم تكن أديبة عظيمة قط، أو بالأحرى لم تشهد في حياتها ما يستحق أن تكتب عنه. مجرد أربع صفحات شخبطت عليها والباقي صفحات فارغة. كانت الكتابة بحبر أخضر كالذي استخدمته في كتابة خطابات "نيلز" من قبل. نعم، لقد كنت مصيبًا أيضًا عند اختياري لون الحبر المناسب لفتاة صغيرة في سنها.

آثرتُ الكتابة بنمط "خط زوتِّرلين" الذي لا يمكن لأحد عند قراءته التمييز بين حرف النون وحرف الياء، مثله مثل الكتابة بالهيروغليفية. أنا نفسي استسلمت بعد كتابة نصف صفحة، فالأمر برمته لا يستحق عناء فك شفرة هذا الخط.

لكن تُرى مَن قد يكون هذا المدعو "زوتِّرلين"؟ حقًّا إنه لأمر بغيض أن يقطعوا عنا الاتصال بشبكة الإنترنت داخل السجن. في اعتقادي، ليس هناك أسوأ من قضاء ثلاثة أعوام ونصف في ظروف تدفعك إلى أن تكون غبيًّا. كان أهون عليَّ أن يحرموني من الطعام والشراب على أن يقطعوا عني الاتصال بالإنترنت.

لكن لا يهم، على كل حال هم لا يستطيعون أن ينتزعوا مني مخيلتي. لقد تخيلت أن اسم الأب "تيوبالد زوتِّرلين"، وكان يقوم بالتدريس في إحدى المدارس الثانوية في مكان ما. ولديه شارب كشارب القيصر

"فيليهيلم" كما يرتدي بذلة ذات سترة طويلة. أيًّا كان الوضع، اخترع خطًّا يمكن استخدامه لتعذيب الأطفال لأنه كان يكرههم، وعثروا عليه مقتولًا في شقته مطعونًا بعشرة آلاف ريشة كتابة.

يجب أن أقتصد في استخدام الورق الفارغ، لأنه لا تزال أمامي عدة أيام ليس لديَّ فيها أي شيء أفعله.

أول مرة في حياتي أكتب يومياتي. يا لها من فكرة مغرية! إنها بمنزلة كرسي اعتراف لا يجلس أحد أمامك على الجانب الآخر منه على حين تجلس أنت عليه. ولا يوجد ما يستدعي الكذب، لأنه لا يوجد مَن يضطرك إلى أن تكذب عليه. إنها حالة تطهير تصب فيها أفكارك دون تصفيتها من الشوائب. مثلما حدث في موضوع "أمبروس" ومسألة نقله المفاجئ إلى المبنى الآخر، لم أكن أتوقع أبدًا أن يحظى طلبي السري بهذا المردود السريع. نعم كنت أتمنى ذلك، أو أحلم بذلك، لكنني لم أتوقع حدوثه أبدًا. وبالتأكيد ليس بهذه السرعة. الآن أصبحت أعرف مدى تأثير الأشخاص الذين تعاونت معهم، وبتعاوني معهم يمكنهم تحقيق شيء ما، ليس فقط مع السجناء، ولكن أيضًا مع الإدارة. سيكون من المثير للاهتمام معرفة إلى أي مدى يمكن أن يصل هذا التأثير.

الفضول يفشي ما نخبئه من أسرار.

لم أتفحص الرواية المستهدفة عند وصولها. أخرجتها فقط من بين الكتب الأخرى التي أُهديتْ إلى السجن، وأعددتها لتسليمها.

لم تمر سوى ساعة ثم بدأت عملية التسليم. جاءني أحد السجناء الذي لا يبدو أبدًا من هيئته أنه قارئ، إلا إذا كان يقرأ في أثناء رفعه الأثقال. كان ينتظر في الممر بكل تهذيب بمظهر غير لافت على الإطلاق، ثم قال لي:

– لقد أرسلني "المحامي".

بعدها لمس الكتاب كما لو كان يخشى عليه أن ينكسر. وفي أثناء مغادرته، صحبه أحد السجناء الآخرين الذي كان يجسد كتلة عضلية أخرى تمامًا كالسجين الأول، وقد انتفض واقفًا من على مقعد الانتظار بمنتهى السرعة فور خروج الأول من المكتبة وتبعه مشدودًا فاردًا عضلاته، لأنه خطر بباله فجأة أنه لم يعد يرغب في القراءة.

إنها المخدرات. بالتأكيد يتعلق الأمر بالمخدرات. على المرء أحيانًا أن يكون أعمى وغبيًا ليتمكن من التفكير في شيء آخر.. لا أحد يغامر بهذا الفعل بغرض تهريب دواء للسعال مثلًا إلى داخل السجن. مسار للتهريب مثالي لا تعرف الإدارة عنه شيئًا، أو بالأحرى لا تريد أن تعرف شيئًا عنه. في كلتا الحالتين، لن يكلف أحد نفسه عناء فحص كل كتاب من الكتب المهداة إلى السجن من الصفحة الأولى للصفحة الأخيرة قبل إرسالها إلى المكتبة. أليست الكتب مهداة من مواطنين صالحين يريدون فعل شيء جيد للسجناء المساكين؟ إذن لا داعي للفحص الدقيق لأي شيء.

ما الذي يجعل النظام أكثر مثالية؟ أن يكون القس نفسه هو الضامن في أن ما يحدث شيء غير مؤذٍ. لقد فُتحت المكتبة أساسًا بسببه، لأنها لطالما كانت مشروعه وهو أيضًا مَن دعا إلى حملة جمع الكتب. حتى إن شحنات الكتب تصل إلى السجن مكتوب عليها اسمه وعنوانه. ولهذا تتوقع الإدارة أنه سيقوم بفحص محتواها بنفسه، وهو ما لا يقوم به أبدًا، ولهذا يصل الكثير من الورق المطبوع إلى السجن. وعند وصوله، يتخيل أنه يربت على كتف مَن أرسل تلك الكتب، ويقول لنفسه: "كنت أعرف أنه لا يزال هناك الكثير من الناس الطيبين في هذا العالم".

سيقومون بشراء كميات هائلة من الكتب من مكتبات الكتب القديمة للتأكد من وجود الكثير منها من أجل فحص يتسم بالجدية. خدعة نظيفة. نظيفة جدًّا وملائمة تمامًا لعملية خداع. من الجيد أن هذه الملاحظات التي أكتبها لن يقرأها أحد.

لا أريد حتى أن أخمن مَن يقف وراء هذا الأمر. دوري هو ترتيب أرفف الكتب وتنظيم الاستعارة. وعندما يطلب مني أحدهم عدم النظر إلى كتاب معين، فلن أنظر إليه. فلست شخصًا فضوليًّا بطبيعة الحال.

نعم بالطبع أنا كذلك، فقط أريد أن أكون على قيد الحياة، عندما تنجلي هذه السنوات الصعاب. لا أريد أن يعتقد أحد أنه لا بدَّ من إسكاتي. لن أطالب بأي شكل من التقدير. لن تكون لديَّ أي مطالب. أقصى ما يمكن أن أطلبه قد يكون بسيطًا للغاية، مثل ما حدث في أمر "أمبروس".

بمعنى أدق، التزم الصمت وكن مفيدًا.

وعليك ألَّا تنسَ القس وامتدحه قليلًا.

إلى القس

صدقًا أيها القس، لقد حققتَ شيئًا إيجابيًّا للغاية بتأسيسك هذه المكتبة. هذه كلمة حق لا بدَّ أن أقولها حتى لو مرة واحدة. إن استخدام فهرس بطاقات الاستعارة يحرز تقدمًا ملحوظًا وأشعر بأنني أحكم قبضتي على كل الأمور داخل المكتبة بشكل جيد. لكن الأهم أنني عرفت ما الذي يفضله رواد المكتبة. فمثلًا، يأتيني بصفة منتظمة ذلك النوع من القراء الذي يمكن أن يغير جهة الشارع التي يسير فيها إذا ما التقاك مصادفة تسير أمامه على الجهة نفسها. ما الذي يمكن أن يستعيره هذا النمط من المكتبة في نهاية الأمر؟ بالتأكيد سيستعير رواية رومانسية. لم نكن مجهزين بالقدر الكافي لهذه المهمة، لأن على ما يبدو أن المتبرعين بالكتب لم يستطيعوا التخلي عن أسلوب مؤلفات كاتبة الروايات الرومانسية "روزاموندا بيلشير". لدرجة أنني وبعد فترة قصيرة يمكنني إعارة القارئ الرومانسي نفسه الرواية نفسها مرة أخرى وسيقرأها بمنتهى الحماس. زائر عادي آخر للمكتبة – من المحتمل أنك تعرفه من جلسات الخميس التي تنظمها – جاءني مع قائمة طويلة من أسماء الكتب التي يريد العمل عليها خلال فترة وجوده في السجن. لأنه بمجرد أن ينهي سنوات سجنه، سيجعل هدفه الحصول على الشهادة الثانوية. حاولت أن أجد له ما يبحث عنه على قدر المتاح، لكن بالطبع لا يمكنني ضمان أن الكتب المطلوبة من أجل الامتحان ستظل هي نفسها المطلوبة في السنة التي سيعقد فيها امتحانه، حيث طبقًا للمادة 178، يعد الإفراج قبل انقضاء مدة السجن أمرًا نادرًا.

كان أكثر الطلب على الروايات البوليسية. القراءة تعلم. بين الحين والآخر يأتي أحد السجناء برغبة خاصة غير عادية بالنسبة إليه. ويكون في غاية الامتنان إذا ما تمكنت أن أحقق له رغبته ووجد أن الكتاب احتوى على ما كان يريده بالضبط.

لذا، إليك الآن بهذه الحكاية، لكنها لا تحتوي على تفاصيل سعيدة هذه المرة. أعتذر لك عن هذا، لكن ما حدث جزء من حياتي.

كان اليوم الذي دفنَّا فيه أختي بعد حادثة الترام، والتي ما زلت لا أؤمن أنها حدثت لها بالفعل. كل ما أنا مقتنع به أنها لم تعد قادرة على تحمل الحياة. أختي كانت بالنسبة إليَّ كل شيء. الوحيدة في الأسرة التي كنت أستطيع أن أضحك معها. ما استطعنا فعله سرًّا ذات مرة عندما كنا أطفالًا هو أن نضع رؤوسنا تحت أغطية السرير. وعندما أرادت أن تكتم ضحكتها، عضت المخدة. وحين قلت لها إنها تبدو مثل الحصان الذي يستخدمونه في مصنع الخمر وهو يحمل كيس الأكل الخاص به، انفجرت من الضحك مرة أخرى. كانت مضحكة جدًّا..

الآن وضعوها في صندوق خشبي، لتكون جاهزة لإرسالها إلى الحياة الأخرى، استخدم "باخوفن" صوته السخيف لوصف شخص بعيد كل البعد عن أن يكون أختي. أختي لم تكن ملاكًا أراد الله أن يكون بالقرب منه مرة أخرى، ولكنها كانت امرأة تعيسة مكبَّلة بأعباء ثلاثة أطفال، ومقيدة بتصدير صورة نكران الذات التي كانت مطلوبة منها. لقد ألقوا عليها حِملًا أكبر من طاقتها بكثير وسحقوها به. كان ينبغي لـ"باخوفن" بدلًا عما قاله أن يقول: "إنها موهبة تحريك الحساء المكون من اقتباسات

الكتاب المقدس الصماء في كل وقت". هل هذا ما يتعلمه المرء في أثناء تلقيه التدريب اللاهوتي؟

في غرفة الصلاة، كان يجلس الرجل الذي ضربوه بسبب مثليته الجنسية. لقد اختفى بضع سنوات ثم عاد إلى المدينة. كانوا يحذروننا منه كأطفال وكان موضع احتقار ومحل تساؤل في المجتمع. ربما من ناحية - هكذا كانت فكرة الناس عنه - ارتكب خطيئة لا تُغتفر بشكل خاص، لأنه لا أحد يريد أن يتخيل بالضبط ما كان عليه، ومن ناحية أخرى أنه شُفي بالفعل من هذه الخطيئة كما برأ في الكتاب المقدس مَن أصابه البرص من مرضه وبالنتيجة نفسها. بمعنى ماذا حدث في إنجيل مرقس بعد الشفاء؟ أم كنت دائمًا تتجاهل الجملة التالية؟ "فَانْتَهَرَه يَسوعُ وصَرَفَهُ"، تتجاهلها كما يفعل الغالبية.

بتعبير آخر، المسيح وتلميذه النجيب "باخوفن".

بعدما دفنَّا الصندوق الذي يحوي جثمان أختي في باطن الأرض، اصطف أهلها وجميع أفراد الطائفة في طابور - كما جرت العادة - ومرَّ جميع أفراد الكنيسة علينا واحدًا تلو الآخر وصافحونا هامسين بعبارات من المواساة المريحة. وقف "باخوفن" في وسطنا معتبرًا نفسه رب الأسرة وسط خِرافِه الخاضعين. وعندما جاء الدور على مثليِّ الجنس "الذي برأ من مرضه"، رفض "باخوفن" أن يصافحه بالطبع ووقف بمنتهى القوة صالبًا ذراعيه خلف ظهره، كما لو كان ذراعاه قد نميا من الأساس خلف ظهره. وكانت تلك هي اللحظة؛ اللحظة التي اتخذت فيها القرار لفعل شيء حياله.

في المساء، جلسنا معًا في المطبخ، أنا ووالدي وأخي، ليس لدينا ما نقوله لبعضنا بعضًا. طهت والدتي الطعام لنا كما لو كان اليوم يوم عيد

القيامة. كانت طاولة الطعام مليئة بما لذ وطاب، ثم تلا علينا أبي الآية التي اختارها من الكتاب المقدس كشعار لذلك اليوم؛ ليوم جنازة ابنته. كانت تلك الآية تقول: "افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا!" (فيلبِّي 4: 4). وعندما سمعتُها، نهضت وانصرفت. في أثناء نزولي الدرج، أيقنت أن هذه هي المرة الأخيرة لي في هذا المنزل، ثم سافرت مع أول قطار، عائدًا إلى برلين.

اتخذت وظائف بسيطة ثم وظائف كبيرة ثم وظيفتي في مطبخ الحساء ثم عملي في الفندق الفخم، مرَّ كل هذا على بالي ولكن في الجزء الخلفي من عقلي كان يقبع "باخوفن". لا بدَّ أن أفعل حياله شيئًا ما ولكن كيف؟ لا يسقط النصب التذكاري لمجرد أنك بصقت أمامه.

بعد ذلك، وذات يوم، كنت في شارع "كورفورستدام" أمام مقهى "كانسلر" مباشرة. توقفت بجاني سيارة "بورش" كبيرة مفتوحة وعطَّلت حركة المرور في الشارع، نادى سائقها عليَّ باسمي. كان ذا ملابس باهظة وقصة شعر قد تصل تكلفتها إلى مائة مارك. أخذ السائقون الجالسون في سياراتهم يضغطون على آلات تنبيه سياراتهم بلا صبر، لكنه ابتسم لهم ابتسامة عريضة ورفع لهم إصبعه الوسطى. لم تكن لديَّ أدنى فكرة عمن قد يكون هذا الشخص. لم أتعرفه إلا بعد أن رفع نظارته الشمسية فوق جبهته.

هل تذكر "سيبي"؟ "سابستيان"؟ زميلي في العمل في شركة "R & J"؟ متخصص الكمبيوتر؟ ذلك الشخص الذي كان يريد أن يُقلع عن التدخين؟

لقد استطاع فعلًا أن يُقلع عن تدخين السجائر الرخيصة، لكنه تحول إلى تدخين السيجار وبعض الأشياء الأخرى باهظة الثمن التي كان يدسها في جيب قميصه مثل الأقلام. أشار إليَّ أن أركب إلى جانبه ثم انطلق. قال:

- يسعدني أن أراك مرة أخرى.

لم نكن أبدًا أصدقاء مقربين. مجرد جلوسنا بجانب بعضنا بعضًا ونحن ننقر لوحة مفاتيح الكمبيوتر لا يُعدُّ نوعًا من النشاط المشترك الذي تنشأ من خلاله صداقات أبدية. أما الآن فهو يعاملني معاملة الابن الضال شخصيًّا. دعاني إلى تناول العشاء في أحد الأماكن التي يكون بها موظف خاص لركن سيارات الضيوف، وحكى لي عن الأسباب التي جعلته متمكنًا جدًّا في عمله على آلة الكاشير.

في آخر أيام عملنا في الشركة، كان قد أخبرنا أنه لا يريد أن يعمل بالتعيين في أي مكان آخر، وإنما يريد أن يعمل لحسابه الخاص، وبالطبع في مجال تكنولوجيا المعلومات. كانت هناك الآلاف من هذه الشركات الناشئة في برلين، والكثير منها قد أُغلقَ بالفعل قبل إنهاء محكمة المقاطعة فحص أوراق السجل التجاري الخاص بها.

لكن أداء "سيبي" كان الأفضل. لقد استطاع أن يوجد لنفسه مكانًا في السوق عن طريق حماية الشركات من فقدان البيانات الخاصة بها مقابل دفع أموال كثيرة. قال:

- "الأمان"، إنها الكلمة السحرية التي أصبح الجميع في أمسِّ الحاجة إليها بكل تأكيد. لكن بالطبع عليك أولًا أن تجعل الناس على دراية بالحاجة إلى مثل هذه الخدمة.

كان يتحدث بطريقة مختلفة عن ذي قبل، بلهجة تنتمي إلى شريحة باهظة الثمن.

– لكن عندما ينقرون بلا حذر على ملف مرفق ببريدهم الإلكتروني، والذي يبدو أنه لا ضرر منه، وتختفي نصف ملفاتهم، سيتصلون بي بمجرد قراءتهم إعلان شركتي.

– ولكن كيف تعرف إلى مَن سترسل إعلان شركتك؟

ابتسم "سيبي" مرة أخرى وقال:

– جميع مرفقات البريد الإلكتروني كنت أنا مَن أرسلها، وهذا ما يُطلقون عليه التسويق.

لستُ شخصًا ذا معايير أخلاقية وأنت تعرف ذلك جيدًا أيها القس. لم أجد أي غضاضة في طريقة عمل "سيبي"، بل على العكس تمامًا، لأنها أوحت إليَّ بفكرة.

إلى القس

لماذا لم يخطر على بالي في وقت سابق فكرة أن أفعلَ شيئًا ما حيال "باخوفن"؟ لا، ما كنت أفضل أن أفعله على مر السنين هو أن أحتقره فقط، لكنني لم أصارعه أبدًا؟ ولماذا أدَّى رفض مصافحته للمثلي السابق إلى اتخاذ القرار بداخلي؟ والإجابة ليست طفولتي القذرة المليئة بالنفاق الديني. ولم يكن التعذيب الذي أدى إلى تلعثمي ولا حتى وفاة أختي. فبطريقة ما، تحملت كل ذلك. ابتلعته على مضض. كنت أرى ذلك قدرًا محتومًا، مثل إرادة الله أو أي شيء آخر يتحدث فيه الإنسان عن نفسه ليخفي جبنه. ولكن عندما عامل هذا الخنزير ذلك المسكين بازدراء شديد في أثناء الجنازة، اتضح لي فجأة أنه كان عليَّ أن أفعل شيئًا حيال ذلك. لقد راودتني تلك الفكرة من لحظة إلى أخرى.

غريب فعلًا.

أعتقد أن الإنسان ليست لديه المقدرة على التعبير عن الأشياء المهمة حقًّا في حياته إلا بالكلمات فقط بكل تأكيد. وهذا ما يطلقون عليه الفلسفة أو الدين، اللذين يتلخص دورهما في مواساة الإنسان عن عدم فهمه أي شيء. إذ يعتقد الإنسان أنه هو مَن يُسيِّر حياته بوعي وهو مَن يحدد ما يريد فعله.

ثم تظهر إحدى التفاصيل الصغيرة، مثل هذه الدَفعة الصغيرة، فقط لنعرف أنه يتحتَّم علينا التصرف الآن، كي نصدق أننا لا نفهم كل شيء، كي نقول: "ليس أمامي خيار آخر".

وبصياغة أكثر دقة؛ عندما ينتزع العالم منك كل شيء وتختفي جميع الاحتمالات الأخرى ولا يبقى لك سوى احتمال واحد فقط يجب أن تتمسك

به حتى لا تنهار، فإنها مرحلة التشبث التي لم يبقَ لك فيها أي خيار آخر. إنها اللحظة التي تفكر فيها أنك إذا لم تفعل ذلك الآن، لن تكون نفسك، وتظل تتحين فرصة مثلها بقية عمرك.

كلمة Amok "سعار القتل" إذا قرأتها بشكل مقلوب ستصبح Koma "غيبوبة".

وعليه.. عندما اتخذت قراري بشكل نهائي تجاه "باخوفن"، لم أعد غاضبًا منه. تركت الغضب ورائي. لا أجد مصطلحًا مناسبًا للحالة الذهنية التي كنت عليها. وصف "بارد" بالتأكيد ليس الكلمة المناسبة. كان شعورًا بالخفة، أو بالأحرى وعدًا بشعور بالخفة، وكل ما عليك فعله هو شيء واحد؛ هو أن تنسى ما فعلته.

وهذا بالطبع غير صحيح، لأن لا أحد يستطيع أن ينسى ما فعله في الماضي. أنا لا أشعر بتأنيب ضمير حيال الأشياء التي فعلتها. لا أستيقظ ليلًا وأفكر ما كان ينبغي لي أن أفعل ما فعلت، بل على العكس تمامًا، أنا سعيد أنني فعلت ما فعلت، على الرغم من أن ما فعلته كان إجراميًّا بكل تأكيد.

لا تقلق أيها القس، لقد سقطت عني العقوبة طبقًا للمادة 78 من قانون العقوبات. أحد السجناء هنا على دراية بمثل هذه القوانين أكد لي هذا، حتى لو قدم أحدهم اليوم بلاغًا ضدي، فلن يحدث لي شيء. ليست لي علاقة بالأمر من قريب أو من بعيد. لقد كان انتحارًا؛ هذا ما ذكرته الصحيفة التي كتبت عن الخبر، لذلك سيتعاملون مع الأمر على أن هذا ما حدث.

كان حجم "باخوفن" يتقلص تدريجيًّا في مخيلتي كل عام أكثر عن العام الذي سبقه؛ تمامًا كما كان يتقلص حجم مكتبه بالنسبة إلى حجم الغرفة في كل مرة كنت أزوره فيها. وكما كان رف الكتب، الموجودة عليه

طبعات من الكتاب المقدس بكل اللغات المتاحة، يبدو سخيفًا بالنسبة إليَّ. كان مثله مثل مَن يجمع العملات المعدنية من دول لم تسبق له زيارتها أبدًا ويضعها حوله في كل مكان، فقط ليعتقد مَن يزوره أنه استطاع تحمل نفقات إجازة هناك في كل هذه البلدان. لقد بنى "باخوفن" عالمًا من الكارتون عشت فيه سنوات عديدة. لم أكن أؤمن به أبدًا، لكنني لم أشك إطلاقًا في سلطته. لقد روَّضني على ذلك منذ نعومة أظافري.

(قال "شوبنهاور": "إذا أصبح العالم صادقًا بما يكفي لدرجة لا تدفعنا إلى تدريس الدين للأطفال قبل سن الخامسة عشرة، عندئذ يمكن أن نعقد بعضًا من الأمل على هذا العالم").

على مرِّ كل تلك السنوات، لم أسمح أبدًا لنفسي أن أراه في صورة قديس ناشئ أو نبي مصغر أو قزم كان عليه أن يقف على رصَّة من الأناجيل ليظهر كرجل عظيم أمام الآخرين. ما من نادي بولينج حتى في العالم كان سينتخبه رئيسًا، لكن عند التصويت في الكنيسة، يكون لله صوت الأغلبية دائمًا. فقط على المرء أن يقنع الآخرين أنه وكيل سلطة الله على الأرض.

هل "باخوفن" نفسه يؤمن بعصمته من الخطأ؟ بالتأكيد أقنع نفسه بذلك في وقت ما. فلا يمكنك أداء دور محوري في مسرحية ما إلى الأبد دون الإيمان بدورك فيها.

رجل مثل منطاد الهواء الساخن؛ منتفخ يحوم فوق أتباعه، مثل بالون تكفي وخزة دبوس لمحو مجده كله.

لكنني لم أكن لأستطيع أن أفعل هذا الوخز وحدي. ولحسن الحظ، عاد "سيبي" إلى الظهور في حياتي مرة أخرى. أصبحنا نلتقي كل يوم منذ أن التقيته مصادفة في شارع "كودام"، ليس لأنني كنت زميله المحبوب

فحسب، لكنه كان يدعوني لسبب آخر؛ أن يحصل على صحبة بأرخص التكاليف. أن يكون لديك أشخاص يهتمون فعلًا بما تحكيه لهم لهو شيء ثمين حقًّا، الذين لديهم المقدرة على تزييف هذا الاهتمام بشكل مقنع. على الرغم من كل الأموال التي جناها "سيبي" مؤخرًا، فإنه كان يفتقد شخصًا ما يستطيع أن يصور أمامه بكل فخر قصة نجاحه بالتفصيل في دنيا الأعمال مرارًا وتكرارًا، وكأنه يسمعها منه أول مرة.

هذا الدور يناسبني جدًّا، فأنا بطبعي مستمع جيد، لأنه لم يعد لديَّ سوى أن أكون كذلك. كنت و"سيبي" زملاء عمل منذ بضعة شهور ليس أكثر، لكنني أدَّيتُ دور الصديق القديم ببراعة. كان متحمسًا جدًّا لاستعادة رفقتنا من جديد، لدرجة أنه عرض عليَّ وظيفة في شركته ولم يصدق أنني رفضت ذلك. قال لي في أثناء طلبه للشمبانيا:

– الصداقة الحقيقية نوع من الأنانية.

لكن ما كان بيننا لم يكن صداقة حقيقية. لم أرغب في الحصول على وظيفة منه، بل كان غرضي شيئًا آخر.

كنت في حاجة إلى شخص مثل "سيبي"، لأنني لم أستطع حل المشكلات الفنية لخطتي بمفردي. لقد كان فكرتي وهذا ما أقدِّره جدًّا. صممت الآلة كلها بمفردي، لكن "سيبي" هو مَن ساعدني في ربط أجزائها. كانت آلة غير أخلاقية بالمرة وكنت فخورًا بذلك، لأنها أدت مهمتها بشكل مثالي. أنا مَن صمَّمها وشغلها، أنا مَن عشَّق الترس في الترس وفي النهاية انتهى "باخوفن" ومات. بموته، حصل على عقوبته العادلة.

أعرف رأيك الآن؛ هناك أشياء لا يجب أن تفخر بها. أعرف آيات الكتاب المقدس التي ستستخدمها لتحاول أن تثبت لي التدني الأخلاقي لما فعلته.

لأوفر عليك عناء البحث، ربما يكون الأنسب لهذا الغرض الآية الآتية: "لَا تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ»" (رسالة رومية 12:19). لكن الله لديه الخلود كله لمعاقبة الخطاة، وأنا لم أكن أريد أن أنتظر حتى الخلود، فقط لندرك في النهاية أنه لا يوجد إله على الإطلاق.

إليك ما فعلتُه بالضبط:

أول شيء، كتبت إلى جميع جمعيات التبشير التي استطعت العثور عليها من دليل التليفون. وما أدهشني أنني وجدت الكثير منها. يبدو أن إسعاد شعوب أجنبية بدين جديد لا يناسبهم، أصبح هواية شائعة. كتبت إلى هذه المنظمات أنني أريد إنشاء موقع على شبكة الإنترنت - وهو ما كان جديدًا في ذلك الوقت - يسمح لزائريه بقراءة الكتاب المقدس بعدة لغات، وبه مكتبة تحوي جميع الترجمات التي كان من المفترض أن ينشئها المبشرون بمرور الوقت، بغرض جعل عمل هؤلاء العمال المتواضعين بكرم الرب مرئيًّا للجميع.

كتبت (اسم المرسل: "باخوفن - يورجن") ورجوتهم في الرسائل أنه في حالة توافر نسخ إلكترونية من النصوص المشار إليها، أن يرسلوها إلى عنوان صندوق البريد الخاص بي. شارك الكل تقريبًا بكل حماس، حتى إن إحدى جمعيات تغيير الديانات أرادت أن توظفني وأن تخصص لي مكتبًا خاصًّا بي وأنهم سيقومون بتمويل المعدات اللازمة. لكن في النهاية تقبلوا أن أعمل بمفردي انطلاقًا من مبدأ عليك أن تتبع الطريق الذي يدلك عليه الرب.

في النهاية حصلت على كمية هائلة من ترجمات الإنجيل معًا في التوقيت نفسه، وكان غالبيتها محفوظًا على وحدة تخزين منفصلة، وقليل منها على أسطوانة "سي دي". لم تكن كل الترجمات مكتملة، ولم تُترجَم إلا الأناجيل

الأربعة فقط منها. ولكن من ضمن هذه اللغات بعض اللغات الغربية التي لم أسمع بها من قبل قط.

لن يعجبك أبدًا ما ستسير عليه الأمور في الحكاية، خاصة مع كلمة الرب كأداة للانتقام. ولكن يجب أن تستمع لما سأقصه عليك.

يُتبع..

إلى القس

كانت ترجمات الإنجيل هي المكون الوحيد في خليط السم الذي مزجته معًا. أما المكونات الأخرى..

لا، أيها القس سأوفر هذا الجزء من الحكاية لما بعد. بتصرفي هذا، ستدرك أنني أتبع نصيحتك. لقد أهديتني كوني شخصًا لطيفًا كتيبًا يحوي تسعة وتسعين قاعدة لكتابة أفضل. تقول القاعدة رقم 24: "لا تكشف عن الكثير في الصفحات الأولى، لأن الفضول هو ما يجذب انتباه القارئ".

دعنا نجعل الأمر أكثر إثارة، فلنروها وكأننا نروي رواية جريمة، حيث لا يعرف فيها القارئ في البداية سوى أن شخصًا قد قُتل. فقط فيما بعد سيعرف كيف حدث ذلك.

يبدأ فيلم الجريمة الخاص بي على هذا النحو؛ في غرفة صلاة جماعة غير مهمة في مدينة أقل أهمية، عُثِر على كبير الكنيسة ميتًا، مشنوقًا. دون رسالة وداع. بناءً على أدلة مسرح الجريمة، تفترض الشرطة أن ما حدث كان انتحارًا. لم تكشف الشرطة شيئًا تفصيليًّا عن الظروف الأقرب إلى الوفاة، لكن ما تسرب من معلومات أن عقدة المشنقة كانت مربوطة

بطريقة مرخية غير احترافية وأن ارتفاع السقوط كان منخفضًا جدًّا، مما جعله موتًا غير مؤلم نسبيًّا بسبب كسر في العنق. لا بدَّ أن الأمر قد أُستغرق عدة دقائق حتى اختنقت الضحية بصورة مؤلمة.

إلى أي مدى أعجبك مشهد البداية؟ مشهد مثير، أليس كذلك؟ من أجل أن تأسر القارئ حتى النهاية، لا بدَّ من إضافة بعض التفاصيل الطبيعية، مثل صبغ لسانه الخارج من فمه باللون الأزرق أو الرائحة الكريهة التي تفوح من جثته لأن العضلة العاصرة الشرجية تُفتح مباشرة بمجرد الموت. الناس يحبون مثل هذه التأثيرات التي تشعرهم بالقشعريرة. غالبًا ما كان يعرض هذا المشهد في الكتب التي يستعيرها السجناء كثيرًا.

استجوب المحقق – الذي من دونه لن تكتمل الصورة اللائقة للجريمة – أعضاء الكنيسة الذين اتفقوا جميعًا على أنهم لا يستطيعون تفسير هذا الحادث المأساوي، وأن "باخوفن" كان شخصًا مثاليًّا ليست لديه عيوب وكان قديسًا حقًّا. (في رواية لن أسمي شخصيتها "باخوفن"، بل سأبحث عن اسم يليق بشخصية نبي ليكون مناسبًا أكثر. ربما سأسميه باسم له وقع لاتيني).

في الفصل الثالث أو الرابع تبدأ الشائعات. تبدأ رويدًا أولًا لكنها تنتشر بعدها بسرعة، ويزداد انتشارها ولا يستطيع أحد السيطرة على انتشارها. تعقد الشرطة مؤتمرًا صحفيًّا عشية اقتحام مكتب كبير الكنيسة. يبدو أن شخصًا ما حاول تدمير الأدلة. (لم يحدث هذا الاقتحام حقًّا على أرض الواقع، ولكن في رواية الجريمة يجب على المؤلف إضافة بعض المناورات للوصول إلى المائتين وخمسين صفحة) ثم في الفصل الأخير تحدث المفاجأة.

كما ترى أيها القس، لقد ذاكرت الكتيب الذي أهديته إليَّ بكل دقة. من الجميل حقًّا أنك تساعدني في تحسين مستوى كتاباتي. أم كنت تريد بهديتك هذه أن تعطيني أفكارًا لمسار مهني جديد أبدأ فيه بعد إطلاق سراحي؟ الفكرة مغرية، لكن على المرء أن يمتهن مهنة يستطيع أن يعيش من دخلها.

حسنًا، سنرى كل شيء. ربما سأجرب كتابة قصة قصيرة أو شيء من هذا القبيل. تقول القاعدة رقم 18 في الكتيب: "تقدم بثبات الخطوة تلو الأخرى. لأنه كلما كبر المشروع، زاد خطر الفشل". لديَّ قصة في مخيلتي بالفعل، أتوق إلى أن أسردها يومًا ما.

اليوم أريد أن أنهي لك سرد قصة "باخوفن". أنت تعرف بالفعل أن قصته قد انتهت بالانتحار، لكنك لم تعرف بعد كيف حدث ذلك. أو بمعنى أدق كيف نفذتُ ذلك.

كان "سيبي" قد احتفظ بعنوان "كارلهاينز"، فتواصلتُ معه وكتبت رسالة مهيبة في مقدمتها: “F”reibund “u”nabhängiger “c”hristlicher “K”irchen "التحالف الحر للكنائس المسيحية المستقلة" (إذا قرأت الحروف اللاتينية الأولى لهذا الاسم وكونت منها كلمة واحدة ستلاحظ أنني أحيانًا يكون لديَّ حس فكاهي مخيف لا طعم له). لم يطرح "كارلهاينز" أية أسئلة. إن انقراض مهنته التقليدية جعلت منه شخصًا متهكمًا.

بعدها كتب المدعو "التحالف الحر" - والذي كان من الممكن أن يكون موجودًا بالفعل - رسالة موجهة إلى "الأخ العزيز باخوفن" على ورقة رسائل جديدة جميلة، مفادها أن عمله المفيد كان محط أنظار الجميع

فترة طويلة، وأن التحالف سيكون في غاية السعادة إذا ما قرر المشاركة في احتفالية المجمع الكنسي هذا العام وإلقاء خطاب هناك. وستصل إليه قريبًا دعوة رسمية بكل التفاصيل. وفضلًا يرجو التحالف الرجوع إلى القرص المدمج المرفق بالرسالة كعرفان بسيط من جهته تقديرًا لنضاله من أجل نقاء العقيدة. يحتوي القرص المدمج على نص الكتاب المقدس بثلاث وثلاثين لغة مختلفة يمكن تنزيلها بسهولة على أي جهاز كمبيوتر. لم تكن الرسالة مذيلة بأي جملة مثل "خالص تحياتي" وما شابه ذلك، ولكن عوضًا عنها كتبت الإشارة الآتية: "الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 20,16". رجل دين عالم بالإنجيل مثل "باخوفن" لا بدَّ أنه يعرفها جيدًا. وخبير في الإنجيل مثلك لا بدَّ أنك تعرفها أيضًا.

ثم أرسلتها بالبريد.

ربما كان يجب أن أصبح كاتبًا، لأنني طالما كانت لديَّ الموهبة لأكون كاذبًا. لا بدَّ أن يكون هناك شخص مثل السيد "موللر" ليؤكد لي في كل مرة أنني فعلت الصواب عندما كتبت كتبًا. عند كتابتي الكتب، أريد أن أكون قادرًا على مشاهدة كل قارئ على حدة عندما يقرؤها.

بالنسبة إلى رسائل مثل التي أرسلتها إلى "باخوفن"، كان من المؤسف جدًّا أنني لم أتمكن من الوجود هناك حال وصولها. ولأنني قد اجتهدت جدًّا في صياغتها، حاولت أن أتخيل المتلقي وطريقة تفكيره بالضبط، والفخ الذي نصبته له بدقة متناهية، بطريقة لا يستطيع أن يفعل شيئًا حيالها سوى النقر عليها. وعندئذ كان كل ما أتمناه أن أرى كيف حدث ذلك. مثلما حدث مع "نيلز" عندما تلقى أول رسالة غرامية له والتي كانت ذات الظرف الوردي وكيف اتسعت عيناه وتسارعت أنفاسه عندما

تلقى الرسالة واعتقد أنه مدرك ما قد قدِّم إليه. لكم تمنيت أن أعطي الكثير في مقابل أن أشاهد هذه اللحظة!

أو أتخيله كإحدى السيدات العجائز، عندما تفتح الظرف ذا الختم الغريب بفتاحة الأظرف المصنوعة من العاج، وتكتشف بسعادة غامرة أن هناك حفيدًا أو ابن أخ أو ابن أخت، أو أيًّا كان، لم ينسها والذي لا يمكن أن تكون رسالته احتيالًا لأنه يعرف الكثير عنها وعن جميع أفراد أسرتها. لكم كنت أودُّ أن أكون هناك جالسًا على الأريكة خفيًّا كشبح وأشاهد كل ما يحدث!

لم أخبرك عن هذا الجانب من عملي بتفاصيله بعد وسأعيدها لك مرة أخرى أيها القس، ما زال عندي الكثير لأقصه عليك. الآن عودة إلى "باخوفن" مرة أخرى.

لم يشك "باخوفن" وهلة في صحة الرسالة التي وصلت إليه. ذلك لأن الرسالة كانت تتضمن تكريمًا، ورجل مثل "باخوفن" لن يشك أبدًا في أنه يستحق كل أنواع الشرف. لهذا لم يتردد في وضع القرص المدمج في الكمبيوتر بمجرد تسلمه ونقر على ملف "تثبيت".

بعد مرور شهرين، مات "باخوفن". فوق باب صومعته، كان هناك خطاف معلق على الحائط، حيث تُعلَّق أجمل أكاليل الزهور الملونة، ويقوم أفراد الكنيسة الورعون بتضفيرها احتفالًا بعيد الشكر. ربط "باخوفن" حبل المشنقة في ذلك الخطاف المثبت على باب صومعته وتخيلت كيف تدلى جسده المشنوق وهو محاط بإطار الباب مثل صورة قديس. أتمنى أن أثبت هذه الصورة كأيقونة على الحائط في زنزانتي. هذه الصورة تثيرني أكثر من أي امرأة عارية.

لم أذهب إلى جنازته، على الرغم من أنني كنت سأستمتع بسماع كل تراتيل المدح التي ستُغنى على قبره، ما دام الحضور بعضًا ممن تبقوا من أتباعه.

ولأنني كتبت رسالة ثالثة بعد بضعة أسابيع، لم أضع ترويسة لها طابع ديني على رأس الرسالة، فقد كتبتها إلى عنوان مختلف وبأسلوب مختلف تمامًا. وأزعم أنها كانت أفضل الرسائل الثلاث، أو الأكثر فعالية على أي حال، لأنها كانت تحتوي على..

لا، فلنرجئها إلى المرة القادمة أيها القس. دعنا نلتزم بالقاعدة رقم 24! "الفضول هو ما يجذب انتباه القارئ".

إلى القس

أرسلت الرسالة الثالثة بإمضاء من مجهول إلى الشرطة، والشخص الذي جعلته الفاعل في مخيلتي لم يكن هو المرسل ولم يكن أبدًا ليكتب اسمه في نهاية الرسالة.

كتبتُ على لسانه: **"منذ سنوات عديدة، كنت أبحث عن القوة لكتابة تلك السطور ولكنني لم أجدها إلا الآن. والأمر ليست له علاقة بالشجاعة، لأنني لم تكن لديَّ الشجاعة قط، ولو كانت لديَّ لكنت طردتها من داخل الصبي الصغير الذي كنت عليه في ذلك الوقت الذي كان لا يزال ينحني أمام الرجل الذي أذاه وفعل به ما فعل. كان مستعدًّا للخضوع دائمًا، حتى عندما واجه نفسه ألف مرة أن الشخص الآخر كان جانيًا وليس مجرد شخص ينحني أمامه".**

هل لاحظت ذلك أيها القس؟ لقد كتبت جملًا طويلة عشوائية الترتيب. بدا لي أن شخصًا في مثل حالته كان سيكتب مثل هذه الجمل بسبب الضغط المتراكم الذي يعصف بجميع القواعد النحوية.

ربما الغضب هو الذي دفع يدي إلى الكتابة بهذه الطريقة. لكنه ليس ذلك الغضب القديم تجاه "باخوفن"، لأنه ليس سوى غضب عاجز لا يملك سوى طعنك من الداخل. لكن ما أشعر به الآن غضب جديد، يحرقني كجرح جديد ما زال مفتوحًا وقد أيقظه بداخلي مقال صحفي كُتِبَ فيه اعتراف من قِبل السلطات أنها رفضت متابعة بلاغ في قضية مشابهة لقضية اغتصاب الأطفال التي فعلها "باخوفن"، لأن هذا الفعل - مثله مثل جميع الجرائم التي يتوعدها القانون بالعقوبة نفسها – يسقط بالتقادم بعد مرور خمس سنوات من وقت وقوع الجريمة.

كتبت أنه لا يمكن أن يسير الأمر بهذه الطريقة، لا يجب أن يكون كذلك أبدًا. الألم لا يتوقف بعد خمس سنوات، بل على العكس تمامًا، إنه يزداد سوءًا، لأنه بهذا الفعل لا يُدمَّر الشباب فقط، لكن الحياة بأكملها. لم تكن لديَّ الشجاعة لتوقيع هذه الرسالة باسمي، لكن لم يكن هذا مهمًّا، ما دام شخص آخر سيفقد اسمه المعروف وهالته الزائفة. لقد نشأت في كنيسة "باخوفن" - وكانت هذه الجملة الوحيدة الحقيقية في هذه الرسالة - وكنت أكنُّ له حبًّا كمحبتي للرب أو أعدُّه كنبي. وعندما فتح سحَّاب البنطال الخاص بي أول مرة ووضع يديه على سروالي الداخلي، كان الأمر يبدو طبيعيًّا في البداية وظننت أنه طقس من الطقوس، تمامًا كمَن يدهن الجلد بالبلسم أو بعشب الناردين ذي الرائحة الزكية، في حين أنني وقتها كنت لا أدرك حتى ماذا تعني تلك الكلمات.

لكنه لم يكن يمسح على جلدي ببلسم أو بالناردين، بل بسائله المنوي. وحتى هذا لم يكن مفهومًا بالنسبة إليَّ حينها بكل تأكيد، لكنني لم أشعر بأن ثمة شيء يهددني، لأنه لم يكن يؤلمني. على الأقل في أول مرة لم يؤلمني أبدًا.

لقد هددني بأنه سيرسلني إلى الجحيم إذا تحدثت مع أحد عن هذا الأمر. لقد كتبت هذا في الرسالة أيضًا وبالطبع كان هذا يُعدُّ تهديدًا يأخذه الطفل على محمل الجد، خصوصًا أن مَن تفوه به رجل مثل "باخوفن"، رجل غرسوا بداخلنا ونحن صغار أنه هو مَن يهدينا إلى طريق الجنة. لهذا كان منطقيًّا أنه يستطيع أن يُدخلنا الجحيم أيضًا.

في وقت لاحق، تألمت بشدة عندما لم تكن أصابعه فقط هي التي اخترقتني. لكن "باخوفن" أخبرني أن الألم يشعر به فقط أولئك الذين لم يستسلموا بعد لإرادة الله. وهكذا أقنعني بأنني أنا الجاني ولستُ الضحية، وجعلني أشعر بالذنب تجاه ما حدث طوال حياتي وما زلت أشعر بالضيق، على الرغم من المدة الطويلة التي قضيتها في العلاج مع الطبيب النفسي. واصلتُ الكتابة قائلًا: **"لا تزال هناك صور لما كان يحدث، صور موجودة على الكمبيوتر الخاص بـ"باخوفن". صور مرعبة، طالما نظرت إليها مرارًا وتكرارًا، وما دامت صور الأطفال المعذبين لا تزال موجودة ولا يزال هناك صبية صغار يجبرهم على مشاهدة تلك الصور، فهذا يعني أن هذه الجريمة لم تسقط عنده بالتقادم، وأن هذا هو ما يحدث اليوم، اليوم وكل يوم".** وعليه كتبت أيضًا في الرسالة أنهم يجب عليهم التحقق من الكمبيوتر الخاص به، وإذا وجدوا ما هو مخفي هناك، سيكون دليلًا ضده، أليس كذلك؟ سيكون دليلًا ضده.

ما كتبته كان خطابًا منمقًا. لقد كنت مؤمنًا بكل حرف كتبته في هذه الرسالة. حيث لن يعترض "باخوفن" أبدًا على البحث في الكمبيوتر

الخاص به. سيقف قابضًا يديه بابتسامة تكسوها التقوى من منطلق: "أعطِ ما للقيصر للقيصر". أو من منطلق "عندما تشعر بأنك غير مذنب، فإن وجهك البريء يجعل الأمر سهلًا".

ستكون كلمة المرور للكمبيوتر الخاص به إما Halleluja "الشكر لله" أو Zebaoth "رب الجنود". سوف يراقب الضباط وهم يباشرون عملهم بتفتيش الكمبيوتر وهو يفكر في الكلمات الرقيقة التي سيرد بها على اعتذاراتهم وهم في قمة الإحراج. ثم تظهر على الشاشة كل الصور التي نزَّلها على الكمبيوتر الخاص به عندما ثبَّت ترجمات الكتاب المقدس، والتي دمجها "سيبي" بحِرفيَّة ملحوظة مع الترجمات، بحيث لم يتمكن "باخوفن" من اكتشافها عن طريق المصادفة. لكن استطاع رجال الشرطة والخبراء بكل تأكيد من الوصول إلى تلك الملفات. كانت ملفات مليئة بصور أطفال يُستغلُّون جنسيًّا بشكل مسيء من قبل بالغين، أقل ما يقال عنها إنها صور مقززة.

أيها القس، حتى إن كانت تلك الحقيقة لا تتناسب مع وجهة نظرك المتفائلة عن العالم، فإن الحقيقة هي أن هذه الصور كانت أسهل في الحصول عليها أكثر من الوصول إلى ترجمات الكتاب المقدس.

سيؤكد لهم "باخوفن" أنه لا يعرف كيف ظهرت هذه الصور على الكمبيوتر الخاص به، وأنه لم يرها من قبل، لكن ضباط الشرطة اعتادوا ادعاء البراءة ولن يصدقوا ذلك. وعلى الرغم من ذلك، ظل البلاغ الذي قدمه دون أي عواقب أو بدا كذلك، وهذا ما توقعته أيضًا. في البلدات الصغيرة، لا يحب أحد إثارة الفضائح، هذا بالإضافة إلى أن بعض الشخصيات المهمة في بلدتنا كانوا أعضاءً في الكنيسة.

بعد أسبوع – وهذا ما كنت قد خططتُ له منذ البداية – أرسلتُ نسخة من رسالتي إلى الصحيفة المحلية. بعدها سار كل شيء بمنتهى السرعة.

كان "دوستويفسكي" قد قال في "الأبله": "ولقد رأيتُ وأزعم أنني رأيتُ حصانًا هزيلًا يمتطيه الموت يتبعه الجحيم".

كانت الفضيحة مُدوية لدرجة أنها أدت إلى انقسام الطائفة. بالطبع كان لا يزال هناك مَن يؤمنون ببراءة "باخوفن"، لكن عددهم يتناقص يومًا بعد يوم. في البلدات الصغيرة، يتفق ساكنوها ضمنيًّا على دس ما لا يرغبونه تحت السجادة، لكنهم يعرفون أيضًا كيف يتهامسون ويشيعون القصص. الشائعات التي انتشرت والتي كانوا يتجادلون بشأنها على كل طاولة جعلت صور "باخوفن" أكثر فظاعة بمرور الأيام مما كانت عليه بالفعل.

فجأة أصبح الموت شبه المنسي للصبي الصغير الذي كان قد غرق في أثناء الاستحمام في النهر انتحارًا. حتى ذلك الرجل المثلي المسكين الذي ضربه أحدهم حتى الموت في فورة من الحماس الديني، قد أعادوا تفسيره أيضًا على أنه انتحار. فجأة لم يعد المثلي عاصيًا ومذنبًا بل جعلوه ضحية.

كنت أود أن أذهب إلى قداس الصلاة يوم الأحد لأحصي عدد المقاعد الخاوية داخل غرفة الصلاة، لكنني فضلت التركيز على قراءة ما أفادت به صحف برلين عن فضيحة المنطقة التي أنتمي إليها. لقد غطى خبر انتحار "باخوفن" على العديد من الأخبار المنقولة من هنا وهناك.

اليوم، صارت غرفة الصلاة متجرًا لبيع ملابس الأطفال.

أعرف أيها القس، أعرف أن الشماتة فعل شيطاني، كما قال "شوبنهاور". لكن لا تزال هذه المتعة الشيطانية متعة في حد ذاتها. كنتُ أكثر راحة ألف مرة في عالم لم يعد "باخوفن" جزءًا منه ولا توجد به

كنيسة تقدسه. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن الحكم الذي طبقه على نفسه خطأً في الواقع، ولكن كان ذا مبررات واهية. "باخوفن" لم يكن يدنس الأطفال، لكنه دمر حياتهم وفعل ذلك بكل ما أوتي من قوة. لم أشعر إطلاقًا بأي شعور بالذنب تجاه ما فعلته معه.

لو كنت أجلس الآن على كرسي الاعتراف، لاعتبرت غروري خطيئة قبيحة بسبب فخري الشديد بالرسائل التي أتقنت كتابتها بشكل مثالي لدرجة أدت إلى توافقها مع بعضها بعضًا بمنتهى التناسق حتى أدت الغرض منها.

كنت محقًّا أيها القس، لديَّ حقًّا موهبة الكتابة.

إلى القس

إليك أول تجاربي في تأليف القصص الخيالية، على الرغم من أن جميع القصص التي يعتقد المرء أنها قابعة في ذاكرته هي محض خيال أيضًا.

أتطلع إلى سماع رأيك.

تمرين للمهارة

الوحدة

كان وحيدًا في مدينة غريبة.

كل الشوارع صامتة تمامًا. لم تكن فيها سيارات، ولا طيور، ولا كلاب ولا قطط. لا كائنات حية على الإطلاق. كانت المدينة برمتها له وحده فقط.

كل البيوت كانت سليمة، إلا تجمع سكني واحد يقع عند تقاطع شارعين كان محروقًا. معظم الأبواب كانت مغلقة، ولم يكلف نفسه عناء محاولة فتحها. وجد أنه لا بدَّ أن ينام في السرير نفسه مدة أسبوع، لكن استحوذ عليه القلق مرة أخرى وقام بالبحث عن مكان آخر ليقيم فيه. لم تكن داخل المنازل أية آثار لرحيل مفاجئ. لم تكن ثمة وجبة أخيرة نصف مأكولة موجودة على الطاولة. لا خزانات ملابس أو أدراج مفتوحة. لا آثار لقرار اتخذه أحدهم على عجل بأخذ شيء من ممتلكاته. كل شيء كان مرتبًا كما لو كان السكان غير الموجودين يتوقعون زيارته واستعدوا لها. في منتهى الجاهزية، كانت الأكواب مرتبة في صف واحد والوسائد كأنها مصفوفة حديثًا على الأرائك. فقط بملاحظة طبقة الغبار التي تكسو كل شيء، يمكن للمرء أن يحسب المدة التي غاب فيها أصحاب المكان عنه.

في البداية، كان يقوم بتغيير أغطية كل سرير أراد أن ينام عليه. ويبحث في الخزانات – التي كانت غالبًا غير مرتبة بعناية كعادة المنزل الموجودة فيه – عن المفارش الكتان، تمامًا كما كان يفعل عند بحثه عن قطع الملابس التي يريد ارتداءها. في مرحلة ما، لم يعد الغبار يشكل له أي مصدر من الإزعاج. بمجرد أن تعتاد عليه العين، لن تأخذه في الاعتبار بعدها.

حتى لعبة الأفكار التي مارسها بمنتهى الشغف في الأيام القليلة الأولى لم تعد تروق له. لم يعد يحاول تخيل شكل الأشخاص الذين ربما عاشوا في هذا المنزل أو ذاك، ولم يعد يكلف نفسه عناء استخلاص استنتاجات حول السكان غير الموجودين من طريقة وضع الأثاث. نقص أو وفرة، الكثير من الكتب أو لا شيء، أسرَّة أطفال أو كراسي بمساند جانبية، كل هذا أصبح لا يهم.

قال ذات مرة: "كلهم مختلفون". كان يتحدث عادة عن أفكاره بصوت عالٍ، فقط بالمستوى الذي يستطيع به سماع صوته. ثم أخذ يكرر كلمة "مختلفون". ولأنه كان وحده في المكان ولا يوجد مَن يضحك على لعبه بالكلمات، فعلها هو وضَحِكَ على نفسه.

كانت كل البيوت متشابهة في شيء واحد فقط لم يستطع أن يعتاده؛ تلك الرائحة الكريهة التي لم يجدِ معها فتح النافذة. لم تكن رائحة عفن صريحة، وإنما شيء قريب من رائحتها. لا بدَّ أنه قد مر وقت طويل منذ أن تعفنت جميع الأطعمة بالمطبخ بعد انقطاع التيار الكهربائي عنها. في بداية الأمر، اعتقد أن هذا هو الحال في المدينة بأكملها، ولذلك كان يأخذ شمعًا وثقابًا معه في كل جولاته، بعدما فقد الأمل في العثور على كشاف بعد بحث مضني. وفي إحدى جولاته، اكتشف مصادفة أحد الأحياء الذي وجد أن كل ما فيه سليم على حالته. كان هذا الحي يبلغ طوله ستة شوارع طولًا وأربعة شوارع عرضًا. عندما حلَّ المساء، وعند التقاطع الرئيسي في هذا الحي، أضيئت جميع المصابيح، بالإضافة إلى إعلان مضيء مثبت على واجهة إحدى دور السينما مكتوب عليه "دعوة للدخول". لوحة الإعلانات عند مدخل السينما كانت عليها صورة لزوجين شابين يقبلان بعضهما. لم

يتمكن من قراءة ما كان مكتوبًا على الملصق أو حتى التفريق ما بين عنوان الفيلم واسم الممثل الرئيسي.

ربما كان مكتوبًا أيضًا كلمة "مثير" أو "مذهل"، لكنه لم يكن متأكدًا إن كان الرمز الذي قرأه على أنه أداة للخطاب كان حقًّا كذلك أم لا. لقد كانت كل الأحرف بالنسبة إليه غريبة ولا تنتمي إلى أي عائلة لغوية يعرفها.

في هذا الحي، كان يوجد متجر كبير يحوي ثلاجات ما زالت تعمل لحسن الحظ. كان عليه أن يخمن ما الذي تحويه العبوات الموجودة داخل الثلاجات، لأنه لم يتمكن من فك شفرة الحروف المكتوبة عليها. حتى الرسومات الموجودة عليها لم تكن واضحة بالشكل الكافي. مرة واحدة فقط، تمكن من تعرف أصابع السمك نصف المقلي ثم اكتشف بعدها أنها معجون بقوليات مغطى بالبقسماط المطحون. حتى البهارات الحارة التي حرقت لسانه لم يكن مكتوبًا عليها أي اسم. أطلق على مجموعة الشوارع هذه اسم "الجزيرة"، وأرغم نفسه على قمع أي رغبات داخلية لنقل إقامته هناك كليًّا. فقد كان مقتنعًا أنه آجلًا أم عاجلًا سوف ينقطع التيار الكهربائي عن هذه المنطقة أيضًا، وبذلك سيكون قد أنقذ نفسه سالفًا من خيبة أمل حتمية لا مفر منها. لكن في الأيام الباردة، عندما تشتهي نفسه وجبة طعام ساخنة، كان يذهب إلى هناك، حيث المواقد لا تزال تعمل ويستطيع حينها أن يقول إن الخضار المطبوخ المجمد طازج وكأنه حُصِدَ الآن. وخلاف ذلك، كان يأكل من الطعام المعلب الذي وجده في بعض المنازل أو على أرفف بعض المتاجر. حاول مرتين أن يخبز خبزًا، لكن لم ينتج عن تلك المحاولات سوى خليط من ماء وبقايا خبز، وباءت محاولاته بالفشل.

في أحد منازل "الجزيرة"، سمع أول مرة اللغة التي كانوا يتحدثونها في هذه المدينة. سمعها لغة منطوقة. كان قد رأى بالفعل أجهزة مشابهة في العديد من المنازل التي دخلها قبل ذلك، لكن هنا فقط بإمكانه أن يجربها نظرًا إلى وجود التيار الكهربائي. تخمينه عن الجهاز كان ينحصر في كونه أحد أجهزة تشغيل الأقراص المدمجة، الفرق الوحيد أن ما عليه لم تكن الأسطوانات الفضية اللامعة، وإنما كرات صغيرة مصنوعة من الكريستال، والتي عند تعريضها للضوء يصبح الترقيم المكتوب عليها واضحًا، مكونًا من حروف غير مألوفة دالة على المحتوى الموجود بداخلها، وقد كان يراها في كل مكان أينما ذهب. في الواقع، كان سبب ذهابه إلى هناك هو تسخين عبوة الحساء المعلبة، لكنه تركها تبرد مرة أخرى، لأن الكرات الكريستالية جذبت انتباهه أكثر. على أحد الأرفف، اكتشف ما لا يقل عن خمس قطع منها مجتمعين معًا في شريط بلاستيكي كتميمة ثمينة.

تصميم التميمة والسهم الذي يشير إلى مكان الفتح دائري الشكل أوضحا كيف يعمل هذا الجهاز. كان الأمر لا يحتاج إلى أن تمتلك عبقرية تقنية لتستطيع تشغيل هذا الجهاز.

في أول مرة، لم يخرج من الكرة الكريستالية سوى صوت موسيقى ذي صدى غير مألوف، له نغمات منسابة داخل بعضها بعضًا كانسياب الألوان المائية في لوحة. ثم حدث الشيء نفسه أيضًا عند فتح الكرة التي تلتها وما بعدها ولم يسمع سوى موسيقى.

من المستحيل أنها قد عُزفت بآلة موسيقية واحدة وإنما بأكثر من آلة موسيقية، ولم يصعب على أذنه غير الموسيقية أن تميز أن كل آلة تتبع نوتة موسيقية لنغمات مختلفة. لم يكن أبدًا متذوقًا للموسيقى وكان

يفضل دائمًا الألحان التي يسهل أن يساير نغماتها أو التي يستطيع أن ينقر بقدمه على وقع لحنها. لذلك كان ينتقل من سماع كل كرة إلى التي تليها بمنتهى السرعة.

إلى أن سمع فجأة صوت رجل يدندن اللحن بدلًا من صوت "موسيقى القطط" كما كان يطلق عليها، على الرغم من أنه منذ أن وصل لم يرَ أي قطة في تلك المدينة. كان صوته سمحًا هادئًا ومن المحتمل أنه كان يقرأ على أحدٍ من كتاب.

كان وقع اللغة التي يقرؤها هذا الرجل غريبة على مسامعه، لكنها لم تكن بالدرجة نفسها لغرابة اللغة الصينية أو اللغة العربية مثلًا. لكن إذا ركزت في أثناء سماعك إياها، ستكتشف أنها يمكن أن تكون اللغة الألمانية أو الإنجليزية، إذ إن اللحن اللغوي الذي يقرأ به هذا الرجل يعطيك انطباعًا أنك لا بدَّ أنك تفهم كل ما قيل. أحيانًا كانت تتكرر بعض الأصوات، خصوصًا الصوتين "هان" و"هاو"، وهذا ما جعله يعتقد أنهما يمكن أن يكونا مرادفين لحرف العطف "و".

وكما يفعل أي شخص عند سماع لغة أجنبية لا يعرفها، كان ينتظر أن يسمع كلمة من الكلمات المتشابهات في لغات كثيرة على مستوى العالم مثل كلمة "تليفون" أو "إنترنت" مثلًا، وهو ما لم يحدث. والسبب في ذلك إما أنه لم يرد في سياق ما مثل إحدى هذه الكلمات وإما أن تلك الكلمات لها مصطلحات أخرى خاصة بهذه اللغة. والأقرب أن لديهم لهذه الكلمات مصطلحات خاصة بهم.

بمجرد أن سمع هذا الصوت، لاحظ إلى أي درجة كان يفتقد الكلام وأكثر من مجرد الكلام، بل كان يفتقد الاستماع، على الرغم من أنه كان يرى نفسه

دائمًا محبًّا للانعزال وشخصًا لا يحتاج إلى صحبة البشر. بعدها، غادر المنزل دون أن يشرب الحساء الذي جاء من أجله وظن أنه سيظل يسمع صوت الرجل في أذنيه حتى بعد أن يبعد عن المنزل بشارعين كاملين.

في الأيام التالية، أصبح لا يتجول في شوارع المدينة بلا هدف، وإنما بالترتيب شارع تلو الآخر وفقًا لخطة وضعها.

كانت هناك أحياء تتباعد منازلها عن بعضها بعضًا، موجودة خلف سياج سليمة ممدودة لمسافات طويلة. وعلى الرغم من أن العشب الضار كان يغطي كل شيء، فإن مَن يرى يستطيع أن يعرف من أول وهلة إلى أي درجة كان يُعتنى بأحواض الزهور هنا سابقًا. أمام الكثير من أبواب حدائق البيوت، كانت هناك صورة لكلب حراسة، لكنه لم يسمع أي نباح يشعره بالتهديد عند دخوله. تصادف في إحدى الفيلات التي دخلها أن وجد مكتبة كبيرة جعلته يقضي اليوم كاملًا في بحث بلا جدوى عن قاموس. في بعض الأحياء الأخرى، كان بناء المنازل أمام بعضها بعضًا يتسبب في حجب الضوء عنها، وهذا ما جعل منها أبراجًا متراصة بشكل غير محبب للنفس. لكن أكثر ما لفت نظره أن كل باب هنا - حيث يوجد القليل مما يمكن سرقته - كان مؤمنًا بأكثر من قفل. أيًا كان نوع البشر الذين كانوا يعيشون في هذه المدينة، يجب القول إن أشياءهم التي كانوا يمتلكونها كانت متباينة لدرجة لافتة.

عندما اتبع مسار القضبان الموجود في منتصف خط السكة الحديدية - وقد تنامى داخله شعور أن هذا المكان مألوف بالنسبة إليه - وجد نفسه مرة أخرى أمام ترام. كانت أبوابه مفتوحة، وكأن الركاب قد غادروه للتو

ثم تبعهم السائق وغادره هو الآخر. الحال نفسه كان بالنسبة إلى القطارات داخل المحطة، كانت تحمل ملامح المغادرة أو أنها على استعداد لاستقبال ركاب جدد؛ كلٌّ على حسب وجهة نظر مَن يراها. في البداية، لم يعرف أن هذا المبنى هو محطة القطار، إذ اعتقد أنه قد يكون متحفًا أو مسرحًا بسبب القبة والتماثيل الذهبية الموجودة على بوابته.

سار في الشوارع، شارع تلو الآخر متبعًا الأمل الذي نما داخله من جديد في أن يلقى شخصًا آخر داخل هذه المدينة. فالواجبات التي ألزم نفسه بها أعطت ساعات يومه الفارغة شكل جدول ليسير عليه.

في إحدى المرات، مرَّ من أمام أحد المحلات الذي كان معروضًا فيه صور لكلاب بعد قص شعرهم. عندئذ بدأ في البكاء، إذ إنه لم يكن أبدًا محبًّا للحيوانات. وفي مرة أخرى، وقف طويلًا أمام محل لبيع الأسلحة. كان المدخل مبلطًا ببلاط من النوع القديم، وهذا ما جعل الطريق ممهدًا أمام واجهة العرض. ثم أكمل طريقه مع تركيزه في حفظ الطريق لهذا المحل في ذاكرته، لأنه إذا قرر فجأة أن يكف عن إكمال المسير والرجوع إلى حيث أتى، سيكون من المفيد جدًّا أن يكون في ذهنه عنوان محدد.

كان الطقس الذي ظل حتى ذلك الحين لطيفًا قد بدأ في التغير، كما لو كان العام قد قرر فجأة أن يتخلص بأسرع وقت ممكن من فصل الصيف غير المحبب إلى قلبه، وبدأت الرياح تعصف بأوراق الشجر بشدة.

في بعض الشوارع، كانت عجلات السيارات المركونة قد دُفنت تحتها. في تلك اللحظة، قرر العودة لـ"الجزيرة"، لأن هناك سيكون من السهل التغلب على الطقس السيئ أكثر من هنا، بشرط أن يكون التيار الكهربائي هناك لا يزال يعمل.

كان لا يزال على بعد عدة شوارع من وجهته، عندما اشتدت الرياح وتحولت إلى عاصفة، لدرجة أنه كان عليه أن يحمي نفسه في أحد مداخل المنازل خشية أن تُبتر ساقاه. كان من المنطقي أن يبحث عن مأوى في أحد المنازل. لكن منطقي بالنسبة إلى من؟

وعندما حوَّل مساره جهة اليسار، أصبحت العاصفة فجأة في خلف ظهره، وكانت الرياح تدفعه إلى الأمام بشدة وكأنه يخوض سباقًا مع قطرات المطر التي بدت أنها تنزلق أفقيًا من سماء مائلة. ومرة واحدة، وفي توقيت مبكر جدًّا، اعتقد أنه يرى من بعيد أضواء "منطقته" التي أتى منها، كبحار يتابع سرابًا وهو ينظر إلى أعالي البحار في أثناء العاصفة على أمل أن يرى بر الأمان في أي ضوء يجلبه الطقس. أكمل طريقه عبر منتزه والذي لم يكن ليُسمى منتزهًا لولا عدة أشجار اقتلعتها العاصفة كانت ملقاة على جانبي الطريق. كافح في سيره بمحاذاة واجهات المنازل التي مر بجوارها، وهو ما كان خطرًا من الممكن أن يختفي بمنتهى السهولة لو ظهر باب غير موصد واستطاع دخول أحد تلك البنايات.

تدريجيًّا، بدأت الرياح تهدأ. تُرى ماذا تُسمى "عاصفة" بلغة هذه المدينة؟ وإذا كان هناك العديد من الكلمات الدالة عليها، فهذا يشير إلى أن مثل هذه الظواهر الجوية المفاجئة لم تكن شائعة هنا.

استدار نحو آخر زاوية طريق سوف يمر عليها ورأى الضوء الأصفر للمصابيح الموجودة في الشوارع. كانت لا تزال مضاءة فعليًّا، مثل انعكاس ضوء القمر المكتمل في السماء، حيث مزقت الرياح الغيوم الكثيفة.

وفي تلك اللحظة، سمع صوتًا.

بدا ما سمعه وكأنه هلوسة سمعية لبحَّار تائه. ولكن الصوت لم يسكت، بل أصبح مسموعًا أكثر فأكثر كلما اقترب من الشارع المضاء بالمصابيح. صوت نسائي. صوت شاب. لكن مع هذه اللغة الأجنبية يصعُب حسم ذلك، ولكن يبدو أنها كانت تتحدث إلى حيوان أليف. ربما كان بلهجة ذات نغمة نوعًا ما. لكن لم يكن هناك أي حيوان أليف في المكان. وبالتأكيد لم يكن هناك أي شخص أيضًا. بدأ يسرع في خطوته ثم ركض. بدأ ينادي ثم صرخ. ثم رأى شيئًا من الممكن أن يكون فستانًا أبيض.

بعد ذلك، مثل ملاكم مهزوم أبى أن يعترف بهزيمته، اشتدت العاصفة إلى عاصفة أخيرة وأكبر. ثم انطفأت أضواء الشوارع.

خيم الظلام كليًّا. لكن الغيوم الخفيفة سريعة الحركة لم تستطع أن تغطي القمر بالكامل. ثم توقف الصوت تمامًا. ربما لم يكن هناك أي شخص من الأساس. ربما كان هذا الصوت هو تردد صادر من أحد الأجهزة التي شاهدها من قبل، وربما كان أحد المسلسلات الإذاعية المسجلة على إحدى الكرات الكريستالية التي ما زالت تعمل، والآن صمت الجهاز مرة أخرى عندما انقطع التيار الكهربي عنه. لم تكن لديه أي خبرة بالأمور التقنية، لكن في أثناء تلك العاصفة، خُيِّل إليه أنه يستطيع.

لم يكن ما سمعه مسلسلًا إذاعيًا.

لقد كانت شجرة، خلخلها عصف الرياح من قبل بالفعل، ثم اقتلعتها العاصفة الأخيرة. وقد أدى سقوطها إلى انقطاع خط الكهرباء.

كانت هناك سيدة شابة كانت قد اختبأت في أحد المداخل لتحتمي من العاصفة، فأصابها أحد كابلات الكهرباء عندما سقطت الشجرة، مما أدى

إلى أن يكشف فستانها الأبيض عن ساقيها وكان الحرق واضحًا على فخذها، من حيث لامسه كابل الكهرباء.

لم تكن تلك السيدة الشابة تتحدث مع كلبها كما اعتقد، بل كان ما سمعه من أصوات غنائية من المفترض أنه لتهدئة طفل كان يصرخ في عربة الأطفال الخاصة به، والذي كان مفزوعًا من العاصفة أكثر من فزعه من موت أمه. بدا له من الوهلة الأولى أن الطفل فتاة، وهذا ما كان سببًا في ابتسامه في الأيام التالية عندما استعاد المشهد في ذاكرته مرارًا وتكرارًا بعد ذلك.

حاول تهدئة الطفل، ومن دون قصد، بدأ يهدهد الطفل بلحن غنائي كما كانت تفعل تلك السيدة التي سمعها. بدأ في هز عربة الطفل التي كانت لها عجلات صغيرة بشكل عجيب، وأرجحها يمينًا ويسارًا. وعندما توقف الطفل عن البكاء ابتسم له، وهذا ما جعله يشعر حينها أنه أنجز عملًا عظيمًا.

وكما لو كان صراخ الطفل قد غطى على جميع الروائح التي كانت تفوح في المكان، لم يدرك رائحة اللحم المحترق الذي يفوح من احتراق السيدة إلا عندما صمت الطفل. أحس بالخجل من نفسه لما شعر به من إحساس بالإثارة تجاه السيدة الملقاة أمامه، لأن فستانها المرفوع لم يكشف عن فخذها فقط. حاول أن يشد طرف فستانها الأبيض نحو الأسفل، لأنه لم يستطع أن يساعدها بأكثر من ذلك ولم يتمكن من رفعها خارج المكان الذي سقطت فيه. ثم فكر بخصوصها أنه لا بدَّ أن يحاول غدًا الحصول على مجرفة وبعد انتهاء المطر ستكون التربة رطبة بما فيه الكفاية داخل المنتزه الصغير لحفر قبر لها.

لكنه لم ينفذ هذا القرار، وتجنب الذهاب إلى هناك مرة أخرى. فبعد أن تحطم خط الكهرباء، لم يكن هناك داعٍ للذهاب إلى هناك مرة أخرى. ستكون رائحة التعفن التي تفوح من المجمدات الذائبة بعد انقطاع التيار لا تطاق، ناهيك برائحة التعفن الأخرى المنبعثة من تحلل الجثة والتي ستكون أقوى بكل تأكيد.

بدأ الطفل في البكاء مرة أخرى، لكن ليس بسبب الخوف هذه المرة ولكن بكل بساطة كان بكاء غضب. كان يعتقد أنه جائع لا أكثر.

۞۞۞

في تلك اللحظة، تذكر المنزل الذي كان قد لاحظ فيه أنه يخص عائلة لديها الكثير من الأطفال بسبب وجود ألعاب أطفال لأعمار مختلفة. في هذا المنزل، كانت هناك أسرَّة للأطفال وطاولة لتغيير الحفاضات ورف كامل عليه الكثير من طعام الأطفال داخل المطبخ. حين دخل هذا المنزل، أحس أنه لا يريد قضاء ليلته داخله، لأنه شعر أنه في مكان لا يناسبه على الإطلاق. أما الآن فقد تغير الوضع.

أول شيء فعله كان تنظيف كل شيء بعناية بالغة، ليس فقط لأنه كان يعرف جيدًا أن الغبار مضر للأطفال في هذه السن، ولكن كان هناك سبب آخر وهو أنه سيقيم هناك.

لحسن الحظ، كان المنزل في الطابق الأول. هذا الطفل كان وزنه أثقل مما كان يعتقد. ربما كان يبلغ من العمر نحو عشرة شهور. من الآن فصاعدًا سيحسب الأيام.

عندما حاول أول محاولة فاشلة لتغيير حفاضة الطفل تبين له أنه صبي. تعجب بشدة من هذا التكوين الذي رآه، لأنه عندما أخرج الصبي

من حفاضته، شعر وكأنه يساعد حشرة على الخروج من شرنقتها. على كل حال، ضحك كثيرًا في أثناء فعله هذا، وهو ما لم يفعله منذ فترة طويلة. لقد فعل ذلك من دون سبب؛ فعله فقط لأن شعوره الداخلي أخبره أن عليه أن يُضحك هذا الطفل الصغير، ولأنه شعر أنه أصبح أخف مما كان عليه عندما كان بمفرده. بل كان أكثر سعادة. تجنب استخدام كلمة "سعيد" في أفكاره، لأنه شعر وكأن القدر يتحداه.

لم يكن أبًا في يوم ما، ولم تكن لديه سوى فكرة غامضة عن احتياجات هذا الطفل الصغير. لكنه كان قادرًا على التعلم ولا يبدو أنه يرتكب أي أخطاء فادحة. عندما كان يدفع عربة الأطفال عبر الممرات الفارغة في السوبر ماركت، لم يكن يخزن الحفاضات الجاهزة فحسب، بل كان يحمل معه دائمًا علبة من علب طعام الأطفال التي أتى بها معه من المطبخ ليقارن الملصق الموجود عليها بما كان موجودًا على الأرفف. ينبغي ألا يعرض الطفل للمفاجأة غير السارة نفسها التي عانى منها سابقًا وهو يطعمه معجون الفول، لأنه - مهما كان يتحرى الدقة في أثناء إطعامه، كان وجه الطفل الصغير الجميل يبقى دائمًا ملطخًا بالطعام بعدما ينتهي من مهمته - وكان يتذوق دائما القليل منه أولًا لمعرفة ماهية الطعام الذي يطعمه لهذا الصغير. لكنه نادرًا ما وجد إجابة واضحة لهذا السؤال. قد يكون ذلك بسبب الطريقة التي حُضِّر بها، أو ربما كان طعامًا مجهزًا من فواكه وخضروات معروفة في هذه المدينة فقط ولم يكن هو على دراية بها.

كان من السهل الحصول على مسحوق أشبه بمسحوق الحليب لصناعة شيء يشبه الحليب، فالرسوم التوضيحية على العبوة كانت سهلة الفهم، ووصفة التحضير الصحيح بالخطوات كانت مرفقة بالصور. ولأن الموقد

لم يكن يعمل، بنى شيئًا أشبه بالموقد على الشرفة، والذي كان يجمع من أجله فروع وأوراق الأشجار كل يوم. وعليه كان يقوم بتسخين الماء الذي ينظف به الطفل.

كان يناديه بكلمة "الطفل" ولم يطلق عليه أي اسم، ليس احترامًا لوالدته المتوفاة، وإنما لأنه كان يأمل أنه، بسبب تكراره لاسم "الطفل"، سيتعلم هذه الكلمة وينطقها في يوم من الأيام. لقد أصبح هذا مشروعه الكبير، تعليم هذا الطفل اللغة التي يتحدثها حتى يتمكن لاحقًا من التحدث مع شخص آخر بلغته نفسها. وعليه، استمر في التحدث إلى الطفل بلغته نفسها وأعطى كل شيء اسمه الذي يعرفه: "هذه طاولة وهذا كرسي وهذه نافذة". لقد وجد كتابًا مصورًا تحت ألعاب الأطفال في المنزل، وبعد بعض التردد لعدم وجود حيوانات في هذه المدينة، بدأ يعلم الطفل أشكال الحيوانات عن طريق الصور: "هذه بقرة وهذا دب وهذا أسد"، بالإضافة إلى غناء بعض الأغاني التي اخترعها بنفسه. كانت أسعد اللحظات عنده عندما كان الطفل يبتسم عند سماعه للغناء ثم يحرك رجليه بسعادة. أعلى فخذ الطفل بالقرب من مؤخرته، كانت توجد ثنيات متكتلة وهو ما كان يراه إحدى علامات الصحة الجيدة للطفل.

في إحدى المرات، أُصيب الطفل بحمى شديدة، لكنه لم يجد مقياس حرارة آنذاك، أو بالأحرى لم يتمكن من تعرفه. لقد كانت الصيدليات مليئة بالأدوية ولم يتمكن من قراءة ما كان مكتوبًا عليها. عالج الطفل فقط بالكمادات الباردة وظل يتابعه بضعة أيام؛ وذلك باستشعار حرارة الطفل بيديه على جبهة الطفل حتى أحس أنها عادت طبيعية كما كانت.

كان يلعب معه بعض الألعاب البسيطة؛ كأن يختبئ وراء قطعة من القماش ثم يظهر ثانية بسرعة. كان يفعل ذلك من أجل إسعاد الطفل، هكذا قال لنفسه، ومع ذلك كان يعرف أنها كانت مجرد كذبة، لأن سعادته كان مصدرها هو تأكده المستمر من وجود شخص يفرح قلبه لمجرد رؤيته.

كانت اللعبة المفضلة للطفل هي سيارة ملونة، تصدر صخبًا عاليًا بمجرد الضغط عليها. وكانت هناك دمية تنطق جملًا كاملة، آثر إخفاءها لأنه لم يرد أن يتعلم الطفل اللغة الخاطئة.

كان يشعر بسعادة بالغة في أثناء لعب الطفل، لأن لعبه علامة على إما أنه على ما يرام وإما أنه يشعر بالتعب. كان في المنزل عدة أسرَّة، من بينها سرير مناسب تمامًا لحجم الطفل، لكنه فضل أن ينام الطفل بجواره في السرير الكبير، لأنه كان يحب سماع تتابع أنفاسه المنتظمة. وكان إذا حلم الطفل بشيء سيئ، كان يستيقظ قبل استيقاظ الطفل ليأخذه بين ذراعيه ويعيده إلى أفكار أكثر جمالًا.

في البداية، استطاع الطفل الزحف قليلًا. ثم في مرحلة ما بعدها – لأنه لم يكن متوقعًا متى من المفترض أن يحدث ذلك – استطاع أن يقف مهزوزًا على أرجله السمينة وبدا له من الممتع أن يسقط مرة أخرى على وسادة تغيير الحفاضات. بدأ الأمر بالخطوة الأولى، ثم الخطوات الأولى، ثم بجبينه الذي سال منه الدم بعد أن اصطدم بحافة الكرسي في أثناء سقوطه.

مائة يوم. مائتي يوم. ثلاثمائة يوم.

ثم، الكلمات الأولى.

لقد تخيل تلك اللحظة مرارًا. تطلع بفرحة إلى شيء كان يعرف أنه سيحدث يومًا ما. تطلع إلى السعادة التي سيشعر بها في عيد ميلاده، لا

يعرف صاحب العيد ماهية الهدايا التي سيحصل عليها، لكنه دائمًا ما يكون واثقًا من حقيقة أنه سيحصل عليها.

لم ينطق الطفل كلمة "بابا" أو كلمة "طفل"، لم ينطق أيضًا كلمة "طاولة" ولا "نافذة" ولا حتى "سيارة". وتحدث – بكل فخر عن طريق قدراته المكتشفة حديثًا – اللغة التي كانت تصدر آنذاك من الجهاز الموجود في المنزل. هذه اللغة لم يكن بها أي كلمة مفهومة غير أصوات مثل "هان" أو "هاو" والتي كان من المحتمل أن يكون معناها حرف العطف "و".

ذهب إلى الشرفة وأشعل النار وغلى قدرًا من الماء. لم يكن في كل المنزل سوى خمس زجاجات مياه، ملأها جميعًا باللبن المخلوط. سكب محتويات جميع أوعية العصيدة في وعاء كبير. ثم خلط جميع الأنواع مع بعضها بعضًا. كان يومًا دافئًا. خلع عن الطفل سرواله وحفاضته ووضعه عاريًا على السجادة. وضع بجواره السيارة اللعبة ذات السارينة ووضع زجاجة الرضاعة ووعاء العصيدة في متناول يده، ثم ذهب.

سار عبر المدينة الخاوية من البشر، على طول خط الترام. مرَّ من أمام الواجهة الزجاجية لمتجر الأسلحة، ثم عبر بوابة محطة القطار ذات التماثيل المطلية بالذهب. اختار رصيفًا بشكل عشوائي وسار بمحاذة القطار المنتظر على الرصيف حتى وصل إلى القاطرة. ثم نزل على القضبان وبدأ في المسير. سار على مسار القضبان نفسه، إلى خارج المدينة، إلى مكان ما.

يوميات

عندما أعجز عن تدوين ما حدث، أنفجر.

أولًا: القس ما هو إلا شخص أحمق.

لا، هذا ثانيًا. ثالثًا: أحمق مائة مرة.

أما أولًا: أنا أحمق. لقد قلت لنفسي: "افعل له معروفًا. كن له شخصًا مفيدًا. لا تبدِ الفضول وافعل ما يُطلب منك؛ استلم الكتاب، ثم مرر الكتاب". كل ما كان يجول في خاطري أن ما يحدث من وراء الستار ليس من شأني.

إذًا ما كان يحتويه الكتاب كان مخدرات.. بالتأكيد كانت مخدرات.

إذا كان المحتوى مخدرات، فلا بدَّ أن يكون الأمر سيان بالنسبة إليَّ، هذا ما قلته لنفسي. لا شأن لساعي البريد بما هو موجود في الطرود التي يوصلها. سواء كان ما يحتويه الطرد أحد منتجات "زالاندو" للملابس أو كان من المافيا فهذه ليست مشكلتي.

أو هكذا اعتقدت، كنتُ مجرد أحمق.

عندما جلس "المحامي" بجواري مرة أخرى، لم أنظر إليه. سيطرتي على الكتمان كان بمهارة الآخرين نفسها في العزف على البيانو. لم ألحظ وقوف الرجل ذا العضلات خلفي، على الرغم من أن رائحة عرقه كانت تملأ المكان. استخدمت الشوكة لجمع المكرونة المبعثرة فوق الطبق تمهيدًا لصب شلال من الصلصة المتبلة فوقها. إذا ما حدثت حركة تمرد في هذا المكان، فسوف يطلقون عليه "تمرد صلصة ماجي".

لم يكن "المحامي" يعاني تلك المشكلة، فهو عادة ما يترك طعامه على حاله دون أن يلمسه. سيضطرون للعناية بالغسيل اليوم أكثر نظرًا إلى ما حدث لمفرش الطاولة. قال:

- لم تعد أعمال "جريميلزهاوزن" مثيرة للاهتمام بالنسبة إليَّ. ولكنني أصبحت أكثر اهتمامًا بالحيوانات. إن سلسلة كتب "حياة الحيوان لـ"برّم" سيكون اختيارًا رائعًا بالنسبة إليَّ. أيًّا كان المجلد، سيكون سيَّين عندي. هل يمكنك تدبير أحد هذه المجلدات لي؟

أجبته دون أن أدير رأسي تجاهه:

- أنا لا أخاف من الحيوانات بتاتًا.

لم يضحك على ردي. أعتقد أنه لم يكن يستطيع فعل ذلك من الأساس. لكنه ربت على كتفي ثم قال:

- يعجبني جدًّا أن ألتقي بمَن لديهم حس الفكاهة. وإذا ما استطعت أن أفعل لأجلك شيئًا ما مرة أخرى..

لم أطلب أي شيء في المقابل، وكان ذلك خطأً فادحًا. أعتقد أنك تفكر أيها القس في مسألة أن "المحامي" يحصل على ربحه بطرق أخرى. في أول مرة، كنت قد أبديتُ رغبتي في الإقامة في زنزانة منفردة، لأنه سيكون أكثر راحة بالنسبة إليَّ. لقد أتى إبداء رغبتي بثماره بالفعل. كان لا بدَّ أن يكون شيء مقابل شيء. إنهم رجال أعمال وهكذا تسير الأمور في عالمهم.

إنهم رجال الأعمال المشبوهة الذين إذا ما أرادوا خداعك، فسوف يجدون الطريق إلى ذلك. حتى إن كان كل ما يريدونه من وراء ذلك هو مجرد خداعك فقط لا غير.

بطاقة فهرسة كتاب

"برم، ألفريد إيدموند".

"حياة الحيوان" لـ"برم".

المجلد الثالث: الحيوانات المفترسة من فصيلة القطط.

وصلتُ إلى زنزانتي بعد الظهر، وفي المساء، أحضروا لي بطاقة فهرسة تحتوي على هذه المعلومات.

يوميات

لستُ متأكدًا تمامًا. ربما ما حدث كان مجرد مصادفة.

لكنهم اعتمدوا عليَّ لإنهاء هذه المهمة.

بعدها وصل كتاب "برم" المقصود. كان موضوعًا في الجزء الأسفل من صندوق مصنوع من الورق المقوى يحتوي على كتب قديمة. أخذتُ الكتاب معي إلى الزنزانة. وفي المساء، أتى الأشخاص نفسهم الذين جاؤوا في أول مرة وأخذوه مني. كانا اثنين؛ أحدهما تسلم الكتاب مني والآخر كان في رفقته. كان هذان السجينان من الفئة "ب"، وهذا يعني أنهما من المسموح لهما التحرك داخل السجن خارج المواعيد المحددة لذلك، حيث أرادت إدارة السجن أن تبرهن على مرونتها في تنفيذ شروط العقوبات. يُخيل لمن يراهما من بعيد أنهما لا بدَّ أن يكونا قراءً شغوفين وأن عضلات أذرعهم الموشومة قد نمت بسبب قراءاتهم المستفيضة.

إذا كان لديَّ شيء لأقوله في هذا السياق، كنت سأغير فئة كل من اشترك في هذه المهمة من الفئة "ج" إلى الفئة "ي" عند تنفيذ العقوبة، حيث يبقى

السجين مكبلًا بالأصفاد في يديه ورجليه على مدار الساعة، في حين يجعلون غرفة الأوزان تحت أمرهم. لا يسمحون لنا أن نحتفظ بمقص أظافر، لأن المقص يمكن أن يكون سلاحًا، لكن أن تجعل من جسدك سلاحًا فهذا مسموح به. هذا بالإضافة للسماح لهم بالتجول بمسدس مليء بالطلقات داخل السجن.

وهكذا تسلَّم مني هذان الاثنان الكتاب وفقًا للترتيب الذي وضعته، لكن كان هناك شيء مفقود في المحتوى. ربما هذا الثور الذي جعلوه يدرس الكيمياء لم يكن مربوط الفم، سيكون لذلك عواقب وخيمة لن يتحمل أحد عواقبها في المستقبل سواي. وإذا اعتقدوا أنني من الممكن إفشاء السر في المستقبل، فبالتأكيد هم يفكرون في ذلك الآن أيضًا.

لا أريد حتى أن أفكر في هذا الأمر.

أعتقد أن أحدهما هو المتهم، والثاني هو مَن فجَّره. لا بدَّ أن هذا ما حدث، وإلا كان التفجير سيطال الاثنين.

مجرد حادث. كلمة "حادث"، يا لها من كلمة جميلة! كلمة تحوي ضمنيًا العديد من الأشياء المتباينة. لأن حدوث الشيء معناه نفي بقائه في حالة ثبات، مثلما يعتبر "التململ" انتفاءً "للراحة" ومثلما ينفي "الظلم" وجود "العدل". ربما كان هذا الحادث "فعلًا سيئًا"، تمامًا كما أن "عدم فعل الفعل" على الإطلاق فعل سيئ أيضًا. أعتقد أن كليهما صحيح.

في السجن، غالبًا ما تكون الشائعات موثوقًا في مصداقيتها. وتقول الشائعات إن مكتب التحريات قد فحص الأنقاض ولم يجدوا أي دليل. مَن حضَّر ما حدث بتلك المهارة استطاع أن يطمس ملامحه لدرجة أنه لم يعد له أثر.

كان موتًا يليق بلاعب كمال أجسام. لقد انهار رف أثقال التدريب الحديدية فوقه حتى غطت أوزان التمرين جسده بالكامل.

أَعدُّ نفسي دودة كتب ولا يوجد في غرفة المران ما يثير اهتمامي. من وجهة نظري، كانوا لا بدَّ أن يفكروا في حادث آخر للتخلص منه. في حالة إذا ما اشتبهوا بي، لا بدَّ أنهم سوف يفكرون في طريقة أخرى. أنا متأكد أنهم سوف يفكرون في طريقة أخرى للتخلص مني.

في المرة القادمة، عندما أجلس مع "المحامي"، لن أتفوه بكلمة. سأقدم اعتذاري له أن تلعثمي اليوم في أسوأ حالته ولذا سأكتفي بإيماءة من رأسي وسأقول نعم وآمين.

آمين.

بمنتهى الصراحة، إذا لم يكن ما أكتبه الآن هو يومياتي وكان نصًّا أدبيًّا، كنت سأشطب هذا المقطع.

أخاف من "المحامي"، لكن القس هو مَن يغضبني. لم يكن لزامًا عليه أن يمدحني، لم يطلب منه أحد ذلك. والأمر ليست له علاقة بعدم احتمالي للنقد. لكن رد فعله كان وقحًا بكل تأكيد؛ حين كتب "طريقة وصفك الرمزية لوضعك الخاص؛ حين وصفت وضع وحدتك كسجين، كان وصفًا شيقًا للغاية". وضعي؟ ما قرأه كان مجرد قصة. عليك اللعنة مرة أخرى أيها القس. هكذا الأدب أيها القس؛ مجرد خيال، شيء يمكن أن تلتقطه من الهواء. لكن القس لم يكن في يديه فعل شيء آخر سوى أن يراني فيما يقرؤه، أو بالأحرى أن يستخلص قصة حياتي مما يقرأ.

"لقد عرفتك على الفور سيد شكسبير، إن هاملت ولير وبتروشكيو وإياجو كلهم أنت. أليس كذلك؟" لا، أيها القس! لست أنا مَن أكتب ولا أكتب مَن أنا. أنا أبتكر ما أكتب.

حتى لو كان ما حدث شيئًا آخر، حتى لو كان ما وضعته على الورق هو أنا فعلًا، كيف يمكن لهذا السجان الدائم أن يلاحظ ذلك؟ وهو لا يعرفني من الأساس. هو يعرف عني فقط ما حكيته له. لقد صنع عني صورة فقط من النصوص التي كتبتها له، ثم بدأ بالخلط بيني وبين الصورة التي اختلقها. سأفترض أنني غبي بما فيه الكفاية لأحكي له كل الحقائق عني، أن أخبره اعترافًا عني في كل حكاية وهذا المصطلح ملائم لشخصيته كثيرًا.

إنه يَعدُّ نفسه طبيبًا نفسانيًّا. ويبالغ في تقدير ذاته لدرجة تجعله يعتقد أن باستطاعته سبر أغوار نفوس البشر من حوله، كطبيب يرفع صورة أشعة سينية قائلًا: "ما هذه البقعة التي تظهر في صورة أشعتك السينية؟ هل هذه روح؟" يعتقد أن بإمكانه ذلك لمجرد أن روى الناس له بعض الحكايات. وعليه فإن ما يحدث هو العكس، يحكي له الناس الحكايات فقط لأنه يَعدُّ نفسه طبيبًا نفسانيًّا. أي أنهم يسدون له جميلًا. الشخص الوحيد الذي يعرف عنه كل شيء وسيظل يعرف عنه كل شيء هو شخصه هو فقط لا غير. كما في النكتة القديمة من "اختبار رورشاخ":

"ومَن الذي رسم كل هذه الفوضى يا أستاذ؟"

۞۞۞

لكم كنت أود أن أضع لافتة فوق رأسه، تحمل جملة "شوبنهاور" الشهيرة: "قليل من الناس مَن يميلون إلى التفكير، على الرغم من أن

الجميع على حق". لكن هذه الجملة تكون عائدة أيضًا على الجميع وليس على نفسه فقط. لقد رسم صورة جميلة لنفسه، وبدلًا من أن يعلق مرآة في مكتبه ليرى فيها نفسه، يقف أمام الصورة مفكرًا ويقول: "ألستُ قسًّا رائعًا لهذا السجن؟ نبيلًا ومساعدًا للآخرين وذا سترة ذات ياقة عالية".

لقد أعاد قراءة ما صببت من غضب على الورق ثم تساءل عن سبب انزعاجي الشديد. أعتقد أن سذاجته مفيدة بالنسبة إليَّ. ما دام يريد أن يجعل مني شخصًا أفضل، فإن حالي في هذا المستنقع سيصبح أفضل. بالتأكيد ليس من الصعب بالنسبة إليه أن يمنحني شيئًا مناسبًا لما يعتقد أنه أنا. لقد قرأت ذات مرة أن مرضى "فرويد" لديهم أحلام فرويدية ومرضى "يونجيون" لديهم أحلام يونجية. وماذا عنك أيها القس؟ أي نوع من الأحلام تريد أن تسمعه مني؟ سأكتب لك كل ما تريد مني أن أكتبه. لكنني أريد أن أمحو أحد تلك الأحلام. هذا الحلم الذي هناك حيث يكمن الألم.

إلى القس

إنه يوم الأحد. لقد سمعت للتو العظة التي ألقيتها أيها القس. وإذا سمحت لي، أود أن أقول لك بعض الملاحظات عن هذه العظة. من وجهة نظر أسلوبية بحتة. نقد أدبي صِرف. أعتقد أنك ستكون سعيدًا بالتعليق على نصوص الآخرين، ولن يكون لديك أي اعتراض على بعض الملاحظات الودية.

كما ذكرت لك، مجرد ملاحظات شكلية هامشية. تخصصك هو الشخص المتدين، وأنا لا أهتم لذلك كثيرًا. فالإيمان لا يؤدي دورًا رئيسيًّا في العظة التي سمعتها منك. لقد حاولت للتو الاستماع بالطريقة نفسها التي يستمع بها متفرج في مسرح أو مستمع لخطاب سياسي. من دون آراء سالفة.

كان هناك - وأرجو ألا تسيء فهمي أيها القس إذا ما قلت لك ذلك بشكل مباشر - في البداية لهجة خاطئة. ولا أعني بذلك صيغة الخطاب التي وجهتها إلى الكنيسة، لأنه كان من الواضح أن جملة "**إخواني الأعزاء**" هي مجرد ديباجة نمطية. وأي شخص يتقدم بطلب للحصول على الإفراج المبكر يبدأ رسالته أيضًا بجملة "**عزيزي المدعي العام**"، على الرغم من أنه يتمنى كسر عنقه.

لا، أنا أعني ما جاء بعد ذلك. ما قصدته بكلمة "نريد" كما ذكرت (لماذا عبرت بضمير الجمع على الرغم من أنك وحدك مَن قرر محتوى هذه العظة؟!). "**نريد أن نفكر معًا في الحادثة المأساوية التي وقعت هذا الأسبوع**". لقد فقدت جمهورك بفعل ذلك ومن أول جملة. اختيار غير موفق للكلمات. ما حدث في صالة التمرينات كان حادثة بالفعل (على الرغم من أن لا أحد يصدق ذلك من الأساس)، لكنه لم يكن مأساويًّا بكل تأكيد.

كان من الممكن أن تستخدم كلمة "عادل" لأنها أكثر ملاءمة لهذا السياق، أو كلمة "مُستحق". لو كنت تحدثت عن حادث مُستحق، لكان استمع لك الجمهور بشكل مختلف. لقد جلس هناك مَن استغلوا حضور العظة فقط للحصول على فترة نوم أطول. "لقد مات وهذا شيء جيد"، كان ينبغي لك أن تقول شيئًا كهذا. لأن هذا الرجل كان إنسانًا شريرًا ولم يحزن أحد لموته وكان يجب أن تكون على علم بذلك. كانت صفاته الأساسية التي اتفق عليها الجميع هي الغدر والقسوة، ولم يُحكم عليه بالعقوبة بسبب أن صفات "غدار" و"قاسٍ" موجبة للعقوبة في المادة 211 من قانون العقوبات. لقد كان سفاحًا. وحتى الأشخاص الذين لا يهابون أحدًا كانوا يخافون منه.

لقد كان لديه بتصنيفه في الفئة "ب" فرص جيدة لإعادة الاندماج مع الآخرين داخل السجن. إذا كنت قد تحدثت أيها القس في العظة التي ألقيتها علينا عن كيفية حصوله على هذه الجائزة لكنت جذبت اهتمام المستمعين. لكن للقيام بذلك، كان عليك أن تتحدث خارج علبة الخياطة الخاصة بك (أو لنَقُل خارج سلة الغسيل)، حيث يوجد الكثير من الإبر التي يمكن أن يُؤذي بها المرء نفسه.

ألَيس كذلك، أيها القس؟

لقد وصفته بأنه **"آثم، مثلنا جميعًا بلا استثناء، كلنا آثمون"**. لم يحالفك الحظ أيضًا هذه المرة فيما قلت. وليس بسبب استخدامك لعبارة "بلا استثناء"، فهذا واضح بالنسبة إليَّ أن مَن يمتهن مهنتك يتحدث بهذه الطريقة. وأعلم أيضًا مقصدك من هذه العبارة؛ لقد كنت تقصد "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية 3,23). لكنك تحدثت

مستخدمًا الضمير "نحن" وهذا يُعدُّ إهانة للآثمين الذين كنت تقصدهم، لأنك نعتَّهم بذلك وسط جمع من الناس. لا يوجد لص ولا مغتصب ولا متخصص إضرام حرائق يقبل أن تقارنه بهذا الرجل. إذا كان هذا الرجل هو النمط العادي للآثمين، فهذا يعني أننا جميعًا قديسون.

بلا استثناء.

لا، أيها القس. هناك بشر لا يستحقون عبارة "ارقد في سلام"، بل كلمة "ياه، أخيرًا!" هي الكلمة المناسبة لنعيهم.

لكنك مجبر مهنيًّا على التظاهر بأنك آسف لرحيل هذا الرجل. أم أنك تردد هذه العبارات الخاطئة عن اقتناع؟ أنا لا أستطيع حتى تخيل أنك تفعل ذلك عن اقتناع.

"آثم، مثلنا جميعًا بلا استثناء، كلنا آثمون. مات إثر تعرضه لحادث مأساوي". أي معلم لغة ألمانية كان سيشطب باللون الأحمر على عبارتك تلك ويكتب على الهامش: "عبارات جوفاء"، ثم يضع لك درجة خمسة من عشرة.

ولأن العبارات النمطية لا تأتي أبدًا فُرادى، بدأتَ مباشرة في الحديث بعبارات نمطية أخرى عن مشيئة الرب. جملة كنتُ سأمتنع عن ترديدها لو كنت أمارس مهنتك نفسها. جملة لو ترجمناها ترجمة حرة باللغة الألمانية لن تعني سوى: "ليس لديَّ أدنى فكرة لماذا حدث ذلك". وبناءً على ما قلت، كان لا ينبغي لك أن تلقي عظة عن هذا الموضوع أصلًا ما دمت لا تدري ما حدث.

أعلم، أعلم، لقد قالها "شوبنهاور" أيضًا: "يحب الناس سماع أن الرب قد صنع كل شيء على أكمل وجه". هذه مهنتك ولن أتدخل في تفاصيلها.

اعتراضاتي ذات طبيعة أسلوبية بحتة. هل يتوجب عليك دائمًا أن تستخدم أقوالًا جوفاء قُتلت استخدامًا؟

كان يمكن أن تضيف إلى عظتك التي ألقيتها علينا بعض الاقتباسات الرائعة حول موت هذا الرجل، والتي كانت ستصبح أكثر ملاءمة للموقف بكل تأكيد. على سبيل المثال عبارة: "كان شعب سدوم أناسًا أشرارًا وأخطؤوا كثيرًا في حق الرب". هذه العبارة ملائمة جدًّا لشخصيته، تمامًا مثل قبضته التي كان يحب أن يلكم بها الآخرين في أعينهم. ينبغي على المتحدث أن ينقل مستمعيه إلى حيث يحبون أن يعيشوا.

كان يجب أن تجعل الفرضية كالآتي: "لقد أخطأ وهذا ضد مشيئة الرب". ثم تصل إلى نتيجة: "وكان عقاب الرب أن جعل السماء تمطر كبريتًا ونارًا. وجعل رف الأوزان الثقيلة يسقط فوقه، الأوزان التي خلقها الرب، وتنهار عليه واحدًا تلو الآخر على حسب وزنها لتردي الآثم قتيلًا في صالة التمرينات، مرحى! دعونا نفرح ونحتفل بما حدث. حقًّا أعلنها لكم، لقد مات الأحمق!".

كان يمكن أن تسير خطبتك على هذا المنوال، وحينها كنت ستحصل على تصفيق مدوٍّ.

يا للخسارة، لقد ضاعت الفرصة.

هناك شيء آخر أود قوله، ما تحدثت به لا مشكلة فيه، لأنه من صميم مهنتك. لكن هناك شيء آخر يعد من صميم مهنتك أيضًا؛ كالوصية الثامنة مثلًا والتي تقول: "لا ينبغي أن تكذب". لكنك كذبت بطريقة لاحظها الجميع. لقد قلت: "لقد حزنَّا جميعًا لفراقه" وهذا بالتأكيد ليس صحيحًا. أحقر الحقراء لم يحزن عليه، ولا حتى أنت. في الواقع بل على العكس

تمامًا، كان لا بدَّ أن يوزعوا الكعك كحلوى مع وجبة الغداء كما يفعلوا عادة في أيام الأعياد.

بل وأكثر من ذلك، كان لا بدَّ أن يكون كعكًا بالكريمة.

إذا كنت تريد أن تتظاهر، كما لو كنت حزينًا، فلماذا كنت مبتسمًا طول الوقت؟ هل هو مرض مهني؟ هل تدربت على ذلك في أثناء الدراسة؟ بحيث كانت واجباتك الدراسية هي من ثماني إلى تسع مرات قراءة للكتاب المقدس وتفسيره من تسع إلى عشر مرات ثم من عشر إلى إحدى عشرة مرة ابتسامة لطيفة؟ ألم يدربك أحد أبدًا على ملامح التأبين؟

"تعبيرات الوجه المناسبة لكل مناسبة"، عنوان كتاب يمكن أن أصبح ثريًّا من مبيعاته. ربما أكتبه يومًا ما. على الرغم من أنك لم تكن متحمسًا على الإطلاق من القصة القصيرة التي ألفتها.

كما سبق وأن ذكرت لك أيها القس، كل ما قلته لك لم يكن اتهامات وإنما ملاحظات. ملاحظات كالتي كتبتها لي في السابق تعليقًا على قصتي القصيرة. مجرد نقد بنَّاء.

في مراسلتي القادمة، سيصلك فصل جديد من فصول قصة حياتي، أعدك بذلك! أنا لم أحكِ لك إلى الآن عن السبب الذي زجَّ بي في السجن. بالتأكيد سترجع إلى الملف الخاص بي لمعرفة السبب، لكن الملف لا يحتوي على كل الحقيقة.

خدعة الحفيد.

لم تعجبني قط هذه الصياغة. وتُعدُّ إهانة لكرامتي المهنية أن التقنية المتطورة التي طورتها بنفسي بشق الأنفس أصبحت خدعة شائعة، كما لو كان بإمكان الجميع فعلها. كان من المفترض أن يكون هناك ماجستير خاص في تخصصي هذا، وكان يجب أن يحصل عليه فقط الأشخاص الذين أثبتوا أنهم يعرفون كيفية أداء أعمالهم بأناقة خاصة. بمعنى آخر، أن يستطيع المرء أن يشقَّ جمجمة أحدهم بالفأس، فهذا لا يعني أنه أصبح جراح مخ وأعصاب.

أكاد أسمع اعتراضك على ما قلت، الكبرياء خطيئة مميتة، خاصة عندما تشعر بالفخر بشيء وأنت وراء القضبان. لكن هذه هي الحقيقة.

عندما يأخذ السيد "فلان" أو السيدة "لا أعرف ماذا" ورقة بيضاء ويرسمون عليها رأسًا – نقطة ثم نقطة ثم فصلة ثم خط إلى أن ينتهوا برسم وجه دائري – وعليه سيرى كل مَن تقع عيناه على الرسمة أن المرسوم من المفترض أن يكون وجه إنسان، لكن لا أحد سيخطر على باله رسمة التوقيع الموجود على رسمة "الموناليزا" في متحف "اللوفر"، لا سيما إذا أُنتجت عشرة آلاف نسخة من الوجوه المستديرة، كلها وفقًا للتصميم نفسه. أنا لا أَعدُّ نفسي "ليوناردو دافنشي"، لكنني لا أريد أن أكون متورطًا مع كل شخص نصاب.

يعتبر السجن أيضًا مؤسسة تعليمية (ربما ليس بالمعنى الذي يجول في رأسك)، لذا كان لي زميل هنا في السجن قد سُجن بسبب "خدعة الأحفاد"

طبقًا للمادة 263، حيث اُستجوب تفصيليًّا عن ثلاثة علب من السجائر لمعرفة كيف اقترف فعلته. وهنا يجب أن أقول: هذا بدائي للغاية، مثلما يطلق أحدهم النار من بندقية على قطيع من الغربان على أمل أن يسقط أحد الطيور هنا أو هناك. بمعنى آخر، وفرة العدد بدلًا من جودة المنتج.

ولهذا صلة بطريقة التعليم التي تتبعها أيضًا أيها القس - نظرًا إلى أنك مهتم أكثر بأرواح خِرافك، تكون أقل دراية بأفعالها - وإليك وصف موجز لكيفية تنفيذ تلك الطريقة في شكلها المعتاد الذي يمارسه الهواة. أول ما تفعله هو اختيار دليل التليفون والبدء في البحث عن أسماء النساء اللاتي تنتمي أسماؤهن الأولى إلى الطراز القديم، حيث تكون فرصة نجاح الخدعة مع النساء الوحيدات المسنات أكبر. لا توجد أي أهمية للرجال في هذا السياق، حتى لو كانت أسماؤهم "تيوبالد" أو "كلاوس ديتر". وليس لأن الرجال أكثر ذكاءً أو أكثر شبهة من النساء، ولكن لأنه عندما يكون هناك اسم رجل في القائمة، غالبًا ما يكون متزوجًا، والخدعة تعمل بشكل أفضل عندما يكون الأشخاص عزَّابًا.

ثم تقوم بالاتصال برقم تلو الآخر - وهذه هي طلقة الرصاص في سرب الغربان التي قصدتها – وتقول: "خمن مَن معك على الخط؟". هذه هي الكلمة السحرية التي تفتح الأبواب. ومن الرد الذي يأتيك تحاول استنباط أهناك حفيد أو فرد آخر من العائلة لم تسمع عنه الجدة منذ فترة طويلة؟ هناك العديد من النساء المسنات الوحيدات، وكل واحدة منهنَّ لديها تقريبًا سليل لم يتواصل معها أبدًا من قبل وآجلًا أو عاجلًا سيُعثر عليه. ثم تبدأ في الاستماع قليلًا لشريكتك في المكالمة - مع الأخذ في الاعتبار أن الناس يصبحون ثرثارين مع تقدم العمر - ثم يمكنك التظاهر بأنك الحفيد

المفقود منذ فترة طويلة، ثم تحوِّل دفة الحديث بعد ذلك إلى غايتك المقصودة؛ ألا وهي سيارة يمكنك شراؤها بثمن بخس، لكن لسوء الحظ لا بدَّ أن تجري عملية الشراء حالًا وفورًا، أو شقة مثالية يمكنك استئجارها إذا استطعت تدبير مبلغ مقدم للحجز، أو أي عذر يمكنك اختلاقه تحتاج من أجله إلى مبلغ من المال، نقدًا وعلى الفور. إذا كانت السيدة العجوز ساذجة بما يكفي، فإنها ستسمح لك بسحب المال الذي تحتاج إليه من البنك، عندئذ عليك أن تقرر إن كنت ترغب في خوض تلك المغامرة لإحضار المبلغ من البنك، أم بإمكانك أن تتحدث مع الجدة الطيبة من جديد لإقناعها بتحويل المبلغ إليك عبر "ويسترن يونيون".

مجرد تفاهات أطفال.

وتنجح الخدعة بكل تأكيد ولا جدال في ذلك. لكن التحدي الفني في تطبيقها كان يبدو مختلفًا. لم تكن الطريقة المثلى أن نستخدم لها كلمات حديثة ولم تكن أيضًا مستدامة. فالضحية لا يمكنك سرقتها مرة أخرى، إذا اختفى الحفيد الذي ظهر فجأة من العدم ولم يتواصل مع الجدة مرة أخرى بعد تحويل النقود، فهذا معناه أن الشرطة آجلًا أو عاجلًا ستكون طرفًا في هذه اللعبة.

نعم لقد نفذتُ هذه الخدعة ولكن بشكل مختلف. وأعترف أنها لم تكن بطريقة أخلاقية على الإطلاق، لأنني لم أكن أمتلك رفاهية إدراج الأخلاق في خططي. يقول "شوبنهاور": "أم الفنون المفيدة هي الضرورة". فإذا دعتك الضرورة يومًا ما وأصبحت عاطلًا عن العمل أيها القس، فقد تكون خدعة الأحفاد مصدر دخل لك. فأنت ماهر في بث الثقة في نفوس الآخرين.

أول شيء عليك أن تفعله هو شرب القهوة، وأنصحك بطلب "لاتيه ماكياتو". ليس لأنني أفضلها بشكل خاص، ولكن لأن عند النظر إلى الكوب، لا أحد يستطيع أن يحدد إن كان بالفعل فارغًا أم لا بسبب رغوة الحليب. أعلم أن هذه إحدى التفاصيل الصغيرة ولكن العمل الاحترافي الحقيقي يتكون من مثل هذه الأشياء الصغيرة. وإذا ما جلست هناك فترة طويلة دون أن تطلب شيئًا آخر - أحيانًا تجلس هناك فترة طويلة جدًّا - سيدفع ذلك النادلة إلى أن تفكر: "هل هذا الرجل مقتصد أم أنه بخيل؟ لكن لا، لم يكن هذا هو السبب؛ الرجل يسترق السمع فقط للحديث الدائر على الطاولة المجاورة".

أفضل الأماكن لهذه الخدعة هي محلات الحلويات القديمة. ولسوء الحظ، لا يوجد الكثير منها. وتُعدُّ المقاهي الموجودة في مراكز التسوق الكبيرة مناسبة أيضًا، حتى إن كانت في كثير من الأحيان صاخبة جدًّا بحيث تصبح عملية التنصُّت أمرًا مرهقًا. أو أي مكان يكون مكان تجمع للنساء المسنات. وعليك بارتداء ملابس قديمة الطراز قليلًا، حتى لا تكون لافتًا للنظر في البيئة المحيطة. مرة أخرى، عليك ارتداء أي شيء لا يتسبب في إثارة المشكلات.

بداية من سن معينة، يبدو أن هناك موضوعين فقط تفضل النساء الحديث عنهما: الصحة والأقارب. وعندما تلاحظ أن مَن يجلسن قد بدأن في الحديث عن الصحة وأخذن يتنافسن فيمن فيهنَّ أكثر صحة من الأخرى، عليك بتغيير المكان، ولكن ليس بسرعة.

في بعض الأحيان، تلاحظ أن الحديث يدور حول عودة للتو من أزمة قلبية أو من عملية لتركيب مفصل اصطناعي جعل الموت بات قريبًا منهنَّ،

وفي هذه اللحظة، يصبح الحديث مثيرًا للاهتمام. والحقيقة أنهنَّ لم يعد أمامهنَّ الكثير من العمر ليعيشنه، لقد لاحظت هذا من حديثهنَّ مرارًا وتكرارًا. لم يبدُ عليهنَّ الخوف من الموت وإنما يعتبرن ما يحدث لهنَّ حجة للترحيب بالموت والتي يعبِّرن بها بشكل خاص عن استيائهن من فقدان محبة الجيل الأصغر.

"وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ الاضْمِحْلَالِ" (عبرانيين 8:13) - هذا إذا لم تكن على دراية بهذه الآية - أو على الرغم من عدم علمك بها، فإنهن يشكين من عدم زيارة أحد لهن ولا أحد يهتم بهن، وإذا مُتن غدًا فلن يلاحظ أحد ذلك إلا بعد أن يلاحظ أحد الجيران وجود رائحة كريهة، وهذا الكلام في حد ذاته غير مثير للاهتمام. ولكن في بعض الأحيان، تكون محظوظًا إذا ما بدأن تلك النسوة بذكر بعض أسماء النسل العاق بشكل فردي اسمًا تلو الآخر، والذي لم يعد يعرفن عنهم شيئًا. وتلك اللحظة هي ما نطلق عليها لحظة "إدراك المخفي".

بالطبع هناك أخريات يحاولن تسجيل نقاط لصالحهنَّ من خلال وصف أسرهن بأنهم مثاليون. مع هذا النمط يجب ألا تبدأ الخدعة أبدًا. بمجرد رؤيتك تكديسهن لصور أحفادهن اللطفاء أمامهن كما يرص لاعبو البوكر أمامهم المال الذي كسبوه، فمن المستحسن المضي قدمًا.

أجهزة التشويش دائمًا ما تكون مثمرة. هؤلاء النسوة عليك الاستماع إليهن بعناية. عادة ما كنت أضع أمامي جريدة مفتوحة على صفحة الكلمات المتقاطعة (سامحني يا "أمبروس")، عندما كنت أنحني لتدوين الملاحظات التي سمعتها بمنتهى السرية، كان يبدو الأمر كما لو كنت أخيرًا قد خطر لي للتو اسم الكوكب المكون من ستة أحرف أو اسم المرأة الذي

يبدأ بحرف الفاء. وبهذه الطريقة، ومع قليل من الحظ وكثير من الصبر، لا يمكنك فقط إعادة بناء شجرة عائلة كاملة، ولكن - وهذا أكثر فائدة - تستطيع أيضًا أن تعرف جميع الأحداث المهمة في تاريخ العائلة، خاصة الحكايات الطريفة.

إذًا فقد حان وقت الذهاب، ليس مع البندقية في سرب الغربان، ولكن نحو الهدف. لقد أطلقتُ النار على الطائر أكثر من مرة.

التتمة تُتبع.

إلى القس

هل تعرف "كوراساو"؟ إنها في الطرف الآخر من العالم. أعتقد في أمريكا الجنوبية.

(لا داعي إلى أن تزعج نفسك بالبحث في "جوجل" عن اسم هذا البلد. لقد اصطدت هذا الاسم من ذاكرتي بمحض المصادفة، لأنه يبدو غريبًا جدًّا).

هناك (أو بتعبير أدق في المكان الذي أقصده حقًّا، لكني شخص متحفظ بطبعي) يقيم أحد معارفي - والذي ستطلق عليه متواطئًا بسبب ميلك غير الضروري إلى الصواب - والذي يتميز بخط جميل جدًّا ومقروء جيدًا. وهذا أمر مهم للغاية، لأن المرسل إليهن، اللاتي ستصلهن رسائله لم يعودوا في كثير من الأحيان يتمتعون بنظر قوي يمكِّنهن من القراءة.

وأنت تفهم بالطبع أن المقصود المرسل إليهن رسائلي.

أجري المراسلات عن طريق الاستعانة بمصادر خارجية. أدع شخصًا آخر يكتب رسائلي ويأخذها إلى مكتب البريد. من السهل العثور على الاسم والعنوان الذي يجب أن يُرسل إليه، لأن كل ما يفعله المرء فقط تتبع السيدة العجوز من المقهى إلى منزلها دون أن يلاحظه أحد.

يكتب شريكي الرسائل، لكنني أنا مَن يقوم بتأليف النص. ثم أرسله بالبريد. هذا هو الجزء الإبداعي من العمل. الجزء الذي أستمتع به أكثر. لو كان الأمر بيدي، لجعلت الناس يتواصلون بالبريد فقط مع بعضهم بعضًا. وبذلك سيكون عالمًا مثاليًّا لمتلعثم مثلي.

ثم أكتب في الرسالة: **"جدتي العزيزة، أعرف أنكِ ستندهشين بتلقي خطاب مني بعد كل هذه السنوات، لكن.."** ثم أتبع هذا الكلام بوصف الحياة الصعبة التي عشتها، ربما عانيت من قصة حب مؤسفة تسببت في أن أسافر إلى أرضٍ بعيدة، ربما كنت آمل أن أكسب لقمة العيش هناك، أو كان ببساطة تعطشًا للمغامرة التي لم تجعلني أستريح على مر السنين. **لكنني الآن أكتب إليكِ بعد أن أصبحت أكبر سنًا، وأصبحت أكثر نضجًا وعقلانية، وأود أن أحاول أن أستعيد ارتباطي بالمكان الذي كنت فيه دائمًا أسعد عندما كنت طفلًا؛ مع جدتي العزيزة"**. هكذا كتبتُ لها: **"أحب أن أتذكر فطيرة التفاح، والتي لم يتقن أحد صنعها من قبل بشكل لذيذ كما فعلتِ. أحبُ تذكر الرحلة إلى بحيرة باجيرسي حيث أنقذتِني من الغرق، والحكايات التي قرأتِها لي عندما سُمح لي بالمبيت عندكِ. ولأنني كنتُ ما زلت أرغب في سماع حكاية من بعد حكاية، نمتِ بجوار سريري والكتاب في يديكِ"**.

كتبت لها: "هل تتذكرين؟" ثم تركت لقلمي العنان. دعيني أكتب لكِ عن أشياء مميزة لا يعرفها عنكِ أي شخص غريب، فقط الحفيد الذي لم تسمعي عنه منذ فترة طويلة هو مَن يعرفها.

أو بالأحرى الرجل الذي كان يركز على لغز الكلمات المتقاطعة على الطاولة المجاورة لطاولتك.

لا أتطرق إلى أي ذكر يخص المال في الرسالة الأولى. على الرغم من أنه لا فن بلا خبز. لكن أن يسقط المال أمام باب المنزل فلن يكون هذا مثاليًّا - وكما ذكرت لك من قبل - وغير دائم. كل شيء يأتي إلى مَن ينتظر بصبر؛ أي كل ما هو موجود في دفتر الحسابات الخاص بها.

أريد فقط، وهذا ما كتبته لها، أن تجيبيني. حتى لو كنتُ لا أستحق ذلك. كل يوم، كنتُ أنتظر ساعي البريد في الشارع أمام كوخي (يبدو لي أن "الكوخ" أكثر رومانسية من "المنزل")، لأنني لا أعرف أجدَّتي العزيزة لا تزال على قيد الحياة؟ أم عليَّ أن ألوم نفسي بقية حياتي لأنني تذكرتها بعد فوات الأوان؟

وفي تلك اللحظة، ينبغي أن تكون قد دمعت عيناك على أقصى تقدير.

كتبت لها: "يمكنني سماع ساعي البريد قادمًا من مسافة بعيدة. دراجته قديمة والعجلة الخلفية تصدر صوتًا مع كل منعطف، وحقيبته التي تحوي الرسائل معلقة على جسده، وحتى إذا توقف، حتى لو وضع قدميه على الأرض المغبرة لأصدرت الدراجة الصوت نفسه، لأن مكابحها لم تعمل منذ فترة طويلة، خصوصًا لأنني حتى ذلك الحين كنت لا أعرف ألديه بريد لي من الأساس أم لا؟ في كل مرة يأتي فيها، كان يتوقف، وهو أمر شائع جدًّا هنا في "كوراساو"، للدردشة أو ببساطة ليرتاح للحظات، فيخلع قبعة خدمته ويمسح العرق من جبهته بمنديل أحمر كبير، ثم يقول: «عذرًا مونشير أو يا سينيور أو يا صاحب!»؛

على حسب اللغة التي تتحدثها تلك البلدة والتي لن أكلف نفسي عناء تخمينها، ثم يقول: «للأسف لم يصل اليوم أي بريد يخصك». ثم يعود على دراجته، ويختفي صرير العجلة الخلفية، وأعود حزينًا إلى كوخي وأنتظر".

اختراعات ذات جودة صناعة يدوية عالية.

بالطبع أنا أسعى إلى الحصول على أموالها، لكنني أقدم شيئًا لها. قدمت لها رومانسية أكثر من الرومانسية التي أعطتها لها الحياة في ثمانين عامًا مضت من عمرها. فأنا أؤدي دور رائد في "سفينة الأحلام".

ثم وصلني رد منها وبعده كتبت إليها مرة أخرى؛ رسالة مع المزيد من الذكريات عن أيامنا الخوالي، لأنني الآن أعرف أين تلتقي بأصدقائها لشرب الشاي، وبالطبع تخبرهم بالتفصيل عن الحفيد الذي سيعود وكل الأشياء الجميلة التي عاشتها معه في ذلك الوقت. لقد أصبحت بذلك نجمة المجموعة، الوحيدة التي لديها شيء جديد ومثير لتحكيه، ويمكن اعتباره أيضًا ربحًا في صفها في عملية المحاسبة في علاقتنا. رسائلي تجعلها سعيدة وهذا يختلف تمامًا عن خدعة الأحفاد المشينة.

هذه هي الموناليزا.

في مرحلة ما - ولم أكن في عجلة من أمري، لأنها ليست الوحيدة التي كانت تتلقى بريدًا مني - أخبرها أنني في وقت ما أريد القدوم إلى ألمانيا لزيارتها. كتبتُ لها: **"لم يكن الأمر سهلًا بالنسبة إليَّ أن أجمع نقود تذكرة الطائرة"**، وكان يجب أن أسرَّ هذا الأمر في نفسي، ولكن الآن انتهى الأمر، أو قارب على الانتهاء في غضون أسابيع قليلة، وسأحصل عليها أخيرًا وسأتمكن من أن أعبر لها شخصيًّا عن مدى أهميتها بالنسبة إليَّ.

كانت سريعة التأثر ومتحمسة وسعيدة، عرضت عليَّ أنه يمكنني بالطبع الإقامة معها، وأنها سوف تعدُّ كل شيء. وبعد ذلك بأيام قليلة من موعد وصولي المعلن، تصلها الرسالة التالية: **"أنا مريض"** (هذا ما كتبه لها شريكي بخط يد مهتز. أفكر أيضًا في مثل هذه التفاصيل وأرسل بريدًا إلى شريكي بالتعليمات ذات الصلة)، **"أنا في المستشفى، ولأنه لا يوجد تأمين صحي هنا في "كوراساو"، فإن الأموال التي أردت أن أدفعها لثمن الرحلة اضطررت إلى دفعها في الأدوية والعلاج. إنه مرض خطير، ولا يعرف الأطباء في المستشفى أبإمكانهم أن يجعلوني بصحة جيدة مرة أخرى أم لا؟ فهم ليسوا مجهزين هنا لمثل هذه الحالات المعقدة، ليس كما هو الحال في ألمانيا، حيث تتزايد الاحتمالات هناك أن أقف على قدميَّ مرة أخرى في وقت قصير. لكن هذا ما عليه الحال الآن، ورجاءً أكثري من الدعاء من أجل صحتي، فليس لديَّ مَن يفعل ذلك من أجلي غيرك"**.

وبناء على ما أرسلت لها، عرضت عليَّ هي بالطبع أن ترسل إليَّ المال لحجز الرحلة. ثم أرفض وأكتب لها: **"أنا لا أستحق هذا"**، ولا أقبل إلا بعد تردد طويل.

إذا لم تكن رجلًا صالحًا أيها القس، لكنت أشدت الآن بمثالية هذه المناورة. حصول على المال دون طلب المال. إن عرض المال عليَّ بمحض إراداتها الحرة ما هو إلا فن شبه منحرف من دون تخطيط. ما حدث كان إجبارًا على مضض - وهو ما سيسبب ارتباكًا لمبادئك الأخلاقية - جعل من هؤلاء النسوة المسنات نساء سعيدات، وهذا ما يطلقون عليه "الشقلبة الثلاثية". نعم أيها القس، لقد خلقت منهن نساء سعيدات.

كن يذهبن إلى البنك بمنتهى الحيوية - أو وهن مفعمات بالحيوية بقدر ما تسمح به أمراض الروماتيزم - حتى إن ذاب رصيد حسابهن، كن

لا يكترثن، لأنهن حصلن بالفعل على شيء لا يقدر بثمن في المقابل. لأنهن في هذا السن كن قد توصلن بالفعل إلى حقيقة أن بقية أيامهن ستكون دائمًا باللونين الأبيض والأسود، وهذه هي حياتهن التي ما هي إلا شارع كئيب في اتجاه واحد يؤدي بهن إلى دار رعاية المسنين ومن هناك إلى المقبرة، والآن أصبح كل شيء فجأة ملونًا من جديد، وأنهن يعيشن قصة حنونة، مليئة بالعواطف العظيمة والتقلبات الجديدة المفاجئة دائمًا. ونظرًا إلى أن مرضي يزداد سوءًا، فقد فقدتُ الأمل، وسمحتُ لصديقة المراسلة (جدتي المزعومة) أن تشجعني على الاستمرار في العيش. ونظرًا إلى أن تكاليف المستشفى استمرت في الارتفاع، كان يجب رشوة كبير الأطباء للحصول على موعد لإجراء عملية منقذة للحياة، وتنجح العملية، لكنني ما زلت ضعيفًا جدًّا. لم يكن هناك شيء مكلف على الإطلاق مقابل المشاركة في مثل هذا الفيلم المثير، فهؤلاء النساء كن ينهرن بسعادة، أو - بل في بعض الأحيان كان يحدث ذلك في توقيت مثالي تمامًا - كُن يَمُتن بسعادة.

يوميات

على القس أن ينتظر. لأنني في اللحظة التي كنت أكتب فيها الجملة الأخيرة، خطرت لي قصة. هذه المرة لن أرسل القصة إلى القس، لأنه سيدعي على أي حال أنها جزء من قصة حياتي.

تدريبات مهارية

التقدم لوظيفة

كان متأكدًا من أنه رأى الإعلان. من واقع خبرته، كان يعرف أنه ينسج في خياله الكثير، ولكن ليس شيئًا مثل ما رأى. ما رآه كان إعلانًا في أعلى يسار الصفحة داخل إطار أسود سميك.

مطلوبٌ موظفون للعمل في وظيفة ذات مهام خاصة. لا يُشترط الخبرة ويمكن البدء في العمل فورًا. كل المطلوب مقابلة شخصية فقط.

ثم العنوان في النهاية. كان متأكدًا أنه رآه.

من قبل، عندما لم يكن بإمكانه تخطي يومه من دون مخدرات، كان من الطبيعي أن تحدث له مثل هذه الأشياء. في إحدى المرات، رأى كلبًا في غرفته، من النوع الذي كانوا يحرضونه للجري وراء الدببة في العصور القديمة، مزمجرًا بأسنانه الحادة، وكان اللعاب يقطر من فمه. كان هذا الكلب مسحوبًا من سلسلته، على الرغم من عدم وجود أحد ممسكًا بهذه السلسلة. ولكن كان ذلك ما حدث حينها، والآن رجع كل شيء إلى نصابه الصحيح. لم يكن الأفغاني الأسود مخدرًا، تمامًا مثل تأثير الجعة، لا يمكن أن نعتبرها مخدرًا، عندما كان المال متوفرًا لشراء زجاجة. ونادرًا ما كان يتوافر أي مال، ولهذا السبب كان في حاجة ماسة إلى وظيفة. ولقد قالت المرأة ذات بروش الخنفساء الجالبة للحظ الكلام نفسه أيضًا.

في أثناء بحثه عن الزجاجات القابلة للإرجاع مقابل المال، في أثناء كفاحه لإطعام السناجب، رأى الصحيفة ملقاة على الجزء العلوي من حاوية

القمامة، مطوية بعناية وغير مقروءة. ولقد عدَّ هذا إشارة قدرية. لم يمسك في يديه جريدة منذ وقت طويل. لا يحدث عادة شيء في العالم يستدعي اهتمامه، لكن هذه المرة فتحها وأول ما لفت انتباهه كان هذا الإعلان:

مطلوبٌ موظفون للعمل في وظيفة ذات مهام خاصة.

جملة مؤطَّرة بخط سميك أسود. لقد قرأ هذا بالفعل ولم يكن من نسج خياله.

حسنًا، الكلب الذي رآه في السابق كان في خياله فقط، بأسنانه الحادة والسلسلة التي كان مسحوبًا منها. لقد أراد الاتصال بالشرطة ورجال الإطفاء وجمعية رعاية الحيوان، لكن لم يتبقَّ شيء في بطاقته المدفوعة سالفًا، ثم اختفى الكلب من تلقاء نفسه، أو ببساطة لم يعد هناك. يمكن للعقل أن ينتج صورًا وهمية لحيوان مفترس، لكن ليس إعلانًا عن وظيفة. وخصوصًا ليس بعد انتهاء أعراض الانسحاب، عندما يكون المرء ليس سكرانَ ولا تحت تأثير المخدر. كان فقط عطشانَ، عطشانَ جدًّا، وهذا يسمى بالجفاف، لأنه كان على دراية بكل المصطلحات. الهلوسة والعدوانية وجنون العظمة. لكنه الآن كان واعيًا كرجل مقدس، وظل الإعلان الملعون مفقودًا على الرغم من ذلك.

"**لا يُشترط الخبرة**" كانت هذه الجملة أكثر ما جذبه في الإعلان الذي بدا وكأنه كان مكتوبًا خصوصًا له. كانت لديه دائمًا يدان ماهرتان، وهما ما كانا يمكنانه من تجميع أرفف "أيكيا" دون الرجوع إلى كتيب التعليمات. بالإضافة إلى استطاعته الوصول إلى الوريد المقصود أسرع من أي طبيب

متخصص آخر. الأطباء المتخصصون في الأوردة يسمون علماء الأوعية الدموية، وليس الجميع يعرفون ذلك.

كان قد قرأ بعض الكتب. في السابق. آنذاك. سابقًا. ولكن لم يكن هذا نوع المعرفة التي يحتاج إليها المرء من أجل الحصول على وظيفة. والآن، لم يتمكن من العثور على الإعلان الملعون الذي لم يطلب معلنوه شروطًا معينة على وجه التحديد، إعلان أعلى اليسار. مؤطر باللون الأسود.

في الماضي، كان معتادًا اختفاء الأشياء مرارًا، وكأن الأشياء كانت تفر منه. لكنه لم يعد يستطيع تحمل اختفاء الأشياء من أمامه بعد الآن، مثلما اختفى سابقًا مفتاح، وقدَّاحة مرسوم عليها جمجمة وعظمتان متقاطعتان، وقرط ثَقَبَ أذنه خصوصًا من أجله. بمنتهى البساطة اختفوا. لدرجة أنه في إحدى المرات اختفى وشم كان قد رسمه على الرغم من استحالة ذلك.

علامة "قف" على ذراعه اليمنى كانت ما تذكره فقط بوجود وشم، لكن ربما ما كان ينوي رسمه بالوشم هي جملة "Just say no!" "فقط قل لا!".

- فلنبدأ العمل فورًا.

بالضبط هذا ما اعتاد عامل المغسلة أن يقوله. فيما بينهم، كانوا يطلقون على المغسلة العيادة. نعم المغسلة.

كان يقول دائمًا:

- يجب أن تنهوا مهامكم على الفور. لا تؤجلوا ما تنوون فعله، بل افعلوا.

أحاول أن أتذكر، ماذا كنا نسميه؟ كان مثاليًا يسعى إلى إصلاح العالم ذا سترة ياقة مستديرة، والتي كان يرتديها حتى في أشد درجات الحرارة. كان يدير مناقشة يومية، وبالأخص إذا ما قال أحدهم شيئًا مثيرًا

للاشمئزاز، تراه متحمسًا للنقاش وبشدة. كان مصاص دماء بائسًا. لكن جملته كانت صحيحة: "لا تؤجلوا ما تنوون فعله، بل افعلوا". الآن وحالًا.

أين وضع الصفحة التي بها الإعلان؟ حدث له أحيانًا أنه أراد إعادة تنظيم ما حوله وإدخال النظام إلى حياته، لكنه بعد ذلك لم يتذكر نوع النظام الذي كان عليه.

لطالما رفع شعار "النظام هو نصف العمر" في المنزل، لكنه عاش في النصف الآخر.

لا تحتوي الغرفة في ملجأ الطوارئ على العديد من الزوايا والشقوق. بحيث يمكن ترك شيء ما فيها عن طريق الخطأ. أحيانًا كان يدس أشياءَ مهمة تحت المرتبة، لكن الإعلان لم يكن موجودًا تحتها أيضًا. ملاءة السرير كان يحتاج إلى الغسيل مرة أخرى. لقد نظف القيء من عليه بمياه الصنبور، لكن الرائحة لم تختفِ بعد. يمكن لأي شخص استخدام قبو الغسيل ولم يكن من الضروري شراء مسحوق الغسيل بنفسه، لكنه حمل أغراضه بالفعل ونزل السلم مرتين، وفي كل مرة، كان يجد الغسالة مشغولة.

كانت هناك أمور أخرى يتوجب فعلها أيضًا، فعليه العثور على وظيفة.

كانت رائحة الفراش كريهة وهذه علامة جيدة، لأن هذا يعني أن أنفه أصبح يعمل مرة أخرى. لكن لم تدم هذه الحال فترة طويلة. في مركز الاستشارات، كانوا يقدمون القهوة دائمًا، لكنه كان يتركها في كل مرة. كانوا يقدمونها في أكواب مبهجة عليها رسومات بط صغير أو خنازير، لكن ما الجدوى من البهجة، إذا كنت لا تستطيع شم القهوة؟ لم يستطع أن يشم رائحة مركز الاستشارات بأكمله؛ أن يشم رائحة تلك الوجوه

الجادة التي تبدو وكأنهم كانوا يرتدونها كلما ذهبوا إلى العمل، لكن ذلك كان مختلفًا.

كيف وصل إلى مركز الاستشارات الآن؟ بالطبع عن طريق رائحة القهوة. ولو أنهم أبدلوا القهوة بمياه غسيل، فلن يحدث ذلك أي فرق، لأن ما لا يمكن شمه لا يمكن تذوقه أيضًا.

لقد أخبرته صاحبة بروش الخنفساء الجالبة للحظ أن المشكلة لم تكن بسبب أنفه: "الأمر يتعلق بالمستقبلات الدماغية في مخك، والتي كانت مرهقة ومثقلة". لكنها تعمل الآن من جديد وأصبحت المستقبلات الدماغية أفضل من ذي قبل.

وبناء على ذلك، رأى أن عليه أن يغسل ملاءة السرير مرة أخرى قريبًا. ربما غدًا.

ربما كان ينبغي له المرور بمكتب الاستشارات مرة أخرى. "أردتُ أن أخطر فقط بمدى تقدم حالتي". كان بإمكانه أن يقول ويتحقق بشكل خفي من رائحة القهوة مرة أخرى.

الخنزير والبط على أكواب القهوة. لا لم يعد طفلًا.

لا، لن يعود إلى هناك إلا بعد الحصول على وظيفة، بعد أن يكون قد وقف على قدميه. هذا ما قرره بمنتهى الحزم.

لكن الإعلان الآن قد اختفى. الإعلان الموجود في أعلى الصفحة يسارًا، حيث رآه. كان المطلوب مديرًا للمبيعات. لقد حفظ عن ظهر قلب ما كان مكتوبًا في الإعلان.

"لا حاجة إلى تقديم طلبات مكتوبة للتقدم للوظيفة". هذا ما كان مكتوبًا في الإعلان أيضًا. كانت وظيفة كما لو كانت مصممة من أجله.

كانت السيرة الذاتية جزءًا من طلبات الوظيفة الشاغرة، ولم يكن لديه أي شيء مقنع يقدمه في هذا الصدد. كانت سيرته الذاتية حافلة بست مرات رفت، منها مرتان بعد توقفه الكامل والمفاجئ عن تعاطي المخدرات. "رائع"، كانوا سيقرؤون ذلك ويقولون: "هذا بالضبط ما كنا نبحث عنه. هل ترغب في مكتب يوجد به حمام سباحة؟".

كان مكتوبًا في الإعلان جهة الاتصال لمن يرغب في التقدم للوظيفة. لكنه لم يستطع تذكر ذلك على الإطلاق. لقد أصبحت ذاكرته كالجبنة السويسرية. على الرغم من أنه لم ينسَ الجبنة نفسها.

أشياء لا يمكنك استخدامها مطلقًا. كان لا يزال يحفظ تلك الأغنية البلهاء التي كان يرددها الصغار في روضة الأطفال ويحفظونها عن ظهر قلب: **"رجل صغير يجلس في الغابة، هادئًا تمامًا وصامتًا".**

يغرسون هذا الهراء في أذهاننا منذ الصغر. "هادئًا وصامتًا"، مجرد هراء؛ فهو إما هادئ وإما صامت. الزيادة في هذا السياق لا قيمة لها. فالهادئ هو الصامت والصامت هو الهادئ أيضًا. **"قولوا! مَن قد يكون ذلك الرجل الصغير الذي يقف بمفرده في الغابة مرتديًا معطفًا أرجوانيًّا؟"** بدا الصوت أفضل مما كان عليه بالفعل. لم يعد صوتًا أجشَّ جاء من طبقة "الباريتون"؛ ذات الصوت ذو البعد الرجولي العميق. حيث إن طبقة "التينور" هي طبقة صوت المثليين من الرجال، أما "الباس".. لقد كانت لها سمة أيضًا، لكنه نسي ذلك. معلومة من نوعية الجبنة السويسرية.

لكنه كان لا يزال يعرف كل كلمة من أغنية روضة الأطفال الغبية تلك.

"الرجل الصغير يقف على ساق واحدة في الغابة وعلى رأسه غطاء أسود صغير. أخبروني! تُرى مَن قد يكون ذلك الرجل الصغير الذي يقف وحيدًا في الغابة..؟".

كان الأمر أشبه بسماع موسيقى فريق "كالي" التي يُسمع صداها في الجدران في يوم ساطع الشمس والكسول لا يزال في سريره. تحفيز من العيار الثقيل، يدفعك إلى أن تقف أمامه وتغني بقية الأغنية في وجهه. كانت الأبواب سهلة الفتح، لأن بها أقفالًا من ماركة "ميكي ماوس". لذلك كان الدخول متاحًا للجميع، كل واحد فينا هنا قد اقتحم بيت الآخر، وهو في طريق الهروب.

إنها زهرة الكركديه. كانت الأغنية عن زهرة الكركديه. عجيب أنه كان بإمكانه تذكر مثل هذا القرف، في حين نسي تفاصيل العنوان.

كان من الممكن أن يكون في مكان ما في منطقة المبنى الجديد، هذا كل ما لا يزال يعرفه، حيث توجد المصانع وحيث يهدمون المباني الإدارية واحدًا تلو الآخر. أحيانًا، كما قال الرجل ذو الياقة المستديرة، تعود الذكريات إذا لم تبحث عنها، لكنه كان يفكر بوعي في شيء آخر.

أي شيء آخر.

في الحديقة، عند الزاوية حيث يترك رجال الشرطة مَن يجلسون فيها بهدوء، طالما أنهم لم يتسببوا في إزعاج المتنزهين. كان قد ذهب إلى المتنزه أمس أو أول أمس. وفى المتنزه، أصاب البرق رجلًا كان قد التقى به من قبل، لكن لا يعرفه شخصيًّا.

ذات مرة، ذهب هذا الرجل إلى المنتزه وكانت معه زجاجة من نبيذ أحمر بسعة لترين، جلس وبدأ بلف الزجاجة ليجعلها تدور في دائرة. سأله رجال الشرطة:

- من أين لك بهذا النبيذ؟

فأجاب:

- فزتُ به في اليانصيب.

كان هذا كل ما شاهده. أما الآن، فقد ضربه البرق. وإذا صح ما حُكي عنه، فإنه كان نائمًا قبل العاصفة الرعدية، حيث ينام هو ومن على شاكلته في المنتزه، وبعد العاصفة الرعدية وجدوه حيث ينام؛ ممددًا وميتًا. موت كالومضة. يا له من رحيل جميل! طلقة برق أفضت إلى موت. لا مشكلة، فكل ما على المرء هو أن يتجنب الحشائش وأن يبحث عن الخشب الزان وينسى شجر السرو.

"طريق شجر السرو".

لقد نجحت الطريقة بالفعل.

خطر بباله مرة أخرى كم هو من الغباء تسمية الشوارع بأسماء ريفية في وسط منطقة مليئة بالأبنية الحديثة. ربما كان هناك مسؤول يجلس على مؤخرته السمينة في مبنى البلدية، لا يفعل شيئًا سوى التفكير في أسماء للشوارع. لا بدَّ أن تكون هناك وظيفة كهذه.

"مجرد تصور شخصي".

"طريق شجر السرو".

رقم المنزل؟ لا يهم. بمجرد وصوله إلى هناك، سوف يتذكره. وفي حالة عدم تذكره، فبالتأكيد لن يكون شارعًا بلا نهاية. فقط كان عليه التنقل

من مكتب إلى مكتب وطرح السؤال التالي: "هل توجد وظيفة شاغرة هنا؟" وإذا حالفه الحظ..

ولمَ لا؟ لماذا لا يحالفه الحظ ولو مرة؟ ولو مرة واحدة.

كان من الممكن أن يسافر من دون تذاكر، وكان لن يحدث لك شيء إذا قُبِضَ عليك.

فالملاحظون يعرفون مَن يتغاضون عنهم من باب توفير أوراق الغرامات. لكنه شعر برغبة في المشي، وكان هذا علامة جيدة في حد ذاتها. لأنه قبل أن يُشفى، كان يشعر دائمًا وكأنه يحمل أوزانًا فوق حذائه. أما الآن، فقد أصبح المشي أسهل بكثير، حتى في أثناء صعوده درجات السلم عند جسر المشاة، والتي كانت تبدو أمامه دائمًا وكأنها جبل. ذاك الجسر الذي كان من الحكمة أن يشقُّوا نفقًا للسيارات بدلًا عنه.

كان المارة في الشارع ينظرون إليه بشكل مختلف عما كان معتادًا إياه، بمعنى أنهم كانوا لا ينظرون إليه على الإطلاق، فلم يبدوا أنهم لاحظوا أي شيء غير عادي عنه. وهذا يُعدُّ إحراز تقدم آخر.

قالت لنا السيدة ذات بروش الخنفساء الجالبة للحظ ذات مرة:

- إذا تقدمتم لوظيفة في مكان ما وتمت دعوتكم إلى المقابلة الشخصية، فعليكم بارتداء أفضل ملابسكم.

لقد تحدث جيدًا عن ارتداء أفضل ما لدينا من ملابس، لكن كان علينا أن نملك أفضل ملابس أولًا، لأنه لم يكن لديه في خزانته العديد من الخيارات.

تمنى لو كانت لديه خزانة ملابس، لم تكن لديه ربطة عنق حتى منذ سنوات. لقد استخدم آخر ربطة عنق لربط ذراعه. كانت مصنوعة من خامة جيدة حقًّا، لكنه تخلص من كل ما كان يملكه مرة واحدة وإلى الأبد.

رسمة هلب صغير على ربطة العنق، لماذا؟ لم يسبق له أن ذهب إلى البحر قبل ذلك أبدًا. كان يمكنه تذكر ذلك.

بذل مجهودًا كبيرًا لينظِّف حذاءه – على الرغم من أنه لم يصبح نظيفًا بالقدر الكافي – لكن لم يستطع فعل أي شيء حيال المناطق الممزقة في بنطاله. ربما ستحسبونها موضة، مثل موضة الشباب التي يرتديها هذه الأيام.

لقد تعجَّب من نفسه حين استخدم كلمة "الشباب". كان يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا فقط، أو تسعة وعشرين أو واحدًا وثلاثين. سيَّان، لقد كان لا يكترث.

كان سيشتري زوجين من السراويل الچينز من منفذ بيع الملابس المستعملة، حيث تُباع الأشياء هناك بثمن بخس، وأحيانًا لا شيء على الإطلاق إذا شكوت من ضيق ذات اليد، وعندئذ يمكن الحصول على زوجين من السراويل الچينز بلا ثقوب وقميص وأحيانًا قميصين، حتى يتسنى للمرء أن يرتدي أحدهما ويغسل الآخر. يحتاج أيضًا إلى معطف، لكن لا داعي للعجلة فما زلنا في فصل الصيف. لا، نحن في فصل الخريف. على أي حال، بالتأكيد ليس فصل الشتاء بعد وما زال أمامنا وقت حتى يصل فصل الشتاء.

في شقته الخاصة، كانت لديه تدفئة مركزية وقفل على الباب لا يمكن فتحه بأي مفك صليبة.

كان اسمه مكتوبًا على لافتة الباب. من قبل لم تكن لديه قط أي لافتة تحمل اسمه ومثبتة على الباب. بالطبع لم تكن لتحسب اللافتة التي كانت على غرفته في المصحة، حيث كانت مجرد قطعة ورق مكتوبة على الكمبيوتر، وعندما انتقل شخص آخر إلى الغرفة، ألقوا بالاسم بعيدًا

ووضعوا لافتة جديدة على الحامل. لذا رأى أنه من المهم تثبيت لافتة حقيقية على باب الشقة.

لم يرتدِ أبدًا سترة طيلة حياته، فقط هذا "البلوفر" هو ما كان يرتديه دائمًا، لأنه عملي أكثر. فالسترة يخلعها المرء بشكل كامل ثم يعود ليبحث عنها فلا يجدها. أما مع "البلوفر"، يستطيع المرء أن يرفع كمه وقت الحقن ثم إنزاله مرة أخرى. فربما يكون لديهم في منفذ الملابس المستعملة "بلوفر" أفضل وعندها سيحصل على واحد جديد ويتخلص من القديم.

سوف يرمي كل شيء ويتخلص منه ويبدأ من جديد. وسوف يرسم وشمًا حقيقيًا لعلامة التوقف هذه المرة التي لطالما أراد أن يرسمها على ذراعه. كان ينبغي له أن ينظف أظافره، لأن منظرها يترك انطباعًا سيئًا. لهذا أخفاها في جيوب سترته ووجد بالفعل عملة معدنية من فئة الخمسين سنتًا. وكانت هذه إشارة جيدة أيضًا. على الرصيف وأمام متجر "إتش أند إم" H & M، كان يجلس أحد المتسولين بصورة دائمة في وضع انحناء وساقه اليسرى مثنية بزاوية غير طبيعية. كان خنزيرًا مسكينًا، لأنه لا بدَّ أن التعب يقتله من شدة التظاهر أنه مشلول طوال اليوم. إن إعطاء الخمسين سنتًا لهذا المتسول سيجلب له شعورًا جميلًا، لكنه تراجع عن ذلك ومر من أمامه دون أن يعطيه شيئًا.

اعتبر العملة التي وجدها في جيب بنطاله هي القرش الجالب للحظ، وحسم هذا الأمر في نفسه وتساءل عن السبب الذي يدفع الناس دائمًا إلى تسميته باسم "قرش الحظ"، على الرغم من انتهاء التعامل بعملة المارك ومشتقاتها. لقد أُلغيت هذه العملة بالفعل، مثلما حدث مع الحظ الذي أُلغي أيضًا.

كان عليه أن يرمي العملة المعدنية في الهواء ويلتقطها مرة أخرى. ملك أم كتابة؟ صورة بوابة "براندنبورج" أم العدد على الوجه الآخر؟ أسيحصل على الوظيفة أم سيرفضونه؟

من الأفضل ألا يقدم على هذه التجربة، لأن النتيجة إذا جاءت على عكس توقعه، فحتمًا ستتسبب في إحباطه.

الطريق أبعد مما كان يعتقد. كل شيء كان دائمًا أبعد مما كان يعتقد. دائمًا أكثر صعوبة. لكنه لا يشعر بالإرهاق على الإطلاق، ولكن على العكس من ذلك. كلما اقترب من هدفه، شعر بمزيد من الطاقة. كما لو كان الاقتراب من الهدف يشحنه بالطاقة.

كان كإحدى الفراشات الطيبات المستقرة على غصنها التي يمكن أن يتركها المرء طوال الليل في المكان نفسه، وعند شروق الشمس، يجدها ما زالت موجودة كما هي.

تمامًا في اللحظة نفسها التي كان يفكر فيها بذلك، رأى إعلانًا لبنك تسليف من أجل البناء معلقًا على لوحة إعلانية فوقه صورة لشروق الشمس. تلك اللحظة التي يعتقد فيها الإنسان "كل شيء ممكن". وقف تحتها وكانت هذه أيضًا إشارة قدرية أخرى. وقف يحدق في الإعلان كثيرًا، ولو كان لديه منديل، لكان قد مسح دموعه من عظمة ما شعر به.

كل شيء كان ممكنًا.

أكمل المسير في طريقه، وشعر حينها بالبهجة لدرجة أنه بدأ بالغناء. ليس بصوت عالٍ حتى يجذب الانتباه، ولكن من داخله. ثم بدأ يُؤرجح ذراعيه على إيقاع لحن الأغنية التي حفظها وهو صغير: "أخبروني! تُرى مَن قد يكون ذلك الرجل الصغير الذي يقف وحيدًا في الغابة؟".

ماذا كان ذلك في الواقع، أهي زهرة الكركديه؟

عندما وجد شارع "طريق شجر السرو" في منطقة البناء الجديدة - حيث كانت كل الشوارع مسماة بأسماء أشجار - كانت هناك لافتة باسم الشارع بالفعل، لكن الشارع لم يكن موجودًا بعد. لم يكن الطريق ممهدًا، وكانت هناك حواجز حجرية موضوعة بشكل ملتوٍ ومنحدر؛ تمامًا بحالها كما أُفرغت من الشاحنة. كان هناك مبنى واحد بالفعل محشور بين حفرتي بناء. مخبأ مكتبي نموذجي، كانت الواجهة مكسوة بالرخام الفاخر، من باب تبرير ارتفاع الإيجار بطريقة ما. ربما لم يكن رخامًا وكان نوعًا آخر من الأحجار لم يعرفه وبدا له مثل الرخام.

كانت بلاطات الواجهة كأنها لوحات سوداء كبيرة تدعو بخاخات التنظيف لزيارتها، لأنها لم تكن نظيفة تمامًا. ربما أزالوا حواجز البناء للتوِّ.

متى يتوقف المبنى الجديد عن أن يكون مبنى جديدًا؟ بعد أسبوع؟ بعد شهر؟ الكوخ الفوضوي المتهدم الذي كان مقرًا للإدارة كان في يوم من الأيام مبنى جديدًا. لكنه لم يبقَ كذلك لفترة طويلة. كان الطريق في الشارع غير المكتمل إلى مدخل المنزل محاطًا بصفين من الأشجار المزروعة حديثًا، كل منهما محاط بسور نصفي ذي ارتفاع قصير. وخلف كل شجرة، كان يوجد حوض زرع، والتربة قد حُفِرت حديثًا، وبطاقات أسعار المشتل لا تزال معلقة على الشجيرات التي غُرِست بالفعل.

بجانب المدخل، كان يوجد نظام اتصال داخلي (إنتركوم) وفوقه لافتة معدنية بها ثلاثة صفوف من اللافتات الأصغر. كلها فارغة، حيث من

المفترض أن تُكتب عليها أسماء شركات المستأجرين، ولم تكن هناك أي لافتات مثبتة على أزرار الأجراس.

ربما نشروا الإعلان مبكرًا قبل أن ينتقلوا إلى مقرهم الجديدة، أو أنهم قد انتقلوا إليها ولم تُثبَّت لافتة اسم الشركة بعد.

هل كان اسم الشارع "طريق شجر السرو" فعلًا؟ يحدث له أحيانًا أن يظن أنه يستطيع تذكر الأشياء بدقة، لكن ما يحدث بالفعل كان مختلفًا تمامًا. أو لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق، ككلب مقيد بسلسلة، لا يمسك به أحد.

لم يلحظ وجود أي كاميرات مراقبة، لكن كاميرات المراقبة لا يراها المرء عادة. في هذه اللحظة، تذكر حين رأى إحداها في أحد المتاجر حيث بدا كل شيء قديم جدًّا. كانت إحدى الكاميرات هناك مخبأة بشكل جيد. لقد بذلوا الكثير من الجهد من أجل زجاجة واحدة من عصير "جوبي". كانت نخب احتفال. مجرد ذكر اسم هذا العصير أشعرته بالعطش. قرر أنه من أول راتب سوف..

زوجان من الچينز وقميصان.

لكن كان يوجد بالفعل كاميرا. شخص ما رأى أن هناك شخصًا ينتظر أمام المدخل، وعندها، أومض نظام الاتصال الداخلي بضوء أخضر. صوت بدا كما لو كان إلكترونيًّا خالصًا، دون أن يكون شخصًا حقيقيًّا قد سجل ذلك.

قال الصوت: "لقد تأخرت"، ثم تباعدت ألواح الزجاج الكبيرة على الباب الأمامي إلى اليسار واليمين.

متأخر؟ لم يذكر الإعلان أي شيء عن وقت محدد. بقدر ما يتذكر.

كانت حجرة الاستقبال ضخمة. لا بدَّ أنهم قالوا للمهندس: "لا بدَّ أن ينبهر الزائرون". أشجار النخيل في أواني ضخمة.

أرضية من الرخام الأسود أيضًا. كان يسمع خطواته، وهذا ما ذكره بالشعور المخيف قليلًا الذي كان ينتابه في كل مرة كان فيها بمفرده في الكنيسة. اعتاد الذهاب إلى الكنائس لأنها كانت تمطر في الخارج، أو لأن الشمس كانت شديدة السطوع أو فقط لأنه أراد الراحة.

كان مكتب الاستقبال مرتفعًا، بحيثُ يتوجب على المرء النظر إلى أعلى إذا ما أراد أن يتحدث إلى موظفة الاستقبال. ولكن لم تكن هناك موظفة استقبال من الأساس، ولم يكن هناك أحد يحصل منه على أية معلومة.

كانت هناك أربعة مصاعد متراصة بعضها بجانب بعض وباب إحدى هذه المصاعد كان مفتوحًا. لم يعد يتذكر اسم الشركة التي كانت في الإعلان، حتى إنه لم يستطِع أن يستحضر أهناك اسم على الإطلاق. لذلك كان مضطرًا إلى أن يتوقف في كل طابق وينزل من المصعد، كان هذا مرهقًا للغاية. أصبح يفضل السير على الأقدام، وأصبح هذا لا يُتعبه على الإطلاق. فاليوم لم يُتعبه أي شيء. كان الدرج نظيفًا جدًّا، لدرجة تجعلك تشعر بأنه يتوجب عليك خلع الحذاء. فلا توجد أكياس قمامة تفيض منها القمامة، ولا حقن مستعملة ملقاة على الأرض، لا شيء على الإطلاق. عدَّ في البداية الطوابق، ولكن سرعان ما اختلط في رأسه عدد الطوابق وتوقف عن العدِّ. كل الطوابق كانت متشابهة؛ مدخل واسع به نافذة في النهاية، وعلى اليمين واليسار صف من الأبواب المغلقة. حتى لحظة محددة – لكن في أي طابق؟ – لاحظ بابًا مفتوحًا. كان الضوء المنبعث من المكتب ينعكس على الأرض اللامعة كما لو كانت سجادة. طرق الباب، وسمع صوتًا يقول:

– ادخل!

لم يكن هناك أحد في الداخل، لم يكن هناك إلا مكتب وخزانة بحجم الحائط، ممتدة من الأرض إلى السقف وفقًا لحساب المسافة بين السقف وبين الملفات الفارغة. كرسي المكتب كان مغلَّفًا بغطاء بلاستيكي، مما يدل أنه قد سُلِّم للتو ولم يُفك بعد.

– ادخل!

في البداية لفت انتباهه باب الغرفة المجاورة، وهو يحدث له في بعض الأحيان، أو قد حدث له في وقت سابق، عندما يكون تحت تأثير المخدرات.

لم يلاحظ أي شيء، إلا أنه وجد نفسه فجأة هناك، كما لو أنه قفز داخل الصورة. لقد تعرف مرة أحد الأشخاص الذي كان من النوع الذي يتحدث بمنتهى الجدية إذا ما دعا ضيوفًا إلى بيته، والذي يدعي أن الأشياء كلها في غير مكانها حتى اللحظة التي ينظر إليها أحدهم. حتى يتسكعوا في مكان ما، وإذا ما استدار أحدهم بسرعة كبيرة، يرى أنه لم يزل بإمكانه أحيانًا رؤيتها تعود إلى مكانها. ذلك الشخص دعسته سيارة، هذا في حالة إذا كان ما تذكره صحيحًا، وأن السيارة قد قفزت إلى الصورة في اللحظة الخطأ.

– ادخل!

لم يكن صوتًا ملحًّا أو غير صبور، لدرجة تشعرك أن هذا الصوت سيقولها بالنبرة نفسها أيضًا في المرة الرابعة أو الخامسة.

– ادخل!

قالت لهم المرأة ذات بروش الخنفساء:

– يجب أن تأتوا إلى مقابلات العمل في الوقت المحدد.

لم تكن حجرة المكتب هذه أكبر من الأولى. كانت بها المكتب نفسه والخزانة نفسها الفارغة. ولم تكن بالمستوى الذي يُتوقع أن تكون عليه غرفة مدير الشركة. لكن الرجل الذي يجلس خلف المكتب لم يكن موظفًا عاديًّا، ويمكنك أن تحكم على ذلك من تصرفاته. كان يجلس مستقيم الظهر مرتديًا سترة سوداء ذات ياقة صغيرة عالية مغلقة أزرارها حتى الرقبة، وكان أصلع.

"أنا هنا بخصوص الإعلان".

أجاب الرجل: "جيد.. لقد عُيِّنتَ".

يحدث له أحيانًا أن يسمع أشياءَ لم يقلها أحد. مثلما حدث معه في الماضي في ممر التسوق، عندما أمره الصوت بتحطيم زجاج الفاترينة، لأنها كانت الطريق الوحيد للهروب. وفي بعض الأحيان، يسمع أشياء جميلة. ذات مرة، عبَّرت له ضابطة شرطة عن حبها له، وأنها كانت تنتظر طوال حياتها رجلًا مثله، وتمنى لو كان تزوجها ولم يشرب بعدها ولا نقطة خمر مرة أخرى. ولكن مرة أخرى، ما حدث كان مجرد انفعال من الإحساس العام بالغضب. لقد سمع الرجل الأصلع وهو يخبره أنه قد عُيِّن. ولكن في تلك اللحظة، أدرك حقيقة كيف أن ما كان يسمعه أحيانًا كان من صنع خياله. وهذا ما رآه أيضًا خطوة إلى الأمام.

– ليست لديَّ أي قدرات خاصة.

قالت المرأة ذات البروش الخنفساء ذات مرة: "الأمانة هي أفضل إستراتيجية".

قال الرجل:

– جيد جدًّا".. لقد عُيِّنتَ!

هذه المرة لم تكن خيالًا.

- ولكن..

قال الرجل:

- لدينا الكثير من المهام لأدائها.. وليس لدينا ما يكفي من الموظفين هنا.

سابقًا، كان سطح المكتب فارغًا، أما الآن يوجد عليه ظرف، وهو ما دفع الرجل إلى التوجه نحوه.

- مهمتك الأولى - وهي ما تُعدُّ تجربة - عليك تسليم هذا الظرف إلى هذا العنوان..

الآن يوجد ورقة بها العنوان موضوعة بجوار الظرف.

- .. ثم تعود وتبلغ عن تنفيذ المهمة بنجاح. مفهوم؟

أومأ برأسه، على الرغم من أنه لم يفهم. أو بالأحرى فهم، لكنه لم يستوعب.

- تُسلمه شخصيًّا يدًا بيد. هل هذا واضح؟

- واضح.

- إذًا، سأصعد معك!

هذه المرة، ركز في المصعد على أرقام الطوابق التي أضاءت واحدًا تلو الآخر، ورأى أنه كان في الطابق السابع.

۞۞۞

"كاتي هامباخ - فرانتس"، اسم قديم فعلًا. لا يوجد أحد يسمي ابنته هذه الأيام بهذا الاسم. نعم يمكن أن يسموها "كاترينا"، لكن بالتأكيد ليس "كاتي". على الأرجح ستكون سيدة كبيرة في السن. ويمكن أن تكون متزوجة أو أرملة.

تُرى ما الذي يوجد بداخل هذا الظرف؟ بالتأكيد أموال. لكن لماذا بدلًا من كل هذا الجهد لا يفتحون مكتبًا ويُعيِّنون موظفين به؟ فهناك دائمًا

الأشخاص الذين ليس لديهم حساب مصرفي، أو لم يحصلوا على أحدها، كما هو الحال معه، أو بالأحرى لا يريدون لأنهم لا يثقون في البنوك. وعوضًا عن حسابات البنوك، يضعون حزمًا كاملة من الأوراق النقدية تحت المرتبة. لقد سمعت مثل هذه القصص مرارًا وتكرارًا، وعندما يموتون، لا يستطيع الورثة أن يعثروا على التركة. ربما كان الرجل ذو السترة السوداء هو مَن يدير صندوقًا للمعاشات لأولئك الذين يريدون مالهم نقدًا وهو مَن يأتي إليهم كل شهر إلى منازلهم، مثلما يفعل الأغنياء مع لفائف الإفطار؛ فهم لا يذهبون إلى الخباز، ولكن هو مَن يأتي إليهم، يدًا بيد.

تُرى هل المبلغ كبير؟ الظرف لم يكن سميكًا. ربما يحوي نقودًا من فئة 500 يورو. فقد كان شبه متأكد من أن هذه الفئة ما زالت موجودة. ربما أربع ورقات فئة الخمسمائة أو خمس ورقات فئة الأربعمائة.. شكرًا جزيلًا، يا جيش الخلاص العزيز، لم أعد بحاجة إلى خدمتكم الآن. بل سأتمشى في متجر "أرماني" أو "هيجو بوس" وأقول للبائع: "من فضلك أرني أحدث مجموعة! وما تأثير هذه المنتجات على البشرة؟ وربما قبل كل هذا، سأمر على مصفف الشعر.

لم يفتح الظرف. لم يكن غبيًّا ليفعل هذا. سيسلِّم الظرف بكل أدب ويبلِّغ بأنه أدى المهمة. "أول مهمة كتجربة"، مثلما أخبره الرجل. لهذا اعتقد أنه من الممكن أنهم لم يقوموا بوضع مال حقيقي داخل الظرف بل ربما ورق صحف، لكي يختبروه. فقط ليكونوا على اقتناع: "بأن موظفنا الجديد أمين حقًّا"، عندها فقط، سيكون من المُجدي أن يكون غير أمين. فهم لا يتصورون ماذا كان يدور في رأسه في أثناء المأمورية. ولحسن الحظ، لا يوجد اختبار يستطيع أن يختبر هذا. إذا قصوا خصلة شعرك

وحللوها بأجهزتهم، لن يستطيعوا أن يحددوا بالضبط ما الشيء الذي كانت لديك رغبة فيه عند آخر فحص. كل ما سيعرفونه فقط ما تناولته من هروين وكوكايين ومنشطات، فهذا كل ما يستطيعون أن يعرفوه من خلال تحليل خصلة شعرك. ولكن ليس الأفكار.

"كاتي هامباخ – فرانتس". العنوان يقع على الجانب الآخر من المدينة. ربما أُختير لاختبار قدرته على التحمل في الواقع، لذا سيكون عليهم دفع ثمن سيارة الأجرة لهذه المسافة الطويلة كبدل تنقل.

لقد نصحوه في العيادة بالكثير من الحركة في الهواء الطلق. بُلهاء. كما لو أن الإنسان لا يحصل على القوة إلا من خلال الهواء الطلق. الآن يجب عليه أن يرتدي الكنزة الصوفية ذات الرقبة الطويلة. كان لا يستطيع أن يصدق عينيه. لقد شعر بأنه أنيق. فقد كان لفترات طويلة في الطريق، ولكنه لم يشعر بالتعب على الإطلاق، ولا حتى بالقليل. شعر كما لو ركِّبتْ بطارية جديدة له. حتى إنه بدأ بالركض أيضًا، ولكنه توقف في الحال، حتى لا يعتقد الناس أنه سارق محلات، أو أنه شخص مطارد ولديه ما يهرب منه. فإذا أمسك أحدهم به بالطبع، يمكنه أن يقول: "أنا على عجلة من أمري، لأنه يجب أن أسلم شيئًا على وجه السرعة"، حتى إنه يمكن أن يُريَهم الظرف، ولكن بعد ذلك يمكن أن يسألوه عن اسم الشركة التي يعمل لحسابها، وحينها لا يستطيع أن يجاوب لأنه لا يعرف اسم الشركة. فهذا الاستفسار لم يخطر بباله من الأساس.

لا يهم. سيكون اسم الشركة مكتوبًا في عقد العمل. والآن: چينز وقميصان. وربما معطف أيضًا.

الطقس جميل. ليس حارًّا جدًّا ولا باردًا جدًّا. كان مثاليًّا لهذه الوظيفة. فالأمر بدا كما لو أن الناس يرون أنه لديه شيء مهم عليه أن ينجزه. وعندما وصل إلى نقطة عبور مشاة، توقفت جميع السيارات. وظلت الإشارة خضراء.

إلى اليسار اثنان، ثلاثة، أربعة. إلى اليسار اثنان، ثلاثة، أربعة.

لم يُقبَل بالجيش الألماني. الرجل ذو الزي الرسمي الجالس خلف المكتب هز رأسه وقال: "لسنا في حاجة إلى المدمنين". ولم يكن مدمنًا في ذلك الوقت. ولا الآن.

لم يكن الجانب الآخر من المدينة بعيدًا مثلما كان يعتقد. فلماذا يقولون "قفزة قط" والتي يعنون بها "فركة كعب"؟ فهو لم يرَ من قبل قططًا استطاعت أن تقفز كل هذه المسافة.

عندما كان طفلًا، كان لديه هامستر صغير. لكنه مات بعد ذلك. كان يطلق عليه "أرنوبي". اسم أحمق لكي يطلق عليه.

لا يمكن أن يكون المكان أبعد من ذلك. فهو لم يكن يعرف هذه المنطقة جيدًا، ولكنه عندما وصل إلى التقاطع التالي، سار في الشارع الجانبي يسارًا دون تفكير. كان مجرد إحساس.

"بنجو"!! أخيرًا عثر على العنوان من أول محاولة. نهنئ موظفنا الجديد على نظام تحديد المواقع الشخصي. دار للمسنين. تبًّا. قد يُستغرق الأمر وقتًا طويلًا لإيجاد الغرفة الصحيحة. ولكن كل ذلك كان جزءًا من الاختبار. "يجب أن تكون مرنًا إذا أردت الوظيفة" مثلما قالت المرأة الخنفساء.

لم يسأله أحد إلى أين يريد أن يذهب. لقد اعتاد الناس على قدوم الزوار إلى هنا.

أبواب، أبواب، أبواب. بجانب كل باب لافتة تحمل اسمًا ومزينة بأزهار صغيرة ملونة. تاركين كبار السن جالسين في قذارتهم، بمنتهى الراحة في مكاتبهم يرسمون أزهارًا صغيرة.

" السقف مزين بالورد، والقرنفل مثبت عليها" مثل هذه الأشياء تبقى عالقة في الذهن، في حين ينسى المرء الأشياء المهمة حقًّا.

على اللوحات أسماء العديد من النساء أكثر من الرجال. النساء يكبرن عادة قبل الرجال. هذه حقيقة مؤكدة. لقد ناقش هذا الأمر ذات مرة في الحديقة مع بعض الأشخاص، في تلك الأيام الخوالي التي كان الجميع يتحدثون فيها بمنتهى الفلسفة. لقد بحثوا عن السبب وراء ذلك هنا وهناك إلى أن قال أحدهم في النهاية: "هذا بسبب أننا الرجال نعيش بشكل أسرع". كان هذا أقصى ما تفتق به ذهنه عن الموضوع.

في أحد الممرات، كانوا يعلقون بين مدخل كل غرفتين صور أطفال. صور قديمة للأطفال، حتى لو لم يستطع أن يقول كيف عرف هذا. فالأطفال ربما قد أصبحوا بالغين منذ وقت طويل أو ربما قد ماتوا. في ممر آخر، رأى لوحات لمناظر طبيعة، تحسبًا إذا لم يستطع أحد كبار السن أن يرى الطبيعة مرة أخرى فيمكنه أن يلقي نظرة هنا على الجبال.

أخيرًا، رأى اللافتة التي تحمل الاسم الذي يبحث عنه. رُسمتْ الأزهار بألوان لم تكن موجودة من قبل.

طرق الباب مرة ثم مرة أخرى وأخرى، وعندما لم يجب أحد، فتح الباب بهدوء. رائحة الغرفة ذكرته بشيء، لكنه لم يستطع أن يتذكر ما هو. لكنه كان شيئًا غير لطيف.

"كاتي هامباخ – فرانتس" جالسة على كرسي كان يكبرها في الحجم بكثير. فكبار السن لا يفقدون فقط شعرهم وأسنانهم، ولكنهم ينكمشون أيضًا. كانت ترتدي سترة صوفية سميكة، على الرغم من أن الجو في هذا اليوم لم يكن في الواقع باردًا. فالجو في الغرفة مع إغلاق النافذة كان خانقًا جدًّا.

تنحنح ثم تنحنح مرة أخرى وقال:

– معي شيء لأسلمه إليكِ.

ثم مدَّ يده إليها بالظرف. لم يجد منها أي ردة فعل. لم تكن نائمة، فعيناها كانتا مفتوحتين، ولكنها لم تلاحظه على ما يبدو. عندما أخذت شهيقًا، بدا الأمر كأنه تنهد، وعندما زفرت، رن شيء في حنجرتها. تنهُد، حشرجة. تنهُد، حشرجة. ثم سقطت رأسها إلى الوراء كما لو أنها أصبحت ثقيلة جدًّا على رقبتها.

تنهد، ثم حشرجة.

بالطبع كان يستطيع أن يترك الظرف على الطاولة أو على وسادة السرير غير المرتب ثم ينصرف. لكنه بهذا لم يكن لينجز عمله مثلما طُلب منه.

"يدًا بيد"، من الوارد أيضًا أن يكون هناك تقييم لهذه الوظيفة التجريبية. السيدة العجوز كانت تضع على رجليها غطاءً من الصوف وتضع يديها تحت هذا الغطاء. كان يجب عليه أن يوقظها. لذلك أمسك بكتفها وهزَّها ولكنها بدت هشة جدًّا لدرجة أنه لم يجرؤ أن يهزها مرة أخرى. كانت مثل لعبة "جينجا"، عندما تحاول أن تسحب منها مكعبًا بحرص شديد، تنهار كل كومة المكعبات.

كان يصدر منها صوت تنهُد، ثم حشرجة.

رفع الغطاء الصوفي ووضع الظرف في يديها. وبذلك يكون قد حل المشكلة وأتم المهمة.

كان قماش الغطاء ناعمًا جدًّا.

ظهرت كلتا يديها مكسوتين بالبقع البنية، مما يدل على أنها تعاني من مرض بالكبد.

تنهُد.

في الحقيقة، لقد أخافه جدًّا انقطاع أنفاسها، أكثر مما كان يفعل الصوت العالي به.

۞۞۞

قال:

– لم تكن مصادفة جيدة على الإطلاق.

رد الرجل الأصلع:

– بالطبع.

فأجاب:

– لقد وصلتُ في الوقت الخاطئ.

فقال الرجل الأصلع:

– طبعًا.

– لم أكن أعرف ما الذي كان ينبغي لي فعله، لذلك أخذت الظرف مرة أخرى.

قال الرجل:

– ما فعلتَه هو الصواب، وهذا هو العنوان التالي حيث يجب عليك أن تسلم الظرف.

فقال له:

– الظرف نفسه؟

قال الرجل:

– دائمًا هو الظرف نفسه.

فأردف قائلًا:

– دار مسنين مرة أخرى.

فرد عليه الرجل الأصلع:

– هذه المرة لا. إنه طفل صغير في السابعة من عمره، ستقوم بمقابلته في الشارع وبعد ذلك ستدعسه سيارة.

أحيانًا، كان يسمع أشياءَ لا يمكن تخيلها. لقد كان يتوقع أن مثل هذه الأشياء قد توقفت الآن، خصوصًا أنه نظيف clean. أي لم يكن تحت تأثير المخدرات.

قال الرجل:

– أنت تحت تأثير المخدرات؛ فالإنسان النظيف لا يخنق نفسه بالقيء الخارج منه.

قال:

– أنا لست تحت..

فرد عليه الرجل الأصلع:

– بلى. ولكنك ستعتاد على ذلك، فعلى الأقل لديك الآن وظيفة. معظم الناس لا يحصلون على وظائف بسهولة هذه الأيام، إلا بعد موتهم.

آسف، أيها القس، إن كنتُ قد قاطعتك في أثناء القراءة. لقد كان من الصعب جدًّا على نفسي أن أكتب عن هذا الجزء من قصة حياتي، فالذكريات المؤلمة يتذكرها الإنسان رغمًا عنه.

من منطلق غرور الكُتَّاب، أتخيل أنك في اليوم الذي لا تصلك فيه مراسلاتي سيزداد نفاد صبرك، فحكاياتي أصبحت بالنسبة إليك مثل المخدرات. هذا ما لاحظته وأتخيلك الآن وأنت تعاني أعراض الانسحاب. أكاد أراك أمامي وأنت تتحرك قلقًا في مكتبك هنا وهناك طوال النهار، سواء وأنت تجهز كلامك الذي ستلقيه في عظتك القادمة، أو حتى في أثناء فعلك أي شيء آخر يخص وظيفتك. أكاد أستمع لك وأنت تفكر وتقول: "أعرف الآن بداية قصته. لقد أخبرني بتفاصيل كافية عن كيف أعطى النساء المسنات.." معذرة، أيها القس، لقد تعلمتَ وتربيتَ جيدًا لدرجة أنك تستحي التفكير بكلمة "نسوة". كل ما تستطيع قوله عنهن إنهن "نساء" أو حتى "سيدات". وتقول في عقلك: "أنا أعرف الآن كيف آخذ أموال هؤلاء السيدات المسنات" كما تعتقد، "لقد كانت طريقته مشينة بقدر ما كانت رائعة. لكن كل ما أريد معرفته الآن لماذا قُبض عليه. لماذا قُبض عليه وعن أي جريمة أُدين؟".

"لأَنَّهُ لَا بدَّ مِنْ ثَوَابٍ، وَرَجَاؤُكَ لَا يَخِيبُ"، سفر الأمثال (23:18). هنا تأتي النهاية التعيسة، حتى إن أتت متأخرة.

لقد فشلتُ، وأكثر ما يزعجني في الأمر برمته أن فشلي جاء عن طريق المصادفة. بسبب لا احتمالية إحصائية بحتة.

هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، كان خطئي. فأنا أستحق تلك العقوبة المستحقة بسبب إهمالي حرفتي اليدوية. أنا لم أقم بعملي بعناية كافية واتخذت طريقًا مختصرًا واسعًا وسهلًا، بدلًا من المسار الضيق الصخري. أو بعبارة أقل من عبارة الكتاب المقدس: لقد أخفقتُ. يقول "شوبنهاور": "تظهر شخصية الإنسان الحقيقية في التفاصيل التي لا يجتمع عليها الناس". أو يمكنك أن تقول: إنني أصبحت نزيلًا في هذا السجن بسبب عيب في الشخصية.

تمامًا مثل الجميع هنا في السجن.

أصعب شيء بالنسبة إليَّ هو الاعتراف بأنني وقعت في فخ رسالة. أنا، من بين جميع الأشخاص. أنا، العَالِم بخبايا كل الرسائل. أعتقد أنني إذا قابلت الشخص الذي كتب تلك الرسالة في يوم ما، فسأهنئه على مضض. وكأنني أنا مَن كتبت هذه الرسالة. رسالة مزيفة من الدرجة الأولى.

كانت الرسالة بتوقيع من.. دعنا نسميها باسم ما كان يطلقون عليه في التقارير الصحفية: السيدة "ك." من مدينة "م.".

كانت السيدة "ك." من أكثر السيدات اللاتي يراسلنني ربحًا. جزء لا بأس به من مدخراتها قد حوِّل بالفعل إلى حسابي.

كانت تدرك نيتي جيدًا ولم تمانع. كانت عجوزًا لكنها ليست غبية. كتبت لي ذات مرة: "لن آخذ أموالي معي إلى القبر، والأشخاص الذين سيحصلون على أموالي وفقًا للقانون لم يعتنِ بي أحد منهم منذ سنوات". لكنني فقط مَن ظهر في حياتها، واعتقدتُ أنني مَن جعلها سعيدة.

السعادة أيها القس، السلام داخل أسوارك والسعادة في قصورك.

عندما أقف يوم الحساب أمام الحكم الإلهي الأخير – على الرغم من شكِّي في حقيقة وجوده أصلًا، لكن لا أحد يعرف - وإذا ما كان عليَّ أن أجيب عما فعلته في الحياة الدنيا، فإن أول مَن سيشهدون لي هم زبائني الذين سيؤكدون كيف كنتُ سببًا في إسعادهم، باستثناء السيدة "ك." من مدينة "م.".

لم أحاول حتى أمام المحاكمة الدنيوية أن أدافع عن نفسي. بدا لي أن لا القاضي ولا المحلفون قد أظهروا لي أي رحمة. إن الاعتراف السريع فرصة أفضل لتخفيف العقوبة. ما بدا في أول الأمر أن كل شيء قد سار على ما يرام، لكن في اللحظة الأخيرة توقف كل شيء وتعقد. في البداية، لم يحالفني الحظ ثم تحول إلى حظ سيئ. أفكر أحيانًا أنني كنت سأستمتع بعدم ترك مرافعتي في المحكمة للمحامي، لكنها كانت لتستغرق أسبوعًا بسبب سرعة كـ.. لا.. كـلا.. كلامي.

لكن استطرادًا لما سبق، بالتأكيد إنك تريد الآن أن تعرف ما السبب الذي أدى إلى محاكمتي.

كتبت السيدة "ك." بخط يدها الطاعن في السن أنها ليست على ما يرام. ولحسن الحظ أن طبيب عائلتها من المسنين الصادقين لم يعطها الأمل في أنها ستظل على قيد الحياة حتى عيد ميلادها القادم. ذكرت في وصيتها أن حفيدها في "كوراساو"، أي أنا، يجب أن يكون وريثها الوحيد، وأن مدخراتها قد تناقصت بالفعل، ولكن لا يزال هناك ما يكفي لمنح شخص يعيش في بلد رخيص حياة خالية من الهموم. لذلك إذا لم تصل إليَّ منها رسائل جديدة، فلا ينبغي أن أحزن، فقد عاشت حياة كاملة وكان

العامان الماضيان منذ أن وجدتني أسعد أيامها على الإطلاق، يجب أن أنتظر حتى تتصل بي السفارة الألمانية بخصوص الميراث.

كان هذا هو الفخ. وكنت غبيًّا بما يكفي لعدم إدراك أنه كان كالخطاف الذي يستخدمونه لصيد السمك.

إذا كان عنواني في وصيتها، أو على الأقل العنوان الذي كان موجودًا في رسائلي لها كمرسل، فإن البريد من السفارة الألمانية سيصلني بطريق غير مباشر، لكنهم لن يعطوني الميراث إلا بأوراق موثقة. ومن أين لي الحصول على أوراق موثقة ما دمت كنت أعمل تحت اسم مستعار طوال الوقت؟ عندما يحين وقت الجد، لن تكون لديَّ أي فرصة للحصول على المال الوفير الذي وعدتني به.

كما قلت: كان هذا هو الصيد المزود بطُعم مغرٍ.

كتبت السيدة "ك." أنها كانت تتمنى لو لم نكن في حاجة إلى كل تلك الدوائر الحكومية والاستثمارات، ويا ليتها كان بإمكانها الحصول على المال من البنك وتسليمه لي يدًا بيد مباشرة. كانت تعلم أن صحتي ضعيفة ولا تسمح لي برحلة طويلة إلى ألمانيا، لكنها لم تتصور سعادة أكبر من رؤيتها لي مرة أخرى قبل وفاتها. فعلى الرغم من صعوبة وقوفها، فإنها حاولت من أجلي خبز فطيرة التفاح، بسبب ذكرياتي الجميلة عنه معها.

(لا بدَّ لي من أن أوضح لك أيها القس ماذا أخبرتها عن حالتي الصحية الضعيفة: لقد أخبرتها أنني قد أُصبت بورم؛ كحلقة إضافية في قصة حياتي التي أسردها لها. وحفاظًا على مبدأ التشويق، أخبرتها أنني لم أعرف بعد أهو حميد أم خبيث).

في الواقع، كان أحد مبادئ عملي عدم الظهور شخصيًّا لأي من الجدات اللواتي لعبتُ دور أحفادهن، لكن الإغراء كان ببساطة أكبر من اللازم هنا. كمحترف، أنت تعلم أن الإغراءات تأتي دائمًا من الشيطان. في هذه الحالة من أحد أقسام الجحيم: الشرطة الجنائية. لذلك كتبت لها مرة أخرى، أو بالأحرى جعلت مَن ينوب عني في الكتابة يقول إنني سأركب الطائرة التالية لأمنح آخر أمنية لجدتي العزيزة. أخبرتها أنه لا توجد رحلة مباشرة إلى ألمانيا من جزيرتي النائية، وسأضطر إلى تغيير القطارات مرتين حتى أصل إلى لندن، ومنها إلى "ميونخ".

كانت هناك الكثير من الأشياء التي يجب تدبيرها، لكي أبدو مقنعًا، كان عليَّ أن أبدو أنني قد أمضيت بالفعل رحلة طويلة ورائي، من حيث الأمتعة وكل شيء. استطعتُ أن أجد تفسيرًا يبرر أنني على الرغم من المناخ الاستوائي في "كوراساو"، لم تكتسب بشرتي اللون البرونزي، وأرجعت سبب شحوب وجهي - الذي يميز لون بشرة سكان المدن الكبرى - إلى الإقامة الطويلة في المستشفى التي وصفتها لها بشكل خيالي. هذا بالإضافة إلى أنني لا بدَّ أن أنزل حقيقة من الطائرة. وكان هذا تحسبًا لاحتمالية إصرار السيدة "ك." على أن تقلَّني من المطار على الرغم من حالتها الصحية السيئة. لذلك سافرت إلى لندن أولًا ومن هناك عدتُ إلى ألمانيا.

ولقد جاء بالفعل مَن يقلُّني من المطار، لكنها لم تكن السيدة "ك.".

إلى القس

وصلت مطار "ميونخ" مجهزًا تجهيزًا كاملًا، كما لو أنني مسافر حقًّا من المناطق الجنوبية. وعلى الرغم من أننا كنا في الشتاء، فإن معطفي لم يكن معي، من أجل أن أبدو مقنعًا أكثر في دوري. أردت أن أستقل حافلة إلى المحطة، لكن كان هناك رجلان في انتظاري وبادر أحدهما بالكلام معي. أصابتني الدهشة عندما لم أجب على الاسم. ومرجع ذلك أنه لم يكن اسمي بل اسم الحفيد الحقيقي للسيدة "ك." وواحد من الكثير من الأسماء التي استخدمتها مع ضحاياي. لم أنتبه في أول الأمر أنني أنا المقصود. اندفع الركاب نحو الحافلة وتركت نفسي أندفع معهم، لكن الرجل أمسك ذراعي من ناحية وأمسكني زميله من الجانب الآخر وقال لي:

– لا ينبغي لك ركوب الحافلة. لدينا سيارة جاهزة لك.

قالها بكل أدب.

عندها لاحظت أن أمرًا غريبًا ما يحدث، وبه أدركت في لحظة كل شيء، كيف ينظر لي الركاب الآخرون في ريبة، فهم يعتقدون أن الشخص الذي يُصطحب على مدرج المطار بواسطة سائق خاص يجب أن يكون شيئًا مهمًّا. لم تكن سيارة شرطة ولا توجد عليها ألواح محظورة أو أي شيء من هذا القبيل.

كان مكتوبًا "مراقبة احترازية" على الباب، وأتذكر أنني سألت نفسي تلقائيًا: "احتراز من ماذا؟".

كان الاحتراز هو إجراء القبض عليَّ.

حاولت التحدث معهم، لكن دون جدوى، كلاعب كرة القدم الذي يستمر في اللعب كما لو أنه لم ينتبه للبطاقة الحمراء، أو يعتقد أن الحكم قد قصد بها شخصًا آخر. لكن بلا شك لا بدَّ أن يغادر الملعب. تحدثتُ عن "التباس الأمر"، وأنني ليست لديَّ فكرة ماذا يريدون مني. لكنني استسلمت في النهاية، فكل هذه كانت ردود فعل تلقائية. فالدجاجة تسيل دماؤها إذا ما قُطعت رأسها.

ولأنني كنت كسولًا في إتمام عملي بدقة، اتضح أنهم يعرفون كل شيء.

لا، لأنني أحببت أفكاري ووجدت نفسي رائعًا. الكسل والغرور من المحظورات في أي منافسة مثالية، كما يقول "المحامي". لا عجب أنني عوقبت على ذلك. في كتاب "القواعد التسعة وتسعون للكتابة" هناك قاعدة تقول: "اقتل أحباءك" وكان يجب على المؤلف أن يضيف "أو سيقتلك أحباؤك". فكرة ساعي البريد في "كوراساو" - الذي كان يمكنني سماعه قادمًا من بعيد لأن دراجته كانت بها عجلة خلفية صاخبة - كانت الفكرة التي أحببتها كثيرًا لدرجة أنني استخدمتها أكثر من مرة. بدا ذلك لي رائعًا وفعالًا للغاية لدرجة أنني أدرجته في العديد من رسائل الأحفاد إلى العديد من الجدات.

فكرت كثيرًا في أنه من غير المحتمل أن يلاحظ أي شخص هذه النسخة المكررة. لقد جعلت من القواعد الصارمة عدم الاعتناء بعميلين في المدينة نفسها. حتى لو كان هناك عدد كافٍ من العملاء على بعد خمسين كيلومترًا، كان هذا هو الحد الأدنى الذي حددته لنفسي، لاستبعاد احتمال أن يكون اثنان منهم قد التقيا بالمصادفة وأخبرا بعضهما بعضًا عن أحفادهما الذين عُثِرَ عليهم.

كان لديَّ مبدأ، وهو أن تكون العميلات من سكان المدن الكبيرة، مع الوضع في الاعتبار أن تكون هناك دائمًا مسافة كافية بينهما. لقد فكرت في كل شيء. وبعد ذلك، تبلغ مسافة الطيران ما بين "هامبورج" و"ميونخ" نحو ثمانمائة كيلومتر. لا يمكن أن يكون هناك مصادفة أكثر سوءًا من التي حدثت معي.

يجب أن تكون هناك هيئة مختصة يمكن للمرء أن يشتكي فيها من مثل هذه المصادفات السيئة، حيث يمكنك المطالبة بإعلان بطلانها وسحبها بسبب ثبوت عدم احتمالها. ولكن لسوء الحظ، كان "شوبنهاور" على حق مرة أخرى: "كل جدارة لا قيمة لها أمام فضل ونعمة الفرصة".

ظل الضباط مهذبين معي طوال الوقت. لم يكن هناك شرطي جيد أو شرطي سيئ أو حتى شرطي يعميني بضوء مصباح مكتبه. كانوا يعرفون أنهم لم يكونوا في حاجة إلى ذلك، لأنهم يمكن أن يخبروني بمبالغ وتواريخ التحويلات التي تمت. الشيء الوحيد الذي لم يتوقعوه هو تلعثمي.

عندما يخسر المرء مباراة، فلا فائدة من الجدل حول كون الكرة بالفعل فوق خط المرمى أم لا. لم أنكر شيئًا وقدمت لهم اعترافًا كاملًا فيما يخص الحالتين اللتين علموا بهما. وهما السيدة "ك." من مدينة "م." والسيدة "ف." من مدينة "هـ". كانتا زميلتيَّ دراسة منذ ما يقرب من سبعين عامًا. على الرغم من أن أحدهما كانت تعيش في "ميونخ" والأخرى في "هامبورج"، فإن لديهما الكثير من الأشياء المشتركة، ليس فقط الترمل بل كلتاهما كانا لديهما ولد وكلا الولدين لم يظلا طويلًا على قيد الحياة. لم يبقَ سوى عدد قليل من أبناء الأخ وأبناء الأخت الذين لم يظهروا أبدًا. فقط أرسلوا مرة كارت تهنئة بخصوص عيد الميلاد سابقًا.

ومؤخرًا ظهر أيضًا هذا الحفيد الذي اتصل بها فجأة مرة أخرى، مع كل الذكريات الرائعة للوقت الذي كنا لا نزال فيه أسرة سعيدة. الذي عاش في "كوراساو" واخترعت لها ساعي بريد ذا دراجة تصدر صوتًا مزعجًا عندما يقترب من عنواني ليسلمني الرسائل.

"ميونخ" و"هامبورج". ما مدى سوء الحظ الذي قد يصيب الشخص في هذا الموقف؟

منذ ذلك الحين، كنت أسأل نفسي كثيرًا أكانت الأمور ستسير بشكل مختلف إذا كنت قد عملت بحذر أكبر؟ أولًا، اخترعت ساعي البريد بدراجة مزعجة، وللأخرى، ربما أخترع ساعية بريد سمينة، فضوليَّة لدرجة أنها قرأت سرًّا جميع الرسائل قبل تسليمها وسلمت بريدي بهزة مؤلمة من رأسها، لأنها وجدت أنه من غير العدل أنني كتبت مراسلاتي بلغة لا تفهمها ومن ثَمَّ لم ترضِ فضولها.

أوه، كان سيحدث لي المزيد إذا كنت قد أرهقت نفسي ببعض التدابير، لكنني لم أرهق نفسي، وقد عُوقبت الآن بسبب هذا الخطأ. "حَتَّى الشياطين تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ. فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ" إنجيل لوقا (10:18).

يمكن للمرء أن يتحدث عن سخرية القدر، لكن في حالتي يبدو أن القدر كان لديه خط ساخر بالفعل، لأنه جعل كاتبة الرسائل العظيمة تدفعني إلى الوقوع في حب الرسالة، رسالة صاغتها الشرطة ونسختها السيدة "ك."، وكنت غبيًّا لدرجة أنني لم أسمع النغمات الخاطئة. يجب أن يكون المجرم فخورًا جدًّا بفكرته. ليس على سبيل السخرية – موهبة من النادر أن تكون عند المسؤولين – ولكن بسبب توفير اليد العاملة. لماذا أُصدرت

مذكرة توقيف دولية إذا كنت تحتاج فقط إلى اصطحاب الشخص المطلوب في المطار؟ إن أعظم متعة للجزار هي العجل الذي يتطوع عند بوابة المذبح. كل شيء كان جاهزًا، ولم يبقَ إلا الضغط على الزناد. فيما يخص حالتي، كان القسم المختص، قسم 263، المنوط بالاحتيال التجاري.

كانوا يعرفون شيئًا عن قصة "ميونخ" وقصة "هامبورج"، ولأن التلعثم دائمًا يثير الشفقة، فقد أَفْلَتُّ من العقوبة مع وقف التنفيذ. ولكن بعد ذلك، أُبلغ عن القضية في الصحف (أطلقوا عليَّ اسم "صائد الأرامل")، واتصلت جدة من ساكسونيا أيضًا قبل إعلان الحكم والسيدة "س." من "د." كانت تعرف أيضًا عن ابن أخ عُثر عليه ودراجة ساعي بريد ذات صرير. ثم انتهت مسألة وقف التنفيذ.

مع نهج المتهم الساخر بشكل خاص، يبدو أنه من المناسب أن تكون العبارة "مع أقصى عقوبة".

ساخرة؟ وحتى الوقت الذي تدخلت فيه الشرطة، كان الثلاثة سعداء.

إلى القس

فقرة إضافية للتسليم الأخير:

بعد دخولي السجن بوقت قصير، علمت أن السيدة "ك." لم تعد على قيد الحياة. يؤسفني أن العام الأخير من حياتها كان عامًا غير سار بالنسبة إليها. كانت ستموت بسهولة إذا لم تشك في العثور على حفيدها. لكي يكون في سلام مع العالم، على الشخص أن يؤمن بشيء ما، فلن تتناقض معي كقس. الكذبة اللطيفة خير من الحقيقة المؤلمة. بهذا المعنى لم أكن أبدًا مدمر الأرامل، وإنما صانع سعادتهم.

بالمناسبة: السيدة "ك." ظهرت شاهدة في محاكمتي وتحدثنا فترة وجيزة في نهاية الجلسة. في البداية لم أتعرفها، على الرغم من أنني كنت أشاهدها كثيرًا وهي جالسة إلى الطاولة المجاورة في أثناء ما كنت أراقبها. لكن خلال مراسلاتنا، تغيرت صورتي عنها، الاختراع أقوى من الحقائق، وفي رأسي أصبحت مثيرة للاهتمام أكثر، وأكثر تعقيدًا، وقبل كل شيء، أكثر جدية.

والآن ما هي إلا امرأة عجوز عادية. كما لو كان لديك موعد مع "جوليت"، ثم ظهر مراهق ذو بثور في وجهه في حياتها.

يبدو أن السيدة "ك." قد شعرت بالشعور نفسه معي. لا أعرف كيف تخيلت بالضبط حفيدها الذي سافر بعد قراءة رسائله؛ على أي حال، لم أكن الشخص الذي رسمته في خيالها. دائمًا ما أكون شخصًا مثيرًا للاهتمام على الورق فقط، لكنني في الواقع تجسيد للإحباط. باختصار الملخص المناسب لحياتي هو أنني أستطيع أن أكتب أفضل مما أنا عليه.

كانت الجملة الأخيرة للسيدة "ك." قبل أن أُصطحبَ بعيدًا:

– يمكنني أن أغفر لك كل شيء، إلا أنك فعلت بي ما فعلت وأنت متلعثم. فالمتلعثمون لا يحلم بهم أحد على الإطلاق.

أقر بهذا.

بعد إطلاق سراحي، سأجد طريقة أخرى لكسب لقمة العيش. في الوقت الحالي، ليست لديَّ أي فكرة عن مكان للعثور على شيء مناسب. لن أتمكن بعد الآن من أداء وظيفتي القديمة، على الرغم من أنها كانت مصممة خصوصًا لي. ليس بسبب الشرطة. أثق بنفسي لأكون ذكيًا بما يكفي حتى لا يُمسَك بي مرة أخرى. لكنني لن أحظى مرة أخرى بالأمان اللازم لهذه الوظيفة. يجب على الفنان الذي يسقط في أثناء الأداء أن يعود إلى الحبل المرتفع على الفور، وليس بعد عامين من الانقطاع القسري على نفقة الدولة.

أعلم أنك لا تحب أن أدعو عملي بالفن، لكن "باجانيني" عازف الكمان الشهير لم يكن مجرد رجل يلاعب آلة الكمان فقط. أعتقد أنك سوف تمدحني – وتمدح ذاتك قليلًا أيضًا – لاتخاذي قرارًا بتغيير رأيي.

الإنجيل هو دليلك الإرشادي حقًّا. وعلى الرغم من ذلك، كان يجب عليك أيها القس أن تنصحني بالبقاء مخلصًا لتجارتي. "الدعوة التي دعا فيها كل واحد فليلبث فيها" رسالة بولس (7,20).

مجرد دعابة صغيرة.

والآن، وعلى محمل الجد، منذ أن أعطيتني هذه الوظيفة وأنا أفكر لم لا أستغل الفرصة في الحصول على وظيفة مكتبية أخرى؟ أيها القس سوف تعطيني خطاب توصية، أليس كذلك؟ وستكتب فيه "لقد أثبت الثقة الموضوعة فيه على أكمل وجه ولم يترك عمله ولو مرة". ولكن من دون

الشهادات اللازمة – ففي ألمانيا، تحتاج إلى دبلوم إذا كنت تريد فقط عبور الشارع – سأُعيَّن على أحسن الأحوال مساعدًا.

ترتيب الرفوف. أُستدعى لتنظيف الغبار من القبو. أُنظِّفَ ماكينة صنع القهوة، وهذا لا يناسبني. أحتاج إلى دور قيادي، وليس دور أحمل فيه كؤوس الآخرين وأنا أسير خلفهم. إذا كان الأمر في النهاية يتعلق بالعمل المساعد فقط، فيمكنني أيضًا التقديم في ورشة ختم لوحات الترخيص. وظيفة أخرى لديَّ خبرة فيها. بعد الخروج من السجن، يصبح المرء على أتم الاستعداد للحياة بحريَّة.

مرحى، مرحى، مرحى.

بالتأكيد سيكون هناك الكثير من المهن يمكنني فيها أن أظهر مواهبي. كاتب خطابات للسياسيين مثلًا، وهذا لن يشكل أية أهمية بالنسبة إليَّ. أي وظيفة يمكن أن يؤديها موظف. ثم إنها لن تؤدي دورًا مهمًّا أيضًا بالنسبة إلى السياسيين.

الوطن. الحرية. حقوق الإنسان. لن أحتاج إلى لوحة مفاتيح موسيقية للعزف على هذا البيانو، ففي هذه المهنة، ينقشون الشعارات على أجسادهم.

لكنني لن أُعيَّنَ لذلك، فلديَّ كثير من المخالفات في "فلنسبورج".

حتى الآن، لم أتوصل إلى أي شيء أفضل من بدء عمل خاص بي. سوف أعمل مرة أخرى في مجال الخدمات. أفكر في إنشاء شركة صغيرة حيث يمكن للعملاء طلب كتابة رسائل لجميع المناسبات. في اعتقادي، لن يكون الحصول على عملاء بالأمر الصعب. هناك عدد كافٍ من الأشخاص الذين يفضلون جر الحجارة بدلًا من كتابة نص على الورق. أودُّ أن أقدم مجموعة متنوعة من الخيارات؛ رسائل رسمية إلى المكاتب على اختلاف

أنواعها. رسائل شكوى إلى إدارة الممتلكات، لأن الجار يستمع للموسيقى الصاخبة ليلًا. أو، مثل "أمبروس" الذي كان يئنُّ بصوت مسموع عند الاستمناء. أو حتى رسائل تخص العلاقات: رسائل حب لا تستطيع أي امرأة أن تقاومها. (ولا حتى أي رجل. لن أكون انتقائيًّا في هذا الشأن).

سيكون نشاطًا قريبًا من قلب الناس، نشاطًا نبيلًا ومفيدًا وجيدًا، وفي بعض الحالات منقذًا للحياة. على الأقل لن أُكلف بما هو أقل من قدراتي على المدى الطويل. لكن من المحتمل أن يتطلب الأمر أكثر من ذلك، كأن يُطلب مني كتابة رسالة فحواها كالتالي: "**عزيزي السيد موزارت، أود أن أطلب منك بعض الأغاني المناسبة للأطفال لأغنيها على الجيتار، لكنني لا يمكنني العزف إلا على ثلاثة أوتار فقط**".

يشغلني سؤال كيف يصل الناس إلى وظائفهم بالفعل؟ عندما أنظر إلى الناس هنا في السجن، أسأل نفسي: "هل شرعوا في أن يصبحوا مجرمين وهم أطفال؟ هل جرى على لسانهم: «عندما أكبر، أريد أن أصبح نشالًا»؟ أو مزورًا أو لصًّا؟"، بالتأكيد لقد حلموا جميعًا بالعمل كسائقي قطار، أو كراعي أبقار، أو مثلي عندما حلمت بأن أكون أحد الأنبياء الصغار.

متى يتغير كل هذا؟ متى ينزلق الإنسان في هذا الفخ المهني الذي لا يمكنه الخروج منه؟ أنت على سبيل المثال أيها القس، كيف بدأت بدراسة علم اللاهوت؟ بالتأكيد لم تتخذ قرار صعودك على المنبر في أثناء لعبك في الملعب الرملي وأنت طفل، أم كنت قديسًا شابًّا في مقتبل العمر لم يخطر بباله التبول سرًّا في حمام السباحة مطلقًا؟ وعليه، ما الطريقة التي ينبغي أن أتبع بها تقييمك كقس يرى نفسه متخصصًا في تقويم أرواح من حوله لتصحيح زلاتهم وردهم إلى الطريق المستقيم؟

هل كان هذا سبب قبولك في الوظيفة هنا في السجن؟ إذا كان هذا صحيحًا، فعليك أن تشعر بخيبة أمل كبيرة. لأنه لا يوجد شيء أسوأ من أن تكون عالقًا طوال حياتك في وظيفة لا تناسبك.

على الجميع فقط أن يفعلوا ما يجيدونه. وهو ما يعني أيضًا أن معظم الناس سيكونون عاطلين عن العمل، ما لم تعلنوا أن الجلوس أمام التليفزيون وشرب البيرة يعد تدريبًا مهنيًّا بالنسبة إليهم.

أفضل ما أجيده هو كتابة الرسائل، أو بالأحرى الكتابة نفسها.. لكن من دون موهبة، سأجوع كشاعر فقير يسكن في غرفة على سطح المنزل. سأكون سعيدًا جدًّا بحياة الحرفي ميسور الحال. من حسن الحظ – أو من سوء الحظ – لا يزال لديَّ متسع من الوقت للتفكير في مستقبلي. وأقبل النصائح الجيدة بكل سرور.

يوميات

إذا كان هذا اقتراحًا منه لمهنة مستقبلية، فهذا يعني أن القس لديه ثقة كبيرة بي. لكنه ربما صادف هذا الإعلان بالمصادفة وحينها فكر بي. لكنني سأَعدُّ هذا مجاملة أخرى منه.

الإنسان حيوان غريب. يقبل المجاملات بكل سرور حتى من الأشخاص الذين لا يهتم بآرائهم على الإطلاق.

هناك أيضًا فكرة لإنشاء شركة ستعمل بشكل جيد بكل تأكيد؛ خدمة توصيل جميع أنواع ترانيم التسبيح.

أفكاري جامحة. وكل هذا بسبب المنافسة التي سأشارك فيها بكل تأكيد. يعرفني القس جيدًا لدرجة تأكده أنني بالطبع سأشارك. لن أكون قادرًا على التفكير في أي شيء آخر حتى تُحلَّ شفرة هذه المهمة.

مسابقة لكتابة قصة قصيرة في موضوع "العدالة". بحد أقصى عشرين ألف حرف، بما في ذلك المسافات.

من دون جهاز كمبيوتر، سأُضطر إلى عد الحروف والمسافات واحدة تلو الأخرى. ربما يتمكن القس من إحضار آلة كاتبة لي، لأن النص المكتوب بخط اليد لن يحظى بفرصة.

أنا أفكر فعليًّا في هذا العرض، لكنني ما زلت لا أملك أي فكرة لكتابة قصة حتى الآن.

بقي ما يقرب من شهرين على الموعد النهائي. لا بدَّ أن أفكر بهدوء، "فَكِّر بهدوء".

كتابة موضوع عن "العدالة". مَن عساه أن يفكر بمثل هذا الموضوع؟ بالتأكيد لا يصدر هذا الفكر إلا من مجموعة تطلق على نفسها اسم "الكلمة" وتحمل عنوان صندوق بريد في "بوتروب" والمقصود كلام الله وهذا بديهي. ظهر الإعلان في مجلة تسمى "كريسمون بلوس". تبدو مقدسة بشكل مخيف. ولا عجب أن القس اشترك في شيء مثل هذا.

ليست جائزة مالية ضخمة، لكنها لا تزال ثلاثة آلاف يورو للفائز، وألف يورو للمرتبتين الشرفيتين الثانية والثالثة. ثلاثة آلاف يورو، أي ما يعادل 240 يوم عمل هنا في السجن. لا 242.7.

من حيث المال، فهذا لا يمثل شيئًا مهمًّا بالنسبة إليَّ. ليس مبتغاي. ما يجعل الأمر مغريًا بالنسبة إليَّ هي الفكرة؛ فكرة الفوز بجائزة بسبب كتابة

نص. فكرة وضع بضع صفحات في مظروف، وإرسالها بالبريد. يجب أن أطلب من القس إرسال هذه الرسالة نيابة عني. وإلا فإن النص سيخضع للرقابة وسيضعون ختم "تم تفتيشه" الخاص بالسجن عليه، وهو ما لن يكون في صالحي على الإطلاق. لا بدَّ من التحايل على القواعد لتُمرَّر الرسالة. لكن يمكنني أن أقنعه. عليه أيضًا إعطاء عنوانه الخاص من أجل الرد. ستكون الرسالة باسم مستعار مكتوب عليها "يصل إلى يد القس".

توقف عن إثارة شهيتك حتى يسيل لعابك أيها الأحمق! سيُرتَّب كل شيء في الوقت المحدد له.

"العدالة"، يا له من موضوع غبي!

ما يتوقعونه في تلك القصة المزعومة لا بدَّ أن يكون شيئًا معروفًا: قاضٍ حكيم وحكم "سليمان". أو شيء من هذا القبيل، قصة ذات أخلاق واضحة. في البداية تمتلئ الأحداث بالخلافات والصراعات، وبعد عشرين ألف علامة، كل شيء يصبح على ما يرام مرة أخرى. "وَيَكُونُ صُنْعُ الْعَدْلِ سَلاَمًا، وَعَمَلُ الْعَدْلِ سُكُونًا وَطُمَأْنِينَةً إِلَى الأَبَدِ" سفر إشعياء (32: 17). وسعادة وكعكة البيض إلى الأبد أيضًا.

ملل يجلب التثاؤب.

يعتبر هذا مملًا من ناحية، وسهلًا في الكتابة من ناحية أخرى. لقد حكى لي "باخوفن" ما يكفي من تلك الحكايات الخيالية.

إذا لم يكن الأمر مختلفًا تمامًا.

ما الذي يجعل شخصًا يدعو إلى التدين الشكلي أن يعقد مسابقة أدبية وهو يملك في الأساس ما يكفي من المراجع لذلك؟ لم يكن فريق تحرير المجلة هو الذي أعلن المسابقة، ولكن المنظمة التي اضطرت إلى حجز إعلان

لها. بالطبع كانت مجموعة العمل التي تحمل اسم "الكلمة"، ولا بدَّ أن من اقترح ذلك هو أحدث قسم تأسس بها. كنيسة القرن الحادي والعشرين. حيث مَن يُنظِّم هم الشباب اللوثريون. والسادة القدامى يعتبرونهم ثوريين، فقط لأنهم عند أداء مراسم الصلوات ينفخون في البوق. لرجال من نوعية القس، لا بدَّ أن تمنحهم قصة مختلفة تمامًا.

عليَّ أن أرسل نصوصًا عدة من كل نوع. وإذا كان لكل قصة اسم مستعار مختلف، فلن يلحظ أحد. لكن لن يجدي ذلك، لأنني في حاجة إلى القس لإرساله. بالتأكيد أنه سوف يرفض مشاركتي، إذ إن من شروط المسابقة أن "يرسل كل شخص مساهمة واحدة فقط" والقس ليس مرنًا ليستجيب لذلك.

لا بدَّ أن أعيد التفكير في الأمر مرة أخرى.

من الأرجح أن منظمي المسابقة ينتمون إلى الجيل الجديد. لذا ليس من الملائم أن أكتب شيئًا ذا أسلوب قديم، ولا بدَّ أن يكون من مواضيع هذه الآونة.

موضوع له طابع نقد اجتماعي.

أو شيء ذو صلة.

عمال بالسخرة في موقع بناء لكأس العالم لكرة القدم مثلًا؟ شخص ما يسقط من على السقالات والكل يتنصل من المسؤولية؟

لكن هذا ليس بالأفضل، لأن كرة القدم ليست مثيرة لمثل هؤلاء الأشخاص.

إذن لاجئون في زورق مطاطي يغرق؟ لا، رووها كثيرًا.

على كل حال، لا بدَّ أن يكون بطلًا مثيرًا للتعاطف.

لا بدَّ أن يكون البطل ضحية.

أو بطلة! فالمرأة لها السبق في أي تعاطف.

امرأة عانت، تصف معاناتها بالتفصيل.

شهيدة. بحيث إذا كان هناك أفراد من الكنيسة يجلسون في هيئة المحلفين. فيجب أن تبدو تلك الشهيدة مألوفة لهم.

تمرين للمهارة

بروتوكول استجواب

شكرًا، لا أحتاج إلى شيء.

حقًّا لا أحتاج إلى أي شيء.

لديَّ خبز، وشوكولاتة، وماء. وها هي الزجاجة الفارغة.

هل يمكنني الاحتفاظ بها؟ شكرًا لك.

أصبحت معتادة على عدم امتلاك أشياء على الإطلاق.

شكرًا لك. أو لا، ربما أريد شيئًا ما، إن كان هذا ممكنًا.

إنه شيء بسيط، لكنه لن يكون بحوزته على أي حال. إنه.. يا لها من كلمة قبيحة! لكننا أطلقناها على كل الرجال. داخل السجن، لم يفهم أحد لغتنا، وكان ذلك هو انتصارنا الصغير.

أردت أن أقول:

– ما أريده هو شيء لا يملكه الرجال عادة، لأنه لا يناسبهم.

إنه ينظر إليَّ بغرابة، هل قلت شيئًا خاطئًا؟

لا يعجبني عندما تبتسمون. يبتسمون في البداية فقط، ثم..

لقد وعدتني ألا يؤذيني أحد هنا.

بالطبع أنا خائفة. لماذا أشعل سيجارة؟ لماذا الآن؟

لا أريد أن أرى دخانًا. لقد رأيت الكثير من المنازل المحترقة بسبب سيجارة..

فليطفئها إذًا. إذا كان لا يريد أن يؤذيني، فعليه إطفاؤها.

شكرًا لك.

شكرًا لك. شكرًا لك. شكرًا لك.

أنا أخاف من السجائر.

انظر. هنا. على ذراعي. على ذراعيَّ. في بعض الأحيان، كانوا يطفئون سجائرهم علينا.

لست في حاجة إلى طبيب. حقًّا لا. لا أحتاج إلى أي شيء.

أنا لست عطشى أيضًا.

أو ربما.. أحتاج إلى رشفة ماء.. ها هي الزجاجة..

في كل مرة زجاجة جديدة.. في كل مرة؟

لا بدَّ أن بلاده غنية جدًّا. لقد افتقدتُ ذلك كثيرًا؛ الماء البارد. أشعر الآن بتحسن..

إنه مكتبه.. يمكنه التدخين متى شاء.

أخبره أنه شخص جيد.

ماذا أتمنى لنفسي؟ هل يُهِمَّهُ حقًّا أن يعرف؟ بالتأكيد.

إنه أمرٌ مثير للسخرية.

لكنه لن يكون كذلك بالنسبة إليه. إنه رجل بمعنى الكلمة. رجل نبيل. وهذا محرج بالنسبة إليَّ.

أريد مرآة.

لوح من زجاج يكفيني بالقدر الذي أستطيع أن أرى وجهي فيه.

هذه هي أمنيتي الآن. نعم.

أعرف كيف أبدو، لكنني أريد أن أتأكد من شكلي مرارًا وتكرارًا. في كل دقيقة. حتى أعتاد ذلك. الآن، أن أرى وجهي من دون غطاء. أريد رؤيته كما يراه الجميع..

شكرًا لك.

هل من الشائع في بلدك تقبيل يد فاعلي الخير؟

هناك الكثير لنتعلمه. لقد كنتُ أقبل يد والدي. كان أبًا جيدًا. قال لي ذات مرة إنني جميلة. لقد كنت جميلة في الماضي. عندما كنت طفلة.

مائة عام. أشعر وكأن عمري مائة عام.

في الخامسة عشرة من عمري. عند بلوغي الخامسة عشرة من عمري، توقفتُ عن العد.

عندما تحول وجهي إلى ما هو عليه الآن.

لا، ليس للأمر علاقة بالحرب. أو، بالطبع نعم، كانت له علاقة بالحرب.

سائل صافٍ. مثل الماء. سائل يستخدمونه لصنع القنابل. كانت الزجاجة موضوعة على المنضدة، وأحيانًا كان يربت عليها ويربت على بندقيته أيضًا.

هو.

ذات مرة أحضر كلبًا، كلبًا صغيرًا جدًّا، وسكب عليه ذاك السائل. عندها صرخ الكلب وبدا وكأنه صراخ إنسان، فقط ليريني ما سيفعله بي إذا لم أنصَع لأوامره. لم أفهم اللغة التي تحدث بها، لكنني فهمت مقصده.

لقد كانت غلطتي. كان عليَّ أن أنصاع لطلبه. لقد شعرتُ بمنتهى القرف بسبب ما حدث بيننا في ذلك اليوم.

لقد حدث شيء لا يمكنني أن أحكيه لرجل. لكن أيجب عليَّ أن أفعل؟ شكرًا لك.

"لا"، كلمة ذات معنيين. عندما ينطقها شخص آخر تكون مؤلمة. أما إذا كنت تستطيع أن تقولها بنفسك، فهذا يجعلك قويًّا. لكنني حينها نسيتُ ذلك كليًّا.

لقد قلت له: "لا"، وعندها أخذ الزجاجة ثم.. لقد كان مثل مَن صب نارًا على جلدي. لكنني كنت محظوظة.

نعم، محظوظة، لأنني لم أُصَب بالعمى مثلما حدث للكثيرين غيري.

لقد شعر بخيبة أمل لأنني ما زلتُ أراه.. هو.

زوجي.

بالطبع لم نكن متزوجين، لكنهم قالوا لي إنه من الآن فصاعدًا أصبح "زوجي"، ومنذ ذلك الحين، أصبح زوجي بالفعل.

هو.

إن من فأل الشؤم أن تتلفظ باسم مَن مات بالفعل. إلا إذا كان من مات قديسًا، وهو لم يكن قديسًا.

لقد قتلوه. أعتقد أنهم قتلوه. بل أتمنى ذلك. ألا يكفي أن أسميه "زوجي"؟ عندما ننطق باسم رجل سيئ؟

يمكن أن يتحول إلى عفريت.

نعم عفريت. لا أعرف كلمة مناسبة أكثر منها. فالعفاريت هم من يأتون في الليل ويمتصون الأنفاس من الأجساد.

الموتى الأحياء.

ربما كان هو العفريت الذي يأتي خصيصًا من أجلي. وهم مسؤولون أن يشرحوا له مهمته بالطريقة التي يفهمها.

لقد حكت لي والدتي عن مثل هذه الكائنات.

لا أعرف أقرأت أمي عن هذا في مكان ما؟ فهي لم تتعلم القراءة من الأساس، لأن الفتيات لا يحتجن إلى ذلك.

هل كان من الممكن أن تفيدها لو كانت تعلمتها؟

أنا آسفة جدًّا. قل له إنني آسفة فعلًا. لم أقصد الصراخ في وجهه. لكنه لم يكن ليفهم أي شيء. على الرغم من أنه شخص جيد.

وأخبره أيضًا أنني أشكره على إعطائي مرآة.

أسئلته كانت بمثابة أيادٍ خفية تتسلل تحت ثوبي.

إلا أنه.. كان يجب أن يسأل.

كيف بدأ الأمر؟ هل يمكن لأحد حقًّا معرفة متى بدأ شيء ما؟ ذات مرة، منذ وقت طويل، كنا نزرع الحبوب، وقالت والدتي: "الخبز يبدأ من الآن".

كل ما فكرت فيه حينها أنها ستحكي لي قصة خرافية أخرى من قصصها التي كانت تحفظ منها الكثير.

ثم ماتت بعدها.

ملؤوا دلو الماء بالحجارة وربطوه بساقيها. ثم أنزلوها في البئر ببطء شديد. لم نكن فقراء وكنا نملك بئرًا خاصة بنا.

لقد فعلوا تلك التصرفات كثيرًا لدرجة جعلتهم لا يستمتعون بما يفعلون. لقد أرادوا أن يخبرهم والدي أين يخفي الأسلحة، لكنه لم يكن لديه أي سلاح ليخبئه. لقد كان شخصًا مسالمًا.

لقد رموها في البئر. ببطء شديد. بحيث إذا تعفُّنت جُثَّة إنسان في ذلك المكان، تمتنع النفس عن الشرب منه، وهو ما تلاحظه الماشية أيضًا، وتُفضِّل أن تموت من العطش. كان لدينا ماعز، قطيع صغير من الماعز وبئرنا الخاصة. وكان أبي يقول دائمًا إن الآبار أماكن مقدسة.

لقد قطعوا.. كان يجب ألا يفعلوا ما فعلوه أمام ابنته، خصوصًا إذا أجبروها على المشاهدة. لقد قطعوا لسانه أولًا ثم.. ثم حشروه في فمه. عند تلك اللحظة، لم أتمالك نفسي وسقطتُ مغشيًّا عليَّ، ولم أعرف أكان صرخ أم لا. لكنني أنتفض كل ليلة من نومي بسبب سماعي لصراخه.

كل ليلة.

لم يكن والدي رجلًا مهمًا، كان فلاحًا بسيطًا، وراعي أغنام، لكنه كان مشهورًا بفطنته.

فعندما كان يتشاجر شخصان في بلدتنا، كانا يفزِعان إليه ليُصلح بينهما. لأن هناك أيضًا قديسين من البسطاء.

لقد قطعوا.. وحشروه في فمه.

لا، عليه الآن أن يسمعني. لقد سألني، والآن يجب عليه أن يحصل مني على الإجابة، ربما من الجيد أن أحكي له ما رأيت.

عندما كان يُصاب أحدهم في بلدتنا بدمل صديدي، كانوا يأتون به إلى أمي التي كانت تقوم بفتحه وتنظيفه. وكانت تقول دائمًا: "ما فعلته لن يجعله بصحة جيدة، لكنه سيعاني أقل بكل تأكيد". من الأفضل ألا تبقى الأوساخ داخل الجسد. مثلما كان من الأفضل أن أكون أنا شاهدة العيان على ما فعلوه بأبي، وليس أبي هو من شاهد ما فعلوه بي. لم يكن ليتحمل رؤية ما فعلوه بي.

كانوا يتناوبون عليَّ واحد تلو الآخر.

في أول مرة، لم أكن أعرف كيف أتصرف. ففي مثل هذه المواقف، لا يمكن للمرء الدفاع عن نفسه بشدة، يمكنه فقط الدفاع بالقدر الذي يشعرهم بالقوة. لقد كسروا ساقيَّ امرأة وهم يمسكون بها. كلتا الساقين. وأطلقوا عليها كلمة لم أفهمها، لكنني متأكدة من أنه اسم حركي. ربما كانت الكلمة "قرد" أو شيء من هذا القبيل. كانت تتحرك مثل القرد لأن ساقيها كانتا ملتويتين. لقد دعاها زوجها بهذا الاسم الحركي ثم اُضطرت إلى الركض في دوائر وضحك الجميع. في بعض الأحيان، يكون من الأفضل لمن يغتصبونها أن تبكي، لكنها تجد نفسها أقرب لأن تضحك بأعلى صوت. وغالبًا ما يكون ذلك عندما يأتي الدور على أحدهم ليكون فوقها، ثم لا يفعل ما يفعله معها بقسوة. لكن لا يجب ألا يلاحظ ذلك أحد أبدًا. وعليه فإن الصراخ فقط هو ما يجب أن يكون بأعلى صوت. لأنه بخلاف ذلك، سيقام حفل فقد شرفها أمام الجميع.

أسأله رجاءً! هل الشرف مهم جدًّا أيضًا في بلده؟

أسيقتلني إذا ما بصقت في وجهه؟ حتى ولو لم يشاهدنا أحد؟

شخص ما بصق أمامهم فصلبوه عقابًا له. صلبوا جثته ووضعوا الصليب في السوق حيث توجد أكشاك الجزارين. فأصبحت لحوم ميتة أمام أجساد ميتة. ثم تركوه ملقيًّا على الأرض لمدة أسبوع كامل ولم يسمحوا لأحدٍ بإبعاد جثته. حتى عندما أشعلوا جثته لم يسمحوا أيضًا..

أيمكنني الحصول على المزيد من الماء؟

شكرًا لك. لقد كان صليبًا مثل الذي تلبسه دائمًا حول عنقك.. لكن لا يبدو ذلك عمليًّا بالمرة، لأن الأمر سيتطلب نجارًا في كل مرة ليصنع واحدًا

جديدًا، ولن يكون هناك نجار دائمًا، بالإضافة أنه سيكون من الصعب أن تثبت شخصًا عليه. لقد سهَّلوا الأمر كثيرًا على أنفسهم، وإلا لكانوا في حاجة إلى الكثير من الصلبان.

كانوا يأتون بقطعتين من الخشب، ويقوموا بتثبيتهما بالمسامير بشكل تقاطعي فوق بعضهما بعضًا، ليصبحا شبه الإنسان الذي يمد ساقيه إلى الأسفل ويضع ذراعيه فوق رأسه، مثل تلك العلامة التي تُحفرُ في الأبواب لسد طريق الأرواح الشريرة، وصرفُها بعيدًا. نعم، بالضبط بالطريقة التي اتبعها في رسمها. الذراعان والساقان بالطول نفسه. فقط يضعوه على الأرض، ولن يكون من الصعب تثبيت شخص ما عليه. كان والدي نجارًا أيضًا وكان بإمكانه صنع الكثير من تلك الأشياء. ذات مرة، بنى حظيرة للماعز الصغيرة من الخشب الملقى على الأرض حينها. كانت يملك حقًّا أيدٍ ماهرة.

مثل هذا الصليب كان من السهل تجميعه وبناؤه. ولتثبيت صليبك، سيتعين عليك حفر حفرة وملؤها بالحجارة في كل مرة. أما صلباننا نحن فيكفي فقط تثبيتها على الحائط ليس أكثر.

لقد شرح لنا الرجل ذو الياقات البيضاء لماذا يرتدي البعض منكم صليبًا كهذا حول عنقه. كان لا يتحدث لغتنا جيدًا، لكننا كنا نفهمه. يبدو لي أن القصة لا يمكن أن تكون كما رواها. لا أتذكر أسماء الأشخاص الذين حكموا في ذلك الوقت، لكنهم سيعرفونهم من الصلبان. يميز الفائزون أنفسهم بمثل هذه الأشياء. لكنك بكل تأكيد لم تفعل أكثر مما كان مطلوبًا.

أعلم أنه رمز مقدس بالنسبة إليك. لكنني كنت هناك، أما أنت فلا.

لقد كان من الجيد عندما أعادوا الكرَّة أن أجبرونا على أن نخفي وجوهنا. حيث يمكن لمن عانى من مثل هذا الموقف أن يتخطاه ويعتبر أن لا أحد قد شاهد ما حدث.

فلتخبره إذًا! إنه إنسان محظوظ. نعم، محظوظ.

فمن حسن الحظ ألا تقحم نفسك في حرب حتى ينتهي القتال. حيث يمكن للمرء أن يكون بطلًا دون الاضطرار إلى القتل. يمكنه أن يساعد فقط في التنظيف، أو يناول الآخرين زجاجات من المياه. أو مرآة.

قل له أن يلف القرنفل بقطعة قماش وأن يحتفظ بها دائمًا معه. لأنه إذا ما رفعها تجاه أنفه، فلن يشم رائحة الجثة النفاذة.

أخبره..

أنني آسفة على أي حال. دعه يسأل وسأجيب.

أنا آسفة جدًّا. قل له إنني آسفة.

هل سأعرفهم؟ هل سأعرف أبي إذا ما وقف أمامي مرة أخرى؟ هل سأتعرف على وجهي كما كان من قبل إذا ما رأيته في المرآة؟

سوف أعرفهم جميعًا. كل على حدة. كل القادة و تابعيهم. لكن لم يتبقَّ منهم أحد لأتعرف عليه. وهذا هو عزائي الوحيد الذي لا يستطيع أحد أن يسلبه مني. لقد ماتوا جميعًا. أُحْرِقوا جميعًا. مزَّقتهم تلك القنبلة المدفونة أسفل جُدران في ذلك المبنى وأحرقتهم جميعًا عند انفجارها.

لم يكن من الممكن أبدًا أن ينجو أحد مما حدث. لقد جاء الأحرار من كل حدب وصوب وشدوا فتيل القنبلة بكل تركيز.

فتيل القنبلة الذي كان يشبه الحلقة، كانت هي المشنقة التي التفت حول أعناقهم.

كان إذا غنى أحدهم أغنية غير مسموح بغنائها، يضعون سلكًا حول رقبته ويلفون السلك حول قطعة من الخشب في مؤخرة رقبته. ذات مرة، أخذوا ملعقة خشبية من مطبخي، وأداروها ببطء شديد، ومع كل لفة، كان يضيق الخناق حول عنق الضحية. لقد راهنت على كون السلك سيقطع حلقه أولًا أم أنه سيختنق قبل ذلك.

بعدها أعادوا لي الملعقة الخشبية بعد أن انتهوا.

إذا حبستني في غرفة مظلمة وعصبت عينيَّ، فسأظل أتعرف الرجل الذي أمر بذلك. الذي سحب السلك. لقد انتظر حتى تجمع عدد كافٍ من الناس لمشاهدة ما سيفعله بضحيته. إنهم قتلة، لكنهم ممثلون أيضًا.

عاشقون للزهو بأنفسهم.

شكرًا لك. أنا أشرب وأشرب والعطش لا يتوقف.

شكرًا لك.

نعم، سأعرفهم. سأعرف الكل. لكن لم يبقَ أحد. لقد بقوا في رأسي فقط.

كان من غير الممكن أن ينجو أحد. النار كانت في كل مكان. المجاري فقط هي المكان الوحيد الذي لم تصله النار، من حيث أخرجنا الجنود. كنا كلنا نساءً فقط. وأنجبت إحداهُنَّ طفلها هناك والذي مات بعد ذلك. كان المولود فتاة.

شطرت شظية القنبلة رأس تلك الصغيرة إلى نصفين، ومن الجيِّد أنَّها لم تعِش إلى الآن.

كنا نساء غاضبات، قررنا فيما بيننا أنَّه إن جاء رجل سنقتله. لم نكن نعرف كيف سنفعل ذلك، لكننا كنا سنفعل؛ بأيدينا. أو حتى بأسناننا.

من المستحيل أن يكون قد بقي أحد منهم على قيد الحياة.

لقد قال ذلك فقط ليختبرني؛ لمعرفة ما إن كنت تابعة لهم سرًّا أم لا.

هل يستطيع حقًّا تصديق ذلك بعد كل ما حكيته؟ رجاءً سلهُ أيستطيع حقًّا تصديق ذلك؟

لماذا يلعب معي هذه اللعبة؟

في الواقع؟! هل لديك بالفعل واقع.

في واقعي أنا.. أنا لا أريد أن أراه.

لا أريد.

لا أبدًا..

أخبره أنَّهُ لا يحتاج إلى شهود ليعرف كون أي منهم مذنبًا. كلهم مذنبون.

جميعهم.

إنها العدالة.

كثيرًا ما كانوا يستعملون تلك الكلمة قبل إعدام أي شخص.

إذن فهم ليسوا مسؤولين عما كانوا يفعلونه.

لا..

لا أريد أن أرى هذا الرجل. لا أريد أن أرى أيًّا من هؤلاء الرجال مرة أخرى، وإذا أُجبِرتُ على ذلك، فسيكون خيرًا لي لو كان هذا الحمض الذي أساله على وجهي قد أصاب عيني هي الأخرى كي لا أراه. لم يُساعدني أحد، لم يُنقِذني أحد، لا يكون المرء حُرًّا إن اضطُرَّ إلى الحصول على قوتِ يومِهِ من أحد.

الشوكولاتة والماء.

ترى ماذا ينبغي لي أن أفعل بمياهه؟ أسكبها على الأرض. أُفضِّل لو مُتُّ عطشًا على أن أفعل ما يطلب مني فعله، لقد سُرِقتُ وانتهكوني، لكنني لستُ للبيع.

دعه يحتفظ بمرآته، لا أريدها أن تبقى بحوزتي. فأنا أعرف كيف أبدو.

أبي؟ لم يكن لأبي علاقة بالأمر. دع الموتى يرتاحون في قبورهم، لا أعرف ماذا كان سيفعل، لم يكن أبي قاضيًا، لقد قلت لك ذلك على سبيل الخطأ، لكنَّه كان مجرد رجل، كان الآخرون يطلبون منه النصيحة فحسب، لكنه لم يقرأ كتابًا للقانون قط. قال أبي ذات مرة: "كل الكوارث تبدأ من كتب القانون"، يحاول أن يُنصت لأصحاب المشكلة ثم يفكر ويحاول التوصل إلى حلٍّ لا يجعلهُ خاسرًا. في بعض الأحيان، عندما كان يتعذَّر عليه الوصول إلى حل، كان يذهب إلى المنزل ويسأل أمي.

كان يقول عنها: "هي أذكى مني".

ربما أراد أن يقول..

وحتى لو، كانت ستظل أمي صامتة.

وخز الدمل وتنظيفه لم يكن الشيء نفسه. لم يكن الشيء نفسه على الإطلاق.

لا يمكنه إجباري. لن يجبرني أحد على فعل أي شيء مرة أخرى. لن أسمح أن يحدث ذلك مرة أخرى.

أنا لا أبكي. أنا لم أبكِ منذ وقت طويل. إنهم يبكون عليَّ.

لماذا كان يستيقظ؟ إذا أراد أن يضربني، قل له لم يُخلق من أجل ذلك. لكن هذا ما فهمته من تصرفاته. كان عليه أن يتظاهر إذا كان ينبغي له أن يضحك مع الآخرين.

أأستطيع الآن أن أذهب؟ بهذه البساطة؟ ألن يحدث شيء على الإطلاق؟

لم أعتد يومًا أن يستمع أحدٌ إليَّ، أن تعني كلماتي شيئًا ما لأحد.

شكرًا لك.

إذًا سأذهب الآن.

أنا ذاهبة.

ولكن، ماذا عن ذلك الرجل؟! بدوني لن يعرفَ أحدٌ من هو، وما الذي اقترفه.

أو كان يقصد ذلك حقًّا؟

أن أكون أنا الأكثر أهمية؟ أن أستطيع أن أتخذ القرار بمفردي؟

ولكن بشرط واحد، عندما أستطيع رؤيته دون أن يراني، لا يجب أن يستمتع برؤية وجهي من دون حجاب. لن يحدث مطلقًا مرَّة أخرى. هذا الباب الموجود هنا، ما الذي يمكن أن يكون وراءه؟

لا بدَّ أن هذه الغرفة تخص رجلًا مهمًّا. إنه ليس بالداخل. لكن لا أحد يجرؤ أن يجلس على كرسيه.

يمكنني الاختباء هناك وإذا تركنا الباب مواربًا..

نعم، وعليك أنت أن تحضره إلى هنا..

يمكنني أن أرى بالقدر الكافي من مكاني هنا. وحتى إذا كنت مغمضة العينين، سأتعرَّفه.

لا أعرف كل الأسماء ولا يسعني إلا أن أقول ما أطلقنا عليهم من أسماء. كان أحدهم يُسمى "المطرقة"، لأنه كان بإمكانه الضرب بقوة، وآخر كان اسمه..

نعم، أنا متحمسة. بالطبع أنا متحمسة. هل ينبغي عليَّ أن أدخل الآن؟

لم أرَ قط كراسي بذراعين مثل هذه من قبل. إنها مثل كراسي القصور. هل تسمح لي؟

يمكن اللف بالكرسي والشخص جالس عليه.

وبه عجلات أيضًا. لماذا يحتاج المرء أساسًا إلى مثل هذه الأشياء؟

حين جلستُ على هذا الكُرسي، شعرتُ حينها وكأنني ملكة. شعرتُ حقًا وكأنني ملكة.

أنا..

حقًا؟ هل يقف الآن بالفعل بالخارج؟

انتظر.

عليَّ أولًا أن..

لا بد أن يكون الباب مواربًا أقل من هذا. فتحة صغيرة ستفي بالغرض.

سلهُ شيئًا وسيجيب عليك. أعرفُ كل أصواتهم.

لا.

نعم.

أنا جاهزة. لكنني لستُ مستعدة، لكنني جاهزة. جاهزة فقط.

بالطبع مَن أتوا به ليصبَّ الحمض الحارق على وجهها كان زوجها. أي شيء آخر سيخيب ظن القارئ. ما لا أعرفه فقط حتى الآن هو أي رد فعل منها هو الأفضل.

الخيار الأول: ستتعرفه، وتصرح بذلك أيضًا، لكن الرجل ينكر كل شيء، ويدعي أنه ضحية للخلط. لا يبدو أن هناك أي دليل على إدانته والرجل الذي أجرى الاستجواب مكلف بإنشاء قضاء جديد ومستقل في البلاد، ومن ثَمَّ يتحتم أن يكون أكثر صوابًا. لا بدَّ أنك تشعر في أثناء قراءتك أيها القس بأن الطرف المذنب لا يُعاقب من حيث المبدأ. لكنها تقول بعد ذلك: "انظر إلى أطراف أصابعه!" لقد حُرقتْ من جراء التعامل مع الحمض، وقد أدين الرجل ونال العقوبة العادلة. هذا خيار ممكن.

لكن أهذا هو الشيء المناسب تمامًا لهذه المسابقة؟ شخص مذنب عوقب على فعلته وهذا كل شيء؟ موضوع يسمى "العدالة". ربما يجب أن تكون المراوغة الأخيرة أكثر فلسفية.

ربما أفضل بهذه الطريقة: إنها تتعرف على الرجل، لكنها تدعي أنها لم تره قبل ذلك قط. تكذب حتى لا يتحمل عقوبته. ثم تتحدث إلى نفسها قائلة: "لا بدَّ أن ينتهي كل هذا". وبهذا أجعل الضحية بطل المصالحة. بالطبع يبدو هذا بديهيًّا، لأنني أتخيل أنهم يريدون شيئًا من هذا القبيل.

إلى القس

شكرًا لك أيها القس. لقد أفادني مديحك كثيرًا، وهو ما دعاني إلى أن أبذل الكثير من الجهد في كتابة القصة.

هل النهايات التي تنتهي بالصلح تتوافق مع قناعاتي؟ أشعر وكأنني في إحدى حلقات النقاش التي تعقدها لنا كل خميس، أعرف ما تود سماعه مني وأعرف أن محاولة وفرصة إغرائك بإعطائك الإجابة التي تريد سماعها ما زالت أمامي كبيرة. في بداية معرفتنا، كنت تحصل مني على ما تريده بالضبط؛ إجابة لطيفة ملفوفة في غلاف هدايا ومزينة باقتباس جميل من الكتاب المقدس.

لكن في أثناء ذلك، وباقترابنا أكثر من بعضنا بعضًا، لم يعد بإمكاني أن أجعل الأمر بهذه السهولة. إنهم يعرفون الكثير عني، وقد غير ذلك قواعد لعبة المبارزة التي تدور بيننا. لقد انتقلنا إلى مستوى أعلى في لعبتنا تلك.

هل كتبت هذه القصة عن اقتناع؟

يمكنني أن أعطيك إجابة غامضة عن هذا السؤال: لا، لقد كتبتها بقلم حبر جاف. لأن سؤالك يَفْتَرِض أن المعتقدات ما هي إلا جزء لا يتجزَّأ من طبيعة الإنسان، مثل العيون الزرقاء أو الشعر الأشقر.

لكنني لا يمكنني قبول هذه الفرضية، إنها تجربتي الخاصَّة، لأنَّ النظرة إلى العالم تحمل تاريخ انتهاء صلاحية قصير. أنت لا تتغير تلقائيًّا عندما تدور الرياح، ولكن عندما تأتي عاصفة، بصرف النظر عن الاتجاه التي تأتي منه، فإنها تتلاشى بسرعة.

الآراء الثابتة التي لا تتناغم مع الواقع الجديد لا أميل إليها أيضًا.

إنها شيء يتشبث به الغبي والعاجز، كذلك شهيد الحرب، أيًّا ما كان، هذا ليس من شأني.

تُرى ماذا كانت قناعاتي عندما كتبت نهاية قصتي؟ اقتناعي أنه من المستحسن تأدية أداء جيد في هذه القضية.

أعلم أنَّ هذا ليس ما تريد أن تسمعه مني، إنهم يعتقدون أن على المؤلف أن يؤمن بما يضعُه على الورق.

لا ينبغي للأدباء أن يكونوا مُعترفين بالحقائق، بل يجب أن يكونوا كاذبين جيدين. لا يجب على أي منهم أن يروي قصة خرافية وأن يؤمن بالجنيات والحيوانات المتكلمة. إنه يحتاج فقط إلى أن يكون قادرًا على وصفها بطريقة تجعل القارئ يصدقها، أو على الأقل في المدة القصيرة التي يقضيها في القراءة. كان بإمكاني ترك القصة تنتهي بشكل مختلف وكنت لن أكون أقل اقتناعًا بها.

علاوة على ذلك، لا أجد أن النهاية متسامحة للغاية. لم يكن الأمر يدور حول أن المرأة قررت فجأة أن تحب أعداءها كما يقول الكتاب المقدس: "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (هوشع 5: 44).

تفتقر شخصية البطل في قصتي إلى العزاء اللطيف الذي يأمر به المسيح فيما يخص المحبة غير المرغوبة للأعداء؛ اليقين بأن المرء يمكنه أن يغفر للآخر برضا تام، لأنه لن يفلت من العقوبة التي يستحقها في كل الأحوال، فعقابه مؤجَّلٌ حتى يوم البعث. إن الربَّ نفسه لا يلغي العقوبة ولا يغفرُ حقًّا للمذنبين.

إنه فقط يُنجيهم مؤقتًا من عقوبتهم، مثلما كان والدي يؤجِّل أحيانًا الجَلدَ حتى يكون في مزاج جيد. لكن العقوبة تأتي في نهاية اليوم، عندما لا يأتي أي شيء بعد ذلك، يمكن - كما تعلَّمت ذلك من "شوبنهاور" - ألا تتحسن وألا تردع، ولكنها تكون مجرد انتقام.

تتنازل المرأة عن هذا فقط إذا قررت عدم التعرف على جلادها. ليس لأنها أحبت جلادها فجأة، ولكن لأنها سئمت من القصاص ودورة القصاص الأبدية. أو بعبارة بذيئة، لم تعد تريد أن تتلطخ بمزيد من الخراء في تلك اللعبة. وهذا بدوره، يا عزيزي القس، يتوافق تمامًا مع قناعاتي الخاصة.

سؤالك الآخر لا يسهل عليَّ الإجابة عنه، لأنك تريد أن تعرف لماذا اخترت امرأة لتكون الشخصية الرئيسية في القصة لاعتقادك أنه كان من الصعب بشكل خاص فهم عالمها العاطفي.

هناك العديد من الأشياء لقولها في هذا السياق. في البداية، لا أعتقد أن ما يدور في رؤوس النساء مختلف اختلاف جوهري عما يدور في رؤوس الرجال.

من المُحتمل أن تُحدُث الظروف الخارجية اختلافًا أكبر. وعن نفسي، لقد عشتُ طيلة هذه السنوات في أجواء هذا الفن، فقط أولئك الذين يفهمون بعمق حقًّا نظرائهم يمكنُهم التلاعب بهؤلاء النَّظائر، فلم ينجح الأمر بشكل جيد مع النساء المُسنَّات فحسب، بل كان أسهل أيضًا مع الشابات منهن، إذ لم يكن كسب المال مشكلة.

إن الوصول إلى سرير المرأة أسهل بكثير من الوصول إلى حساب التوفير الخاص بها. غالبًا ما ساعدتني تلك الحقيقة؛ ألا وهي "تلعثمي" أو طريقتي المترددة في الحديث والمبالغ فيها قليلًا في بعض الأحيان، في أن

أبدو في حاجة إلى المساعدة في أعين الشريكات المحتملات إذا لزم الأمر. من الواضح أن الطبيعة البشرية هي عند رعاية شخص أضعف، يسهل الخلط بينه وبين الحب.

إن الأشخاص الخائفين (وهم الأغلبية دائمًا) دائمو البحث عن شركاء يبدو عليهم أنهم غير مهددين لنقاط ضعفهم. لقد استفدت من هذه التجربة كثيرًا.

"سيبي" مثلًا - الذي كان يحب أن يخلط بين لغة فظَّة مُتعمَّدةٍ مع قليل من الود - لقَّبني ذات مرة بـ"بطل العالم في الشفقة الملعونة".

على أي حال، كان من الممكن أن تنجح آلية مشابهة لما ذكرته لك، إذا كان لديك رد فعل إيجابي على قصتي. بصرف النظر عن مدى سعادتي لمديحك، يجب أن يكون لحماسك علاقة بحقيقة أن بطل الرواية هو أحد تلك الطيور الصغيرة مكسورة الجناح، والذي يسعد الكثير عند سماع هذا الوصف. وإذا ما تفاعلت هيئة تحكيم المسابقة بالطريقة نفسها التي تفاعلت بها معي، فهذا يعني أنني اتبعت بناءً رصينًا في كتابة النص. أي نوع من الناس هم الذين يقومون بالتحكيم؟

مرة أخرى أيها القس، شكرًا لك، ليس فقط من أجل تشجيعك، ولكن أيضًا لمنحي هذه الفرصة في المقام الأول. وبالطبع لدعمك الملموس على أرض الواقع.

لم يكن من السهل أن تدبر لي آلة كاتبة، والتي اضطررت إلى إعادتها لك بكل أسف. أيها القس! أعتقد أنك ستحظى بمكان شريفٍ في الجنَّة لسماحك لي بتمرير كل ما يخص شروط المسابقة عبر بريدك الخاص. لأن ختم السجن على المخطوطة بالكاد كان سيؤثر سلبًا على قرار لجنة التحكيم.

إلا في حالة ما إذا أثَّرت آلية "الطائر مكسور الجناح" في هذا الموقف أيضًا، واعتقدت لجنة التحكيم أن الكاتب ضحية يُرثى لها من المظلومين اجتماعيًّا، وكان يحاول أن يكون شخصًا أفضل من خلال كتابة الأدب، لكنني لم أكن أرغب في الاعتماد على ذلك.

لذا سنُضطر إلى عدم التواصل فيما بيننا بضعة أسابيع. أعلم أنك ستفتقدني وسأفتقد أنا الالتزام بكتابة نص بانتظام وإرساله إليك. بالنسبة إليَّ، الانضباط جيد، لهذا سأسعى إلى مواصلة تدريباتي المهارية في الكتابة في أثناء بحثك عن جذور الروحانية على جبل "آثوس".

أنا شخصيًّا كنت سأختار وجهة سفر مختلفة لقضاء عطلة.

من وجهة نظري، هناك شيئان مرتبطان بمثل هذه الجمهورية الرهبانية: الطعام السيئ ومراحيض القرفصاء. وأن الشخص الذي يقضي العام بأكمله في سجن الرجال لن يفكر أبدًا أن يقضي عطلته في مكان ما من العالم لا يُسمح للنساء بدخوله. لكن يجب أن يكون لكل شخص طريقته الخاصة. (ألن يكون لطيفًا إذا لم تصدر هذه الجملة من "فريدريك الأكبر" وجاءت مثلًا على لسان "أوغسطينوس"؟).

هل عندك أية معلومات عمن سيحل محلك في فترة غيابك؟ وفقًا لمطبخ الشائعات داخل السجن، لا بدَّ أنه سيكون ثورًا عنيدًا. عمومًا سنرى.

ستعود بعد شهرين، وعندئذ قد تجد الرد من القائمين على مجلة "الكلمة" قد وصل إلى منزلك.

أتمنى لك رحلة روحانية مريحة.

بطاقة فهرسة

"شفاخوللا، فولفرام" (المحرر).

موسوعة "بروكهاوس" في مجلد واحد.

الطبعة السابعة، 1996.

وُضعت في زنزانتي.

يوميات

الذنب ذنب القس، لأنه بدفعي إلى الاشتراك في هذه المسابقة، جعلني مدمن مخدرات في النهاية.

على الرغم من أن ما أقوله بالطبع مجرد هراء. إنه جنون العظمة.

لكن الكتابة كانت دائمًا مهنتي.

يجب على مَن يريد أن يكسب قوت يومه ألا يحاول أن يتكسب من الأدب. فالفن يأتي بعد الخبز.

هل لا تزال هناك تلك الروايات التي تُباع في الأكشاك على النواصي؟ التي تتناول موضوعات نمطية معروفة؛ مثل ممرضة تتزوج من كبير الأطباء، أو ضابط يطارد لصوص الماشية، أو بطل خارق ينقذ العالم.

موضوعات بالغة السهولة، لدرجة أنها يمكن أن تشعرني بالملل في أثناء الكتابة لو كتبت عنها. وكان لديَّ ما يكفيني من الملل.

كتاب؟ رواية لــ"يوهانس هوزاي شتركليه"؟

لا بدَّ من استخدام اسم مستعار.

تلك اللحظة عندما يأتي الكتاب من المطبعة، وتحمله في يدك وتضعه رسميًّا على رف الكتب في المنزل.

هذا في حالة إذا كان لديك منزل ورف من الأساس. حقًّا لا أحد يسأم من الأحلام.

لا أستطيع التخلص من الفكر الذي لازمني منذ دخولي السجن. أما الآن، وبعد أن أتممت إعادة تنظيم المكتبة، أصبح لديَّ ما يكفي من الساعات الفارغة. وإذا ما سأل أحدهم عما أفعل، أجيب: "أنا أعمل على الفهرسة". والقس لن يعترض على ما يقول.

كل ما عليك هو سحب ورقة بيضاء. ثم ماذا بعد؟

كتاب مكون من ثلاثمائة صفحة فارغة. لسوء الحظ، لم يحدث شيء للمؤلف.

القاعدة رقم 51: "إذا لم تتمكن من إيجاد حل لمشكلة الكتابة، فهذا يعني أنك لم تجرِ بحثًا كافيًا عن الموضوع".

قائمة بأولويات الأشياء التي يرغب فيها عملائي في كتبهم:

1. الجنس.
2. المغامرة.
3. الغرائبية.

لن يكون الأمر مختلفًا في السجن عن خارجه. يجب تقديم العناصر الثلاثة.

أصعب تلك العناصر هي الغرائبية، إذ لا بدَّ من الاستعانة بـ"جوجل"، لدعم ما توصلت إليه من اختراعات بتفاصيل حقيقية.

فعند كتابة الرواية، لا ينبغي للمؤلف أن يذكر اسم جزيرة "كوراساو" هكذا فقط ثم يعتمد على خيال القارئ حتى نهاية الرواية. إن دفع العجلة الخلفية وحدها لا يكفي أبدًا لكتابة كتاب.

أترك مسافات فارغة لأكملها لاحقًا عندما أتمكن من الوصول إلى الإنترنت مرة أخرى.

أأكتب عن مغامرة؟ أخترع بطلًا مثيرًا للاهتمام وأرسله إلى المنحدرات في مكان غير معتاد؟ دعنا نقول أن أجعل مسرح الأحداث في روما القديمة مثلًا. معارك دموية في الساحة.

أو قصة قرصان؟ الابن الضال يصبح قرصانًا. وهناك المرأة الجميلة على متن السفينة المخطوفة التي أنقذها من الاغتصاب.

أو..

لقد قرأت كثيرًا وذهبت إلى السينما كثيرًا. الآن لا يمكنني التفكير إلا في القصص التي أعرفها بالفعل. روما القديمة؟ "سبارتاكوس" و"بن هور". القرصان؟ جزيرة الكنز وقراصنة "الكاريبي".

مهمتي كوني كاتبًا هي إعادة بناء الواقع – نعم، مع ابتكار شيء جديد تمامًا – لا، أنا كاذب ولست مخترعًا.

أكان القس محقًّا عندما قال إنني أركز فقط على نفسي؟

أنا أفضل دائمًا عندما أنطلق من الأشياء التي أعرفها. إذ يتوجب عليَّ أن أضيف شيئًا من مخيلتي. كأن أنطلق مثلًا من حكاية المتيمة بسحر

"نيلز" المغرور الذي لا يقاوم. أو قصة الاعتداء الجنسي على الأطفال من قبل "باخوفن" كردة فعل لتعنته. أعتقد أنه من غير المناسب أيضًا أن أنطلق من اقتباس سفر "ملاخي".

أأكتب كتابًا عن الحياة في السجن؟

تثاءُبٌ. يا لها من فكرة مملة!

إلى القس

ما أكتبه إليك الآن هنا لن تقرأه إلا بعد مرور شهرين. لكن من دون تقاريري المنتظمة إليك، أشعر وكأنني رياضي انقطع عن تدريبه ولا يريد أن يفقد لياقته. بالإضافة إلى ذلك، فالتقارير التي أكتبها يجب أن تظل في بؤرة اهتمامك عند عودتك.

هذا الواعظ "دورفمان" الذي عينته لنا نائبًا عنك، كارثة. يقولون إنك أحضرته مدة شهرين بعد تقاعده، وكان من الأفضل لمثله لو كنت قيدته في كرسيه الهزاز. أُعلن عن خدمته الأولى على أنها مسكونية، وهذا ما يعني أن الكاثوليك والبروتستانت كانوا مجتمعين معًا. "فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء" التكوين (24:19).

لقد صرخ فينا بصوت كالرعد قائلًا: "سنتدلل جميعًا هنا". لقد صرَّح بهذا منذ يومه الأول، ويا للأسف لم يكن الأمر كذلك هنا فقط، ولكن في العديد من السجون الأخرى أيضًا. كانت لديه خبرة في هذا الصدد، بل إنه ألقى محاضرات منتظمة حول هذا الموضوع. لقد جرى تجاهل مبدأ التوبة

تمامًا أمام كل مَن أساء فهمه. لكن في "سجن الرب العزيز" (لقد استخدم هذه الصورة اللغوية بالفعل!) كل أولئك الذين لم يتوبوا في الوقت المناسب سيُعاملون بشكل مختلف تمامًا، ثم أدرج قائمة كاملة من الممارسات السادية، والتي ستكون في انتظارنا يومًا ما في الجحيم.

هذا الفهرس لم يكن جديدًا بالنسبة إليَّ، لأن "باخوفن" كان يؤدي دور واعظ التوبة في العصور الوسطى من وقت إلى آخر وكان يهدد رعيته أيضًا بعذاب الجحيم. أخي الذي أخذ ما قال مأخذ الجد، كان يبلل سريره بسبب ذلك، ولكن "باخوفن" على الأقل قدَّم لنا قائمة العقوبات الشيطانية في هيئة ترانيم شعرية.

كان نائبك ينبح على نائبه بقائمة من الفظائع داخل الكنيسة كنظام أوامر يومي صادر من شركة عقابية؛ (قف مكانك، اعتذر، استسلم). سمعت عنه من سجين عجوز سبق أن رآه في مؤسسة أخرى، قال إنه كان يدَّعِي أنه رقيب الله هناك. هذا الاسم يناسبه جدًّا. ويرى أن الكتاب المقدس مجرد مجموعة من القواعد ووظيفته هي إخضاع مَن لم يلتزم. لقد تمكن في وقت قصير جدًّا من جعل نفسه ومكتبه غير محبوبين في المؤسسة بأكملها. إذا لم يتعارض ذلك مع شخصيتك بهذه الطريقة، فيمكن للمرء أن يفترض أنك اخترت عمدًا مثل هذا اللاهوتي القادم من العصر الحجري ممثلًا لك، حتى نتمكن من تقديرك أكثر عند عودتك.

لقد تدخل الواعظ "دورفمان" أيضًا في تنظيم المكتبة التي أصبحت تحت تصرفه في وقت غيابك. رأى أن تسعين دقيقة يوميًّا لاستعارة الكتب لهو أمر مبالغ فيه، لهذا قلل من أوقات الاستعارة إلى نصف ساعة يومي الثلاثاء والجمعة فقط. لقد ذكرت له أن هذا لم يكن ما تريده، لكنه لم

يهتم. لديَّ انطباع بأنه يخاف من فكرة أنه سيتقاعد يومًا ما، لأنه يخشى أن يفقد إحساس القدرة على إصدار الأوامر مرة أخرى. لقد تسبب طلبي له لإبقاء المكتبة مفتوحة على الأقل يوم الأحد - ذلك لأنه اليوم الذي يأتي فيه معظم القراء - في توبيخي.

في يوم الحساب، يجب على المرء أن يتعامل بلطف مع أشياء أخرى غير القراءة البذيئة التي لا تجلب للناس سوى الأفكار الخاطئة. وليثبت لي كيف تكون هذه الأفكار خاطئة، أمسك من على الرف بشكل عشوائي برواية جريمة ذات غلاف عليه صورة تؤكد وجهة نظره. لا توجد كتب ملائمة لمدرسة الأحد، بالطبع لا، لكن كتابًا مثل هذا يقدم بضع ساعات من الإلهاء، وهذا بالضبط ما هو مطلوب بشكل عاجل، خاصة في أيام الأحد، عندما لا يمكنك إلهاء نفسك بالعمل. كان من المستحيل إقناع هذا الرقيب العنيد بذلك، لكنه أمر بإزالة جميع روايات الجريمة من فوق الرفوف. لم أعارض ما طلبه، لكنني أوضحت له أنها ستكون مهمة تُستغرق وقتًا طويلًا، إذ كان عليَّ أن أختار الكتب واحدًا تلو الآخر، كذبة ستسامحني عنها أيها القس. كان بإمكاني تنفيذ مهمته بسرعة - لأنني أعرف مخزون الكتب لديَّ جيدًا من فهرستها - لكنني أردت أن أتجنب أن يقوم بإبلاغ الإدارة بأنني لم أكن أعمل بشكل كافٍ في المكتبة. بفضل هذا العذر الذي ذكرته له، أصبح لديَّ الآن بعض الهدوء والسكينة منه، وفي الوقت نفسه كسبت بعض الوقت لممارسة تدريباتي المهارية على الكتابة. أنا حقًّا أحب أن أفعل ذلك. إنه خطأك أيها القس!

هناك أيضًا قصة مضحكة لنرويها عن "دورفمان". أتتذكر "فالتر"؟ ذاك النشال الذي أطلق عليه الجميع اسم "فالتر الصغير". واحد من أكثر

الناس الذين قابلتهم بهجة، لدرجة أنه كان دائمًا ما يصف إقامته وراء القضبان بأنها وقت عطلة وأنه لم يعد ليتمتع بالحياة ولو حتى في "الريفييرا" (أكتب بصيغة زمن الماضي لأنه أُفرج عنه بالفعل، وهذا ما يعني أنك لن تلقاه عند عودتك).

كان "فالتر الصغير" الذي كان لا تفوته فرصة لإلقاء النكات، قد سجل في حلقة النقاش المنعقدة كل يوم خميس، وأعتقد أنك مَن طلبت عدم كسر هذا التقليد. بعد أن انتهى رقيبنا من حديثه عن نار الجحيم بشكل مفصل مرة أخرى، سألنا بشكل أكثر رسمية أيريد شخص ما عرض مشكلة شخصية في الحلقة؟ فأبدى "فالتر الصغير" رغبته في عرض مشكلته وأوضح أنه يعاني مشكلة لاهوتية عميقة وأنه سيكون ممتنًا للغاية إذا تمكن الواعظ من مساعدته. توقع على الفور الأشخاص الثمانية أو العشرة الحاضرون بأنه سيفعل أحد مقالبه، لكن لم يبدِ أي منهم أي تعبير حتى لا يفسدوا المزحة. كان رقيب الرب الذي لا يعرف "فالتر الصغير" سعيدًا جدًّا لتقديم نفسه كسلطة عالمة بكل مسائل الإيمان.

قال "فالتر الصغير" إنه استعار كتابًا من المكتبة بعنوان "عجائب البحار"، جاء فيه وصف الحوت الأزرق، وأنه بعد أن قرأ الفصل الخاص بهذا الحيوان، انتابته هواجس عن جميع معتقداته الدينية. وما أوضح أخيرًا أنه كان يخطط لمزحة حين قال إن لديه العديد من المعتقدات الدينية مثل الإيمان بشعر الرجل الأصلع. كان الواعظ "دورفمان" هو الوحيد الذي لم يلحظ أي شيء يثير الريبة وطلب من "فالتر الصغير" شرح العلاقة بين الحيتان الزرقاء وبين الدين بمزيد من التفصيل.

فأخبره أن الكتاب الذي قرأه يوضح أن الحوت الأزرق يتغذى على السرطانات الصغيرة التي تعلق في شواربه ولا يمكنه ابتلاع الحيوانات الكبيرة. ومنذ قراءته ذلك كان يفكر في كيفية تمكن حوت أزرق من ابتلاع النبي "يونس"، لأنه كان بالتأكيد أكبر من هذه السرطانات. وسأل نفسه أأخطأ الكتاب المقدس في هذه النقطة؟ وإذا قد أخطأ في هذا الأمر، فهذا يعني أنه غير موثوق به في أشياء أخرى أيضًا. ولهذا السبب أصبح إيمانه بالمسيحية بعد هذه القراءة مذبذبًا جدًّا.

كان بإمكان القس الذي يحل محلك تسهيل الأمر على نفسه وشرح أن القصة لا بدَّ أن تُفهم بشكلها الرمزي وليس الحرفي، لكن رقيب الرب أبى أن يفعل ذلك. ولأن "فالتر الصغير" استمر في طرح المزيد من الأسئلة، أوقع القس نفسه في تشابك من الحجج اللاهوتية الشديدة الوضوح. إنه لأمر مخزٍ أن فاتتك تلك الحفلة. أنا متأكد من أنك كنت ستضحك كثيرًا بسببها.

أنا شخصيًّا لطالما اعتبرت أن قصة النبي "يونس" كانت مجرد محاكاة ساخرة. أتخيل أن المؤلف سئم من القصة نفسها التي يُطلب منه قصَّها دائمًا؛ نبي مفرط الحماس يهدد الخطائين بكل أنواع الأذى، لكنه يقع على آذان صماء. لذلك كتب - على الأقل هكذا كنت سأفعل ذلك - مرة على العكس تمامًا، لمجرد الاستمتاع مرة أخرى في أثناء الكتابة. بدلًا من شخصية النبي الغيور، اخترع شخصًا مترددًا لا يفكر حتى في تنفيذ المهمة الإلهية، ولكنه يفضل المغادرة بالسفن. وعلى الرغم من أنه بُصق عليه أمام أهل "نينوى"، سارت الأمور معه بشكل مختلف تمامًا عن جميع الأنبياء الآخرين. لم يقل سوى جملة واحدة حتى عبَّر الجميع عن ندمهم وحزنهم، وهو ما لم يناسب النبي "يونس" أيضًا.

أعتقد أن المؤلف بنى القصة فقط على السمكة الكبيرة التي ابتلعته، لأن قصته احتاجت إلى تطور درامي. ربما طُلب منه سالفًا عدد محدد من الرسائل، كما هو الحال في هذه المسابقة. وإذا كان الأمر بيدي كنت سأمنحه الجائزة الأولى.

يوميات

لماذا لا أبدأ على الفور؟ هذا هو العمل المثالي بالنسبة إليَّ. كما لو كنت قد أعددت نفسي له بكل ما فعلته في الحياة من قبل.

دع محترفًا يكتب يومياتك! أقول لك، أنا أكتب. فقط أخبرني كم تريد أن يكون سُمك كتابك، وسأفعل بالباقي. ستكون ذكريات فريدة من نوعها، وبأي أسلوب تريده، مع اسمك كمؤلف على الغلاف. أحدهما يكتب الكتاب والآخر يكتب الشيك. هذا هو تقسيم العمل الذي أحبه. لن يكون الفقراء هم مَن يطلبون شيئًا كهذا.

"الكاتب الشبح"، يا لها من كلمة رائعة! لطالما أحببت أن أكون الشبح وراء كلماتي. الروح الطيبة أو الروح الشريرة. أن أكون "أرييل" أو "كاليبان".

هذا بالإضافة إلى أنه النشاط المثالي لمن يتلعثم. أن تبقى في تكتم في الخلفية، على حين تساعد الآخرين في الإخبار عن ماضيهم بالكذب على أنفسهم.

أعرف بالفعل كيفية تنفيذ هذا الأمر في المرحلة الأولى، ما عليَّ سوى الاستماع وتدوين الملاحظات. ممنوع التنصت من الطاولة المجاورة، لكن الاستماع بشكل رسمي مع وضع المسجل على الطاولة..

لنترك الكلام ينساب. لا يعمل مدير الأعمال أو النجم السينمائي المستأجر بشكل مختلف عن طريقة عمل أي أم. عليهم أن يرووا قصصهم كثيرًا حتى تصير أساطير. كل ما عليَّ فعله هو ضغط الزر وسيلف الشريط..

فقط استماع. إيماءة. إعجاب..

ولا تناقض عندما يتذكر أوقاتًا أكثر إثارة للاهتمام مما كانت قد شُهدت في الحياة الحقيقية.

قال "شوبنهاور": "كل شخص هو المخرج المسرحي السري لأحلامه"، فهو من بيده أن يرش السكر البودرة على ذكرياته، أو أن يضيف إليها الفلفل الحار، إذا ما أراد إظهار كل العقبات التي كان عليه التغلب عليها قبل أن يصبح ناجحًا، من دون أن يقول إنه كان يسير حافي القدمين على جبل "إيفرست"، أو أن يذكر أن حتى "الشيربا" في "التبت" لم تشهد مثل هذه العاصفة الثلجية العنيفة التي مر بها.

لن يكون الأمر مختلفًا عما كان عليه في قصة "روميو وجولييت". لقد كنت دائمًا جيدًا في استشعار احتياجات الآخرين وتحويل ضربات الحظ التي صادفوها إلى أفعال بطولية، وأخطائهم إلى مآسي من دون ذنب من جانبهم. إذ إن أي أستاذ كبير لا يرى نفسه إلا في المبالغات، والتي يضيف إليها بعض التفاصيل الحميمة لتكتمل الصورة. هذه هي أسهل طريقة لإقناع الناس. وعندما يقرأ العميل الكتاب في شكله النهائي، عليه أن يصدق أنه عاش مثل تلك المواقف نفسها بالطريقة نفسها قبل ذلك.

نعم أستطيع فعل ذلك.

لكن كيف أصل إلى العملاء؟

هل أبدأ بــ"سيبي"؟!

في الواقع، سنه صغير جدًّا على كتابة اليوميات، وسيكون أمرًا بلا جدوى. لكنه سيتمسك بهذا الاقتراح بكل تأكيد. كل الشروط الأخرى تتوافر فيه، ينقصه فقط أن يقتني سيرته الذاتية ويصفَّها على رف مكتبته. ولإنجاز هذا، يجب التخلص من البدايات المظللة لإمبراطوريته بأناقة. وبمعرفتي به، أعتقد أن الأمر سيروقه.

سأعرض عليه العمل مجانًا - "لن آخذ أي أموال من صديق قديم!" - وسأطلب منه فقط أن يعطي اسمي كمعلومة سرية لأصدقائه في منظمة "الروتاري".

على عجل، يجب أن أصل إلى "المحامي" وأسلمه على الفور!
هناك مشكلة في التسليم المعلن، ولا بدَّ أن تُناقش على الفور.

إلى "المحامي"

الكتابة أسرع في الحديث من التلعثم.

اكتشف "دورفمان" وصول صندوق به كتب تُبرِّع بها، صندوق في مكتبه. ستُراجع الكتب بشكل فردي لمعرفة كونها مناسبة للسجناء أم لا.

وأُبلغتُ بوصول كتاب يحمل عنوان: "رجل بلا صفات".

"دورفمان" في الطريق الآن لإلقاء محاضرة في رابطة الكنيسة ثم يليها العشاء. عندما يعود، سيفحص الكتب.

أنا لا أعرف ما يجب فعله.

يوميات

لم يبدِ "المحامي" أي ردة فعل. لقد ظهر أمامي بمجرد أن فرغت من كتابة ملاحظتي إليه، ومن دون أن أبدو على عجلة من أمري. جلس إلى الطاولة وقرأ الملاحظة التي كتبتها. أومأ برأسه وقال:

- سنهتم بذلك.

ولم ينطق أي كلمة خلاف ذلك. ثم نهض وغادر. لا يمكنني أن أتخيل ما ينوي فعله.

مكتب القس كان كائنًا في الممر. ولا يمكن للسجناء الوصول إلى هناك إلا إذا جرى استدعاؤهم. حتى لو، لا يمكنك فتح الصندوق دون ترك آثار وراءك. ومن المستحيل أن يختفي الكتاب المجوف هكذا بلا أسباب.

وإذا ما اُكتشِف الأمر، سيحين دوري كصديق مقرب.

أحتاج إلى خطة ولكن ليست لديَّ أي خطة.

أكتب الأفكار لترتيبها، كيف أتصرف عندما يأتون؟ أتلعثم بشدة لدرجة تجعلهم يعتبرونني غبيًّا، وأستفيد من فكرتهم القديمة عني وأمثل البراءة!

المخدرات؟ أي نوع من المخدرات؟ هذا في حالة إذا سألوا.

سيتحققون من مرسل صندوق الكتاب ويجدون أنه غير موجود. وسيعرفون قريبًا أيضًا أنني دائمًا كنت مسؤولًا..

لن يسألوا على الإطلاق وسيعيدون "رجل بلا صفات" إلى الصندوق. المحتوى ككل. سيقومون بتسليم الكتب إلى المكتبة وينتظرون ماذا سأفعل بها.

ثم لا يبقى أمامي خيار سوى الإبلاغ عما وجدته في الصندوق ووجهي تكسوه الدهشة.

لستُ متفاجئًا. لكنني خائف. حتى الشخص البريء يخشى أن يكون شريكًا في هذه العملية. أي شخص كان له في أي وقت مضى نزاع مع القانون سوف يخشى ذلك مدى الحياة.

سأطلب عرض الأمر على المدير. ثم أذهب إليه والكتاب تحت ذراعي و..

لكن لن يجدي ذلك نفعًا. لقد أبلغوا الواعظ "دورفمان" أنني أعرف، أنه..

سيقولون إن المشتبه به كان لديه متسع من الوقت لاختلاق الأعذار. وسيقولون إنه لا يوجد سبب للاعتقاد بأن ما يقوله صحيح.

لن يصدقوا أنها كانت أول مرة وأن القس كان لا يتحقق من الكتب وقت تسليمها "إلى من سلمت المخدرات؟".

إنهم لم يتصوروا أنني قادر حتى على إطلاق سراحهم هم أنفسهم، ذلك لأنهم لن يحصلوا مني على الكتب فحسب، بل سيحصلون أيضًا على منصوص المادة 30 أ من قانون المخدرات؛ والتي تنص على معاقبة كل مَن

يتعاطى المخدرات بكميات ليست بالقليلة بالحبس مدة لا تقل عن خمس سنوات على الأقل.

يجب أن أعترف. يجب أن أفكر في المحتوى بدقة، كما لو كنت أرغب في كتابته كقصة أو كرواية، لا أكون فيها مجرد جانٍ بل ضحية أيضًا أيًّا كان ما أنا متهم به، فقد أُجبرت على ذلك.

مَنْ؟ إذا ذكرت "المحامي"، والأشخاص الذين يقفون وراءه، فسأموت لا محالة. ولا يمكنني الاعتراف دون ذكر اسمه أيضًا. الرجل الذي وجدوه قتيلًا وسط أثقاله التي كان يتمرن بها، كان هو المحرض، وإلقاء اللوم على شخص ميت سيجعل "المحامي" يعفو عني.

ربما يربت على كتفي ويقول أنت تتلعثم لكنك لست غبيًّا. أريد أن أقول له أنا لا أعرف حتى اسمه، لكن هذا الجهل ربما يكون مقنعًا بشكل ما.

لقد جاء بالفعل إلى المكتبة وهناك شهود على وجودهم هناك في بعض الأحيان. لقد أجبرني، هددني، وكان معروفًا عنه أنه بلطجي وإنسان لا يمكن معارضته، وأنه قال لي أيضًا: "عندما تصل الكتب، عليك أن تختبئ في أبعد رُكن من مكتبتك. أنت لم ترَ ولم تسمع أي شيء". لا يمكنهم إثبات أن ذلك لم يحدث. سأُظهر الندم وأقول: "أعلم أنني مذنب ولكنني فعلت ذلك بدافع الخوف". على الأقل سيقلل هذا من وطأة الأمر. الدنيا لا تسير دائمًا مثلما نريد.

"لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السماوات وقت" سفر الجامعة، (1:3).

إنهم يفضلون القدوم مبكرًا في الرابعة فجرًا. لأول مرة منذ أن تحررت من "باخوفن"، تطاردني فكرة أن عليَّ أن أصلي.

إلى مَنْ؟ أين المعجزات عندما نحتاج إليها؟

بطاقة فهرسة

"رجل بلا صفات" لـ"روبرت موزيل".

أُخذت من مكتب القس مع كتب أخرى إلى المكتبة ومنها إلى زنزانتي.

إلى القس

ستعود في غضون أسبوعين، يؤسفني أن مثل هذه الأحداث غير السارة ستكون في انتظارك. إنها بداية غير جيدة لمواصلة العمل من بعد إجازة قضيتها بصفاء روح، ويكون أول شيء ينتظرك هذه القصة المروعة. أم أنهم أتوا بك ككنز دفين من جبل "آثوس" المقدس؟ سواء هذا أم ذاك، أتمنى أن تكون لديك القوة الكافية لاستيعاب ما حدث. أبلغتنا "دريكس" بالحادث في بداية قداس الأحد، وحينها شعرت تلقائيًّا أنني أريد الكتابة "عن هذا الحادث المأساوي" ولكنني لم أجد أي مأساة فيما حدث ومن المفارقة العجيبة لهذا القدر أنه وصل إلى نهايته في وقت كان قد عاد فيه الواعظ لتوه من التقاعد إلى الحياة العملية بضعة أسابيع أخرى. وكان الغرض من الخطاب القصير تعرفنا بالواعظ المساعد الصغير الذي سيقود الصلاة. أم يجب أن أكتب لمساعد القس؟ جرى الحديث عن الحادث نفسه فترة وجيزة، لكننا لم نعلم شيئًا، ما يشاع بالفعل لم نكن نعلمه. على العموم، هناك شائعة منتشرة عن هذه الحادثة بالتفاصيل فحواها أن الواعظ "دورفمان" قد شرب الكثير من النبيذ على العشاء وبعد محاضرته..

شرب نبيذًا أحمر مركزًا ثم ركب سيارته على الرغم من أنه مخْمُور تمامًا للذهاب إلى الإصلاحية.

ماذا كان يريد أن يفعل هناك في ذلك الوقت؟ ولِمَ لَم يعد مباشرة إلى بيته؟ ليس لدى أصحاب هذه الشائعة أي تفسير لذلك. ما هو مؤكد أنه قاد في هذا المنعطف من دون فرامل وفقد السيطرة واصطدم بشجرة.

يفضل الناس هنا النبيذ الأحمر، ولكنني غير مقتنع بذلك، فالميل إلى الكحول يتنافى مع شدة الزهد. لقد تعلمت من "شوبنهاور" "أن المرء عليه أن يتخيل عكس ما يحدث دائمًا".

أنا أعرفك جيدًا أيها القس، ويمكنني تخيل ردة فعلك بالطبع. أنت مَن أحضرته ممثلًا لك ومن دون هذا العرض لكان سيعود إلى المنزل مباشرة بعد محاضرته، وهو طريق يعرفه جيدًا، ولن يقود بسرعة مفرطة نحو منعطف أعمى (أخبرك بهذا همسًا).

لكن تسلسل الأحداث بهذا الشكل لم يكن متوقعًا ولا يوجد سبب لإلقاء اللوم على نفسك، يبدو الأمر غريبًا، فكيف لمجرم مثلي معترف به أن يقدم نصيحة لقسيس السجن؟ أريدك أن تتأمل الصورة النمطية للعناية الإلهية المشهورة عن الرب والتي لا يمكن تفسيرها. فهناك مصادفات أيضًا، وهناك أشياء لا يمكن لأحد منعها ولا يُلام أحد إذا حدثت.

منافق! منافق لعين! أشعر بالاشمئزاز من نفسي، فهذه الأشياء لا علم لأحد بها سواي. أنا مذنب. يجب أن أكتب أنني لست مولعًا بالقراءة ولا مؤلف قصص. يجب أن أكتب ذلك. لقد قتلت الواعظ "دورفمان" حتى لو لم أكن أنا مَن قطع الفرامل من سيارته. أيًّا كان مَن فعل، لقد قال "المحامي": "سنهتم بالأمر"، وقد اهتموا به فعلًا. لا أعرف كيف تعمل آليات تنظيم مثل هذه الأشياء داخل السجن، ولا أريد أن أعلم، لكنهم قطعوا الفرامل وأبلغوا عن الأمر أن الواعظ المتقاعد قد تعرض لحادث.

لقد حكموا عليه بالإعدام لمحاولته تفتيش صندوق الكتب، ولأنه كان سيجد كتاب "رجل بلا صفات"، تلك الرواية السميكة ذات المساحة الكافية لتمرير كمية كبيرة من المخدرات المطلوبة بأي سعر داخل السجن.

إنها "جريمة قتل" وسط مدمني المخدرات وليس حادثًا لمتقاعد. أنا مَن حملت المسدس، وصنعت زجاجة السم والمتفجرات. وعلى الرغم من أن هذه المذاكرات خاصة بي فقط، فإنني أجد نفسي أتساءل عن أفضل صياغة لغوية للكتابة.

"قاتل". هل هذه هي الصيغة المناسبة لما فعلته؟ ما زلت أقول لنفسي إنني انجذبت إلى الأمر دون أن أفعل شيئًا بنفسي. أنا رجل بلا صفات ومجرد متفرج بريء، كما يطلق عليه الإنجليز، شخص لا يستطيع فعل شيء للمساعدة؛ فهو واقع في مرمى نيران حرب غريبة، وبعد كل هذا أبرر لنفسي. لم أرغب في وظيفة المكتبة لتهريب المخدرات، ولكن للحصول على وظيفة محترمة خلال فترة عقوبتي. لم أكن أعلم أنني بدافع ثقة القس بي

سأستغل ثقته بهذه الطريقة فترة طويلة، لا أعرف.. لا يمكنني إقناع نفسي بأعذاري، "لم أكن أعرف أن السلاح به ذخيرة". لن تجد مثل ذلك الحادث في أي محكمة في العالم ولا حتى مرة واحدة. لا ينبغي لك أن تدَّعي البراءة.

"لا تتخيل أنك أعمى لمجرد أنك تغمض عينيك" لم يكن لديَّ خيار، أنا أكذب على نفسي وأعلم جيدًا أنه بعد أول لقاء مع "المحامي" كان بإمكاني أن أسلك طريقًا مختلفًا وأُبلغ الإدارة عن شكوكي أو كان من الأفضل أن أُبلغ القس وفي الوقت نفسه أطلب نقلي إلى سجن آخر. لكن الانتقال إلى سجن آخر لم يكن ينقذني من العواقب. مَن يمكنه تنظيم حادث مروري من داخل الإصلاحية؟ في غضون ساعات قليلة، تصبح لست بمأمن من ذلك فقط لمجرد تغيير الزنزانة. لكن هل كان عليَّ إبلاغ "المحامي" بأن صندوق كتبه مهدد بالتفتيش؟ ألا يمكنني ترك الأحداث تأخذ مجراها؟

لا، لا أستطيع.

لو وجدوا الكتاب وبداخله المخدرات، فالمادة 30 أ تنص على "العقوبة بالسجن لمدة لا تقل عن خمس سنوات أو أكثر" لم أكن أعرف أنهم سيدبرون حادثًا كما لو أن ذلك كان سيحدث فرقًا! لو كنت أعلم بذلك، أكنت سأفضل العقوبة الإضافية على التواطؤ معهم؟ أريد إقناع نفسي ولكنني لا أصدقني. من الأسهل التلاعب بالآخرين بدلًا من التلاعب بنفسك. "لا تزال البراءة في نبرتي كالمهرج الذي يراوغ".

إلى القس

لقد ذهبت إلى قداس الأحد بدافع الفضول، فقط لأرى كيف تتعامل الإدارة مع المفاجأة التي لم تكن مفاجأة لأي منا. لم أشعر بأي حزن ولا أريد أن أكذب على القس بشعور لم أشعر به. كان النائب شابًّا ويقف أمامنا ممسكًا منصة المتحدث بكلتا يديه. بدا لي وكأنه خريج مدرسة ثانوية يعقد امتحانًا شفويًّا في الدراسات الدينية. كان لديه صوت عميق بشكل مدهش، صوت عميق لا يتناسب مع بنيته النحيلة، لذلك كان المرء ينتظر انطلاق ضحكة، كما يحدث أحيانًا بعد فترة وجيزة من انقطاع الصوت، لكنه لم يضحك واستكمل أداءه جيدًا. ولقد اختار نص عبرانيين (23:7) آية لم تكن في ترجمة "لوثر"، ولكن بصيغة أكثر حداثة: "وَأُولئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ من أَجلِ مَنْعِهِمْ بِالْمَوْتِ عَنِ الْبَقَاءِ".

هذا الاقتباس لم يكن في محله. إن تغيير رجال الدين كحلقات في سلسلة غير منقطعة لا يمكن للمرء الوصول إلى آخرها، وهذا هو السبب في وفاة أحدهم. إنه أمر مؤسف ولكن في الوقت نفسه مطمئن بسبب استمرار السلسلة. كل شيء يبدو ضبابيًّا قليلًا إلا أن هناك بعض الإيجابية الممتعة. لا أعرف اسم هذا النائب، لكن سوف نكتشفه بسهولة. يجب أن تتذكر هذا الشاب جيدًا؛ فقد استقبله الجمهور بحفاوة وأيضًا بسبب أن طريقته في التحدث كانت مختلفة بشكل ممتع عن نبرة القادة السابقين. لن يتابع الكثير من الحاضرين حجته، ولكن في مثل هذه المواقف الاحتفالية يؤدي المحتوى دورًا أقل بكثير من الحالة النفسية السائدة، ولقد أحب الناس الاستماع له. لقد حظيت مراسم الصلوات بحضور جيد، وكان من الملاحظ

حضور العديد من السجناء ممن ينتمون إلى فريق كمال الأجسام، والذين يمثلون "فريق الغسيل" أيضًا، وهم أشخاص ما كنت لتراهم في الكنيسة أبدًا. وعند رؤيتك فريق كمال الأجسام هناك، سيتولد لديك انطباع أنهم قد اكتشفوا الدين كاكتشاف مكمل غذائي جديد. ما الذي لم أخبرك به بعد؟ أنا أفكر أعليَّ تجربة كتابة نص أطول.

يوميات

لم يصلني أي رد من "سيبي".

إلى القس

لقد عدت الآن. أشعر بالحزن لرؤية مدى تأثير وفاة الواعظ "دورفمان" عليك. نحن لسنا أصدقاء، وأنا وأنت لا يمكن أن نكون كذلك في يوم من الأيام. إن توجهاتنا في الحياة مختلفة تمامًا. لكنني تعرفتك جيدًا. فلا يمكن لأحد أن يكتب رسائل لشخص ما بانتظام دون أن يكون لديه تصور جيد عن شخصيته. لطالما كنت أفكر في ذلك في أثناء الكتابة. كان اللون السائد دائمًا هو لون التفاؤل، حتى لو سخرت من هذا المسمى أحيانًا. لقد تلاشى هذا اللون الآن على عكس أسلوبك الذي اعتدتُ عليه. لقد كانت موعظة يوم الأحد حزينة جدًّا ولم يكن النص الذي اخترته مبهجًا

أبدًا. "إِحْصَاءَ أَيَّامِنَا هَكَذَا عَلِّمْنَا فَنُؤْتَى قَلْبَ حِكْمَةٍ" سفر المزامير (12:90) العهد القديم.

اعتبرها علامة صداقتنا المستحيلة إذا لم تحصل اليوم على عكس اتفاقنا؛ على تقرير عن حياتي. لا أريد أن أزعجك بعد الآن، ولكن مرة اخترعت قصة ليست رائعة كتبتها خصوصًا لك، أو عنك؟ في بعض الأحيان، لا أستطيع معرفة الفرق.

تمرين للمهارة

اللقاء

ظل لون الصخرة يتغير من تلقاء نفسه، وهو شيء كان قد شاهده عدة مرات هنا على قمة الجبل. في كثير من الأحيان كان يحدث ذلك فجأة، وما كان يتلألأ للتو باللون الأحمر يتحول إلى اللون الرمادي في لحظة واحدة، ولكن في بعض الأحيان كان اللون الجديد يتحول إلى لون أفتح بشكل تدريجي بطيء، مصحوبًا بظلال لا حصر لها لم يكن على دراية بمسمياتها. لكنه كان يعتقد أنه يجب أن تكون لها علاقة بالضوء. كان يظل على هذا الوضع ما دامت الشمس مشرقة، ودائمًا ما كانت مشرقة مع ندرة وجود أية غيوم أيضًا. فكر في أنه كان عليه أن يأتي إلى هنا في الخريف، أو في الربيع، عندما يكون الجو أقل سخونة. وفكر في أنه كان عليه أن يحضر دليل السفر في وقت مبكر أكثر مما فعل، لا أن يقرأه وهو على متن الطائرة المتجهة إلى أثينا. وفكر في أنه من الجيد أن ظلَّ المقعد

الذي بجواره شاغرًا، وكانت الرحلة مريحة، كما لو كانت محجوزة على درجة رجال الأعمال. فهناك يدفع المسافر ضعفين أو ثلاثة أضعاف، والمقاعد بها ليست أوسع أيضًا عن الموجودة في الدرجة الاقتصادية.

فكَّر أن كل ما يفكر فيه الآن ما هو إلا أفكار مشوشة في غير وقتها وقال في نفسه:

- أنا لم أسافر إلى أثينا من أجل التفكير في مقاعد الطائرة.

تقلصت عضلات فخذه مرة أخرى، فهو لم يكن معتادًا جلوس القرفصاء على الأرض. ففي الدير حيث استأجر زنزانته - والتي كانت باهظة الثمن في الواقع، بالرغم من عدم وجود مياه صنبور بها - رأى راهبًا عجوزًا في الدير كان يجلس القرفصاء ساعات، وبدا عليه أنه كان يفعل ذلك من غير جهد. لذا قال في نفسه إنه ربما لم تكن الأسابيع القليلة الماضية كافية لاستعادة توازنه البدني والنفسي.

اعتقد أنه كان عليه أن يأخذ الماغنيسيوم معه، لكنه يريد التفكير في مثل هذه الأشياء الآن، إذ من المفترض أن الماغنيسيوم جيد لتشنجات العضلات.

لم يقم برحلة للتفكير في التشنجات العضلية، اللعنة على تلك الأفكار. إنه لم يضحِّ بإجازته الثمينة من أجل ذلك.

كان يعتقد أنه لا بدَّ أن يكون هناك مفتاح لإعادة تشغيل جهاز التفكير، يجب أن يكون المرء قادرًا على إعادة تشغيل عقله مثل الكمبيوتر. فلنغلق كل شيء ونبدأ من جديد. ربما تأتيه المعرفة التي كان يتوق إليها. ربما لم تعد هذه القذارة اليومية تنتشر فوق كل شيء، وكانت هذه الأفكار مجرد دوامة من أفكار مبتورة.

كما هو الحال في الفناء الخلفي، حيث يبقى كل شيء عادة في صناديق القمامة فترة طويلة. تساءل:

– أين يضع الرهبان نفاياتهم؟

كان من الممكن ألا يتطرق إلى مثل هذه الأفكار. ربما كان البوذيون محقين بشأن شعاراتهم، أم كان الهندوس؟ قرر أن يركز في لون الصخور فقط. فكر في أمر أننا نملك مسميات عديدة نطلقها على اللون الأحمر في حين وجود مسميات أقل للون البني.

على الرغم من وجود العديد من الظلال البنية حولنا في الطبيعة. حسنًا لماذا إذًا؟ ثم أغمض عينيه، وحاول رسم لون بني جديد في مخيلته لم يصادفه من قبل وحاول خلق لون جديد في ذهنه. لربما يعينه هذا على رؤية العالم من زاوية جديدة. ولكن كل لون بني خطر بباله كان بالفعل موجودًا في الطبيعة. بني مثل لون الجلد وجذع الشجرة ودُميَة دب. ثم جاءَه صوتٌ ما يقول:

– لا يجدي الأمر نفعًا بهذه الطريقة.

كان ذلك الصوت لرجلٍ عجوزٍ وقف أمامه. كان نموذجًا حقيقيًّا للرجل الطاعن في السن، حيث الشعر الأبيض واللحية البيضاء. وأكمل كلامه:

– أمر الألوان معقد. لقد عانيت كثيرًا كي أفهمها.. لم أشعر بقدومك.

– يحدث هذا لي كثيرًا. كيف عرفت أنني أتحدث الألمانية؟

رد العجوز:

– أوه، هل كان هذا باللغة الألمانية؟ أنا في حاجة إلى الانتباه لتلك الأمور بشكل أفضل، فأحيانًا أكون شارد الذهن.

لقد كان هذا العجوز يشبه في جلستهِ المستكينة الراهب في الدير.

لكنه لم يكن راهبًا، حيث كل الرهبان يلتزمون بارتداء عباءة سوداء. بل ربما كان مجرد مزارع في جلبابه البسيط. فهو شخص قضى حياته في الأعمال اليدوية، فاستمد حكمته من عمله لا من الكتب. وأخذ العجوز يتمتم:

- أوه كما تعلم، الحكمة.. أنا لم أكن متيقنًا منذ فترة طويلة.

ومن شدة الوحدة التي عاشها ذلك الرجل، كان صوته عاليًا دون أن يدرك ذلك. ثم قال:

- اعذرني، ولكن بالطبع أنا جيد في هذا الأمر حتى عند عدم رغبتي بذلك.

لقد كان يتحدث الألمانية من دون لكنة غريبة، ربما لم يكن مزارعًا. إنَّه يتحدث كما لو أنَّه شخص درس في ألمانيا. تمتم العجوز مرة أخرى:

- وفي مكان آخر أيضًا.

تُرى هل كان يفكِّر بصوتٍ مرتفع مرة أخرى؟ من الأفضل للمرء أن يوجه له الأسئلة بشكل مباشر.

- هل أنت من هذه المنطقة؟ في الأصل أنا من الجنوب قليلًا، على وجه الدقة من الجنوب الشرقي. إذا لم يكن تجاوزًا مني، هل يمكنني سؤالك عن وظيفتك السابقة؟

رد العجوز:

- لم تكن لديَّ أبدًا أي وظيفة ثابتة. كنت دائمًا مجرد عامِل أجير. آملُ أن أحصل على وظيفة يومًا ما.

عندئذ، أضاءت الصخور بلون جديد تمامًا، حيث كان العجوز جالسًا. فقال له:

- أجل، أقصد عامِلًا أجيرًا في أي مهنة؟

رد عليه العجوز:

- يدور حول هذا الأمر الكثير من الجدل.

وحين ابتسم، ظهرت أسنانه وكانت مثالية. وهذا بالطبع على عكس ما يتوقعه أي شخص بالنسبة إلى رجل في مثل عمره. ثُمَّ كرر العجوز جملته:

- لطالما كان هناك خلاف بشأنِ هذا الأمر.

حسنًا، ربما كان لا يريد الإفصاح عن وظيفته. في الأصل، لم يثر اهتمام الشابِ معرفة وظيفة شخص تعرَّفه حديثًا. فقط كان يحاول خلق نقاش مع هذا العجوز. فكان الأفضل هو مجرد إجراء محادثة لطيفة غير محرجة أو ضارة لأحد الطرفين:

- أعتقد أن الطريق هنا شديد الانحدار، أليس كذلك؟

رد عليه العجوز:

- نعم، أستطيع تخيل شدة انحداره.

- ما المدة التي استغرقتها؟ آلاف السنين وما زلت لا أصِل.

ربما بدا هكذا لطيفًا، لأنَّ تفكيره في البداية لم يكن واضحًا تمامًا. ثم أكمل حديثه:

- لقد تركت ألمانيا وجئت إلى هنا من أجل التفكُّر والتأمل.

رد عليه العجوز:

- ما جاء بي إلى هنا رغبتي في التأمل أيضًا. نعم، إنَّهُ مكان مناسب للتأمل فعلًا.

ثمَّ اشتدَّ وهج الصخور من حوله مرة أخرى وقال للعجوز:

- ما رأيك إذا دعوتك لاستضافتك عندي؟

فرد العجوز:

- أو يمكنك أنت المجيء إليَّ.

إنه حتمًا مضطرب ومشتت الفكر. ربما لهذا السبب يحب المرء التحاور معه، حيث لا وجود لعواقب من محادثته كالنقاش بلا هدف.

– أنا أبحث دائمًا عن إجابات في حين عدم عثوري على الأسئلة المناسبة في الأساس.

رد العجوز:

– أنا متفهمٌ لذلك.

أكمل الآخر كلامه:

– إنَّه لمن أصعب الأشياء أن يطرح المرء على نفسه سؤالًا كان قد أجاب عليه بالفعل. فمثلًا فيما مضى، كنت قد برأت شيئًا ثم أفكر أهذا الشيء جيد أم لا؟ وفي غضون ذلك، كانت تملؤني الشكوك.

– برأت؟

– حسنًا، أعلم أنها كلمة قديمة لا تواكب عصرنا الحالي، ولكنني لم أعد شابًّا صغيرًا، على الرغم من كوني الأصغر سنًا مقارنة بك.

ثم تساءل:

– هل هذا لغز؟

أجابه العجوز:

– نعم، هو لغزٌ وعليك إغماض عينيك للتفكير في هذا الأمر.

ثم جلسا جنبًا إلى جنب وساد الصمت بينهما طويلًا إلى أن اختفى الرجل العجوز واختفى معه وهج الصخور.

يوميات

أجَّلتُ وأخَّرتُ هذه الخطوة مرارًا. حاولت إلهاء نفسي عنها بكتابة قصص قصيرة وإرسالها إلى القس. ولكن الوقت الآن أصبح ضيقًا، فاليوم لديَّ موعد مع "المحامي". عليَّ كتابة كل شيء، سواء إيجابيات أم سلبيات. الإيجابيات هي أن أعلم ما يتحتم عليَّ فعله. بل وربما كان من الواجب فعله منذ فترة طويلة إذا لم أكن جبانًا هكذا. والسلبيات هي أن أعرض حياتي للخطر. لكن ماذا إذا لم أفعل؟!

إذًا فلنبدأ من البداية.

كانت وما زالت الفترات الفاصلة بين استلام الطلبيات منظمة تمامًا. ليس فقط في اليوم بل في الأسبوع بأكمله. لذلك لا يمر وقت طويل حتى أقابله مجددًا لنتناول العشاء معًا ويُعْلِمَني عنوان الكتاب. هذا الكتاب كان يتوجب عليَّ تسليمه دون أن أتفحصه ويتحتم عليَّ إخبار "المحامي" بأنه ليس لي غاية أخرى من توصيل هذا الكتاب، أي لن أفعل به شيئًا سوى تسليمه. نعم لست مقتنعًا بحججي. لكن أيمكن لأي شخص هنا أن يتعاطى المخدرات من دون أن يحصل على جرعته عن طريقي؟ إذن ليس من السيئ حقًّا أن يساعد المرء غيره في إيجاد متطلباته؟! فمهمتي كمهمة موظف يعمل لدى شركة شحن "فيديكس" كساعي بريد. "تفضل، ها هي شحنتك. وليس لديَّ أدنى فكرة عمَّا تحتويه العبوة"، "نحن لا نخدع أحدًا بأدوات خفية أكثر مما نخدع أنفسنا". حقًّا لقد فهم "شوبنهاور" كل شيء.

في البداية، كان بإمكاني التفكير بهذه الطريقة. لكن تغير الأمر ولم يعد كذلك. الأشخاص الذين تعاملت معهم في شركات شحن المخدرات لم يكونوا أشخاصًا وديين، بل كانوا قتلة. أولًا قتلوا رجل غرفة رفع الأثقال ثم قتلوا "دورفمان".

كنتُ كمن أمسك ذيل القطة السوداء فأصابني النحس.

أنا لست شخصًا متدينًا ولا تقيًّا ولم أكن أبدًا كذلك، ولكن توجد حدود دائمًا لكل شيء، فلولا وجود تلك الحدود لظل الإنسان غارقًا في الوحل بقية حياته. سلبيات، سلبيات، سلبيات، فهذه الوظيفة المليئة بالسلبيات لا يمكن للمرء الاستقالة منها بسهولة. فالهاربون من التجنيد قد يفشون بخطة زحف الجيش للعدو. من الأفضل التخلص منهم على الفور من أجل اتِّقاء شرهم. وذلك من خلال قتلهم ضربًا بالأثقال الحديدية، وأيضًا من خلال تعطيل مكابح سياراتهم. لماذا ينبغي أن أقدم نفسي شهيدًا إثر ذلك؟ إذن لا بدَّ أن أقنع "المحامي" بأنني سألتزم الصمت، وأن أطلب من القسيس إسناد مسؤولية المكتبة إلى شخص آخر، ولكنه سيريد معرفة السبب وراء طلبي هذا. مع أنه لا يخطر ببالي سبب حقًّا، لأنني لم أكن أرغب في ترك العمل في المكتبة وحتى نهاية فترة عقوبتي. وإذا أكملت فترة عقوبتي فعليك أن تعلم أنني رجوت فقط تغيير مهمتي في المكتبة وليتها كانت استقالة. ولكن في المرة القادمة حين أقابل "المحامي" سينبغي لي أن أوضح له لماذا لم أرد الاستمرار في هذا العمل وأنَّ قراري لن يشكل خطرًا، لا عليه ولا على عملائه. ولكنه لن ينصت لكلامي جيدًا ولن يصبر على تلعثمي في الجمل. لا سيما في قاعة الطعام، حيث يستطيع الجميع إدراك

أننا نتحدث. لم تكن المشكلة في الكلام ذاته، ولكن المشكلة تكمن في عدم رغبته في إجراء نقاش تفصيلي في هذا المكان، حيث كل الأعين علينا. على انفراد؟ أم بوجود شخص ثالث معنا؟ أم اثنين آخرين؟ على الأقل يوجد شخص واحد معه، وهو ذو العضلات المفتولة. كان عليَّ أن أطلب منه ترتيب لقاء خاص. سيحاول إيجاد مكان حيث لا يمكن لأحد مشاهدتنا فيه. لكن إذا كنا في معزلٍ عن رؤية الناس فبإمكانه فعل ما يريد بي، هو أو رجله مفتول العضلات. وقبل أن يشرع "نيلز" في الضرب قال:

- يمكنني فعل ما هو أكثر.

تعرض أمين المكتبة لحادث مؤسف، حيث كسرت عنقه إثر سقوطٍ مؤسف على الدرج. ثم يجدون من يخلفه ولا يسبب لهم المتاعب.

مع ذلك، إذا وجد أحدكم كتاباتي هذه فهذا يدل على أنني غادرت الدنيا. وأرجو ممن يجد تصريحي هذا ألَّا يرسله إلى إدارة السجن، لأنني لا أثق بهم، بل يوجهه مباشرةً إلى الشرطة. وحيال عدم إمكانية ذلك فإنني أطلب تسليمه إلى القس "آرثر فالديمير" المعروف بالأب. حيث إنه مسؤول عن ضمان وصول ذلك التقرير إلى المصالح المختصة. أكتب سطوري هذه لأنه من المحتمل أن تكون حياتي مهددة بالخطر. وإن انقلبت مخاوفي إلى حقيقة وتعرضت حياتي للخطر، فسيُرَى موتي على أنَّه مجرد حادث. فقط رجائي أن تعلموا أن هناك حقيقة واحدة؛ وهي أن موتي لم يكن حادثًا. فمن خلال تصريحي هذا، أحاول مساعدة المسؤولين في معاقبة مَن تسبب في موتي وعدم إفلات تلك الحقيقة.

هنا إفادتي:

أقر وأعترف، أنا "يوهانس هوزاي شتركليه"، أحد نزلاء هذا السجن والموكَّل لي بالعمل في المكتبة، أنني أدلي بهذه المعلومات حسب علمي وضميري وإن كنت على قيد الحياة حينها ومستعدٌ للقسم على صدق إفادتي.

القصة:

بعد وقت قصير من توصية القس لي بتولي منصب في مكتبة السجن، علمت أن تلك المنشأة كانت وسيلة لتهريب المخدرات إلى داخل السجن. قد تكون مجرد تخمينات أنَّ المادة المهربة هي المخدرات، ولكن بأخذ الظروف في عين الاعتبار، بدا لي أنه من المنطقي ألَّا تكون شيئًا آخر.

كانت الإجراءات التي اتخذها المهربون كالآتي:

حصريًا، تتكون محتويات المكتبة من تبرعات الكتب المهداة إلى السجن والتي يتم توجيهها إلى مكتبة السجن بناءً على طلب القس "فالديمير". استلام الكتب لا يتم بشكل فردي، بل تكون الكتب معبأة في شكل شحنات كبيرة. عادةً في ربطات أو صناديق تحتوي على عشرين كتابًا أو أكثر. وكانت تلك الشحنات المعنونة والموجهة إلى القسيس تحال إليَّ مباشرةً من خلال القسيس، بهدف تصنيف المجلدات القابلة للاستخدام في مخزون المكتبة وفرز الكتب غير الصالحة للاستعمال أو عديمة الفائدة.

وحقيقة أنَّ مهمة فحص محتوى تبرعات الكتب هذه لا يجب إسنادها إلى مكتب البريد، وأنَّ القس الذي يعهد إليه في الواقع فحص المحتوى يمتنع عادةً عن التحقق منها، فإنَّه توجد مجموعة من الأشخاص لا أعرفهم بالاسم يستغلون هذه الحقيقة ليهربوا أشياء أخرى إلى داخل السجن تحت ستار إيصال الكتب.

ومن خلال ملاحظاتي وخبراتي مما عايشته، استنتجت أنَّه يجري إخفاء المواد المهربة في طيَّات الكتب. على الرغم من عدم رؤيتي تلك التفاصيل بعيني والتي ستتضح فيما يأتي.

لقد اتضح لي الموقف من خلال تحاوري مع أحد زملائي في السجن والذي لا أعرف اسمه، ولكن كان يُعرَف في السجن باسم "المحامي"، وهذا ما يجعل تعرفه سهلًا. كنت قد توليت للتوِّ منصبًا في المكتبة وكان يهددني ذلك المدعو بـ"المحامي" بالعواقب الوخيمة في حال ما خُرِّبت خطة التهريب أو أُفشي عنها، والتي جرت في فترة عملي بالمكتبة. ونظرًا إلى سمعته، وجدت المصداقية في تهديداته. لذلك لم أجازف بمعارضة أوامره كي لا أعرض حياتي للخطر، خاصةً وأنَّ الدور الذي طُلِبَ مني تنفيذه كان بالنسبة إليَّ سلبيًا إلى حدٍ كبير. أعترف بأنني مذنب لأنني طاوعته وقدمت له المساعدة وأنه قانونيًّا قد أسهمت في التحريض على تهريب المخدرات. وأريد أن أبين وضعي لعلَّه يخفف من عقوبتي. وهو أنني لم أوافق إلا لأجل عدم تعريض جسدي وحياتي للخطر. وبشكل مجمل قد شاركت في أربعة أعمال من هذا القبيل. كان الإجراء نفسه مُتَّخذًا في كل مرة؛ فلقد أعطاني النزيل المدعو بـ"المحامي" اسم كتابٍ ما سيكون ضمن تبرعات الكتب القادمة إلى السجن، وطلب مني تسليم الكتاب دون فتحه إلى شخص موكَّل منه. وانطلاقًا من حقيقة أنَّه كان على علم دائمًا بمحتوى شحنة الكتب، والتي لم تصل بعد إلى السجن، استنتجت أنه كان يقوم بتدبير الشحنة بنفسه.

على حسب اعتقادي، كانت الموسوعات المستخدمة في تهريب المخدرات خلال مدة توظيفي بالمكتبة هي Simplicius Simplicissimus وهو

مجلد من تأليف "بريم" عن حياة الحيوان. والثاني هو إصدار مكوَّن من مجلد واحد من قِبَل الموسوعة الكبيرة "بروكهاوس". والثالث كتاب عنوانه "رجل بلا صفات".

لا يوجد أي كتاب منهم متوفر حاليًّا في مقتنيات المكتبة. أعتقد أنهم أبادوا تلك الكتب بعد حصولهم على ما يريدونه؛ ألا وهي المخدرات المهرَّبة. كانت تُتسلُّم الكتب في البداية وتوضع في المكتبة، ثم يأتي بها شخصان إلى زنزانتي بالتناوب لا أعرف اسميهما. كل ما أعلمه عن أولئك الأشخاص أنهم، جميعًا أو معظمهم، يعملون في مغسلة السجن. كان أحدهما لاعبًا قويًّا قد تعرض لحادث مميت في غرفة التدريب. سأتطرق إلى هذا لاحقًا.

لم أحصل على أي مدفوعات أو أجر مقابل خدمتي. ولفترة ليست وجيزة، فُتِحَت لي زنزانة وكانت لي وحدي، حيث إنها في الأصل مخصصة لشخصين. لم أجد توضيحًا لذلك أو لماذا قُدِّمَت لي زنزانة خاصة. ولكن أستطيع التخمين أنها كانت مكافأة لي على خدمتي لهم. في حال ما وصلت هذه الوثيقة التي أكتبها إلى الشرطة كما آمل، فسأطلب من الجهات المختصة أن تتقصى تلك المسألة وأن تدرك كيف وإلى أي مدى كان التأثير في إدارة السجن أمرًا ممكنًا.

بشكل عام، كان لديَّ انطباع بوجود آلة تم التدرب عليها جيدًا فيما يتعلق بتسليم الكتب المشبوهة. وبشكل عام، تكون لديَّ انطباع عن وجود آلة منسقة جيدًا لتسليم تلك الكتب المراوغة. وبصرف النظر عن "المحامي"، فلم أكن أعرف أسماء المسؤولين عن تلك الشحنات المراوغة. ولكن على كل حال، يمكنني وصفهم بأنهم أشخاص مستعدون لتعنيف أي شخص يحاول عرقلة مهمتهم.

وقعت حادثة السجين المعروف باسم "البلطجي" الذي تعرض للضرب بالأثقال الحديدة في غرفة رفع الأثقال بعد يوم واحد من تسلمه الشحنة مني. لديَّ قناعة تامة بأنه لم يؤدِ وظيفته الموكلة إليه على أتم وجه ولذلك عوقب بالقتل. هذا أيضًا مجرد افتراض ليس بوسعي إثباته.

وما يجعل الأمر أكثر وضوحًا هو وقوع حادث لشخص آخر بالرغم من وقوعه خارج السجن. هذا الحادث هو مقتل الواعظ "كاسبر دورفمان" الذي تولى مهام القس "فالديمير" في أثناء غيابه بشكل مؤقت. فلقد أبلغني "دورفمان" عن قراره بتغيير السياسة المتخذة سابقًا في تسلُّم الكتب والتحقق من المجلدات بشكل فردي قبل تسليمها لمعالجتها بشكل أدق. وفي اليوم الذي أبلغني فيه بذلك، وصلت حينها شحنة تحتوي على الكتب الخاصة التي كان قد أخبرني بها "المحامي". واتخذ "دورفمان" قراره كما أخبرني بفحص محتوى ذلك الصندوق في مساء ذلك اليوم. ثم أنبأتُ "المحامي" عن ذلك التفتيش الوشيك. وما مرت سوى ساعات قليلة حتى تعرض الواعظ "دورفمان" لحادث مروري أودى بحياته. نعم أعلم أنه لا يوجد دليل صريح عن وجود ترابط بين الحدثين، ولكن يبدو واضحًا أنه لا بدَّ من وجود صلة بينهما وأن الحادث ربما وقع إثر تلاعبٍ متعمَّد في مكابح سيارة "دورفمان".

اتضح لي أن تسلسل تلك الأحداث على الأرجح نشأ بسبب تحذيري للمحامي وإبلاغه عن وجود تفتيش، وأعترف أنني أعدُّ متواطئًا في مقتل الواعظ "دورفمان"..

لديَّ اليوم موعد مع النزيل المعروف بـ"المحامي". يجب أن يُعقَد الاجتماع في غرفة رفع الأثقال في الطابق السفلي. أدركت غايتهم من اختيار ذلك المكان، حيث لا يمكن لأحد الاستماع لحديثنا ولا حتى مراقبتنا. وكان

شائعًا أن تلك الغرفة كانت تستخدم بشكل حصري تقريبًا من خلال السجناء الذين يعملون في المغسلة كما نوهنا بهذا من قبل. وإنني أفترض وجود علاقة بين "المحامي" وهؤلاء السجناء.

سينعقد اجتماعنا في غضون ساعاتٍ قليلة. وأنوي الإفصاح للمحامي عن قراري برفض أي تعاون آخر معه. من الوارد أن يتقبل هذا. ففي النهاية، أنا الذي منع الواعظ "دورفمان" من اكتشاف الكتاب المهرَّب، والذي كان يحمل في طيَّاته شحنات المخدرات السرية. ومع ذلك، يبدو لي أيضًا أنه من الممكن أن يعتبرني الأشخاص الذين يقفون وراء عملية التهريب شخصًا قد يشكِّل خطرًا عليهم، نظرًا إلى كوني متواطئًا معهم. وإذا وجدوني شخصًا غير موثوق به، فلن يترددوا لحظة في إخراجي من ذلك الطريق. أصبحت مقتنعًا أنهم ارتكبوا بالفعل جريمة قتل في هذه الغرفة.

وبرغم مخاوفي تلك، لم أتردد لحظة في الذهاب إلى ذلك الموعد. كانت أخلاقي التي نشأت عليها تُلزِمُني بإنهاء هذا النوع من العمل مع هؤلاء الناس. ومن ناحية أخرى، أنا لا أجرؤ على الوثوق بإدارة السجن ولا أستطيع طلب الحماية منهم. ومن خلال تجربتي الشخصية، أعتقد اعتقادًا راسخًا أنه يوجد على الأقل بعض الأفراد من إدارة السجن على اتصال بالمهربين أو يدعمونهم. لهذا السبب، لا أستطيع الاعتماد على إخفاء إدارة السجن لهذا الأمر. سأضع كتاباتي تلك بين كتابين في أحد رفوف المكتبة على أمل أنه إذا حدث لي شيء اليوم فسيُعثَر عليها عاجلًا أو آجلًا. وأؤكد مرة أخرى صدق ما أكتب من تصريحات.

"يوهانس هوزاي شتركليه"

على المرء أن يكون قادرًا على تأدية صلاته.

يوميات

مزَّقتُ اعترافي إلى قطع صغيرة وألقيت بها في المرحاض. عليَّ أن أدوِّن ما حدث قبل أن تألف الذاكرة ما حدث كأنه أمر مسلَّم به. تمسكت بدهشتي.

سأحاول سرد تلك الأحداث كأنني أتحدث إلى شخص يجلس أمامي. فربما تتحول هذه الأحداث إلى قصة أدبية يومًا ما، إذا غيرت فيها بعض التفاصيل.

بدأ كل شيء حين دعاني المدعو بـ"المحامي" إلى ذلك اللقاء، من دون طلب مني. قد كنت أريد التواصل معه منذ فترة طويلة لإخباره بامتناعي عن المزيد من هذا العمل الذي أقحمني فيه. لقد اتخذت قراري حقًّا، ولكن لم أتجرأ على تنفيذه، إذ كنت أؤجله دائمًا. أنا لست شجاعًا. لماذا وُجِدَت كتابة اليوميات إذا كنا نعرب فيها عمَّا نريد من حقائق بطريقة غير مؤذية؟ أنا حقًّا جبان.

على مكتبي وجدتُ ورقة مكتوبًا عليها ملاحظة ومعها دعوة (دعوة؟؟ أم تجنيد!)، بالرغم من أن المكتبة تكون مغلقة طول الليل. ولا أحد يستطيع دخولها حتى أنا، فليس لديَّ مفتاح. لذلك كان عليَّ دائمًا انتظار مُشرف المكتبة المسؤول عن فتحها لي عند بداية العمل وإغلاقها بعد انتهاء مواعيد العمل. وعلى الرغم من ذلك، وجدت تلك الدعوة هنا على مكتبي. بعد صدمتي الأولى من وجود تلك الدعوة، شعرتُ بالاطمئنان الشديد. ذلك

القرار الذي لم أكن جسورًا بما يكفي لاتخاذه أُتيحَ لي. ثم تملكني الشعور بالخوف. فالمكان الذي أُنتقيَ من أجل اللقاء كان في حد ذاته دليلًا على وجود تهديد. وعلى الرغم من ذلك، لم أفكر وهلة في عدم الانصياع إلى تلك الدعوة. فمَن يرفض أن يكون خاضعًا لقواعد تلك المؤامرة التي تحدث، يضع نفسه في مأزق كبير.

دعابة ما قبل المشنقة:

من غير اللائق أن تتأخر عن موعد إعدامك. ذهبت إلى هناك في الموعد المحدد تمامًا. كان الطريق إلى الطابق السفلي طويلًا جدًّا بالنسبة إليَّ.

ملحوظة للكتابة عنها لاحقًا:

فكرة أن تخذلك رجليك والتي تنتج عن الإحساس بالخوف، لها أساس في الواقع. كانت حراسة غرفة رفع الأثقال تجري بواسطة رجلين متفاخِرَيْن بعضلاتهما والذين منحتهما إدارة السجن قمصانًا كبيرة الحجم. للتصحيح: "متفاخران بعضلاتهما" مصطلح خطأ في هذا السياق، فهما لم يكونا متفاخِرَيْن بعضلاتهما، لأنهما ليسا في حاجة إلى ذلك.

كما نرى الجندي، فهو لا يتفاخر بسلاحه، ولكن يُفهَم ذلك عند النظر إلى طريقته البديهية في تعامله مع السلاح واستعداده دائمًا لاستخدامه.

تعرفت واحدًا منهم كان هناك عند استلام الكتب من زنزانتي. كان موجودًا في المرتين باعتباره مرافقًا، أهو أيضًا حارس؟

أومأت إليه ولكن لم يبدِ لي أي ردة فعل. لقد أدرك أنني أنظر إليه، ولكن في الوقت نفسه تجاهلني. حاولت فهم ما يكمن لي خلف ملامحهم لعلِّي أتمكن من توقع شيء، ولكنني لم أفلح في ذلك. فإن كان هناك أي

تعبير على وجوههم فهو تعبير ازدراء ليس أكثر. كيف يشعر هؤلاء تجاه كل شخص لا يمارس الرياضة كل يوم لبناء جسده؟

والجدير بالذكر:

لم يكن الاثنان متشابهين ولكنهما في الوقت نفسه متطابقان. إذ كان أحدهما آسيويًّا رأسه أصغر من رأس الآخر. وعلى الرغم من ذلك، من الممكن أن يكونا أشقاء.

التجاذب الاختياري.

"الأكبر" كان هو الأعلى رتبة في السجن، على الرغم من أنني لا أعرف أين قرأتُ هذا وعلى أي لافتة. طرق الباب بطريقة معينة كإشارة متفق عليها للدخول إلى الممر السري إلى بار Speakeasy "سبيك إيزي"، تمامًا مثل ما نشاهده في أفلام "هوليوود" القديمة. أعتقد أنه كان من الواجب أن يأتيني رد من الداخل عندما طرقت الباب، ولكنني لم أسمع أي جواب. فتح لي أحدهم الباب ولكن لم يتنحَ جانبًا لأَعْبُر، فاضطررت للاصطدام به. كان تصرفه ذاك يعدُّ انتهاكًا متعمَّدًا لأخلاقيات السجن. فمن الذوق هنا هو ترك مساحة كافية للآخر، لأنَّ كل عثرة حتى ولو بالصدفة يمكن اعتبارها هجومًا. لذلك حيثما وجدت الشبهات، ينبغي على المرء تجنب تبعاتها.

لقد كان الرجل الذي أجبرني على الاقتراب منه ذا رائحة طيبة كرائحة الصابون المعطر المستخدم للأطفال. بدت لي غرفة رفع الأثقال مهيأة بشكل احترافي مع أنني لا أملك أدنى فكرة عن تلك الأجهزة ولا عن مسمَّيات معظمها. فبالنسبة إليَّ، تبدو كلها كأدوات التعذيب.

جلس المدعو بـ"المحامي" على مقعد بلاستيك أسود مكسور ساندًا إياه بساقه. لا بدَّ أنه لم يكن مرتاحًا في جلوسه هكذا، ولكن لم يكن ليبدو مرتاحًا أكثر على كرسي المكتب أيضًا.

كان شعره مُصفَّفًا كعادته، وملابس السجن تبدو عليه كما لو أنها أُعِدَّت خصوصًا له بما يناسب مقاسه. ربما كان هذا ما حدث بالفعل.

كانت القواعد واضحة: كان يتوجب عليَّ الانتظار ومعرفة ما يريده مني. ففي العصور الوسطى، كان من الممكن أن تقطع رأس مَن تحدث إلى الملك دون أن يطلب منه ذلك. أو حتى إذا تحدث لحارس الملك. ولكنني عزمت على إخباره بأنني أريد الخروج من ذلك الأمر، أي إنهاء التعاون معه. لأؤكد له أنني سألتزم الصمت عن كل شيء أعرفه. ولأتوسل إليه ليوافق لي بالخروج من تلك القصة.

على الفور أعرضت عن الأمر بلا تفكير، لكن اضطراب الموقف زاد من تلعثمي لدرجة أنني لم أتمكن من إنهاء الجملة الأولى. ولقد أثار رد فعل "المحامي" دهشتي. فلم يلقَ إليَّ أية اتهامات ولم يهددني بشيء ولا حتى طلب مني شيئًا.

حتى إنه ابتسم فبدت عليه تلك الانطباعات الودية التي تبدو عليه بعد فحص العواقب القانونية بعناية. وقال لي:

- هذا ما نريده بالفعل.

إن جملة "لا تصدق أذنيك" هي في حقيقة الأمر جملة خاطئة. وصوابها هو ألَّا تثق بعقلية مَن يتكلم.

وأكمل "المحامي":

- لقد قررنا تجنب أي مخاطر والتوقف عن قراءة الكتب.

ثم قال:

- "القراءة" كما لو أن الأمر يتعلق فقط بالقراءة وبطلبات خاصة لعشاق الكتب.

- سنعثر على طرق أخرى.

شعرت بالدوار من كثرة الاطمئنان. وكأنَّ حملًا أزيح فجأةً عن قلبي، وعليَّ البحث عن اتزاني من جديد.

والآن حدث ما لم أكن أصدق حدوثه. سأحاول التمسك بأنه واقعي بقدر الإمكان. قال صاحب السمو "المحامي":

- نحن سعداء بك حقًّا.

الذي ربما كان يشير إلى أنَّ المديح لم يصدر منه شخصيًّا، بل من جهة أعلى شأنًا. وأكمل:

- نحن راضون جدًّا. ولقد تركت لدينا انطباعًا بأنك شخص يمكن الوثوق به وبسريَّتِه. ولهذا السبب، قررنا تكليفك بمهمة جديدة.

لقد نظر إليَّ كما لو أنه يلمِّح لي بشيء.

أكان عليَّ الإجابة بالجملة التالية: "بكل سرور" أو "شكرًا جزيلًا"؟

لقد أصدرت صوتًا فقط كنعيق الغراب. أي مهمة يمكن أن تكون؟

لقد دار في ذهني سريعًا. ففي غرفة رفع الأثقال، لاحظت وجود رائحة كتلك التي في غرفة تبديل الملابس حيث قابلت "نيلز". رد عليه "المحامي":

- إنها مهمة تناسب مواهبك الخاصة.

وهلةً ظننت أنهم في حاجة إلى أمين مكتبة في مغسلة السجن.

- أنت تتمتع بذوق لغوي في استخدام الكلمات. فقد قرأنا كل ما كتبته ونال إعجابنا.

ما زال يتحدث بـ"نحن" مما يدل فقط على أنه كان يشير إلى الرجل الذي يعمل "المحامي" لديه. فإذا كانت الشائعات صحيحة، فهو يقصد الرجل الذي دخل السجن بمحض اختياره. لكن ما هي كتاباتي التي يمكن أن يكون هذا الرجل قرأها عني؟

يتمتع "المحامي" بمهارة الإجابة عن الأسئلة التي تدور في ذهنك قبل أن تنطق بها.

- تلك الكتابات التي ترسلها إلى القسيس بانتظام. بعضها ممتع ومسلٍّ حقًّا.

يراودني التفكير عن كيفية حصوله على تلك النصوص، ولكن لم أجد تفسيرًا لذلك. إذًا يمكنهم الوصول إلى كل ما يثير اهتمامهم وكذلك لأي شخص.

قال "المحامي":

- لقد ذكرت مرارًا كم أنك كاتبٌ جيد. الآن يمكنك إثبات ذلك. فنحن في حاجة إلى كتابة خطاب مصاغ بطريقة مقنعة.

كنت على وشك طرح سؤال، ولكن "المحامي" صدَّني عن ذلك بتلويح يديه كقائد فرقة موسيقية عندما يبدأ العازف بعزف لحن قبل وقته. فعندما يبدأ في محادثة أحدهم، يكون هو المسؤول دائمًا عن توجيه المحادثة كيفما شاء. واستأنف:

- بالطبع سندفع لك أجرًا مقابل ذلك بعد إطلاق سراحك وعندما تؤدي لنا تلك المهمة.

فتح فمه للحظة مع ضحكة تشبه التعبير عن كلمة (LOL) التي يستخدمها الناس في تغريدات "تويتر". فما أراد الإشارة إليه كان واضحًا:

- نحن على يقينٍ بأنك ستنتظر مكافأتك بكل سرور.

فهم أناس يدفعون ديونهم تمامًا كما يجمعون بلا رحمة الديون التي يدين لهم بها الآخرون. ولقد همَّ "المحامي" بإخراج شيء من جيبه. بدا في البداية كأنه يقوم بإخراج سلاح، ولكن اتضح بعد ذلك أنها صورة قدَّمها لي. قال "المحامي":

– ما رأيك في هذا الرجل؟

كان شخصًا لم أره من قبل، مرتديًا ملابس نزلاء السجن. وليست صورة ملتقطة له خصوصًا، ولكن لقطة أخذت له وهو يسير في الفناء. من المحتمل أنه سجين من المبنى رقم 2.

جميع الأبنية تستخدم الفناء نفسه ولكن بأوقات مختلفة. لم ينظر ذلك الرجل إلى الكاميرا في أثناء تصويره، مما يدل على عدم إدراكه أنَّ هناك شخصًا يصوره. ولقد اُلتقطتْ الصورة بتليفون ذكي، بالرغم من خطر امتلاك التليفونات الذكية في السجن.

التُقطت الصورة في يوم شتوي. يتضح ذلك من خلال قبعة الصوف التي تغطي أذني الرجل.

قال "المحامي":

– كيف لك أن تصفه؟

أستطيع القول بأنه صبي أو غلام، إذا لم تكن الكلمة قديمة الاستخدام. فوجهه كان ينُمُّ في الواقع عن شيء قديم الطراز. كواحد من هؤلاء الملائكة المحلقين حول صور المسيح. نقيًّا كان، ولكن لم تكن لديه شخصية قوية خاصة به. ووضعية جسده كانت تبدو خالية من الثقة بالنفس. على عكس "نيلز" الذي كان واثقًا دائمًا من جاذبية مظهره. فكان وضع ذلك الرجل

يحتاج إلى الحماية ويثير في الآخرين الرغبة في حمايتهم. فالسجن ليس مكانًا مناسبًا لأمثالِه. أولئك الذين يكونون محبوبين ومضطهدين في الوقت نفسه وينتهي بهم الأمر غالبًا بأن يرسم أحدهم صدورًا على ظهره لكي يخيَّل إلى مَن هو بعيد عنه أنه امرأة. سأل "المحامي":

- حسنًا إذًا؟

لم أكن أعرف ما الإجابة التي يريد سماعها مني، لذلك قلتُ مبدئيًا:

- جميل.

- هناك من يراه لا يُقاوم. لقد حرصنا على ألا يعترض أحد طريقه.

- وما الذي ينبغي لي..؟

قال "المحامي":

- يمكننا أخذه ببساطة ونقله من دون صعوبات إلى المبنى رقم 2 كما فعلنا مع "أمبروس".

- لكن هذا لن يحدث إلا إذا رغب هو نفسه في هذا.

وعندها سألتُ:

- لماذا إذًا عليه أن..؟

فردَّ "المحامي":

- من أجل الحب.

ونطق الكلمة كأنه ينطق كلمة أجنبية اكتشفها للتو في المعجم، وكأنها اسم فاكهة غريبة لم تُتذوَّق من قبل.

لم أكن أستطيع أن أخبره صراحة أنني لم أفهمه.

قال "المحامي":

- أنت شخص مثقف. وتعرف "سيرانو دي برجراك". هذا سيكون دورك؛ ستقوم بكتابة رسائل حب ثم يضع شخص آخر إمضاءه تحتها.

- من؟

- الفضول ليس صفة جذابة.

على الرغم من أنه لم يتغير شيء في خطابه، فإن التهديد كان واضحًا.

- دعنا نضع الأمر على هذا النحو: لقد رأت إحدى الشخصيات غير المهمة هذا الشاب من خلال النافذة وانجذبت إليه. هل هذا كافٍ؟

من الجيد أحيانًا أن تكون متلعثمًا. يمكنك تقييد نفسك بالإيماء دون أن تبدو غير مهذب. أومأت برأسي بلهفة.

قال "المحامي":

- جيد، لقد اتفقنا.

أي شخص آخر كان سيتخلى عن مقعده غير المريح منذ فترة طويلة، لكنه لم يغير موقفه أبدًا.

- نحن في انتظار الرسالة الأولى. اكتبها بعناية كما هو معروف عنك، فلا ينبغي أن تكون عارًا عليك.

بمعنى إذا كانت صياغاتي غير مقنعة، سيكون ذلك بمثابة وصمة عار لي عندهم.

لم يكن لزامًا عليَّ قبول المهمة التي كلفني بها رسميًّا. ولكنه، كما يقولون في أفلام المافيا، قدم عرضًا "لا يمكن رفضه"، وذلك دون الحاجة لترك رأس حصان مقطوع في السرير كما حدث في فيلم "العراب".

عندما خرجتُ، تنحى الرجل الذي تفوح منه رائحة صابون الأطفال جانبًا وأفسح لي مكانًا. لا بدَّ أنه شعر أنه يجب أن يكون مهذبًا معي الآن.

لا أريد أن أعرف مَن الرجل الذي من المفترض أن أكتب هذه الرسائل نيابة عنه، رغم أنني أشك في ذلك. أنه يحب شابًّا وسيمًا لا يعني بالضرورة أنه مثلي الجنس. في عالم خالٍ من النساء، يمكن أن تتغير الاهتمامات.

كان طريق العودة إلى المكتبة أقصر مما كان عليه.

يوميات

كنت أعتقد أنه سيكون من السهل كتابة مثل هذه الرسالة. لكن لا يمكنني فهم الغرض من وراء ذلك. خائف جدًّا من فعل شيء خاطئ. لقد بدأت عشر مرات، ولم أتمكن من العثور على النهج الصحيح. ليس خطئي فقط، بل لأنني لا أعرف سوى القليل غير الكافي عن ذلك الرجل. يجب أن تسمع كيف يتكلم، تنظر كيف يتحرك ومن أين يمكن متابعته؟ فنوافذ سقف الغرف تتيح لنا النظر بعض الشي إلى أعلى ورؤية السماء، لأنه لا يوجد مَن يجلس هناك ويمكنه مساعدتنا.. يتوقع "المحامي" أنني سأفعل ما يطلبه مني وأنا معصوب العينين.

القاعدة الحادية والخمسون: "لم يقوموا بالبحث الكافي للعملية". لا بدَّ أن أدرس التصوير الفوتوغرافي مرة أخرى، ولكن بشكل أدق.

الهدف كان شابًّا صغيرًا، وكأن لحيته لم تنمُ بعد. كل شيء فيه كان طفوليًّا بشكل لافت. في غضون سنوات قليلة، سيكون سمينًا. يجب أن تكون قادرًا على تجميده سالفًا.

صغير جدًّا. لكن أُدين بموجب القانون الجنائي للبالغين، وإلا كان من المفترض ألا يكون هنا.

سيكون من المفيد أن تعرف ما الذي سيفعله. شيء لا يمكنك الحصول على الإفراج المشروط عنه. بالطريقة التي يبدو بها، مظهره لا يبعث على ارتكابه جريمة عنيفة. يمكن أن يكون الخارج خادعًا. تلقى "شتاديلبرجر" النحيل عقوبة بالسجن مدى الحياة لاقترافه عنف خاص.

عيناه تذكرني بعيون السمكة.

كان وجهه فارغًا، لا يوجد في ملامحه ما يميزه. وعلى عكس "المحامي" كنت أنعته بالوسيم. كلمة عادية تقال يوميًّا لشخص عادي. لكن من الممكن أن شخصًا ما سيراها جميلة. أي شخص جائع يحب كل شيء. إذا تخيلت ابتسامة تتماشى معها.. لا يمكنني أن أجعل صورته أكثر جاذبية. لو كان امرأة ما، كنت سأريد تعرفها. أهو ذكي؟ على أي حال، هذا غير ضروري الآن. لا أحد يريد إجراء مناقشات فلسفية معه. لكن الأمر بالتأكيد لا يتعلق بالجنس أيضًا. سيكون من السهل الحصول عليه. حتى إن لزم الأمر بالقوة. من المفترض أن تتسبب رسالتي في وقوعه بالحب. أين تكمن نقطة ضعفه لاستغلالها؟ إنه لا يقف هناك واثقًا، لكن قد تكون هذه مصادفة في اللحظة التي التقطت فيها الصورة بأن أوحى لي تصرفه كما لو أنه أراد الهروب بعيدًا. هل الخوف هو نقطة البداية؟

لم يشعر قط أنه مهدد في السجن، ولم ينظر إليه أحد بغرابة من قبل ذلك. لا أستطيع أن أتخيل نفسي في مكانه.

اليوم وجدتُ ورقة أخرى على مكتبي، ولا شيء مكتوب عليها. مجرد علامة استفهام. واضح أن صبرهم قد نفد. حاولت أن أشعر بما أكتب.

لكن المهم أن يشعر به هو. في الصف الثاني على الرف بجانب الكتب التي لم يستعِرها أحد على الإطلاق، يوجد مجلد يسمى "رسائل الحب اللامعة" أو شيء من هذا القبيل، بها جميع النصوص التي كتبها بعض المشاهير. يجب أن يكون هناك ما يكفي من الأدوات لنسخها.

"أخيرًا فُهرِستْ المجلدات".

كتب المؤلف "شنيتزلر":

- أرى دائمًا عينيك اللتين يصعب سبر أغوارهما وأحاول تفسير ما يجول بهما.

الجغرافي "هومبولت":

- لم أقابل في حياتي مثلك أبدًا.

الشاعر "فونتانه":

- إن الإعجاب لغز.

الموسيقار "ليست":

- ليس لديَّ سوى خاطرة واحدة، فكرة واحدة، شعور واحد، وهي أنت (أنت)، أنت دائمًا (أنت).

الأديب "كيتس":

- ليس لديك فكرة عن مدى أنه يحثني على أن أوجد في مداركك.

الشاعر "ريلكه":

- ألم نلتقِ من قبل على كوكب آخر؟

الموسيقار "بيتهوفن":

- إما أن أعيش معك طوال عمري وإما أموت إلى الأبد.

هكذا من كل مجلد، جمعتُ بعضًا مما يحويه. لا بدَّ أن أُخرِج من هذا المحتوى ما يساعدني في كتابة خطاب الحب المطلوب مني.
أنهيه وأسلمه.

إلى القس

نعم أيها القس، بالطبع كنت سعيدًا، بل كنت سعيدًا جدًّا. لكن إذا كان قد تولَّد داخلك انطباع مختلف، فهذا مجرد سوء فهم. لقد كانت المفاجأة التي لم تجعلني أقفز فرحًا عند علمي بها، على الرغم من توافر كل الأسباب لذلك. جائزة مقدارها ألف يورو. واو! لا أعرف عدد القصص التي قدمتَها إجمالًا، لكن الجائزة الثانية لها قدرها أيضًا.

يوميات

تبًّا للجائزة الثانية، تبًّا، تبًّا، تبًّا!!!! هذا ليس عادلًا! لقد سمحوا لهذا الأبله النكرة بالفوز عن قصة تافهة يمكنني أن أكتب ثلاث قصص مثلها في يوم واحد وإحدى يداي مقيدة وراء ظهري. يا لهم من حمقى!

رجوعًا إلى القس، لم أجعله يلاحظ إلى أي مدى كنت مُحبطًا، لأنه كان مشغولًا بفخره بنجاح تجربته.

إلى القس

غني عن القول أنني ممتن لمن منحوني الجائزة، لكنني أود أن أشكرك عزيزي القس شكرًا جزيلًا. أعرف جيدًا لمن أُدين بسعادتي. فأنت مَن لفت انتباهي إلى هذه المسابقة وشجعتني على الكتابة وسمحت لي باستخدام عنوانك الشخصي للمراسلة. "يوهانس هوزاي" عناية القس "فالدماير". لقد بدا الأمر كما لو كنت أملك غرفتي الصغيرة داخل عالمك. لذا أرجو منك أن تسمح لضيف عالمك الذي يهمه أمرك أن يقول: "أنا قلق عليك أيها القس"، فعند انقضاء عطلتك التي استمتعت فيها بشهرين من أشعة الشمس اليونانية والنبيذ اليوناني، كان لا بدَّ أن تنعم بسعادة أكثر في هذا العالم.

في الواقع، يجب على المرء أن يترك مثل هذه الأشياء لعلماء النفس، لأنهم فقط مَن لديهم القدرة على تخمين ذلك. لكن يبدو لي أن شيئًا أساسيًّا معك قد خرج عن السيطرة. أيها القس إنك تذكرني بحالة أختي

في الأشهر التي سبقت تعرضها لحادثها. من قبل الحادث، أعني، قبل أن تقرر أن تعرض نفسها للحادث. لقد استمرت في عملها آنذاك، لكن أفكارها كانت تعصف بها في مكان آخر. كان اسمها "إليزابيث" ولتعتبر مشاركتي لاسمها معك عربون ثقة. هل ما زالت وفاة القس "دورفمان" هي التي تقلقك كثيرًا؟

إنها قصة حزينة بالطبع، لكنه لا يمكن أن يكون صديقًا مقربًا بعد الآن. أنت لست مسؤولًا عن هذا الحادث. قلت إنك تريد البحث عن مركز ذاتك في "آثوس". يبدو لي كما لو أن نظامك الإحداثي قد اعتراه خلل ما، مثلما يحدث عندما ينهار موقع بناء بالكامل في أثناء الحفر.

لا أعلم إذا ما كنت قد لاحظت ذلك بنفسك. لقد تغير صوتك أيضًا واختفت رعشة صوتك. ما زلت تتفوه بالأشياء الصحيحة، وما زلت تطرح الأسئلة الصحيحة أيضًا، ولكن أسئلة بالأبيض والأسود فقط وليست ملونة كسابق عهدها.

أكتب إليك برحابة صدر: إذا كان بإمكاني فعل شيء من أجلك، فأخبرني بذلك. لكن هذا سيكون من باب الافتراض. ربما يمكن أن تكون مرحلة صغيرة من مراحل حياتي مفيدة لك. مثل الوقت الذي كنت لا أزال أعمل فيه في شركة "R & J"، لذلك كل يوم، وحتى وقت متأخر من الليل، كان عليَّ أن أستمع للحمقى وأرد عليهم. في الأساس – لا تلومني على المقارنة – لم يكن ذلك مختلفًا تمامًا عما عليك فعله كل يوم. يأتيك أحد تلو الآخر ليصرخ، فالمشكلات هي نفسها دائمًا، ومع ذلك عليك أن تتفاعل في كل مرة كما لو أنك لم تسمع أبدًا هذه القصة المحزنة. لم تعد زوجة أحدهم مثلًا تزوره ويخشى أنها قد تكون ارتبطت بشخص آخر، أو قد

رُفِضَ طلب آخر للإفراج المبكر عنه ويشعر أنه عومل بشكل غير عادل، وعندئذ يجب أن تكون أنت الأب الذي يفهم كل شيء ولديه كلمة مواساة للجميع. يا له من عمل شاق!

في الماضي، حدث لي أمر مشابه في أحد أيام العطلة. (لا يمكن أن تكون عطلة نهاية الأسبوع، حيث نكون دائما منشغلين إلى أقصى حد). استيقظت في الصباح ووجدت أنني لم أعد أعرف مَن أنا. أرجو ألا تسيء فهمي، فأنا لم أكن أعاني فقدانًا للذاكرة أو أي شيء آخر، ولم أُضطر إلى أن أنظر إلى بطاقة هويتي لمعرفة اسمي. لم يكن الأمر بهذا السوء. لكنني شعرت أنني لا أحس بوجودي. أحسست بأنني ضعت. ربما استمر الأمر على هذا النحو فترة من الوقت، لكنني أدركت فيما بعد أنه لم يعد هناك فرق بيني وبين "آجنس" أو "أليكسندرا" أو "فيرونيكا"، اللاتي كنت أروِّح عن عملائي وأسعدهم بانتحالي شخصياتهن. لقد أصبح "يوهانس هوزاي شتركليه" شخصية مصطنعة مثلهن تمامًا.

لم أصف لك ما شعرت به جيدًا. لكن إذا كنت قد مررتَ بمثل هذا الشعور من قبل، فبالتأكيد ستفهمني. ألم يحدث لك من قبل أن أتاك أحدهم لإفراغ ما يعتلج في صدره، فقط ليبكي ويبكي ثم يثرثر ويثرثر، ثم أجبته بما يطمئنه ويريح باله بمنتهى التفهم لوضعه ولحالته، ثم إذا اختليتَ بنفسك وجدتَ أن الأمر لا يشكل لك أي أهمية من قريب أو من بعيد؟ وأن ليست لديك أي فكرة على الإطلاق عما يدور حوله الأمر؟ فقط لأنك عزلتَ نفسك ذهنيًّا عما تسمع دون رغبة منك في ذلك، وكنت حاضرًا فقط كآلة للكلام؟ هذا ما كان يفعله الواعظ "فالدماير" دومًا، فهو لم يؤدِّ أبدًا الدور الحقيقي للقس.

ربما كان لديك الكثير من الوقت للتفكير خلال أسابيع العطلة التي قضيتها في "آثوس" - تمامًا كما فعلت ذلك الصباح - وأدركت أنك أيضًا قد ضللت طريقك. وهذا يفسر الكثير.

ما زلت أتذكر كفاحي للخروج من هذه الحفرة آنذاك. إنها ليست بوصفة يمكنك استخدامها في وظيفتك، ولكن قد تكون الفكرة مفيدة لك.

على الرغم من أنني كنت في إجازة آنذاك، قدت السيارة إلى العمل وأفسدت التواصل مع أول عميل تواصل معي، والذي أكدت له بصيغة مكتوبة كم هو شخصية سخيفة، وأنه فاشل وغير مثير للاهتمام، شخصية ميؤوس منها وعاجزة. (وهذه هي الترجمة اللائقة إلى حد معقول للكلمات التي نقرتها في الواقع على لوحة المفاتيح الخاصة بي). لقد انقضضت عليه لفظًا لدرجة أنه لم تتبقَ منه سوى كومة بائسة مثيرة للشفقة. بعدها شعرت أنني بخير مرة أخرى وأصبحتُ أنا مرة أخرى.

أنت شخص أكثر احترامًا مني أيها القس، وأعلم جيدًا أنك لن تقترف مثل هذا الفعل المشين أبدًا. لكن تخيلها كلعبة من الناحية النظرية. تخيل لو أنك أخبرت الرجل ذا الزوجة الخائنة أنك تراه لغزًا. لماذا أراد شخص ضعيف جنسيًا مثله أن يكون لديه شريك من الأساس، ثم أخبرته بأن طلبه مرفوض وأن شخصًا لديه مثل هذه الشخصية الرديئة لا بدَّ أن يقضي بقية حياته في الحبس الانفرادي.

سوف تكتشف أن تنفيذ الفكرة أسهل كثيرًا.

إذا كنت حساسًا جدًّا لدرجة أنك لا تفكر في كلمات السب القذرة حقًّا، فيمكنك الاكتفاء بالمفردات الكتابية مثل "الثعابين والأفاعي"، لأن مثل هذه المفردات لا تبدو سيئة. حتى لو حدث ذلك فقط في خيالك، أهم شيء

هو أنك تبوح بكل شيء. وهذا ما كتبته بالفعل في القصة التي اشتركت بها في المسابقة: "من الأفضل ألا تبقى الأوساخ في داخلك".

ربما تبدو نصيحتي غريبة بالنسبة إليك. ربما ما يثير إعجابك شيئًا آخر عما أقوله. كل ما أريده فقط هو عودة القس المتفائل الذي أعرفه.

يوميات

وصلني رد من "سيبي". لم يكتبه هو بنفسه وإنما كتبته السكرتيرة الخاصة به. رسالة فحواها أنهم لا حاجة إليهم بالعرض الذي قدمته لهم ويطلبون مني الامتناع عن أي محاولات للاتصال بهم، حيث يرى "سيبي" أنه لا يمكن لرجل في منصبه أن يسمح لنفسه بالتعامل مع مسجل خطر جنائيًّا.

وانتهت الرسالة بكلمة:

"مع وافر الاحترام".

لا بدَّ الآن من أن أتحقق مما قاله "شوبنهاور" عن "الأصدقاء".

وقد أردت الاحتفاظ بـ"سيبي".

تمرين للمهارة

الصديق

يجب ألا ينكسر السيجار وأنت تديره بين أصابعك. كانت هذه إحدى القواعد التي تعلمها من صديقه. تمامًا كما هو الحال في الحانة، يجب ألا تنادي على النادل مطلقًا، وإنما عليك برفع يدك قليلًا، كما لو كانت حركة فعلتها بالمصادفة، "وإذا لم يأتوا يركضون نحوك"، كما قال صديقه، "فهذا يعني أنك مجرد عدم بالنسبة إليهم".

الكراسي الجلدية التي يشعرون براحة جمَّة بالجلوس عليها كانت موجودة في عهدها السابق في أحد أشهر نوادي لندن الذي سافر إليه صديقه لشرائها من هناك. لقد قال له عنها:

- إذا كنت تريد شيئًا حقًّا، فعليك الحصول عليه.

اللوحتان الزيتيتان ذاتا الأمواج المضطربة - "يسمونها منظرًا بحريًّا"، كما أوضح صديقه - كانتا لا تزالان في أماكنهما، لكن بينهما كانت هناك بقعة دائرية مضيئة على الحائط الخشبي، حيث كانت هناك ساعة معلقة على هيئة سفينة قديمة. قال صديقه:

- سأفحص كل شيء بدقة قبل نقله، حتى أتمكن من مقاضاة الشركة إذا وصلت تالفة.

لم يفكر في مثل هذه الأشياء من قبل.

ولكن إذا ذكرته بذلك فسوف يقول: "أنا لا أؤمن بمصطلح «في الماضي». فأولئك الذين يؤمنون بالماضي يظلون هناك دائمًا".

- عندما أصل إلى هناك، سأشتري سفينة تليق بهذه الساعة.

قالها مبتسمًا وأغلق إحدى عينيه كما لو كان يمزح فقط. كان يبتسم هكذا دائمًا عندما تمنحه الحياة انتصارًا، مثلما حدث سابقًا في أحد المطاعم الفاخرة أن ترك الطبق الرئيسي دون أن يمسه، فقط ليتمكن أن يقول للطباخ الذي سارع إليه مندفعًا:

– لم تعجبني طريقة تقديم الطبق.

في حين أنهم كانوا قبل ذلك قد أكلوا كرات اللحم وشربوا البيرة معًا.

رفض السيجار أن يحترق تمامًا.

– إنه سيجار "دافيدوف"، أشتريه بالحجز المسبق ويرسلونه خصيصًا لي.

هكذا قال له صديقه، وقصد بذلك أن المشكلة ليست بالسيجار.

ثم سأل:

– هل أنت واثق من قدرتك على ترخيص شركتك الجديدة؟

قال صديقه:

– ستحصل على كل شيء عندما تكون مستعدًّا لدفع الثمن.

– ولا شيء سيكون باهظ الثمن بالنسبة إليك؟

أجاب عن السؤال الذي كان من المفترض أن يطرحه. قال صديقه:

– يمكنني الذهاب إلى القمر أيضًا إذا كان هناك عمل جيد يجب فعله هناك.

كان يمكن أن يكون إشعال السيجار أسهل إنْ استخدم قداحة، لكن البرابرة فقط هم مَن يشعلون السيجار بقداحة. كانت تلك أيضًا قاعدة علمه إياها صديقه.

ثم علق الصمت بينهما كما تعلق رائحة كريهة.

كان من الجيد أنه كان منشغلًا بالبحث عن عود ثقاب داخل صندوق السيجار. لذلك لم يكن عليه أن ينظر إلى صديقه عندما سأل:

– بالتأكيد لا توجد وظيفة لي هناك؟

– ستحصل على وظيفة إذا استطعت أن تتقن الصينية مثلًا..

أو استطعت أن تغني من أعلى طبقة صوتية، أو كنت استطعت أن تؤدي شقلبة خلفية. أو أن تتحول إلى طائر. بمعنى:

– أي إذا استطعت ألا تكون أنت.

– بمعنى أدق، إذا ما استطعت أن تظل مفيدًا بالنسبة إليَّ. كما في السابق..

لكن صديقه لم يعد يؤمن بما حدث في السابق.

فرغت كؤوس النبيذ التي يشربونها بعض الوقت. في تلك اللحظة سأله صديقه:

– هل أفتح زجاجة أخرى؟

لم يكن في حاجة إلى مترجم فوري لإيضاح الفروق الدقيقة لترجمة الجملة. ثم قال:

– لقد حان الوقت لوداعك.

ثم وضع السيجار التي بالكاد دخن بعضًا منها في منفضة السجائر وأردف قائلًا:

– لديَّ طلب آخر.

أمسك صديقه بحقيبة أوراقه تلقائيًّا ـ لكنه توقف عن الحركة في منتصف الطريق. الصداقة ما هي إلا نكران ذات..

– نعم؟

– قبو النبيذ الخاص بك الذي يحوي كل أنواع الخمور الرائعة التي أخبرتني عنها كثيرًا. ألا تريد حتى أن تُريني إياها قبل أن تُنقَلَ كلها؟

قال صديقه:

- إذا كان هذا ما سيجعلك سعيدًا.

قالها وهو سعيد أيضًا. كان دائمًا يحب التباهي بكنوزه.

تقدم وقال من فوق كتفه:

- هناك حاوية خاصة للنقل. يُتحكَّم فيها في درجة الرطوبة ودرجة الحرارة تلقائيًّا. وبها غلاف فوم منفصل لكل زجاجة. ستتنعم زجاجاتي الحبيبات برحلة مدللة في أثناء نقلها.

باب مغلق يؤدي إلى سلم. على اليسار واليمين جدران مطلية باللون الأبيض، كانت هناك أغطية صناديق النبيذ، كل رف يحمل شعار مصنع نبيذ فرنسي مختلف، موضوع داخل إطار مثل الأعمال الفنية. بالإضافة إلى باب ثانٍ كان لا بدَّ من فتحه مرة أخرى لكن بجهد كبير.

قبو النبيذ مثل مخزن لشركة تكنولوجيا متطورة. ضوء النيون نفسه. أزيز التكييف منخفض الصوت نفسه، بالإضافة إلى جهاز إلكتروني ذي وميض ثنائي أخضر اللون. ربما كان هذا يعني أن الجو العام كان يوافق المتطلبات. رفوف الزجاجات مثبتة في صفوف طويلة.

توقف صديقه عند الباب ووضع ذراعيه وراء ظهره من دون أن يستند عليهما، مثلما يقف الحرَّاس داخل المتاحف، حيث يبدون غير مهتمين بجولات الزوار لكنهم في غاية اليقظة.

كان بإمكانه سحب زجاجة من هنا أو هناك وإلقاء نظرة على الملصق، لكنه لم يفعل ذلك، حيث يحظر لمس المعروضات.

قال صديقه:

- بالنسبة إلى هذه المجموعة، لقد عُرضت عليَّ مقابلها نقودًا أكثر مما ستكسبه في حياتك كلها.

قالها من دون تعالٍ، كإثبات مادي.

- سأحتفظ بها في مكان آخر.

انتظر ردة فعل مفاجئة بالطريقة التي ينتظر بها الناس بقية حسابهم في المتجر.

- ولكن لأنك صديقي..

سار بمحاذاة زجاجات النبيذ وتجول محددًا هدفه، كعارضة أزياء على منصة العرض، لا يبدو أنها تهتم بجمهورها ومع ذلك فهي في حاجة إلى التفاتهم إليها. ثم توقف أمام رف لا يبدو مختلفًا عن الرفوف الأخرى. وقال:

- لا أحد يعرف أي شيء عن هذه الغرفة.

كان الرف مما يمكن طيه بسهولة إلى جانب واحد، على الرغم من أنه كان مليئًا بالزجاجات المصفوفة فوقه. وخلفه باب معدني، كانت آلية فتحه عبارة عن عجلة حديدية وقف أمامها وساقيه متباعدتين مثل قائد الدفة على متن سفينة شراعية. فتح الباب ببضع لفات من دون أن يُحدث أي ضوضاء، وبفتحه الباب، ظهر ضوء. لم يكن الضوء هذه المرة ضوء نيون بارد، لكنه كان ضوءًا دافئًا صادر من مصباحين لهما قبتان صفراوان، أحاطا بمكتب عتيق أمامه كرسي بذراعين من الطراز نفسه. قال صديقه:

- "لويس الخامس عشر"، أراه مناسبًا تمامًا لتلك الأجواء. لقد كان متذوقًا خبيرًا بالنبيذ.

لم تكن هناك رفوف نبيذ طويلة، فقط قوالب مجوفة ذات خزانات منفصلة، كل منها مؤمن بشبكة من الحديد القابل للثني. أخذ صديقه

مجموعة من المفاتيح من درج المكتب وفتح خزانة. ارتدى قفازات قماشية بيضاء، كانت هناك كومة منها في الدرج، ثم سحب الزجاجة وقال:

- هذه الزجاجة هي "شاتو مارجو 1787" من قبو النبيذ الخاص بـ"توماس جيفرسون" عندما كان سفيرًا للولايات المتحدة في باريس. لقد حفر "جيفرسون" الأحرف الأولى من اسمه على الزجاجة.

كان لصوت حديثه نبرة تعالٍ لا تتناسب مع شخصيته على الإطلاق، فإذا ما بدأ الأورج في العزف في الكاتدرائية، يخفض الملحد صوته أيضًا.

- هذه الزجاجة ليست فقط أغلى زجاجة في مجموعتي، لكنها واحدة من أغلى الزجاجات في العالم بأسره.

- أيمكنني لمسها؟

- فقط بالقفازات.

كان مقاس أول زوج قفازات جربه كبيرًا جدًّا بالنسبة إلى أصابعه، لكن الثاني كان مناسبًا تمامًا. أخذ القنينة وأمسكها من رقبتها وضرب صديقه بها على رأسه. كان يحتاج إلى الضرب بها مرة أخرى حتى تنكسر الزجاجة. تراجع صديقه، ووجهه مكسو بسائل أحمر، لا يمكن تحديده على الفور إذا ما كان دمًا أم مجرد نبيذ باهظ الثمن.

كان لعنق الزجاجة في يده حافة حادة. من السهل قطع حلق صديقه بها أو خدش الأحرف الأولى من اسمه، مثلما فعل "توماس جيفرسون" مع مخزون النبيذ الخاص به.

لكن كانت لديه فكرة أفضل. أعاد باقي الزجاجة بحذر إلى المقصورة وأغلقها مرة أخرى. ثم ترك ميدالية المفاتيح على المكتب. وعند قفزه فوق جثة الرجل الممددة على الأرض بلا حراك، سمعه يتنفس بمنوال متقطع.

ظن أنه لم يمت، وكان هذا شيئًا جيدًا في حد ذاته. سوف يستيقظ من غيبوبته ولن يفهم على الفور ما حدث. لكن بعدها سيتذكر وسيفهم، وهذا أفضل. لن يموت من العطش بكل تأكيد، فهناك الكثير من زجاجات النبيذ الثمينة حوله في كل مكان. لكن من المحتمل أن يموت جوعًا، هذا في حالة إذا لم يقطع معصميه بنصل قبل ذلك.

لن يفتقده أحد، فكر في ذلك وهو يغلق الباب المعدني خلفه. كان من المعروف أنه أراد الابتعاد. لقد غادر المكان منذ قليل ولا أحد يعرف أي شيء عن هذه الغرفة. لقد تأكد من ذلك.

أدار ذراع غلق الباب ودفع الرف للخلف حتى استقر في مكانه في الوضع القديم. كان الأمر سهلًا جدًّا.

تجاوز صفوف زجاجات النبيذ ومر عبر الباب الأول. ثم صعد الدرج ثم مر عبر الباب الثاني. عندها فقط خلع القفازات القماشية. لاحقًا وهو في طريقه إلى المنزل، سيلقي بها يرميها بعيدًا.

كان الكرسي الجلدي القديم مريحًا للغاية، والسيجار الجديد الذي أخذه من صندوق السيجار رطبًا واشتعل على الفور. فقط غير المتحضر هو من يشعل السيجار مرة أخرى. هذا ما تعلمه أيضًا من صديقه.

يجب أن أكتب ذلك أيضًا، وإلا فلن أتمكن من تصديق ذلك لاحقًا. أنا لا أصدق ذلك حتى الآن، رغم أنه حدث للتوِّ.

لقد جاء بمفرده، من دون رفقة الرجل ذي العضلات، وكان ذلك كافيًا ليبدو الأمر غير عادي. ما زالت هناك نصف ساعة قبل بدء الوقت الذي يُسمح فيه لمساجين المستوى "أ" و"ب" بالتحرك بحرية في ممرات السجن. لكنه "المحامي" وتسري عليه قواعد مختلفة.

كان متوترًا ولم أعهده على هذه الحالة من قبل. حتى عندما أخبرته أن الواعظ "دورفمان" يريد تفتيش خزانة الكتب لم يتوتر أو تتغير ملامح وجهه هكذا. لكن هذه المرة كان مهووسًا بالسيطرة لدرجة فقد السيطرة على نفسه. أراد مني أن أغلق الباب ولم ينتبه إلى أنني لا أملك المفتاح. لقد اعتاد في مسألة غسيل الأموال قواعد مختلفة.

عرضتُ عليه كرسيًا وكان الكرسي الوحيد في المكتبة، لكنه لم يجلس. وقفنا أمام بعضنا بعضًا، قريبين بشكل غير لطيف، حيث لم تكن هناك إلا مساحة صغيرة بين الرفوف.

بلع ريقه وشدَّ شعره المستعار، لأنه لم يرد أن يلاحظ وجوده أحد. غيَّر أيضًا وضعية اتكاء جسمه من ساق إلى أخرى مثل لاعب كرة قدم الذي لا يعرف كيف يسدد هدفًا من ضربة جزاء في أي زاوية. في لقاءاتنا السابقة، كان يدخل في صلب الموضوع دائمًا.

وأخيرًا قال:

– لدينا مشكلة.

هذه المرة لم يقصد موكله، لأن ضمير الجمع في هذا السياق يعنى "المحامي" وأنا.

لقد واجهتنا مشكلة ألا وهي كما قال:

- الرسالة التي كتبتها لنا.

قلت له:

- لقد بذلت قصارى جهدي. لكن الموقف أرعبني، وعندما أخاف، لا أستطيع إنهاء جملة.

ربَّت على كتفي قائلًا:

- لم يكن الخطأ خطأك، فالرسالة كانت جيدة ومصاغة بشكل جيد أيضًا.

لكن "المحامي" رجل يمكنك أن تتخيله وهو يترافع في كل مرافعة أمام هيئة المحكمة من دون نص مكتوب أمامه، دون أن يتوتر ولو مرة واحدة وقال:

- لقد وصلت الرسالة إلى متلقيها.

أجابني بصياغة بيروقراطية بحتة.

- ولقد وصلنا رد عليها بالفعل.

لا أعرف كيف يتغلبون على الفصل الصارم ما بين المبنى 1 والمبنى 2، لكنهم تمكنوا من ذلك أيضًا.

- كان الرد محزنًا للغاية.

أول ما خطر في ذهني لحظتها أنني فشلت في مهمتي ككاتب رسائل وأنني لم أستطع إيجاد النغمة المناسبة في الخطاب التي أرادها "المحامي" لإنجاز المهمة.

لكن "المحامي" لم يأتِ إلى هنا لإلقاء التهم عليَّ وقال:

– لقد كان خطئي، كان يجب أن أتركه يكمل فكرته. كان عليَّ أن أحاول حتى لو كان من الصعب رده عن فعل شيء جال في رأسه.

لقد استخدم ضمير الغائب فقط للحديث (إنه ذاك الشخص الذي لا يجوز تسميته).

استدرجني "المحامي" للوثوق به، بل دفعني دفعًا إلى الوثوق به، لأنني ما كنت لأفعل ذلك طواعية. إنه مكان تحفُّه المخاطر من كل جانب.

كانت قصة مجنونة منذ بدايتها، لكنها أكثر جنونًا الآن. لقد وقع رئيسه في حب هذا الشاب. أو بالأحرى في حب ذاك القاصر الذي لم يره سوى مرة واحدة، كانت كافية ليحبه حتى أصبح مريضًا به.

لقد عشقه دون أمل في النجاة من هذا الحب. الإنجليز يعبرون عن هذا بشكل أدق فيقولون: "لقد وقع في الغرام". فقد توازنه وسقط من فوق المنحدر. أي خسائر بالجملة.

إضافة إلى ذلك، حسب كل ما يُشاع، فإن هذا الرجل لم يكن معروفًا بحسه المرهف ولا بدَّ أنه قد تفاجأ هو نفسه بما حدث في داخله. لم يسمح لنفسه أبدًا بولادة مثل هذه المشاعر داخله ولا يعرف الآن كيف يتعامل معها. حتى إذا شعر فجأة بشيء مثل هذا – بعد أن كان كل شيء على ما يرام من قبل – كان يحمي قلبه ويكبت هذه المشاعر. أيجب عليه حينها أن يخدر مكان الشعور أم يزيد الضغط عليه؟ في النهاية، قرر أن يتعامل مع المشكلة بالطريقة التي اعتاد أن يحل بها العديد من المشكلات؛ وذلك من خلال أن يأتي بمتخصص. وفي حالة إذا ما انزعج من أحد المنافسين، يأتي ببلطجي. أما إذا تعلق الأمر بالقضاء، يقوم بتوكيل محامٍ. لذا عندما أراد أن يكتب رسائل حب، استعان بشخص يمكنه الكتابة. وهو أنا.

في الوقت نفسه، أوضح لي "المحامي" أن ما كتبه باسمه لم يكن مهمًّا لرئيسه. ليست الجمل في حد ذاتها. ما كان مهمًّا فعلًا بالنسبة إليه كان الرد. كل ما أراده – وهو ما يدعو إلى السخرية بالنسبة إلى شخصية مثل شخصيته ذات ماضٍ كماضيه – هو أن تصله رسالة غرامية ولو مرة واحدة في حياته. لذا وقع اختياره على الشاب الأشقر القاطن في المبنى 2 ليكون هو المرسل.

قال "المحامي" مرة أخرى:

– هذا خطئي. ما كان يجب أن أعطيك المهمة دون معرفة المزيد من المعلومات عنه. كان واجبي أنا، الأشخاص الخطأ..

لكنه لم يكمل الجملة، لعله أراد أن يقول: "أن أبعده عن الأشخاص الخطأ. أو ربما التخلص من الأشخاص الخطأ".

– إن تنفيذ مهمة في مبنى 2 دائمًا ما يكون صعبًا. بالطبع يمكن إنجاز أي شيء، لكنه يحتاج إلى وقت. وهو لم يمنحني وقتًا. لم يرغب في الانتظار حتى أعرف المزيد من المعلومات، لأنه إذا أراد شيئًا ما، فهو يريد تنفيذه على الفور.

لقد تمكنوا من تجاوز كل الضوابط واستطاعوا تهريب الرسالة إلى هناك. والآن، مرة أخرى عن طريق طرق ملتوية أيضًا، وصل الرد؛ الذي لا يمكن تحت أي ظرف من الظروف أن يصل إلى رئيسهم. لأن الرد الذي وصل لم يكن متوقعًا على الإطلاق.

"كاريل" كان اسم الشاب الذي عشقه زعيمهم، وكانت رسالته له قصيرة جدًّا لدرجة أنني حفظتها حرفيًا:

"مهما كنت، لا تعبث معي! أما إذا كنت تريد أن تضاجعني فيمكنك الحصول على ما تريد. لكن سيكلفك هذا كثيرًا".

بالنسبة إلى شخص يتوق إلى الرومانسية أول مرة في حياته، كان لهذه الرسالة تأثير ركلة في المعدة بالنسبة إليه. استطعت أن أتفهم أن "المحامي" لا يريد أن يكون هو حامل الرسالة.

- يا له من عاهرة!

قالها "المحامي" بنبرة يائسة، كما لو كان ابنه هو الذي سار في المسار المنحرف.

- سنتان وثمانية أشهر بسبب إصابة جسدية خطيرة. فقأ عين أحدهم في جدال حول المال.

وطبقًا لتصنيفي كخبير بأصناف البشر، صنفته على أنه شخص تجب حمايته. وربما كان هذا العجز الواضح عليه هو الذي جعله جذابًا لعملائه. وهو ما جعله جذابًا في هذه الحالة أيضًا.

قال "المحامي":

- لقد رسم لمحبوبه صورة في ذهنه. ومن الأفضل ألا تشوهها له، لأنه لم يعتد أن يكون على خطأ.

ثم بدأ في شد شعره المستعار مرة أخرى كعادته عندما يستشيط غضبًا.

- ليس بإمكاننا الآن فعل أي شيء.

ثم نظر إليَّ "المحامي" كطفل بريء لم يفهم العالم بعد وقال:

- بالنسبة إليه، لن يشكل ما سنفعله أي أهمية. لا، ليس لديَّ سوى حل وحيد ولكنه غير مسموح به مطلقًا.

"أتريد أن..؟ تخفي الرسالة؟". أردتُ نطق هذه الكلمات لولا أن صفير نطق حروفها كان صعبًا عليَّ.

قال "المحامي":

- أريد استبدالها! ستساعدني؟!

لقد كتب "سورانو دي بيرجيراك" من قبل رسائل غرامية لشخص آخر. ومن المفترض أن أكتب الرد على الفور. ويجب مبدئيًا أن أكون متسقًا مع ذاتي. قال "المحامي":

- رسالتان أو ثلاث فقط يتراسلون بها فيما بينهما ذهابًا وإيابًا من باب المماطلة أو التأجيل، لعله يفقد الاهتمام أو إلى حين وصولي إلى حل آخر.

بالنسبة إليَّ، أُفضِّل عدم تخيل هذا الحل الآخر. كتبت الرسالة بيدي اليسرى لتحقيق هدف مزدوج؛ أولًا أن أغير خطي المعروف، وثانيًا لأظهر أن كتابة هذه الرسالة لهو أمر بسيط بالنسبة إليَّ. لقد تخيلت للتو أن "نيلز" الشاب البالغ هو الشخص المرسل إليه. وكتبتُ إليه:

"لطالما حلمت برجل طويل وقوي يحميني، لكنني أخشى أن تؤذيني".

كان "المحامي" راضيًا تمامًا عما كتبته، وكلفني على الفور بكتابة رسالة الحب التالية.

إلى القس

آه أيها القس، لا تأخذ كل شيء بصعوبة هكذا! لماذا تضع الضمير في كل شيء مهما كان صغيرًا؟ (بالمناسبة، هذه نظرة ثاقبة مثيرة للاهتمام في لغتنا: لم يُخلق الإنسان بالضمير، بل صنعه بنفسه).

لقد عرضت عليَّ المشكلة – وهي بالمناسبة ليست مشكلة على الإطلاق – بمثل هذا الوجه الجاد، كما لو كان يتعلق بإدراج خطيئة مميتة جديدة في الفهرس. الأمر ليس بهذا التعقيد على الإطلاق. يريد "كريسمون بلس" طرح بعض الأسئلة على الفائزين، مثل "كيف خطرت لك الفكرة؟" أو "هل كنت تحب الكتابة دائمًا؟" أو أيًّا كان سؤاله، فهذا غير مهم على الإطلاق حتى الآن. لا يتعلق الأمر بالجانب الأدبي. لكن حقيقة أن الصحفي المكلف بفعل هذا الأمر مقتنع تمامًا بأنك أنت المؤلف السري لقصتي، وهو خطأ مفهوم بقدر ما هو كوميدي. لا بدَّ أن أعترف؛ لقد استمتعت بسوء الفهم هذا. وعلى الرغم من ذلك، أنا المذنب الذي حطم لك النموذج المثالي. إن اسمي "يوهانس يوشع" يشبه إلى حد كبير اسمًا مستعارًا لقس. ربما كان يعتقد أنك لا تريد أن تثير غضب هيئة المحلفين بذكر لقبهم الوظيفي، تمامًا كما كنت تفضل أنت ألا أفعل ذلك معك في السجن.

على الرغم من أنك لم تكن ستعطي عنوان الواعظ "فالدميير" كعنوان يمكن مراسلتهم لي من خلاله.

لقد أكدتَ له أن المؤلف كان شخصًا آخر، لكن لم يُسمح لك بإخباره باسمه، ومن ثَمَّ لم يصدقك. إن أساس العمل الصحفي هو التشكيك. والآن أنت لا تعرف كيف تتصرف.

آه أيها القس، من الصواب تمامًا ألا تنقض وعدك بحماية سرية هويتي، لكن لا تحوله إلى معضلة أخلاقية. إنها بعوضة وليست فيلًا. إذا كنت لا تبلي بلاءً حسنًا في الوقت الحالي على أي حال، فأنا لا أريد أن أثقل ضميرك الحساس أيضًا. لا تتردد في إخباره من هو الكاتب الحقيقي وأين هو.

بالطبع، كان عليه أن يزيل مساحيق التجميل الخاصة بالمقابلة وجلسة التصوير. السجن ليس وكالة فنانين. كان من المفترض أن يسأل أسئلته بالبريد الإلكتروني، وكان ليسعدني أن أجيب عليها بالطريقة نفسها. لكن يا للأسف، ليس لديَّ بريد إلكتروني.

أعلم أن هذه المجلة ربما لا يقرأها سوى عدد قليل من الأشخاص في مجالك، ومع ذلك فأنا أتطلع حقًّا إلى رؤية قصتي منشورة فيها. "العبد خاضع للزهو" (رومية 8:20)، ولن ينتهي العالم إذا قال "كريسمون بلس" بأن إحدى القصص الحائزة على الجائزة قد كتبها سجين.

إلى "يورجن ميلبرج"

عزيزى "ميلبرج"،

أحاول قدر الإمكان الإجابة عن أسئلتك.

كيف بدأتَ الكتابة؟

أُدين - إلى حد كبير - بهذه الحياة الجديدة للقس "آرثر فالديمير". لقد آمن بموهبتي ونماها ودعمها. سأظل ممتنًا له ما حييت.

عندما يُخلى سبيلي، سأبحث عن عمل يمكنني من خلاله ممارسة حبي للكتابة، ربما يسدي لي شخص أو آخر من قرائك بنصيحة جيدة.

السؤال الثاني هو الأصعب، ما سبب انجذابي إلى الكتابة عن كلمة "العدالة"؟

سأجيبك! بالنسبة إليَّ كسجين، لا بدَّ من إمعان التفكير في هذا الموضوع؛ ولكنها لن تكون الإجابة الصادقة.

بالنسبة إليَّ، كان الأمر العكس. لقد فكرت أولًا ثم أصبحت مجرمًا. لأنني بصفتي شخصًا منطقيًا، توصلت إلى استنتاج مفاده أنه لا توجد عدالة حقيقية في مجتمعنا، لذلك لا يوجد سبب لطاعة القانون. لقد حدثت لي أشياء كثيرة جدًّا في حياتي. لا، لم تحدث؛ بل فعلتها، ولم يُحاسبني أحد عنها.

لا أريد إخفاء أي شيء فعلته، وبالتأكيد لا أريد تجميله وادعاء أنني دخلت السجن وأنا بريء. كنت أستحق عقوبة أكثر بكثير، ليس فقط بسبب الأفعال التي حوكمت من أجلها. لقد فعلت أشياء أسوأ بكثير في حياتي لم أُوجَّه بسببها إلى أي مدعي عام، فقط لأن لا أحد يعرف عنها شيئًا.

بالطبع! السؤال الأصعب الحاسم والذي يجب أن تسألني إياه وهو ما له علاقة بطبيعة مجلتك: ماذا عن الدين؟ لقول الحقيقة (على الرغم من عدم وجود موضوع كُذِبَ فيه أكثر من هذا الموضوع): التفكير دائمًا في كائن أعلى يثير داخلي الحسد؛ أحسد الناس السعداء القادرين على الإيمان بالله القدير ليثقوا به،

بل ويتوقعون منه المساعدة والدعم أيضًا. مما لا شك فيه، إن هذا الاعتقاد جيد لاتباعه ولكنه يتطلب مني خدعة فكرية لا يمكن السيطرة عليها.

ذات مرة، قارن "آرتور شوبنهاور" بين الإيمان والمعرفة بخروف وذئب محبوسين في القفص نفسه؛ لقد انقض ذئبي على خروفي ولم يتركه إلا وهو أشلاء دموية. ولكي يعود الخروف الصغير ليقفز بسعادة عبر الحقول مرة أخرى، من المحتمل أن يتطلب الأمر أكثر من مجرد معجزة.

لقد بذلت محاولاتي الأولى في كتابة كل أحداث حياتي، وهي ما جعلت الذئب غاضبًا للغاية، وقررت أن أجمعها في كتاب واحد في وقت لاحق. على الرغم من قناعتي أنني لا يمكن أن أجد ناشرًا يجرأ أن ينشر هذه السلسلة من الفظائع.

مع خالص التحيات!

"يوهانس هوزاي"

يوميات

لا بدَّ أن يكون لهذه الرسالة تأثيرها. سجين يستشهد بأقوال "شوبنهاور" وعلى علم بآيات الكتاب المقدس لا بدَّ أن يكون من نوعية البشر التي يتصورها هؤلاء الناس في أحلامهم الوردية أنها قادرة على خلق عالم أفضل. آمل أن يقرأ الناس هذا الحوار الذي أجريته. وإذا ما أخذتُ العملاء الذين يزورون مكتبة السجن عندي كمقياس، فإن هذا الحوار المليء بتلك الفظائع الواعدة لا بدَّ أن يكون سببًا لوجود مبيعات.

إلى القس

حقًّا! هل هذا معقول؟ هل سيكون هذا آخر نص سأكتبه لك؟

هل حقًّا ستنتهي صداقة المراسلة التي نشأت بيننا، والتي كادت تتطور لتصبح صداقة حقيقية؟ هل حقًّا ستنتهي هكذا بين يوم وليلة؟

لا أستطيع إدراك ذلك ولكنني أعرف أن عدم تصديقي هذا لن يغير من الواقع شيئًا.

"لكن البعض لا يؤمنون بهذا وما هو سببه؟" (رومية 3.3)

لم يكن لأحد أن يصيغ رسالته بشكل ضخم مثلما فعلت. **"لقد قررت تغيير مسار حياتي إلى اتجاه جديد". "أن أكون محاسبًا، وما الذي يمنع أن أبدأ من الآن؟ أن أقبل تحديًا جديدًا؟"**.

ما كتبته كان مثل ما يرد دائمًا في البيانات الصحفية عندما يفشل شخص ما في وظيفته ونتمنى له كل النجاح والتوفيق في مستقبله.

تقول الشائعات بأنك تريد الانضمام إلى رابطة أخوية المجتمع الكنسي الرهباني الرفيعة. أتصور أن هذا مناسب جدًّا لشخصية مثلك، أن تكون في مجتمع لا يهتم بتفاصيل المذاهب العقائدية، حيث لا فرق بين كاثوليكي وبروتستانتي، فهذا ما يناسب شخصيتك المساوِمة، كل ما ستحتاجه فقط هو التعود على ارتداء الزي الكنسي الأبيض الشائع ارتداؤه هناك وهو ما سوف يستغرق بعض الوقت لتعتاد عليه. وربما سيقبلون انضمامك هناك كمخترع للسترة الصوفية البيضاء ذات الياقة العالية الموجودة في التراث الديني المسيحي.

ما الذي دعاك إلى الهرب؟ هل ما زلت تشعر بالذنب لأجل القس "دورفمان"؟ أم بسبب إخفاقك في حصولك على مركز خاص في "آثوس"؟ أم أنه مجرد إرهاق روحي ومادي بسيط بسبب إخفاقاتك المتتالية في جعل المجرمين أشخاصًا صالحين. أتفهم ذلك جيدًا. في الواقع، لطالما اعتقدت أن شخصية "سيزيف" ملائمة أكثر لقصة الخلق اللاهوتية من شخصية "آدم" ذي السرة المفقودة وصاحب أثر الندبة في صدره إثر عملية نزع الضلع منه.

"في اليوم السادس، خلق الرب الإنسان وقال له: «انظر! هذه صخرة، وانظر! وهذا هو الجبل الذي ينبغي لك دحرجة الصخرة إليه». ثم رأى الرب أن الإنسان لن يقدر على فعلها فابتسم وعلم أن ما حدث كان جيدًا".

سامحني أيها القس! فاليوم ليس يوم الخباثة اللاهوتية.

من ينتمون إلى المجتمع الكنسي الرهباني يبحثون عن الانسجام، وليس من العدل أن أزعجك بسخريتي المعهودة في أثناء ترديدك للترانيم الجريجورية الكنسية. عزيزي، أودُّ إعطاءك هدية الوداع وأنت في طريقك إلى أرض الصالحين، تُرى ما هي الهدية التي تناسب مستوى علاقتنا والتي ترقى إلى أن تكون آخر فصل من حياتي؟

إنها أقدم ذكرياتي، على الرغم من أنها ليست إلا مشهدًا من طفولتي لا يتعدى سوى بضع ثوانٍ من شريط فيلم قصير داخل سينما رأسي.

في الواقع هذا الشريط مكون من حدث واحد فقط ونهاية هذا الحدث. ولكن بعد سنوات عديدة (لأن نادرًا ما يحدث هذا اليوم، حيث ذبلت قدرتي على الحلم مع مرور السنوات) وحتى سنوات المراهقة وما بعدها، كنت أحتاج فقط إلى استدعاء هذه الذكريات لتأخذني بعيدًا عن خيبات

الواقع المرير وتزرعني في أرض الأحلام. يمكنك القول إنها كانت بمنزلة رعشة بمذاق السيرة الذاتية.

كنت حينها في الرابعة من عمري أو ربما في الثالثة. على أي حال، كنت كبيرًا بالقدر الذي يسمح لأمي أن تجرني معها في رحلة التسوق المرهقة التي يكون السير فيها مسافة شارعين أو ثلاثة للوصول إلى وسط المدينة من الأمور المضنية بالنسبة إلى طفل في مثل سني.

وسط المدينة؛ حيث يوجد متجر ملابس ومتجر أحذية وكل شيء يطلق على نفسه "متجر" بثقة مبالغ فيها. بالإضافة إلى محلين للجزارة لم نشترِ منهما قط لأنهما كانا باهظي الثمن. كانت أمي تطلق على صاحبهما جزار الربا وظللت مقتنعًا سنوات عدة أن هذا هو اسم صاحب المحل. (لا، لم أخاطبه أبدًا باسم "السيد جزار الربا" على الرغم من إمكانية نسج أقصوصة طريفة من هذا الاسم).

كان يوجد هناك أيضًا فروع لمتاجر شهيرة مثل "إدكا" و"راتسكيللر" و"فينرفالد". بالإضافة إلى صيدليتين وثلاث متاجر بصريات يبيع أحدهما أجهزة السمع. ونظرًا إلى ازدهار مبيعات النظارات الطبية والأدوية آنذاك، كان التأمين الصحي هو المنوط به دفع الفواتير. كان من المبهم تمامًا بالنسبة إليَّ هو كيف استمرت متاجر بيع فساتين الزفاف هناك فترة طويلة. في كل مرة، كانت تقف أمي المتزوجة غير الرومانسية - بمنتهى اللهفة، كما كنت أقول لنفسي - أمام نافذة العرض، بالرغم من أن فستان الزفاف المعروض كان هو نفسه على مر السنين ولم يتغير. معظم المحلات التجارية هناك أصبحت اليوم خاوية تمامًا، نظرًا إلى ما سببته مراكز

التسوق والتجارة عبر الإنترنت من توحش النسخ المصغرة منها والتي يطلقون عليها "مهرجانات التسوق".

لا أعرف ما إذا كانت والدتي قد أُعجبت ذات مرة بالترتر والكشكشة في ذلك اليوم أم إنها كانت تحاول في رأسها الحسم بين شراء السجق الألماني ونقانق اللحم. على أي حال، كانت شاردة في مكان آخر لدرجة أنها.. فلنقل لدرجة أنها أصبحت لا تراني. نعم كانت تقف بجواري، لكنها كانت بعيدة تمامًا. في طريق العودة إلى البيت، مررنا بمجموعة من الأطفال في ساحة لعب الأطفال، الكثير من البنات والأولاد السعداء في مثل سني يسيرون في طابورين بشكل ثنائي؛ كل طفلين يمسكان بأيد بعضهما بعضًا، عدا طفلة واحدة في آخر الصف كانت تسير بمفردها، ومن خلفها في آخر الطابور كانت تسير مشرفة أخرى.

لا أعتقد أنني فكرت في أي شيء عندما فعلت هذا التصرف. لقد تصرفت فقط وكأني في لقطة من فيلم. أمسكت بيد الفتاة التي تسير بمفردها وانضممت إلى الطابور. من المحتمل أن هذا كله كان محض خيال، وكان أحد التفاصيل المزيفة التي نجسد بها بعضًا من ذكرياتنا الغامضة. كل ما أتذكره هو تلك اليد الغريبة التي كانت أصغر من يدي. سرنا خطوتين أو ثلاث بجوار بعضنا بعضًا، ثم أمسك شخص ما بكتفي وجذبني ناحيته وقال بصوت مسموع: "أنت لا تنتمي إلى المجموعة". ثم انتهت اللقطة وانطفأ نور قاعة العرض.

مجرد قصاصة من ذكريات ليس أكثر. صفحة قُطعت من كتاب كنتُ قد قرأته، عندما كنت شخصًا آخر. بعض إيقاعات من مقطوعة موسيقية

تُعزف في الخلفية، عندما.. ألا تبحث أنت أيضًا عن شيء مشابه؟ عن شيء يُحدث داخلك اضطرابًا معظم الوقت؟

الذكرى الأخرى كانت أمي. كان لدى أمي صَدَفَةٌ ملونة، والتي إذا ما وُضعت على الأذن كان يمكن سماع هدير البحر. مرسوم عليها "تحيات من جزيرة كابري" بخط بسيط مألوف. على الأرجح أن الشخص الذي كتب هذه الجملة لم يكن يتقن اللغة الألمانية، لكن والدتي لم تذهب إلى "كابري" قط. وعلى حد علمي أنها لم تسافر أبدًا خارج ألمانيا؛ لكنها حصلت على الصَدَفَةِ من مكان ما، لتحلم قليلًا بالبحر الذي لم تره من قبل. لكن يا للأسف تخلص أبي من هذه الصَدَفَةِ ورماها بعيدًا.

"لأن ذلك من كثرة الأحلام والأباطيل وكثرة الكلام. ولكن اخش الله" (سفر الجامعة 5,7). أبي كان يعرف كيف يعاقب بآيات الكتاب المقدس مثلما يفعل المدعي العام بمواد القانون. كان لدى أمي صَدَفَةُ "كابري" وكان لديَّ لقطة الفيلم التي انسلخت فيها مسافة ثلاث خطوات من انتمائي إلى أسرتي. لا أحد يستطيع أن ينتزع مني ذكراي لأن لا أحد يعرف أي شيء عنه. ومن ثَمَّ..

أيها القس، سأكتب لك الباقي غدًا، سأكتبه لك في آخر رسالة تصلك مني. لكنني سأكتفي بهذا القدر اليوم، على الرغم من أنه لا يزال أمامي أكثر من نصف ساعة قبل إطفاء الأنوار. عندما كتبت لك، عادت إليَّ الذكريات التي اعتقدت أنها تلاشت منذ فترة طويلة. عادت إليَّ الأشياء التي لم تحدث أصلًا والتي لا أريد تفويتها بكل تأكيد.

غدًا أيها القس. وعد!

إلى القس

سرناً معًا جنبًا إلى جنب، أنا والفتاة الغريبة. كانت تعرف اسمي وكنت أعرف اسمها. كان اسمها "ميريام" أو "ناعومي" أو "أبيجال" وأحيانًا "ليليث". سرنا يدًا بيد عبر الشوارع التي أصبحنا نألفها أكثر فأكثر بعد أن كنت أشعر حيالها بالغربة. كانت نوافذ عرض المحلات التي مررنا من أمامها مليئة بالشوكولاتة والكعك، وأمام أبواب محلاتهم كان يقف جزارون بمآزر بيضاء يوزعون شرائح من السجق.

أخيرًا وصلنا إلى الحضانة التي كانت بالنسبة إليَّ آنذاك مؤسسة أسطورية، لأن الكنيسة التي كنت أنتمي إليها كانت صغيرة جدًّا وفقيرة جدًّا لتمتلك حضانة أطفال مثلها. هذا بالإضافة إلى أن "باخوفن" قد أخبرنا أن في روضات الأطفال يُغوى الأطفال للسير في مسارات الشيطان. كان الأطفال في هذه الروضة يغنون أغاني استطعت أن أغنيها معهم دون أن أسمعها من قبل، ولعبت معهم ألعابًا لم أكن مضطرًا إلى تعلم قواعدها أولًا.

وفي اللحظة التي أعيانا فيها التعب من كثرة الغناء واللعب، وصل جميع أولياء الأمور لاصطحاب أطفالهم في موعدهم تمامًا من دون لحظة تقديم أو تأخير. وكان والداي هناك أيضًا، أب وأم جدد. أب وأم مختلفان. في حين كانت "ميريام" أختي. عدنا إلى المنزل؛ منزل كنت أشعر فيه بالأمان. في بعض الأحيان، كان المنزل أشبه ببيت عرائس، فقد كانت نوافذه على الرغم من أنها مرسومة فإن الضوء ينفذ من خلالها. وأحيانًا أخرى كان المنزل أشبه بقصر، يفتح لنا الخدم أبوابه أمامنا. وفي بعض

الأحيان، لم يكن للمنزل مبنى من الأساس، وكان مجرد سجادة على مرج، نجلس فوقها القرفصاء، ونحن نأكل بأيدينا وتراقبنا الثيران والحمير.

كانت اللقطة التي ظلت المفضلة عندي وقتًا طويلًا هي اللقطة التي كانت تخصُّ والديَّ. كنت أتخيل والديَّ الجديدين، تمامًا كما كنت أريدهما أن يكونا. كنت أستطيع أن أغير وجهوهما بوجوه جديدة وأن أعطيهما أصواتًا جديدة. كنت أجعلهما أحيانًا من أصحاب الملايين وأحيانًا أخرى أجعلهما متسولين، كانا في الأصل أبناءً سريين لملوك. كنت أستطيع أن أرتجل عنهما فكرة جديدة كل دقيقة، عدا أن أجعل أمي ترتدي مئزر المطبخ أو أجعل أبي مضطرًا إلى إخفاء صلعته بخصلات شعره المتبقية. كل الأنماط التي تخيلتها عن والديَّ كانت أنماطًا طيبة لا تعاقب أطفالها. كنت أحيانًا أتعمد سكب كوب الكاكاو على مفرش المائدة أو أكسر طبقًا فقط لأسمع أمي وهي تقول:

– لا يهم، لا عليك يا "فولفجانج"!

أو يا "فيرديناند" أو يا "لودفيج". كان باستطاعتي أيضًا تغيير اسمي كما أحب.

كانت الزهور تزهر في حديقة منزلنا طوال العام. كان المنزل هو فقط ما يتغير، أما الحديقة فلا، ولا أحد كان يستطيع أن يقطف من زهورها لصنع أكاليل "عيد الشكر". بعد عدة سنوات، فكرت في أن أضع شاهد قبر في الحديقة مكتوب عليه اسمي "يوهانس هوزاي". في عائلتي الجديدة، لا يُرسَل أحد إلى الفراش مطلقًا ويمكن اللعب في أثناء الليل والاستيقاظ عندما تفرش الشمس أشعتها على وجوهنا. ولأننا كنا لا نملك أكياس نوم للمبيت في الحديقة، كنا نستلقي على الوسائد الناعمة وننظر مباشرة إلى

السماء. عندما كنت أستيقظ من نومي، كنت أرى "ميريام" بجواري في انتظاري، أو أنها قد قضت الليلة بطولها مستلقية بجواري في اشتياق وخجل، بالطريقة نفسها التي أشعر أنني بحاجة إليها الآن. بالطبع هذه الصورة لم تخطر ببالي إلا مؤخرًا، لأننا في السابق كنا مجرد أطفال.

لقد كنت أتخيل طفولة مختلفة تمامًا عما عشته من قبل.

لطالما كنت مبدعًا، لكن على الرغم من ذلك، اُستغرقتُ وقتًا طويلًا حتى استطعت أن أتخيل عالمًا بلا عقاب. في العائلة التي تخيلتها، كان الأمر يسير على هذا النحو؛ عندما يتعين معاقبة شخص ما، كانت هناك وسادة كبيرة تُضرَب نيابة عن الفاعل، وكان طعم الغبار الذي يتطاير منها حلوًا.

في هذه العائلة، لم نذهب إلى الكنيسة أبدًا، ولم تكن هناك طائفة أو "الكبير". والدي الجديد كان يقول لي دومًا: "الكنيسة للآخرين"، وشعرت بتأنيب ضمير بسيط، لأنني عرفتُ من كان يقصد بذلك.

مع تقدمهما في السن، تغيرت القصص، وظلت نبرة حديثهما كما هي. بدأت المدرسة، كنت الأفضل في جميع المواد وانتُخبت ممثلًا عن الفصل بسبب بلاغتي. في أثناء فترات الراحة، كنت أؤدي دوريات في ساحة المدرسة، وعندما كنت أمسك بزميل في الصف يعذب زميلًا آخر أضعف منه، كنت أجبره على قراءة تمارين التحدث السريع.

"شمس تمشي وشمس مشمسة" أو "جدار طين دارنا أكبر من جدار طين دار جارنا"، وإذا تعثر في مقطع لفظي واحد، إذن.. بالتأكيد أنت لا تريد أن تعرف ذلك بالضبط أيها القس، لأن هذه القصة ليست من نوعية القصص التي يمكن أن تأخذها معك إلى جماعة "تيزيه" للرهبنة الكنسية.

بالطبع، كنت أيضًا قائد فريق كرة القدم حتى اكتشفني أحد الكشافة من "بايرن ميونخ" وأخذني إلى فريقه. في نهائي دوري أبطال أوروبا، سجلت الهدف الحاسم في الوقت المحتسب بدل الضائع وخرجت من الملعب على أكتاف زملائي. لم يكن هدفًا مميزًا جدًّا، لكنه حاز على إعجاب الجميع وأثلج صدرهم.

أصبحت فيما بعد طيارًا وسافرت إلى أفريقيا لإنقاذ الأفيال من الصيادين. ذات مرة، ركبت وحيد القرن في قرية وكان السكان الأصليون يقدسونه كمخلوق إلهي. ثم صرت طبيبًا واخترعت العلاجات، لدرجة أنني نُقِلتُ إلى الحالات اليائسة وكانوا يُقبِّلون يدي بامتنان عندما تتحسن حالة ميؤوس منها وكادت تفارق الحياة. أصبحت سياسيًّا أيضًا وألقيت خطابات مثيرة من الشرفات، أو..

أو، أو، أو..

ظللت أبتكر تتمات عدة للقطات فيلمي، وعلى الرغم من أن التنقيحات أصبحت أكثر ندرة على مر السنين، فأنا ما زلت أعمل على تحرير النص.

الليلة الماضية - والتي كانت مستوحاة أيضًا من الذكريات - ظهرت "ليليث" فيها. يا للأسف، هذه القصة أيضًا ليست مناسبة لمجتمع "تيزيه". دائمًا كان هناك عرض جديد في سينما رأسي، وكل فيلم يبدأ بالمشهد نفسه؛ أمسك بيد فتاة غريبة وأدعها تقودني بعيدًا عن عالمي. إنها أولى ذكرياتي وأجملها. وكوني أشاركها معك فيمكن أن تَعدَّها هدية الوداع التي أقدمها لك.

في الواقع - لا شيء مبالغ فيه أكثر من الواقع - كانت النهاية أقل سحرية.

قالت المشرفة:

- أنت لست واحدًا منهم.

أمسكت أمي بيدي وسحبتني معها بعيدًا ثم سألت:

– ماذا فعلت مرة أخرى؟

أتذكر جيدًا أن تفاهة هذا السؤال قد لفتت نظري آنذاك. لكن كما يقول "شوبنهاور" – وهو ما لا أتذكره حرفيًّا – "ذاكرتنا عبارة عن غربال تتسع ثقوبه وتكبر على مر السنين".

لا يهم حتى كون هذه الذكريات صحيحة أم لا. لكن في وقت ما، حدث كل شيء. سفر الجامعة 1,10. أنا متأكد أنك مَن قدمت لهذه الوظيفة. كيف ستتذكرني لاحقًا؟ آمل ألا أكون شخصًا شعرت معه بالملل. يجب ألا تندم لأنك فشلت في جعلي شخصًا أفضل. عندما أنظر حولي، يبدو لي أن خلق بشر طيبين هو كإبداع قطعة فنية، حتى الرب نادرًا ما ينجح في صنعه.

بهذه الرسالة، تكون مراسلاتنا قد انتهت. من المعتاد أن تقول تمنياتي الطيبة للشخص الآخر عندما يقول وداعًا، لكنني لست متأكدًا تمامًا مما أتمناه لك. ربما أن تستعيد الهدوء الذي فقدته تمامًا. مما سمعته، أعتقد أن "تيزيه" لن يكون مكانًا سيئًا للعثور عليه.

كل ما أخشاه فقط أنك لا تملك الموهبة.

يوميات

الساعة 16:15. محبوس داخل المكتبة.

قبل بضع دقائق: جرس إنذار. إشارة غير معروفة. أصوات صفير قصيرة، متتالية بسرعة وراء بعضها بعضًا. ثم إعلان في الإذاعة الداخلية للسجن:

– على كل السجناء العودة إلى زنازينهم!

كان صوت المتحدث على الميكروفون خائفًا من شيء ما.

عندي أوامر صارمة بعدم مغادرة المكتبة حتى يكون هناك مشرف لإغلاق الباب بعد مغادرتي، كما لو أن السجن بأكمله ليست لديه أي مصلحة أخرى سوى سرقة الكتب، لذلك بقيت لإطاعة أمر واحد وعدم انتهاك الآخر. وقفت منتظرًا في الممر، وجعلت يديَّ مرئيتين بوضوح. في الأوقات العصيبة، من المستحسن أن توضح أنك لست مسلحًا.

ركض الحراس من جانبي مرتين. وتجاهلوني تمامًا. كان لديهم هراوات في أيديهم، لكنهم لم يبدوا لي أي تهديد. لاحقًا، جاء من الاتجاه نفسه الضابط الكبير في السن الودود الذي يسميه الجميع هنا "أبي". حاول وهو يتنفس بصعوبة أن يتظاهر بأنه يجري. ثم بدت على وجهه ملامح الارتياح لأن وجودي منحه سببًا للتوقف. توقف وسألني:

– ما الذي لا تزال تفعله هنا؟

وقبل أن أشرح له مشكلتي، دفعني مرة أخرى إلى المكتبة وأغلق الباب من الخارج.

الساعة 16:25. إذا ما أُخِذَ السجناء من الورش قبل نهاية العمل وأعيدوا إلى زنازينهم، فلا بدَّ أن شيئًا ثقيلًا قد دخل في مكابس الآلات

اليومية، وفيما عدا ذلك، يُلتزَم بالقواعد والإجراءات بمنتهى الصرامة؛ الاستيقاظ في السادسة، والإغلاق في تمام الساعة التاسعة. التفتيش الجسدي بعد المشي في الهواء الطلق. البسكويت بعد وجبة الغداء طوال أيام العمل، والحلوى يوم الأحد فقط.

حتى البابا - هذا المشهد فرض نفسه عليَّ - كان يمسك هراوته وكأنه يمسك مغرفة.

الساعة 16:30. توقف جرس الإنذار. ثم ساد صمت مفاجئ، شعرت إثره بحفيف في أذني. حفيف مثل ما كنت أسمعه في صَدَفَةِ "كابري" التي كانت تملكها أمي.

الساعة 16:40. لا يزال الهدوء هو سيد الموقف. لم يبدأ الجدول اليومي بعد. في مثل هذا الوقت، يُسمح فيه للمساجين من المستوى "أ" والمستوى "ب" بالتحرك بحرية داخل السجن، لكن لا شيء يتحرك. يبدو أن الحراس قد سلكوا طريقًا مختلفًا للعودة.

الساعة 16:50. عدم وجود ضوضاء يشكل تهديدًا.

الساعة 17:05. أكره عدم معرفة ما يجري.

الساعة 17:40. انتظار. انتظار. انتظار.

الساعة 18:05. لم يرن الجرس لتناول العشاء. في غضون دقائق قليلة، سوف يندلع التمرد. وسأكون معهم. بقدر ما أحب التخلي عن خبز المارجرين والقهوة المائعة، لكن جرى تفعيل قانون "بافلوف" للاستجابة الشرطية وأتصور أنني جائع.

يمكن للمرء أن يكتب قصة تدور أحداثها عن اختفاء جميع العاملين داخل أحد السجون فجأة ويصف كيف يهلك السجناء في زنازينهم تدريجيًّا.

لماذا أفكر دائمًا في القصص التي لم يعد فيها بشر؟ من المؤكد أن القس كان سيعرف تفسيرًا فلسفيًّا للغاية لذلك.

أفتقده بشدة. على الأقل كان يمكنني أن أتشاجر معه.

الساعة 18:10. جرس إنذار مرة أخرى، مجددًا اليوم. لكن هذه المرة مصحوب بإشارة مألوفة. ثلاث نغمات تصاعدية. لقد اختفى أحد السجناء. أكانت هناك مباغتة؟ أكان هذا هو سبب الاضطراب بعد ظهر ذلك اليوم؟

في وقت لاحق عن ذلك بكثير.

لم يتأجج الموقف. الإنذار الثاني أثار جنوني.

ثم بالترتيب حدث التالي: بدأ كل شيء بمشاجرة جماعية في المبنى رقم 2. عادةً ما يكون الحاجز بين المبنيين غير قابل للاختراق باستثناء "المحامي"، وحتى مسؤولي تنفيذ القانون داخل السجن لم يستطيعوا التصدي لما حدث من عنف، ليتمكنوا بعد ذلك من سرد حكاية مقبولة. لا أحد يعرف ما الذي أجج هذا العنف. يقال إن بعض نزلاء السجن كانوا يشتبكون مع بعضهم بعضًا بعنف من وقت لآخر لدرجة أنهم اعتقدوا أنها ثورة. ولكن بعد ذلك، عرفنا أنها كانت مجرد واحدة من تلك التصادمات التي تحدث عندما يُحشر عدد من الناس مع بعضهم بعضًا في مكان ضيق.

كان كل شيء جاهزًا، بما في ذلك الغاز المسيل للدموع والأسلحة الحادة، ولكن بعد ذلك انتهى الشجار فجأة ومن دون سبب واضح كما بدأ. أصبح كل شيء هادئًا مرة أخرى. باستثناء أحد المسجونين الذي وجدوه مقتولًا في

ورشة الخياطة الموجودة في المنطقة رقم 2، ولا يوجد المزيد من المعلومات عن هذا الأمر حتى الآن.

أعتقد أن المنطقة رقم 2 هو نسخة من المنطقة التي نقيم فيها؛ بها مطبخ يحتوي على سكاكين مرقمة محكمة الإغلاق. وهناك أيضًا ورشة نجارة ومحل ختم لوحات الترخيص. بالإضافة إلى ورشة خياطة يتعين على موظفيها الحصول على تصريح في كل مرة قبل أن يلمسوا مقصًّا.

أقسم إن هذه الجثة قد طُعنت بمقص.

هل الغسيل هناك يُعد إمبراطورية خاصة أيضًا؟ هل لديهم مكتبة؟ يا لها من فكرة غريبة أن يكون لي هناك شبيه عكسي في المبنى المجاور. أن يكون هناك "هوزاي يوهانس" بدلًا من "يوهانس هوزاي".

نظرًا إلى أن اندلاع العنف يمكن أن يكون معديًا، فقد تقرر تقديم العشاء في كلا المنطقتين داخل الزنزانات بشكل استثنائي. وفي أثناء مرور خدمة الغرف، وجدوا أنه لا يوجد أحد في زنزانتي.

كان لدى الحراس مستويات أدرينالين عالية جدًّا بحيث لا يمكنهم التفكير بشكل منطقي. فضلوا ضغط زر الإنذار مرة أخرى. اختفى المحتجز، سجين هارب وتأجج الوضع داخل السجن مجددًا.

لقد أُستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن يتفتق ذهن أحدهم بفكرة التحقق عن وجودي في مكان عملي. اقتحموا المكتبة تحت تهديد السلاح. أردتُ أن أتملص من حقيقة أنه على الرغم من إعلان مكبر الصوت، لم أذهب إلى زنزانتي. أي شخص يرتكب خطأ غبيًّا يحتاج دائمًا إلى كبش فداء.

أحضروا لي البابا الذي كان قد أنهى عمله بالفعل وكان لا بدَّ من إحضاره من منزله أولًا. عندما تمكنت من إثبات براءتي أخيرًا، رافقني إلى

زنزانتي واعتذر عدة مرات طول الطريق عن الظروف التي تعرضتُ لها بسببه. رجل لطيف. اسمه "كانتيرايت"، واسمه كان الشيء الجديد الوحيد الذي تعلمته في مسرح القرود هذا الذي أقيم به.

فاتني العشاء ولم يفكر أحد في تسليمه إليَّ.

في اليوم التالي، سادت معنويات عالية في أرجاء السجن. شجار جماعي وموت، وهذا في حد ذاته يختلف عن الروتين اليومي.

يوميات

إذا قررت أن تمتهن مهنة ما، فينبغي أن تكون قادرًا على اختيار الاسم المناسب لها. هذا الشخص الجديد لم يكن راعيًا حتى وكان اسمه "كونتسه"؛ المرشح "كونتسه"، مثلما سماه "فيلهلم بوش".

أنا لا أحبه. قال لي:

– يمكنك أن تناديني بالقس.

هذه التسمية قد تناسبه بالفعل، فبعض الأسماء يجب أن تكون مكتسبة.

يقول إنه لا يريد التدخل في المكتبة. لكن على كل حال، كان مؤدبًا لدرجة مخيفة، لكنني ما زلت لا أحبه.

عندما أتى "دورفمان"، كنت لا أزال أثني عليه وأوصيت القس به أيضًا. بعد هذا السلف، أي شخص كان سيأتي، كان سيحبه الجميع. خطبته كانت عبارة عن كلمات رنانة جوفاء. مثل متجر المعجنات الذي يضع لوحًا جميلًا على كل كعكة حسب الطلب، والمصنوعة دائمًا بكيس

تزيين الحلويات نفسه. مكتوب عليها "عيد ميلاد سعيد" أو "طوبي للخاضعين"، لا يهم، طالما أن الناس يشترون الكعك.

كان رد فعله على سقوط الضحايا في أحداث المنطقة رقم 2 أن نعتهم بالطيبين كما جاء في إنجيل متى 5,5. استخدم النداء المعتاد لنبذ العنف. يمكنك أن تتنبأ بالتغيرات، لكن لا بدَّ أن تقدمها مغناة بصوت جميل. لقد أدى ما حتمت عليه وظيفته أداءه ولم يؤذِ أحدًا. يعجبني عندما أستطيع أن أبقي على أفكاري بكل هدوء في أثناء إلقاء الواعظ لعظته.

شكرًا يمكنك الصمود.

لم يكن متسامحًا أبدًا على صعيد التعامل الشخصي، لكن على العكس تمامًا، كان متسامحًا للغاية لدرجة أزعجتني بشكل رهيب. مثل حلوى "البودنج" التي تقدَّم هنا كل يومين. عند تذوقك للملعقة الأولى منها، تجد نفسك تفكر وتقول: "أخيرًا شيء حلو مرة أخرى"، بعد ذلك تجد نفسك تتوق إلى طعم مختلف، لكنك ما زلت لا تحصل إلا على طعم حلو واحد فقط. ما أخشاه هو أن يكون الكلام الذي أسمعه منه ما هو إلا صدى لحالة من قناعته الداخلية بما يقول. هذا الرجل يصدق كل ما يقول، وإنه لخطأ فادح بالنسبة إلى رجل دين أن يصدق نفسه في كل ما يقول. هذا بالإضافة إلى أن الجدال مع الأشخاص الذين يبتسمون بلطف فقط عند التلميح بوجود خلاف في وجهات النظر يعد غير ممتع على الإطلاق.

بقي فقط أن نرى مدى تأثير هذا الرجل في مدير السجن. ربما يمكنني أن أحصل بواسطته على تصريح باستخدام الكمبيوتر.

إلى "يورجن ميلبرج"

عزيزي السيد "ميلبرج"،

بكل تأكيد لا بدَّ أنه سيكتب لي. وإذا ما أعطاني رقم تليفونه سأحاول الاتصال به، على الرغم من أن هذا ليس مسموحًا هنا إلا في المساء فقط مدة نصف ساعة وليس بصفة دائمة أيضًا. لذا أفضل التواصل معه كتابيًّا.

أنت تشعر بالامتنان لوساطته. كنت أودُّ أن أكتب لك بمزيد من التفصيل، لكن إذا لم أوصل هذه الرسالة في غضون خمس دقائق فلن تخرج إلا بعد أربع وعشرين ساعة.

"يوهانس هوزاي"

يوميات

لن أسمح باقتراف أي خطأ بعد الآن.

هذا الاسم لا يعني أي شيء بالنسبة إليَّ. أعتقد أنه ناشر. إنه لأمر مزعج فعلًا أنهم لا يسمحون لنا باستخدام الإنترنت هنا. عليَّ أن أعرف إنتاجه السابق لأعرف ماذا سأقدم له وكيف سأقدم نفسي له.

هذه هي أفضل طريقة منجزة هنا في السجن، لكنها أصعب مما تبدو عليه بالفعل. فمن يرد بكلمة نعم بسرعة كبيرة، فهذا يعني أنه قد اُغتِصَب من شخص لا يعرفه.

إلى "بارنيه بوكلر"

عزيزي السيد "بوكلر"،

أشكرك على عرضك، على الرغم من اعتقادي أنه لا طائل من ورائه.

أستطيع أن أخمن ما يدور في ذهنك. مغامرة بيكارسكية صعلوكية مع قليل من العنف. مغامرة "رينالدو رينالديني" نسخة القرن الواحد والعشرين. بالإضافة إلى مؤلف طاهر النفس يعتذر عن ماضيه في كل قراءة.

لكنني لا يمكنني تقديم أيًّا من ذلك، فقصتي غير مناسبة لمكتبات الطوائف الكنسية. أنا حتى لا أستطيع قراءتها أمام جمهور لأنني مصاب بالتلعثم.

وأنا بالتأكيد لست الشخص - على حد تعبيرك - "الذي وجد الدين بعد حياة تعج باختراق القانون". كانت مصادفة محضة أن ظهرت قصتي الحائزة على الجائزة في هذه الصحيفة ذات التوجه الديني، ذلك لأنني كنت سأكتب في أي مجال حتى لو كان إطار استطلاع رأي في مجال الصيدلة، إذا ما كانوا نظموا لمسابقة مماثلة. وأكاد أجزم لك أنني كنت سأكتب نصًّا مناسبًا تمامًا للصيدليات، فأنا قادر على التكيف في أشياء غير مهمة.

لكننا نتحدث الآن عن كتاب يتناول قصة حياتي، أكتبه بالطريقة التي أريدها. وإذا ما كنت قد تعلمت أي شيء في أثناء فترة عقوبتي، فقد كان هذا: "أولئك الذين يختارون الحل الوسط يخسرون دائمًا".

لا، ليست لديَّ مخطوطة منتهية من الكتاب بعد، لديَّ فقط فصول منه. ذلك لأنني لا أرى أي سبب يستدعي الإسراع في العمل. إن العمل على هذا الكتاب هو ما يقتل وقتي. يمكنني إعطاؤك فصلًا أو اثنين للقراءة، حتى إن كنت لا أرى فائدة تُذكر من وراء ذلك. لأنك في النهاية لن تجرؤ على نشر الكتاب، أو على الأقل ليس بالطريقة التي أريدها. ففي وضعي الحالي، لا أملك رفاهية تحمل ترف الآمال الزائفة.

ومع ذلك، شكرًا لاهتمامك، فعلى الأقل قد أدخلتْ رسالتك لي بعض التنوع إلى حياتي اليومية.

"يوهانس هوزاي"

يوميات

إذا لم يعض على أصابعه جراء هذا الرفض، فأنا لا أعرف كيف أكتب خطابًا.

وحتى يصلني رده مرة أخرى، لن أفعل شيئًا سوى التمرين، التمرين، التمرين. تمامًا مثل أولئك أصحاب غرفة "الغسيل" الذين يذهبون إلى صالة رفع الأثقال كل يوم.

تمرين للمهارة

ليلًا

وصل إلى المسرح في موعده بالضبط، سبعة أيام في الأسبوع. أخذ إجازته خلال إجازة الموسم وذهب إلى المنزل عندما انتهى من أداء عرضه دون أن يجني أي تصفيق. ذهب إلى كرسيه بجانب مقعد حارس البوابة، وأودع كيس الطعام خاصته بجواره على حافة الجدار، وجلس وانتظر دون حراك حتى غادر جميع العاملين في المبنى. وفي صباح اليوم التالي، كان لا يزال جالسًا على المقعد نفسه، أو جالسًا هناك مرة أخرى، وبمجرد وصول فنيي المسرح إلى المبنى لتفكيك ديكور الليلة السابقة، نهض وغادر دون أن يودع أحدًا. في إحدى المرات، بادله ممثلان شابان كرسيه بعرش، كانا قد سحباه من أحد متاجر الأثاث بجهد دراماتيكيي شاق. ولأنه لم يبدِ أي ردة فعل، سواء بالمفاجأة أو بالشعور بالإهانة، لم تنجح تلك المزحة. وفي اليوم التالي، عاد كرسيه المعتاد إلى مكانه.

ترددت بعض الشائعات أنه كان أحد أعضاء الفرقة الفنية للمسرح، وأن وظيفته هذه هي من باب الصدقة، لكن لم يكلف أحد نفسه عناء السؤال عن أصل قصته، بل والأكثر من ذلك أنه لم يخطر على بال أحد أن يسأله هو شخصيًّا عن حكايته. لا أحد كان يتحدث إليه على الإطلاق وكان الكل يتعامل معه على أنه جزء من أثاث المبنى التقليدي. كان موجودًا هناك دائمًا، تمامًا مثل لافتة البريد الإلكتروني القديمة الموجودة باستمرار في غرفة المخصصة لانتظار الممثلين قبل صعودهم على المسرح، والتي طالب السادة الفنانون بإعادة استخدامها بعد أن أُلغيت لأجيال. لم يكن تاريخ وظيفته قديمًا ولم تُصدَر تعليمات بوجود شخص ما أمام المبنى على مدار الساعة إلا في الثمانينيات، بعدما تخلص أحدهم من أعقاب سجائر بمنتهى اللامبالاة وكاد يتسبب ذلك في نشوب حريق أثناء الليل في كواليس المسرح. كانت هناك خطة دقيقة للجولات التي كان عليه أداؤها حول المبنى، لكن لم يهتم أحد بكونه قد التزم بأدائها أم لا.

مثله مثل غيره، كان له اسم أيضًا، لكن لا يعرفه أحد سوى قسم شئون العاملين.

في قاعة "كارل لايمل"، حيث يلتقي الممثلون لشرب البيرة للترويح بعد انتهاء العروض، سأل أحدهم ذات مرة عما يفعله هذا الشخص بمفرده في المسرح الخالي من البشر طوال الليل، وبدؤوا يتبارون فيما بينهم في أثناء جلستهم حول الطاولة على تقديم القصة الأكثر جنونًا عنه. ثم يضحكون بأداء تمثيلي عالٍ أكثر بكثير مما تستحقه الأفكار.

قال أحدهم:

– إنه يبحث في الصناديق عن شوكولاتة مفقودة.

وقال آخر:

- إنه يعلِّم في القبو الفئران الرقص.

ثم جاءت أكبر ضحكة من قول مبتدئ في السنة الأولى، عندما قال:

- إنه يغير سرًّا الملاحظات المكتوبة على اللوحة السوداء التي علينا الالتزام بها، لذلك لن أتمكن أبدًا من أداء الأدوار الكبيرة.

أما ما كان يحدث في الواقع، فكان كالآتي: بعد أن يغادر الجميع ويهدأ المبنى، كان ينتظر نصف ساعة أخرى، لأنه في بعض الأحيان كان ينسى أحدهم شيئًا يخصه في خزانة ملابسه فيعود مرة أخرى.

في معظم الأوقات، كان يستيقظ في منتصف الليل. وكان هذا محض مصادفة ولم يكن لهذا التوقيت أي صلة بعمله. كان لا يفضل أن يسير إلى وجهته مباشرة - فلماذا يضنُّ الإنسان على نفسه بلحظات استباق الفرح؟ - لكنه بدلًا من ذلك كان يستخدم الباب الصغير الذي يدخل من خلاله مباشرة إلى قاعة العرض، بجانب مقاعد الصف الأول. سار بمحاذاة صفوف المقاعد حتى يصل إلى خشبة المسرح. لقد سلموه مصباحًا لكنه لم يستخدمه بعد. كانت علامات الخروج الخضراء، والتي لا تُغلق أضواؤها أبدًا، تشير إلى الاتجاه الذي يريده. وفي الردهة التي دخل منها إلى قاعة العرض، كانت الواجهة الزجاجية توفر إضاءة كافية، حتى في الليالي الخالية من ضوء القمر.

صعد بواسطة الدرج العريض إلى المستوى الأول الأقل عرضًا وغير المفروش بالسجاد، ثم منه إلى المستوى الثاني، وسار بمحاذاة صف صناديق وصولًا إلى ممر غير لافت على الإطلاق بسبب فخامة قاعات الجمهور المطلية بالذهب في الحيز المادي للمسرح. في قصر "سانسوسي"،

كما عرضوه في التليفزيون، كان به ممر ضيق خلف كل جدار يمكن للخدم أن يتحركوا فيه دون أن يراهم أحد. يمكن لأي شخص على دراية بتصميم المسرح من كلا الجانبين أن يتخيل ذلك جيدًا.

كان الباب المؤدي إلى غرفة الملابس مغلقًا، لكنه كان قد حصل منذ فترة طويلة على نسخة مكررة من المفتاح. ثبت يده على مفتاح الضوء وانتظر للحظات قبل أن يرفع يده عنه ليضيء. لحظات تشبه ما يشعر به الجمهور في أثناء انتظارهم رَفْع ستارة المسرح في القاعة المظلمة. هو نفسه لم يذهب أبدًا إلى المسرح، رغم أنه كان يحق له الحصول على تذاكر مخفضة الضريبة. ولم يكن أبدًا ممثلًا أيضًا.

في بعض الأيام، كان يعرف منذ استيقاظه الدور الذي كان ينبغي له أداؤه في الليلة التالية، فكان يبدأ بتنفيذه حتى يتمه. وفي أيام أخرى، كان يذهب إلى العمل دون دراية بما يتعين عليه أداؤه ويسترشد بالمصادفة، فلا يستوعب مهمته إلا بعد أن يمسك عشوائيًّا بإحدى هذه الشمعات أو تلك. على الياقات، خُيِّطت ملصقات قماشية صغيرة باسم الممثل الذي صُمِّم الزي من أجله. كانت الأسماء لا تعني له شيئًا على الإطلاق، ولم يكن مهتمًّا بها، باستثناء أنه كان يربط مقاس الملابس بالاسم، ومن ثَمَّ كان يعرف سالفًا ما يناسب صاحبها وما سيكون فضفاضًا جدًّا عليه أو ضيقًا.

وإذا كان من المقرر إعادة استخدام أحد هذه الأزياء - في بعض الأحيان بعد سنوات - كان يُنظَّف قبل إرساله إلى محل الخياطة، ولكن هنا كانت لا تزال الملابس معلقة متسخة على شماعاتها. كانت أجساد الممثلين التي تخصها هذه الملابس ذات يوم لا تزال موجودة وجاهزة لارتدائها. عندما خلع ملابسه، كما كان يفعل كل يوم، شعر بالحرج من عريه، كما لو أن

الممثلين القدامى أو الشخصيات التي أدَّت هذه الأدوار يراقبونه. بمجرد أن شعر بالخجل من وجود ثقب في سرواله الداخلي، فرَّ هاربًا من غرفة الأزياء. لم يستطع تلك الليلة أن يشعر بالتحول الذي أراده ومرت الساعات ببطء.

وبينما كان يرتدي ملابسه، حاول ألا ينظر إلى نفسه. وعندما حاول بصعوبة تزرير الزي أو سحب سَحَّاب البنطال المخفي، أغلق عينيه. لقد أراد أن يدهش بأول نظرة على نفسه الجديدة، كمن يترك أفضل قطعة على الطبق من أجل الاستمتاع بها أكثر في النهاية، سار بضع خطوات بإباء منتشي العنق إلى غرفة تبديل الملابس الرجالي ذي المرآة الكبيرة. وإذا لم يعجبه شكله، وهو ما كان يحدث دائمًا، كان لا يعيد الكرة ويسيطر على نفسه كما يفعل المدمن للسيطرة على نفسه. في بداية الأمر، عندما كان غير واثق من نفسه، كان يتجنب النظر إلى المرآة مرة أخرى خوفًا من خيبة الأمل.

على الأقل أعجبته الأزياء التي يكون الشعر المستعار الضخم جزءًا منها، والتي كان يبدو وجهه صغيرًا جدًّا في أثناء ارتدائها بشكل يبعث على السخرية. كان يعرف أين يُحتفَظ بالشعر المستعار الخاص بالملوك الفرنسيين والقضاة البريطانيين، والجمجمة البلاستيكية ذات الشعر عديمة الوجه والمصفوفين بجانب بعضهم بعضًا، لكن الخزانة التي بها القناع كانت مؤمنة بقفل ولم يستطع مطلقًا الوصول إلى مفتاحه. حتى تجربة القبعات كانت في حد ذاتها مغامرة، ذلك لأن القبعات إذا لم تكن مناسبة تمامًا لحجم من يرتديها، فهي وحدها كفيلة بأن تجعل الشخص يبدو متنكرًا. وهذا ما أراده بالفعل؛ أن يتحول.

عندما تجول بعد ذلك في الردهة بزيه أو عند جلوسه في الصالة المظلمة، لم يلقِ خطبة ولم يصدر أحكامًا بالإعدام، ولم يتخيل أنه كان في المؤتمر الوطني أو في غرفة العرش. لقد شعر فقط أنه مجرد شخص آخر. وكان ذلك يشبعه مدة نصف ساعة أو ساعة كاملة. وبحرص بالغ، وضع السترة المخملية أو الثوب الزهري على الشماعة وارتدى ملابسه ثانية. أشعل مصباحه وسار مستأنفًا دورته. كانت تلك الفرصة لا تتاح له إلا كل بضعة أسابيع، وهو ما كان غير كافٍ له. في تلك الأسابيع، كان أشبه ما يكون بالمدمن. وعند دخوله المسرح، كان يدرك تمامًا أن هذا اليوم ما زال بعيدًا، لذا كان يتملكه الضيق والضغط طوال اليوم وينتظر بفارغ الصبر تلك اللحظة التي يصبح فيها حرًّا. في هذه الأيام، سلك الطريق المباشر إلى حجرة الأزياء، عبر درج حلزوني بجوار المنصة الجانبية، والذي كان من غير المسموح الدخول إليه في أثناء العروض لأنه كان يهتز مع كل خطوة. وبوصوله إلى مخزن الأزياء، لم يتردد لحظةً في الاختيار، فقد بات ليلته وهو عازم على اختيار نفسه. كانت الأزياء الموجودة غير مميزة على الإطلاق؛ فلقد جاؤوا بها - حتى لو لم يكن يعرف هذه التعبيرات - من كوميديا الأخلاق أو كوميديا النقد الاجتماعي. كانت بعض الملابس من الطراز القديم، لكن لا ضير، ألا تقابل دائمًا أشخاصًا في الحياة اليومية لا يرتدون ملابس وفقًا لأحدث صيحات الموضة؟

غادر المسرح ببدلة أنيقة، حتى إنها كانت بدلة رسمية في إحدى المرات. أغلق باب مدخل المسرح خلفه أو نسيه، وتجول في وسط المدينة كأحد المارة يسير بين مارة متأخرين. في بعض الأحيان، كان يتوقف أمام مدخل ملهى ليلي مثل أي شخص يتساءل أيرغب في تناول مشروب أخير؟ وفي بعض

الأحيان، كان يقترب عمدًا ببطء من موقف سيارات الأجرة، فقط ليرى السائق وهو يضع كتيب لعبة "السودوكو" جانبًا. وفي أحيان أخرى، كان يسمح لامرأة ذات تنورة قصيرة جدًّا بالاقتراب منه، حتى إنه كان يتفاوض معها على السعر قبل أن يمضي قدمًا ويستمتع بكل كلمة وبخته بها بعدما تركها ومضى. كان هناك الكثير الذي يمكنك فعله عندما تبدو مختلفًا.

في كل مرة، كان يعود لاهثًا إلى المسرح، على الرغم من أنه لم يركض على الإطلاق. كان يشعر بالسعادة بالذكريات التي سيتغذى عليها فترة طويلة حتى تتلاشى تمامًا ويتنامى اشتهاء تكرارها مرة أخرى. بعد ليالٍ كهذه، كان يبتسم أحيانًا عندما يغادر المنزل في الصباح. قال عامل المسرح ذات مرة لزميله:

– يبدو أن هذا المتذمر العجوز قد فاز باليانصيب.

اليانصيب هو القدر أيضًا، ولا يمكن لأي شخص اختيار الدور الذي يؤديه فيه.

في ذلك اليوم، كان يرتدي زيًّا رسميًّا، من الواضح أنه يرتدي زي ضابط شرطة، على الرغم من عدم وجود ضباط شرطة في أي مكان في العالم يبدو هكذا. غَيَّر القماش الأخضر مشيته، وبدت الشوارع مختلفة بالنسبة إليه أيضًا، وكان لذلك علاقة بالطريقة التي يتحرك بها فيها. لم يكن ينطلق بل سار ويداه وراء ظهره. في اللحظة التي التقط فيها علبة مشروبات فارغة من على الأرض وألقى بها في أقرب سلة مهملات؛ تخيل أن شرطيًّا حقيقيًّا كان سيفعل ذلك أيضًا. لم يمنحه أي مجرم متعة الفرار منه، ولم تقترب منه سوى سائحة سألته عن الطريق إلى فندقها. نادت عليه بكلمة "ضابط"، وتمكن من أن يعطيها المعلومات على الرغم

من أن اللغة الإنجليزية في مدرسته كانت رديئة. قبل أن يمضي قدمًا، حيَّاها، متجاهلًا يدها الممدودة لمصافحته، حيث رأى أن هذا التصرف هو الأنسب بالنسبة إلى ضابط مثله.

عندما عاد إلى المسرح، كان باب مدخل المسرح مواربًا، وهذا ما فاجأه، نعم لقد نساه ذات مرة، ولكن هذه المرة كان واثقًا من أنه أغلق الباب وراءه. لذا عزم أن يكون أكثر حذرًا في المرة القادمة، ومع ذلك أقسم أنه لن تكون هناك مرة أخرى. فكر أنه قد قضى في التجوال اليوم وقتًا أكثر مما ينبغي، لذا قرر العودة واستخدام طريق حجرة أزياء المسرح والملابس اليومية للجولة الإجبارية. لم يدخل كل غرفة، بل نظر فقط فترة وجيزة، ونُفِّذَ الأمر. أغلق باب غرفة انتظار الممثلين ثانية ببطء، عندما لفت نظره شيء ما. لقد لاحظ أن هناك شيئًا ما ملقى على الأريكة، متهالكًا بالفعل من كثرة استخدامه في العروض التي ظهرت فيها. كان يعتقد أن شخصًا ما قد ترك معطفه ملقى على الأريكة، لذلك رأى أنه من الأفضل أن يتفحص الأمر مرة أخرى.

وكأن أحدًا كان مستلقيًا على الأريكة هناك. بدا له في البداية أنه طفل ولكن بعد ذلك اتضح أنها امرأة، أو بالأحرى فتاة نائمة ويديها مطويتين تحت خدها. ترك شعاع الضوء المنبعث من مصباحه - الذي بدا في البداية أنه لم يزعجها - يتجول فوق جسدها، فقط عندما وجهه بقرب من وجهها، رمشت ثم فتحت عينيها. وقالت:

- اللعنة. شرطي!

ظلت مستلقية ولم تنتفض من مكانها إلى أن أشعل مصباح الغرفة.

كان لها شعر قصير. لم يكن مصففًا، بل بدا وكأنه قد قطِّع بدلًا من قصِّه. كان شعرها داكنًا لا يتناسب مع عينيها الفاتحتين ولها فم صغير بريء كأن لم يُخلق مثله قبل ذلك أبدًا، وتحت أنفها بعض من مخاط جاف.

- عمركِ ربما ستة عشر عامًا؟ أو سبعة عشر؟

فأجابت:

- بل واحد وعشرون، أنا فقط أبدو أصغر سنًّا.

- لكن ماذا تفعلين هنا؟

فقد كان من السخيف بالنسبة إليه أن يخاطبها بصيغة الاحترام "حضرتك".

فقالت:

- أنا لم أسرق أي شيء، فقط نمتُ قليلًا. فعندما خرجتَ وتركتَ الباب مفتوحًا، اعتقدتُ أن ذلك لا يعتبر اقتحامًا عندما يكون الباب مفتوحًا.

فأجابها:

- أعلم!

رغم أنه لم تكن لديه أي فكرة عما تقول.

قالت:

- آمل أن تكون على علم بذلك. باعتبارك شرطيًّا!

❁❁❁

لاحقًا، أحضر الكيس الورقي، الذي يحوي الشطائر وترك لها شطيرة النقانق، رغم أنه لا يحب أكل شطيرة الجبن. أكلت شطيرتها أسرع منه ولكن من دون نهم، لأنها اعتبرت الطعام كالواجب الذي يتعين عليها أداؤه لتكن مستعدة للقادم.

وعندما جاء دور التحلية، أخذت التفاحة من يده وقضمت نصفًا كبيرًا منها فإذا بها تمضغها ووجنتاها ممتلئتان ثم ابتلعتها وشكرته. حينها جال بخاطره أن هذه الفتاة لديها أسنان قوية.

كانت تنظر حولها وهي جالسة القرفصاء على الأريكة فإذا بها تسأله:

- ما هذا المكان؟

فأجابها:

- إن المكاتب بالطابق السفلي ولكن هنا بالأعلى حيث نجلس..

- فهو المسرح.

- هراء! المسرح مكان فخم، فأنا أمر به كل يوم، حيث الأشخاص الذين يرتدون ملابس أنيقة لكنهم في عجلة من أمرهم ولا تحصل منهم على أي شيء.

- الجمهور لا يأتي إلى هنا.

نظرت إليه بريبة، حيث بدت له وكأنها تنظر إلى كل شيء في العالم بشكل مشكوك فيه. ثم انتزعت بإصبعها السبابة خيوطًا بيضاء من ثقب في حشو الأريكة.

وقالت:

- أثاث غريب. لا قطعة تناسب الأخرى.

كان بإمكانه أن يشرح لها أن ما لم يعد قابلًا للاستخدام على خشبة المسرح يضعونه في غرفة انتظار الممثلين، لكنه اكتفى بإيماء رأسه وقال:

- نعم، غريب.

- وأنت أيضًا شرطي غريب.

فأجابها:

- لماذا؟

وكأن هذه الجملة جرحته ولم يستطع قول ما أزعجه.

- لم أرَ شارات رتب الشرطة من قبل، لكنني ملمة بالموضوع. أعرف أنهم يحبون أن يُتعامَل معهم على حسب رتبتهم؛ قائد الشرطة أو القائد العام أو رقيب الشرطة، وأنهم دائمًا ما يحبون أن يُتعامَل معهم برتبة أعلى من رتبتهم، فهذا يغريهم.

- هل لديكِ علاقة كبيرة بالشرطة؟

- إن الشرطة لديها الكثير لتفعله معي، فأنا مدانة بمخالفة إدارية ويرغبون في ترحيلي إلى مدينة أخرى. لكن ها هنا وطني.

قبل أن يجد وظيفته في المسرح، كانت الأوقات صعبة في كثير من الأحيان ولذلك كان يعرف ما يهم.

- ما دام لديكِ إثبات تسجيل محل السكن الخاصة بك في جيبكِ دائمًا..

ضحكت دون أن تضحك عيناها كأنها تفعلها فقط من باب المجاملة، وكأن شخصًا ما قال نكتة سيئة فتضحك كي لا تشعره أنها نكتة سيئة.

قالت:

- شهادة إثبات تسجيل محل السكن شيء جيد، لكن يا لسوء الحظ، يجب أن تكون لديَّ شقة أولًا.

قال لها:

- أو ليس لديكِ؟

- لا، لا غسالة أطباق ولا سرير ذا مرتبة مائية ولا حتى سيارة "رولز رويس".

- ولكن في مكان ما، عليكِ أن..

فقاطعته قائلة:

– أفعل. هنا وهناك وأحيانًا هناك وهنا أيضًا، فمثلًا، اليوم في هذا.. هل هذا المكان مسرح فعلًا؟

فأجابها:

– نعم. هذه غرفة انتظار الممثلين.

– هل تمزح معي الآن؟

وبمجرد أن نظر إليها، هزت كتفيها والتفتت قائلة:

– يمكنك أن تخبرني بأي شيء تافه.

ثم قالت:

– دعنا ندردش معًا. ثم دعني أنام بعد ذلك فترة أطول قليلًا، فهذه الأريكة ليست مريحة.

كانت مستلقية وذراعاها متشابكتان خلف رأسها وبنطالها الچينز به عدة ثقوب، لكن ليس لأسباب تتعلق بالموضة – مثل الذي نشاهده أحيانًا في الشارع – بل لأنه كان قديمًا جدًّا ومهترئًا وما كان ظاهرًا من فخذها كان متسخًا.

قال لها:

– يوجد في الطابق العلوي مكان للاستحمام إن أردتِ..

– وهل ستشاهدني وأنا أفعل ذلك؟ لم يفعل أحد ذلك معي حتى عندما كنت رضيعة.

– لقد أردت فقط أن..

لكنه لم يكن ليعرف ماذا يقول. فمن الأسهل التحدث عندما تكون قد اختلقت غريمك للتو..

أدركتْ كم كان مرتبكًا وضحكتْ عليه، وعندئذ، بدا أن لها سنًا مفقودة في فكها الأسفل من ناحية اليسار. سألته قائلة:

- في أي قسم تعمل؟

كاد يجيب بجملة "بكل الأقسام"، لكنه أدرك في الوقت المناسب أنها لا تتحدث عن أقسام المسرح، ولا تريد أن تعرف كونه ينتمي إلى قسم التكنولوجيا أو الإدارة أو التمثيل. فقال:

- أنا لست شرطيًّا من الأساس.

- ماذا إذًا؟ حراسة خاصة؟

لم يكن يريد قول الجملة التالية، ولكنها خرجت منه كالريح الذي يخرج دون سابق إنذار، فهو أمر غير مقبول ولكنه يجعلك تشعر بالارتياح. قال:

- لقد كنت ملكًا بالأمس.

ضحكت مرة أخرى، ربما تلك الأسنان المفقودة هي التي جعلتها تبدو أصغر سنًا. قالت:

- أنت مجنون، ولكنني أحب ذلك.

كان من الممكن أن تكون هذه هي اللحظة المناسبة التي يمكن أن يشرح لها فيها أن الزي الرسمي الذي يرتديه لا يخصه أصلًا، وأنه كان مجرد زي تنكري، تمامًا مثلما كانت عباءة الملك مجرد زي تنكري بالأمس، لكنه لم يستطع شرح ذلك، حتى هو نفسه لم يفهم ذلك. لكنه يمكنه أن يريها إذا ما وافقت أن تسير معه عبر البهو وتصعد معه الدرج.

- بهو.

قالتها مندهشة. مطت في نطقها ودعتها تذوب في فمها مثل قطعة من الشوكولاتة.

- هذا بالتأكيد ينتمي إلى الجزء الفخم من المسرح.

ظلت واقفة أمام الواجهة الزجاجية الكبيرة، ونظرت إلى الأسفل، حيث ساحة المسرح والشارع، والتي لم يمر من أمامها في هذا الوقت سوى عدد قليل من السيارات، وكل سيارة تمد أمامها شعاعًا من الضوء. قالت:

- غريب. أعرف هذا المكان، لكن من الجانب الآخر، لكنه يبدو من هنا كما لو كان في مدينة أخرى.

لم تستطع رؤيته وهو يومئ برأسه من خلفها، فبدا له أنهما كانا قريبين جدًّا لبعضهما في تلك اللحظة.

في غرفة الأزياء، سمح لمصباحه مخروطي الشكل أن يجول جولة فوق صف طويل من الملابس، حيث كل قطعتين مرصوصتان فوق بعضهما بعضًا، ثم أشعل مصباح النيون، عندها فقط أشعل أضواء النيون. قالت:

- جنون.

لكنه اعتبر ما قالته مجاملة شخصية.

- هذا كله لك؟

قال:

- بطريقة ما.

بدأت باستعراض موكب الأزياء، فألقت نظرة فاحصة على الأكمام المطرزة هنا، وضبطت الياقة هناك. نقرت على درع الفارس بمفصل إصبعها وقالت:

- بلاستيك. لا يوجد شيء حقيقي هنا، أليس كذلك؟

قال:

- لا، هذا فقط من باب الجمال.

- كل شيء هنا جميل ما عدا نحن الاثنين.

ثم حان وقت تغيير ملابسه. طلب منها الخروج حتى ينتهي، لكنها ظلت واقفة مكانها. قالت:

- لقد رأيت رجلًا بالملابس الداخلية من قبل، ومن دون أيضًا.

فقال لها:

- رجاءً!

خرجت من الباب الخاطئ، حيث لم يكن الباب الذي يؤدي إلى ممر الخروج، لكنه شعر بالارتياح الشديد لخروجها لدرجة أنه لم يكترث لهذا.

سرعان ما أعاد الزي الرسمي إلى شماعة الملابس، وارتدى ملابسه مرة أخرى؛ البنطال البني والسترة البالية وفتح باب الغرفة المجاورة.

أرادت فتح الباب.

صاحت بصوت مكتوم كما لو كان رأسها مطويًا تحت بطانية:

- لا تكن عجولًا.

- ما الذي تفعلينه بالداخل؟

- مثلما تفعل أنت.

الآن أصبح الصوت واضحًا مرة أخرى. عندئذ فقط خطر بباله أن غرفة تبديل الملابس النسائية موجود بالجوار. لم يفكر في هذا الأمر من قبل لأنه لم يدخل هناك أبدًا.

- من فضلك اخرجي!

- لا أستطيع أن أكسر أي شيء.

هز الباب رغم أنه كان يعلم أن ذلك لن يجدي نفعًا، فهو يعرف هذا الباب جيدًا؛ إذا أغلقتْ الباب، فسيظل مغلقًا.

نادى عليها مرة أخرى:

- أرجوكِ! هذا الخطأ سيكلفني وظيفتي.

- سأكون جاهزة حالًا.

استغرق الأمر دقيقة أو دقيقتين، لكن بدا وكأنها ساعات. ثم أخيرًا تحرك المفتاح في القفل ودخلت مرة أخرى مرتدية قبعة أسطوانية الشكل. جلس جلسة مائلة على شعرها القصير المستعار والذي لم يكن متناسبًا مع تلك الملابس التي اختارتها؛ تنورة من قماش مصممة خصيصًا لامرأة أطول بكثير، والتي كانت تنجر وراءها على الأرض من فرط طولها في كل خطوة تخطوها. كان القماش ورديًّا ولامعًا مثل الحرير، لكنه على الأرجح مصنوع من خامة رخيصة، وإكليل من الزهور النسيجية بارتفاع خصرها، بالإضافة إلى نوع من المشد الحريمي ذي لون مشابه ولكن من عصر مختلف تمامًا، رفعته بيديها أمام صدرها، وأدارت ظهرها إليه وقالت:

- اربط لي هذا.

لكنه اعترض قائلًا:

- لا يمكنني فعل هذا.

فضحكت وسألته:

- هل تفضل أن أتركه يسقط عني؟

وبالفعل تركت صدريتها تنزلق ببطء شديد، وأظهرت له ثدييها للحظة. صدر صغير وقاسٍ. وعندها، علم أنه ليس لديه خيار آخر، فقام بربط الشرائط بإحكام أكثر من اللازم. وإذا ما آلمها، فلن تسمح له بذلك.

ثم أخذت تدور في دوائر، وبالأحرى حاولت أن تدور في دوائر، لكن المسافة بين الأزياء كانت ضيقة جدًّا لدرجة أن الشريط الذي يحتوي على أزهار صناعية في تنورتها علق في مكان ما وتمزق.

فقال لها:

– كوني حذرة!

– ما حدث فقد حدث.

ثم سألته:

– هل توجد هنا مرآة في مكان ما؟

في غرفة تبديل الملابس، جربت وقفات مختلفة، من الأمام ومن الزاوية وجربت أيضًا أقنعة مختلفة. ثم أمسكت بيده فجأة وقالت:

– هيا بنا نذهب إلى المسرح.

– على خشبة المسرح؟

– ما دام هذا مسرحًا، فلا بدَّ أنه توجد به مساحة كافية. علينا أن نرقص ونحن نرتدي هذه الملابس.

حاول أن يتحدث معها على الرغم من أنه يعلم أنها لن تعطيه الفرصة ليتحدث، لكنه تمكن فقط من إقناعها بأن المسرح ليس المكان المناسب للرقص، خصوصًا مع كل تلك الكليشيهات الثابتة التي كانت لا تزال موجودة من الأداء المسائي، ومع الستار الحديدي الذي لم يكن لديه مفتاحه.

ثم رقصت في البهو، رقصت هكذا وحدها دون الحاجة إلى شريك. بدأت خيوط ضوء الصباح الأول في التسلل عبر الواجهة الزجاجية الكبيرة بالفعل. فكر أنه لم يرَ أي شيء بهذا الجمال، ولم يرَ شيئًا أصابه بالخوف هكذا قبل ذلك.

استدارت وتعثرت ورفعت ذراعيها، فلاحظ أن شعر إبطها أشقر، على الرغم من أن شعر رأسها..

لم يكن شيئًا يخصه، لذا لم يهتم بذلك.

نظر إلى الساعة، ثم نظر مرة أخرى وأخرى. لقد مر وقت بالفعل، الكثير من الوقت.

أحيانًا يأتي تقنيو المسرح مبكرًا، وإذا لم يجدوه جالسًا على كرسيه..

قالت إنها لن تعيد الملابس، أو على الأقل ليس الآن، ربما في غضون أيام قليلة، عندما تمل منها. وقالت:

- لا تقلق، فأنا أملُّ من الأشياء سريعًا.

ثم سألها وكأنه يرجوها:

- إذن هل ستعودين؟

قالت:

- ربما. سوف نرى.

رافقته إلى الطابق السفلي، وعندما أراها كرسيه، أصرت أن يجلس. ثم ارتدت القبعة الأسطوانية الشكل - التي أخذتها "تذكارًا" كما قالت - وخرجت إلى المدينة في تنورة من قماش قطني ومشد حريمي ذي لون وردي.

علق القبعة الأسطوانية الشكل على مسمار خلف كرسيه والذي لم يلاحظه قبل ذلك قط. لقد اعتاد الجميع على وجوده بالهيئة نفسها هناك دائمًا. واظب على الحضور إلى المسرح في الموعد المحدد كل يوم، بالضبط في توقيت انتهاء العرض نفسه. وأكثر ما كان يفكر فيه ويحدث به نفسه: "كان يجب أن أسألها عن اسمها".

يوميات

نعم، أيها القس، أعرف. إنها قصة أخرى عني.

إلى "بارنيه بوكلر"

مرفق طيه فصل العينة المطلوب. أعتذر عن أنها مكتوبة بخط اليد. لم أتمكن من الحصول على آلة كاتبة.

فصل من حياتي

لم أكن أعرف الحروف اليونانية. لم أكن أعرف أي حروف على الإطلاق. بالنسبة إليَّ، كانا مجرد رمزين رسمهما "باخوفن" على صدره العاري.

أعلم اليوم أنه كان الحرف "ألفا" α تحت الحلمة اليمنى والحرف "أوميجا" Ω أسفل الحلمة اليسرى. يمكنني أن أذكر لك المقطع الذي تشير إليه تلك الرموز في الكتاب المقدس: "أنا ألفا وأوميجا، البداية والنهاية، الأول والأخير". في ذلك الوقت، بالنسبة إليَّ، كانت تلك الرموز مجرد أشكال فقط. مثل الموجودة في ورقة التلوين التي يجب أن تلتزم الألوان فيها بحدودها داخل خطوط الرسومات.

كان لدينا في المنزل خمس أوراق تلوين مختلفة، كومة من كل منها، وكنت أعرفها جميعًا عن ظهر قلب. "موسى ذو ألواح الشريعة"، "الرقص حول العجل الذهبي"، "ملوك المشرق"، "عُرس قانا"، "يسوع يمشي على الماء". لا أعرف لماذا كانت هذه العناصر الخمسة فقط وليس غيرها. ربما كان بإمكان والدي المقتصد شراء مخزون متبقٍ رخيص، أو كانت الرسومات بها عيب بسيط لم ألحظه عندما كنت طفلًا. كل يوم أحد، كانوا يضعون لي ورقة منها على طاولة المطبخ، وحدث أنها كانت نفسها مرارًا وتكرارًا عدة أسابيع. قبل أن تُخرج والدتي صندوق الأقلام الملونة من الخزانة، كان عليَّ أن أغسل يدي تحت إشرافها.

كنتُ أفضِّل الرسم بالقلم الأصفر لأنني كنت أتخيل أنه من ذهب.

في كل مرة كنت أؤدي فيها هذا العمل يوم الأحد، كنت أبذل قصارى جهدي. فمثلًا، عمامة "كاسبارس" تتألف من العديد من خانات التلوين الصغيرة، وعندما لوَّنتها كلها بدقة، امتدحوني لذلك، فأعجبني ذلك عنما تأكدتُ أنني جيد في شيء ما.

كطفل صغير، كنت جيدًا بشكل خاص في فن لا يمكنني حتى أن أحلم به كشخص بالغ اليوم. اليوم أنا متلعثم. أتلعثم بشدة. في ذلك الوقت، كان بإمكاني أن أقرأ الشعر دون أن أتعثر في كلمة واحدة. أن أنطق الجمل صعبة النطق: "شــرف فرش شرشف شريف وشريف يشرف على شرف". أحيانًا كان يُسمح لي أن أتلو صلاة الطعام نيابة عن جميع أفراد الأسرة. اليوم لا أستطيع أن أتجاوز عقبة الكلمات القليلة الأولى، لكنني ما زلت أحفظ النص عن ظهر قلب: **"كل جوع لدينا/ نشبعه بعطايا الله/ كل عطش نرويه/ نرويه بمشيئة الله/ كل الشوق يتحقق/ عندما نمتلئ بالرب نفسه تمامًا**

كالطعام". في كل مرة، كنت أحاول عبثًا أن أتخيل الله، شكل الرب الذي نملأ به بطوننا كالطعام. عندما يتعلق الأمر بفهم مثل هذه المواضيع، لا تطرح عائلتنا أسئلة أبدًا. كنا أتقياءً في المنزل وقديسي البلدة الصغيرة.

في اليوم الذي أريد أن أحكي عنه، لم يكن عليَّ أن أقرأ قصيدة، لكن كانت لديَّ مهمة أهم بكثير؛ مهمة الكبار. لم أحصل على قلم رصاص ملون، بل سكين. سكين حقيقي، حيث كنت في منزلنا وكان الطعام مقطعًا سالفًا على طبقي.

لم أكن أعرف كلمة "مشرط" بعد.

قال "باخوفن":

- الأيدي البريئة فقط هي من يمكنها أداء عمل الله.

أومأ أبي برأسه كعادته كلما تفوه صنمه بمثل هذه العبارات. صنمه "باخوفن".

يجب أن تكون هناك علامة ترقيم ترمز إلى أنك تكره شخصًا ما. علامة ترقيم مثل صرخة مثلًا.

"باخوفن"

وحش الابتسامة. التقي المنافق. القديس اللامع المبجل الذي لا تشوبه شائبة.

أطلق على نفسه لقب "الأكبر" وكان معلم كنيستنا الصغيرة. الكنيسة وليس الطائفة هي ما كانت تهمه. كل الآخرين كانوا من الطوائف والمعمدانيين واللوثريين وبالطبع الكاثوليك مع آلهتهم متنكرين في زي القديسين. بالنسبة إلينا، كانت كلمة الكتاب المقدس هي الشيء الوحيد الحقيقي، وإذا ما صادفنا ما يلتبس علينا، فسَّره لنا "باخوفن". عندما كان يؤكد والدي إيمانه بالله، كان يعني بذلك في كثير من الأحيان إيمانه بـ"باخوفن".

لقد أعطاني "باخوفن" هذا السكين بنفسه.

باركني. ناوله لي ثم صمت.

لم يرَ الصبي - الجالس فوق المكتب - "باخوفن" وهو يسلمني السكين. كانت على عينيه عصابة وذراعاه وساقاه مقيدتين. كانت ذراعاه ممدودتين ورجلاه متباعدتين. لم أكن هناك في أثناء الاستعدادات للطقوس، لكنني متأكد أن "باخوفن" لم يكن مضطرًا إلى استخدام العنف. سيكون الصبي فخورًا بدوره، كما كانت أختي فخورة عندما سُمح لها بأداء دور الملاك في مسرحية المهد السنوية.

لقد وضع جُل ثقته فيه. في "فرانتس". ذاك الاسم الشائع. "فرانتس هارتمان".

ربما دغدغه "باخوفن" عندما رسم الحرفين على صدره النحيف. وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أن الصبي قد بذل جهدًا كبيرًا كي لا يظهر ذلك. لأن كل ما يتعلق بـ"باخوفن" كان جادًّا ومهمًّا.

وبالنسبة إلى عائلة "هارتمان" أيضًا، على الرغم من أنهم، كما سمعت والدي يقول عنهم، كانوا متدينين إلى حد ما، وهو ما لم تعارضه والدتي. وعلى الرغم من أنني كنت طفلًا صغيرًا، كنت أعرف أن عدم معارضتها لا يعني الموافقة. كان التناقض عملًا لم تستطع إتقانه. قال والدي:

- هؤلاء الناس لا هم شديدو التدين ولا عديمو التدين.

وأوضح أنهم عاجلًا أم آجلًا سيلفظهم الرب من فمه. ولم أستطع أبدًا حينها أن أتخيل الرب وهو يبصق.

حتى لو كان والدي على حق، وكان تدين عائلة "هارتمان" معتدلًا فقط، عندما انتابهم قلق بشأن ابنهم، كان الحل الوحيد الذي فكروا فيه

هو طلب النصيحة من "باخوفن". لقد أعطوا الكبش للبستاني ليقوم بعلاجه. وضعوا ابنهم تحت نصل السكين بدافع القلق المطلق، أو بالأحرى تحت نصل المشرط.

أفكر أحيانًا؛ أسوأ الأشياء في الحياة تحدث جميعها بحسن النوايا.

شوهد "فرانتس هارتمان"، البالغ من العمر أربعة عشر عامًا، وهو يقبل صبيًّا أكبر منه سنًّا، تلميذ من المدرسة الثانوية. ربما، كما أعتقد الآن، أنها لم تكن قبلة حقيقية على الإطلاق. لقد وضعوا أذرعهم حول بعضهم بعضًا، وحاولوا أن يمنحوا بعضهم بعضًا إحساسًا بالأمان يحتاجون إليه بشكل خاص في هذا العمر. لكن لم يفكر أحد في هذا الأمر من هذا المنظور. كان مجرد اقتراب صبي من صبي، وكل ما عليك فعله هو الرجوع إلى الفصل الصحيح من الكتاب المقدس لمعرفة ما هو مكتوب فيه حول هذا الموضوع.

"لقد فعلوا رجسًا ومن المفترض أن يموتوا". لولا أنه ابنهم، لما شككت عائلة "هارتمان" في هذا الحكم لحظة. لكنهم طلبوا المساعدة من "باخوفن". وابتسم الابتسامة التي كان يتقنها ووعدهم بأن الأمور ستكون على ما يرام. إنه يعرف طقوسًا يمكن من خلالها معالجة شيء مثل هذا بسهولة.

كان "باخوفن" يخترع الطقوس حسب حاجته إليها أو لأنها كانت ممتعة بالنسبة إليه. لقد تطابقوا مع ميوله المسرحية وحقق النجاح معهم بالفعل. في إحدى الحالات التي سمع عنها الجميع، قيل إنه شفى امرأة من إدمانها للكحول. ربما كان الأمر كذلك حقًّا، أو ربما رجعت للشرب في الخفاء بعد ذلك. لكن لا يمكن إنكار أن أساليبه كان لها تأثير على الناس الذين آمنوا به. كان يحب أن تكون الحقيقة هي أنه، "الأكبر"، قد اعتنى

شخصيًّا بالأمر، وهو ما كان يُحدِث تأثيرًا وهميًّا في خرافه التابعين له. لقد ترددت شائعات بأن احتفالاته كانت لها سمات غريبة، وكان من الممنوع على من يحضرها أن يتحدث عنها بعد ذلك. لكن بالطبع انتشرت الشائعات.

الآن أنا، "يوهانس هوزاي" الصغير، يجب أن أكون أيضًا جزءًا من هذه الطقوس. جلست بكل شجاعة على الكرسي الذي أشاروا إليَّ أن أجلس عليه وانتظرته، والمشرط في يدي.

ثم تمتم "باخوفن" بصلاة طويلة. كثيرًا ما سمعت من والديَّ وأيضًا من أخي الأكبر صاحب النزعة التعصبية أن كبيرنا يعرف كل شيء ويفهم كل شيء، وأنه أكثر من مجرد إنسان عادي. وكطفل في الرابعة من عمري، كان هذا يعني بالنسبة إليَّ أن "باخوفن" كان ساحرًا، شخصًا - حيث كنتُ قد رأيت ساحرًا ذات مرة في الشارع - يمكنه سحب أرنب من قبعة أسطوانية. لا توجد طريقة أخرى يمكنني من خلالها أن أشرح لنفسي أنه على الرغم من الكوكبة المنحرفة التي كنت جزءًا منها، فإنني لا أجد أي رعب تجاهه محفورًا في ذاكرتي.

كنا في حرم "باخوفن"، كيفما كان يسمي مكتبه. إن الكلمات العظيمة تفضي إلى التقوى. كانت غرفة رائعة، ليس فقط لطفل مثلي ولكن في العموم. الأرفف الطويلة على الجدران، مع الكتب التي كانت مرصوصة من الأرض إلى السقف، دون أدنى فجوة بينها، كما لو كان هناك العديد من الكتب قد وُجدوا في هذا العالم بالهيئة نفسها التي وضعها بها "الأكبر" على الأرفف، وكان هناك المزيد لا لزوم له. كان لجميع المجلدات الغلاف الأسود نفسه، وظهر كل مجلد مزين بصليب فضي بدلًا من عنوانه. "كلها أناجيل صحيحة"، هكذا كان يقول الجميع عنها بمنتهى التبجيل داخل الكنيسة.

كان الباب الذي دخلت منه إلى الغرفة مبطنًا بشكل كثيف، تمامًا مثل الموجود في عيادات أطباء الأسنان القديمة، والذي يَحُول صراخ المرضى من الألم مما قد يتسبب في قلق في غرفة الانتظار. المكان الوحيد الذي أجلس فيه، مكاني في الوقت الحالي، كان كرسيًّا خشبيًّا عاديًّا، كما لو كان قد اُصطيد من القمامة، قطعة أثاث ذات تواضع فاضح.

لكنه كان مجرد ملحق للمكتب الضخم الذي يملأ الغرفة. ربما لم يكن حجمه لا متناهٍ كما كنت أراه في طفولتي، لكنني ما زلت أتساءل حتى الآن كيف دخل هذا الوحش إلى هذه المساحة الضيقة إلى حد ما. كان لا بدَّ من وضعه في مكانه أولًا قبل إضافة جدار الباب المبطن حوله. (كانت غرفة الصلاة لدينا عبارة عن مخزن، وكان بإمكان "باخوفن" أن يفعل من مخطط الطابق الفارغ هذا ما يحلو له).

المكتب.

كان "فرانتس هارتمان"، البالغ من العمر أربعة عشر عامًا، مستلقيًا معصوب العينين على سطح المكتب - والذي كان يتميز بصليب موضوع فوقه دائمًا، كما أفاد والدي بإعجاب - عاريًا باستثناء مئزر، ويداه وقدماه مقيدتين. في ذلك الوقت، كنت بالكاد قد تعلمت كيفية ربط رباط حذائي، وأتذكر أنني أُعجبت كثيرًا بحرفية العقد أكثر من إعجابي بالمئزر.

بينما كنت أنتظر لأداء دوري، أو بمعنى أدق أنتظر تنفيذ مهمتي، حاولت معرفة كيفية تثبيت قطعة القماش هذه على جسده، كما كان يرتدي "يسوع" مئزرًا في صور الصلب دائمًا، وبصرف النظر عما حدث له، سواء سقط على الأرض بسبب وزنه أو ضربه جندي روماني، أو مهما

كان جسده ملتويًا، لم تتكشف عورته وبقية أعضائه التناسلية مغطاة تمامًا. ربما، كما اعتقدتُ وقتها، أن الأمر يتطلب قوى سحرية لتنفيذه.

وربما، كما أعتقد اليوم، بعد أن جعلتني الحياة شخصًا ساخرًا، لم يكن لدى "يسوع" أعضاء تناسلية من الأساس، لذا كان عليه أن يجعل العالم مكانًا أفضل. كانت صلاة "باخوفن" طويلة للغاية، لدرجة دعتني للتساؤل عن كون الملل في هذه البيئة خطيئة، إذ كان والدي يقرعني على رأسي في كل مرة، إن لم أبدُ منتبهًا في أثناء الصلوات اللامتناهية صباح كل أحد.

أشياء كثيرة كانوا يجعلون منها خطيئة.

دون التفكير في أي شيء، تفحصت شفرة المشرط، فاخترق المعدن المشحذ كرة إبهامي دون مقاومة. عندها تدفق الدم دون توقف. كنت خائفًا لكنني لم أبكِ. فبالرغم من كل شيء، كان من المفترض أن أكون ولدًا كبيرًا في ذلك اليوم.

هذا بالضبط ما قاله لي والدي:

– كن ولدًا كبيرًا!

مثل أي زائر عادي، قرع "باخوفن" جرس باب شقتنا. ركض أخي، المولود طَمُوحًا بطبعه، تجاه الباب. نادى والدي من الداخل قائلًا:

– إذا كان هؤلاء "المورمون" مرة أخرى، أخبرهم أن يتركونا وشأننا!

لم يكونوا طائفة "المورمون"، بل كان هو.

حتى عندما كنت طفلًا صغيرًا، كنت مدركًا قوانين معينة. لذا كانت فكرتي الأولى الصادمة هي: "لا بدَّ أن أحدنا سوف يموت". لأنني كنت أعرف ذلك بالفعل في هذا العمر. كانت هناك مناسبة واحدة فقط يمكن أن تحرك "باخوفن" لزيارة أحد أبناء الرعية؛ ألا وهو عندما يتعلق الأمر

بمنح شخص ما آخر بركة قبل إغلاق عينيه الإغلاق الأخير. أو إذا ما أردنا أن نقول إن شخصًا ما مصاب بمرض خطير لن يبقيه على قيد الحياة، فهذا يعني "أن يقف باخوفن على بابه".

الآن يقف بالفعل شخصيًّا أمام بابنا، على الرغم من أن لا أحد منا كان مريضًا. دفع أخي جانبًا الذي لا بدَّ أنه كان يحدق إليه بفم مفتوح، ودخل عبر الردهة ووقف في مطبخنا، وهو حدث غير متوقع بشكل رائع، كما لو كان أحدنا قد صلى قبل تناول الطعام وقال: "تعال أيها الرب يسوع، كن ضيفنا!"، وابن الله قد قبل الدعوة بالفعل.

جلس بجانبنا، وعلق منديل المائدة في ياقة قميصه، وسأل:

- حسنًا، ما الذي لديكم من طيب الطعام اليوم؟

لم يعلم أحد كيف يتعامل مع هذه الزيارة غير المتوقعة. كان "باخوفن" محترفًا في كيفية توصيل الإنسان إلى حالة من التوازن. غالبًا ما يكون علماء النفس الجيدين مجانين. قال:

- أوه نعم.

كما لو كان الأمر يتعلق بشيء غير مهم على الإطلاق.

- أوه نعم، ابني العزيز!

الابن العزيز في هذا السياق كان والدي.

- أريد أن أطلب منك خدمة بسيطة.

هذه الخدمة الصغيرة كانت أنا. لهذا السبب جاء "باخوفن" وأراد أن يستعيرني بضع ساعات. تمامًا مثلما تقترض جاروفًا من جارك. قال "باخوفن":

- يعتقد الكثير من الناس أن مشكلات معينة لا يمكن أن تنشأ في كنيسة مثل كنيستنا. لكن هذا خطأ. بالضبط مثلما يجاهد الناس من أجل القداسة فقط.

عند هذه النقطة، كان وكأنه قد صلب نفسه.

- بالضبط هناك، بالتحديد حيث يضيء النور الإلهي بشكل ساطع بشكل خاص، يحب الشيطان أن يترك شياطينه تتجمع حوله.

بالطبع لم يقل ذلك حرفيًّا بهذه الطريقة، لكنني كطفل صغير كنت أفهم محادثات الكبار وفقًا لمشاعرهم أكثر من محتواها. لكن الشياطين كانت مألوفة بالنسبة إليَّ، تمامًا مثل أي طفل قرؤوا له ذات مرة قصص "جريم" الخيالية أو قصة الساحرة الشريرة أو قصة الغول آكل البشر. لقد ظهروا بانتظام في أحاديث والديَّ، والتي كانت في الغالب ما تأتي في صورة مونولوجات بينهم وبين نفسهم فقط.

قال "باخوفن" إن مثل هذا الشيطان تسلل إلى طائفتنا واختار أضعفهم ضحية. لقد توسل إلى الله أن يرشده ويلهمه الصواب، فقال له: "لكي يطرد هذا الشيطان، يحتاج إلى روح نقية تمامًا كرفيق ليحارب معه، لأنه لا يوجد شيء لا يطاق لرسول من الجحيم غير النقاء". قال "باخوفن":

- يجب أن يكون طفلًا بريئًا بجانبي. سيف خشن. وهذا السيف هو "يوهانس هوزاي".

كنتُ قد رأيت ذات مرة أطفالًا في الشارع يلعبون لعبة الفرسان ويحملون سيوفًا خشبية، لذلك ما فهمته من كلام "باخوفن" أنه يعرض عليَّ شيئًا مشابهًا. ابتسم "باخوفن" وقال:

- دع الأطفال يأتون إليَّ.

وقال والدي:

- كن ولدًا كبيرًا!

كان الإبهام الذي وضعته في فمي لا يزال ينزف وكان للدم طعم معدني. لحسن الحظ، لم ينتبه لي "باخوفن"، وإلا لكان ظن أنني طفل صغير ما زال يمص إبهامه.

كان لا يزال يصلي. أحيانًا كان يتجهم وكأنه أحس بألم مفاجئ أو يرمي رأسه إلى جانب بعنف كما لو أنه صُعق بالكهرباء. كان الاستماع له ومشاهدته بالنسبة إليَّ أشبه بالتنويم المغناطيسي، تمامًا مثلما تُدخلني متابعة حركات تسلل الدب القطبي البطيئة داخل حديقة الحيوان في غيبوبة.

تدريجيًّا، وتماشيًا مع حركاته المتشنجة، بدأت أصوات تتحد مع تلك الحركات. في البداية كان هناك صوت واحد فقط، ثم بدأت الأصوات في الازدياد واحدًا تلو الآخر. لم يكن صوتهم موحدًا في كلمات واضحة، لكن هذا لم يُخِفْني أيضًا. كنت هناك عندما بدأ شخص ما فجأة بالتحدث بكلام في أثناء الصلاة، وكان الناس من حولي ينظرون إليه على أنه علامة على قداسته الفريدة.

- هذه هي لغة الله!

بهذه الكلمات، صرخ "باخوفن" ورفع ذراعيه في الهواء بنبرة غنائية، كما لو أن فريقه المفضل قد سجل هدفًا.

بدأ يتحدث مع تلك الأصوات بنبرة تساؤل، ثم صاح فيهم مرة أخرى داخل الغرفة بنبرة اتهام. وبين الحين والآخر، مثل أي شخص يغش في أثناء اللعب، كان يفتح عينيه فترة وجيزة للغاية، وبدا لي أنه نظر خفية إلى

الصبي العاري على مكتبه منتظرًا منه رد فعل وكان يضاعف جهوده، إذا لم يصدر منه صوت آخر مجددًا.

حتى ارتعد "فرانتس" عندما سمع كلمة ما من التي تفوه بها "باخوفن".

أصبح من الواضح لي اليوم بالطبع أنه لا توجد أي علاقة على الإطلاق بين ما حدث وبين كتم "فرانتس" نوبة سعال أصابته أو ردة فعله تجاه تقلص أصابه في أحد أطرافه المقيدة، لكن "باخوفن" اعتبرها إجابة. لذا أعاد الكلمة نفسها مرارًا وتكرارًا، بنبرة الانتصار نفسها التي استخدمها أخي ليعلن فوزه عندما هزمني في إحدى ألعابنا الطفولية.

- "بافومت"! "بافومت"! "بافومت"!

إنه اسم الشيطان كما علمت منذ ذلك الحين. شيطان قوي بالنسبة إلى أولئك الذين يؤمنون بمثل هذه الأشياء.

الشيطان الذي أراد طرده من جسد "فرانتس هارتمان"، لأن "فرانتس هارتمان" قبَّل فتى آخر.

ربما كان شاذًا، وحتى لو، بالنسبة إلى طفل في سنه يعتبر شذوذًا جنسيًّا في طور اليرقات، شيء لم يكن حتى يعرف باسمه. أرض غير مستكشفة. بالنسبة إليه.

لكن "باخوفن" اعتقد أنه كان مسكونًا بالشيطان.

- "بافومت"، اترك هذا الجسد.

صرخها في وجهه. وصاح بعلو صوته في أثناء التفوُّه بها وانحنى بالقرب منه.

لن يشرحوا لـ"فرانتس" سبب رغبة "باخوفن" في حضور هذا الاحتفال. سيكونون في غاية الإحراج عندما يقولون له: "اسدِ إلى "الأكبر" معروفًا، فهو بالطبع له أسبابه!".

بالتأكيد كانت لـ"باخوفن" أسبابه. لقد كانت فرصته ليعيش أوهام العنف الخاصة به، ألا وهي ممارسة السلطة على الأجساد الغريبة.

على حسب اعتقادي اليوم، إذا كان "فرانتس" تلوى أو صرخ، أو لو كان أغمي عليه، ربما كان "باخوفن" سيكتفي بهذا النجاح في طرد الشيطان وكان لن يأتي دوري أبدًا. لكن "فرانتس" لم يقاوم. ولم يحاول حتى تفادي اللعاب الذي يقطر فوق وجهه.

لقد شاركه اللعب، لأن "باخوفن" كان لا يزال "باخوفن" بالنسبة إليه؛ الرجل الذي كان عليه أن يضحي من أجله.

كل ما حدث حتى الآن كان مزعجًا، لكنه لم يكن مؤلمًا حقًّا. لم يكن هناك دم يسيل حتى الآن إلا الذي سال من إبهامي. كان السيف غير المشحوذ بمشرطه غير المشحوذ لا يزال جالسًا هناك منتظرًا في منتهى الإخلاص، وإبهامه في فمه.

حتى أشار لي "باخوفن" بأن آتي لأجلس بجواره.

أعليَّ حقًّا وصف هذه الطقوس؟ لقد فعلت ذلك على أريكة اثنين من علماء النفس المختلفين ولم أشعر بأي راحة. ما زلت أتلعثم.

ربما يكون التدوين علاجًا أكثر فعالية. عندما رفض "بافومت" الخروج من جسد الصبي، على الرغم من الإلحاح عليه في الطلب، اعتدل "باخوفن" وأومأ برأسه لي كمايسترو يعطي عازفه المنفرد إشارة البدء.

كنت سعيدًا، ما زلت أتذكر، أنه سُمح لي بالبدء مع حرف "ألفا"، حيث بدا لي أن حرف "أوميجا" كشكل كان معقدًا للغاية.

انتبهتُ إلى أنه لا يتعين عليَّ الضغط بقوة على إبهامي باستخدام هذا السكين لإحداث قطع به. لذا كل ما فعلته هو وضع النصل بحذر شديد عند نهاية الحرف المكتوب على جسد الصبي.

الذكريات لها قواعدها الخاصة ولا تتبع أي منطق. أكثر شيء أتذكره هو انزعاجي من أن "فرانتس هارتمان" ألقى بنفسه بمنتهى اللامبالاة من جانب إلى آخر، وهذا ما جعل من المستحيل بالنسبة إليَّ قطع خط نظيف مستقيم على صدره بالنصل.

أردت أن أترك انطباعًا جيدًا عند "باخوفن". وكان إصبعي لا يزال ينزف، لكن لم يلحظ أحد، فقد كان "فرانتس هارتمان" ينزف أكثر بكثير. كان لا بدَّ أن يصرخ أيضًا، وأعتقد أن هذا منطقي ولا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك.

ما لا يزال بإمكاني سماعه والتفكير في سماعه هو صوت "باخوفن" الذي يطلب من الشيطان الشرير "بافومت" الانصراف. صوته في رأسي لم يكن صوت تهديد، لكنه صوت سعيد. صوت شخص استطاع أخيرًا فعل شيء كان يتطلع إلى فعله منذ فترة طويلة. في مرحلة ما، انزلقت العصابة عن عينيَّ "فرانتس هارتمان" ونظر إليَّ وكأنه عجل ينظر إلى جزاره خائفًا وهو لا يفهم ماذا يحدث. واستمر المئزر ثابتًا طوال الوقت.

حتى مع حرف "أوميجا"، لم يكن القطع الأول دقيقًا. وهو شيء لا يدعو إلى الفخر كطفل صغير. لكن بعد ذلك استلقى "فرانتس" فجأة

وتمكنتُ من إنهاء مهمتي دون إزعاج. ربت "باخوفن" على رأسي وأخذ المشرط بشفرته الملطخة بالدماء وقال:

- من فضلك انتظر بالخارج!

في غرفة الصلاة الفارغة التي لم أدخلها مطلقًا من دون رفقة والدي، كنت خائفًا أكثر مما كنت عليه في أثناء ممارسة كل الطقوس. كانت الغرفة مظلمة والكراسي الفارغة تبدو وكأنها حيوانات يمكنها مهاجمتي في أي وقت. بين الحين والآخر، مرت سيارة وكأن مصابيحها الأمامية كانت تبحث عني.

منذ ذلك اليوم فصاعدًا، انتشر على مستوى الطائفة بأكملها وبكل فخر أن "فرانتس هارتمان" لم يعد مثليًّا. انتقل والداه معه إلى مدينة أخرى بعد فترة وجيزة، وبعد بضع سنوات، عاد إلى بلدتنا بمفرده وانضم مجددًا إلى طائفة "باخوفن". لم أفهم لماذا فعل ذلك إلا في وقت لاحق. ولكن هذه قصة أخرى.

كل الأطباء النفسيين الذين ذهبت إليهم أكدوا لي أن تلعثمي لا علاقة له بهذه التجربة.

يوميات

اكتب. اكتب. اكتب.

يجب أن تكون قادرًا على إخبار شخص ما، لكن لا يوجد أحد. وحتى لو كان هناك أحد.

لو كان "كونتسه" كاثوليكيًّا، لكنت اعترفت أمامه، لأنه لم يكن ليخبر أحدًا.

لا تتحدث عن هذا الأمر أبدًا. لا لأي مخلوق على وجه الأرض.

قلبي ينتفض ويكاد يخرج من صدري. هذه أكثر من أن تكون مجرد عبارة لا معنى لها.

ماذا لو سقطت ميتًا الآن ووجدوا جثتي أمام هذه اليوميات وقرؤوا ما كتبته واكتشفوا كل شيء؟

فقط عندما أموت، لن أبالي بشيء.

كنت قد سمعت بالفعل شائعات بأنه سيطلق سراحه. لم يفاجئني ذلك. لقد نظَّم كل شيء هنا وهو أكثر فائدة في الخارج عنه منه هنا. ويرجع ذلك إلى قيادته الحكيمة خلال السنين الماضية.

الأمر الآخر.

يعتقدون هنا أنني صديقه، أو شريكه. وكلاهما ما يمنحاني وضعي هنا. في عرف حكم الغابة هنا، العلاقات المفيدة أهم من تكوين العضلات. في ذلك الوقت، اعتقد بعض المعلمين في مدرسة السجن أنني و"نيلز" صديقان. فقط لمجرد أنهم كانوا يروننا معًا كثيرًا.

أنا لست صديقه، أنا مفيد له، وهذا شيء آخر. كنتُ مفيدًا له. ويمكن أن أكون مفيدًا له مرة أخرى. فالمصلحة لم تنتهِ بعد. حتى لو أُطلِّق سراحي لن ينتهي الأمر.

أي شخص يلطخه سوء الحظ، لن يكون صاحب أيدٍ نظيفة أبدًا مدى الحياة.

لطِّخ نفسك بنفسك. إذا أردت أن أخترع كلمة مناسبة لما فعلته، فلن يستطيع أحد أن يبتكر ما هو أفضل.

لـــــــطِّـــــخ نفسك بنفسك.

اكتب ما حدث بالتتابع.

في الأسابيع القليلة الماضية، جلس بجواري مرتين في غرفة الطعام. في المرتين قفز من كانوا يشاركونني طاولة الطعام وبحثوا عن مكان آخر. كما لو كانوا لديهم شيء ليتحدثوا فيه على انفراد. دائمًا كان هناك مقعد شاغر له في انتظاره داخل قاعة الطعام، لذا لم يكن بحاجة إلى الرجل المفتول العضلات الذي يتبعه. كان وجود هذا الرجل مجرد استعراض محض. في الواقع أنا لم أره من قبل يأكل ولو حتى قضمة.

قالوا عنه إنه أحضر معه إلى السجن نصف دستة من الشعر المستعار، وإن كان ما قالوه صحيحًا، فإنني لم ألحظ أي فرق بينهم.

اللعنة على الشعر المستعار، فلتكتب ما حدث!

نُسِّق لسير العملية تنسيقًا جيدًا. كانت الورقة التي تحتوي على الرسالتين التاليتين مطوية وجاهزة في جيبي. وعندما أتى، أخرجت الورقة ووضعتها على الطاولة دون أن أنطق بكلمة. وهو أيضًا أخذها دون أن يتفوه بأي كلمة، من دون ابتسامة سخرية، كما لو كان يمرر الورق للاعب "بوكر" بارع. دائمًا ما كنت أكتب رسالتين على الورقة نفسها. رسالة غرامية والرد عليها، بخط صغير جدًّا على ورقة رقيقة، مطوية كأوكورديون صغير.

اليوم، ترك الورقة على حالها موضوعة على الطاولة. وهز رأسه بطريقة غير لافتة، وكأنها نسخة مصغرة من تعبير عن رفض.

انتظرتُ. لأنه ليس ممن تُوجه إليهم الأسئلة. وإذا ما أراد أن يجيب عن أسئلة، فهو نفسه من يطرحها.

أخذ شريحة من الخبز وبدأ بتقطيعها إلى مربعات صغيرة متساوية، ثم رصَّها فوق بعضها بعضًا، أطلق إصبعه تجاه برج قطع الخبز فانهار. ثم تحدث بصوت منخفض وقال مبتسمًا:

– لقد حُلَّت المشكلة.

أو بتعبير أدق؛ كانت نبرة صوته وكأن بداخله شخصًا يبتسم. ثم قال:

– كان مجرد حادث. لقد فارق صديقنا الحياة.

لم يقل "كاريل" وإنما قال "صديقنا".

ثم واصل حديثه قائلًا:

– كان أحد ضحايا الشغب في المنطقة رقم 2. مجرد ضحية.

قبل تلك اللحظة، لم أكن أعرف من هو القتيل.

لماذا لم يصدمني ما أخبرني به؟ كان ينبغي أن تكون صدمة. لكن لم تكن هناك سوى فكرة واحدة: ما حدث كان حلًّا أنيقًا لمشكلته.

هل أصبحت متبلد الإحساس؟ بلا أي شعور بتاتًا؟ في السابق، عندما سمعت بحادث الراعي "دورفمان"، والذي لم يكن يمثل لي أي شيء على الإطلاق، كان رد فعلي مختلفًا.

دائمًا ما كنتُ أجامل نفسي بسبب الشخص غير الأخلاقي الذي كنت عليه. وربما كانت أكثر من مجرد مجاملة. لقد تحول النظام الإحداثي الخاص بي كلية.

بالطبع لم يكن حادثًا، ولم يكن "كاريل" ضحية عشوائية. مات لأن الشغب في المنطقة رقم 2 نشب بالتحريض خصوصًا لهذا الغرض. لقد خُطِّط للعملية بعناية، تمامًا مثل معارك حانات "السالوون" في الغرب الأمريكي.

لا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك.

يا له من حل أنيق! هذا ما فكرت فيه. لكنه أيضًا شيء محبط، لأن ما حدث يعني أن وظيفتي قد انتهت.

لم أعطِ الفرصة لأحد أن يلاحظ شيئًا وواصلت البحث عن فرصة مشابهة لأغتنمها. لقد فهمت قواعد اللعبة. هنا في السجن، حياة الإنسان ليس لها قيمة من الأساس.

أخذ "المحامي" قطعة الورق الصغيرة التي كانت لا تزال على المنضدة بأصابعه المدببة وأسقطها في طبقه، فامتصت ببطء الصلصة مثل الضمادة على الجرح النازف. كنت أتوقع منه أن يقف وينصرف، لكنه ظل جالسًا. لأنه لم ينتهِ من أمري بعد، وقال:

- بصرف النظر عن المتورطين في هذا الأمر، أنت الوحيد الذي على علم به.

هذا الكلام يمكن فهمه على أنها مجاملة أو تهديد، بمعنى إذا حدث تسريب لأي معلومة، فسوف يعثرون عليَّ.

ثم أردف قائلًا:

- يجب ألا نرى بعضنا بعضًا مرة أخرى. حتى عندما تخرج، فلن يكون هناك بيننا أي اتصال. لكننا بالتأكيد سنسدد ديوننا. سمعت أنك الآن بصدد كتابة كتاب. كما سمعتُ.

بالطبع أنت تسمع كل شيء.

- سيكون كتابًا ناجحًا، ما دمت أنا لست فيه.

ثم غادر. كانت الورقة المكتوب عليها رسالتا الحب اللتان كتبتهما لا تزالان في صلصة اللحم.

الآن كُتِبَ كل شيء.

لم يكن "المحامي" قادرًا على إمداد رئيسه بسعادة أن يكون محبوبًا لشخصه. ولكن بالنسبة إلى شخص يبحث عن تلك المشاعر العظيمة، يمكن أن يكون هذا الحزن الدرامي على فقدان حبيبه مرضيًا له أيضًا.

كما أفترض.

لا تفكر في ذلك. إن التفكير لن يغير أي شيء. الكتاب أكثر أهمية الآن. يود "بوكلر" أن يمضي عقد الكتاب معي، لكنه لا يجرؤ على فعل ذلك بعد. كمن يقف على لوح قفز يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار وينتظر أن يعطيه أحدهم دَفعة. لن يستطيع أن يقاوم الفصل التالي الذي سأرسله إليه.

إلى "بارنيه بوكلر"

إليك عينة أخرى من الكتاب بناءً على طلبك. لم يكن من السهل عليَّ أن أضع هذه القصة على الورق. لكنها جزء من الكتاب لأنها جزء من حياتي.

فصل من حياتي

لقد أُدِنتُ بتهمة الاحتيال، لكنني مذنب بارتكاب جريمة أخرى، هذا في حالة إن كان هناك تطبيق لعدالة حقيقية وليست مجرد لعبة اختباء بين مواد القانون، أو إذا كانت آية الكتاب المقدس "العين بالعين، والسن بالسن" لها بالفعل صلاحية على أرض الواقع.

لقد قتلت شخصًا ولم أُعاقب على ذلك.

لم أقتل بدافع عاطفي أو بسبب الغضب. لم أكن في حالة سكر ولم أكن مُخدَّرًا. الملابسات المخففة التي أقولها لنفسي لن تجدي نفعًا أمام أي محكمة في العالم، هذا إذا كانت هناك أي عدالة.

إلى عدالة المحكمة، ها هو اعترافي:

كان اسمها "شباكمان"، "إلسا شباكمان". كانت تبلغ من العمر 82 عامًا وتفوح منها رائحة النعناع دائمًا، كان سببها الخمور التي تشربها بانتظام، ولأسباب طبية بحتة، طبقًا لما أوضحته لي أن النعناع مفيد للعديد من الأشياء، للمعدة والرأس مثلًا. قالت لي ذات مرة:

- لم أكن لأتقدم في السن من دون كأسي.

"إلسا شباكمان"

كانت دائمة التجول داخل شقتها وهي ثملة، تخطو بمشقة خطوات صغيرة. وكان لا بدَّ أن تربط ساقيها كل صباح بأربطة ضاغطة، وهو الأمر الذي كانت تفعله بشق الأنفس لسنوات حتى توليتُ أنا المهمة بعد ذلك. كان لديها ترهل حول عينيها، وشعرها خفيف وظهرها محني. كانت دائمًا ما تقول إنها لا تزال سعيدة، وأن "السعادة كالماشية، تبحث عن مثيلاتها". كان لديها كنز دفين من حكمة عتيقة، أحبَّتها بقدر ما كانت تحب البضائع الرخيصة خلف نوافذ العرض. في أول يوم التقينا فيه، أطلعتني على مجموعتها من قنافذ "ميكي" بفخر كما لو كانت التماثيل مصنوعة من خزف مدينة "مايسن".

كانت تصر أن أناديها بالأم "شباكمان"، مثل الأم "بيمر" في الحلقات التليفزيونية المعروفة. كان مسلسل "شارع شجر الزيزفون" هو أهم حدث أسبوعي بالنسبة إليها ومن غير المسموح أن يزعجها أحد في أثناء المشاهدة. غالبًا ما كانت تقول عندما تنتهي إحدى الحلقات:

- أرأيت يا سيد "فريدريش"؟ نحن أفضل حالًا بكثير من هؤلاء الأشخاص.

يجب هنا أن أوضح أمرًا ما.

لم أقدِّم نفسي لها باسمي الحقيقي، ولم أكن لأفكر حتى في ذلك. الكذب مثل التدخين؛ بمجرد أن تبدأ في فعله، ستفعله تلقائيًّا. كنت ما زلت صغيرًا جدًّا في ذلك الوقت، لكنني تعلمت بالفعل أنه لا يجب أن تكشف عن نفسك للأشخاص الآخرين قدر الإمكان. ويجب أن تخترع ما ستكشفه بعناية سالفًا. كانت هذه دائمًا أهم قاعدة، هذا ما عرفته لاحقًا من خلال وظيفتي.

(قس السجن كان يغضب بشدة عندما أقول كلمة "مهنتي"، وقال إن المسار الإجرامي لا يمكن أبدًا أن يكون مهنة. ولكن ماذا عساني أن أسميها، تلك الحرفة التي كنت أجني منها رزقي مدة ربع قرن تقريبًا؟).

الأم "شباكمان".

لو كان الطقس مختلفًا في ذلك الصيف، ما كنت لألتقي بها أبدًا. كنا لن نتبادل ولا كلمة واحدة. كانت ستذهب في طريقها وكنت سأذهب في طريقي، بعد أن سرقتها.

كنت أعيش في ذلك الوقت على حد الكفاف ولم أملك رفاهية الاختيار من أطعمة طيبة. كنت أتأرجح من عمل مؤقت لآخر دون أن أصمد في أحدهم فترة طويلة، وهو ما كان خطئي إلى حد كبير، على الرغم من أن ذلك لم يكن رأيي آنذاك. نظرًا إلى أنني لم أكن قوي البنية، اعتقدت أنني كنت مثقفًا، لكن المصطلحات الجوفاء لا تجعلك مشهورًا، كأن تعرف الماء بعد الجهد بالماء، خاصة إذا كنت تتلعثم عند قولك ذلك أيضًا. ذات مرة، ما زلت أتذكر، طُرِدتُ قبل أن أنهي أحد أقوال "شوبنهاور"، أردتُ الاستشهاد به.

كان السكن الوحيد الذي استطعت دفع إيجاره هو غرفة في شقة فوضوية. لم يكن مكانًا للراحة المنزلية، لقد ذهبت إلى هناك فقط للنوم. كنت

أفضل التسكع في الشوارع ساعات، أو أخطف شطيرة من فوق أحد محال الوجبات السريعة أو أسرق تفاحة من واجهة عرض بائع خضار.

في إحدى هذه المداهمات، رأيت الأم "شباكمان" أول مرة. كانت قد اشترت نصف كيلو تقريبًا من البطاطس، وربطة من الجزر، وخسًّا. وفي أثناء انشغالها بدفع الحساب ووضع الخضروات بعشوائية في حقيبة التسوق، تركت محفظة النقود الخاصة بها جانبًا. بالطبع أخذتها على الفور، لأن الأخلاق ترف للناس الذين يستطيعون دفع ثمنها.

كان المبلغ بداخل محفظة النقود متواضعًا. لاحقًا عرفتُ عنها أنها لم تكن متساهلة أبدًا بشأن النقود. كانت دائمًا تأخذ القليل من المال معها عندما تذهب للتسوق. قالت:

– لقد سُرِقَ مني مبلغ كبير. لا يمكن أبدًا التهاون مع هؤلاء الأشخاص.

لكنها لم تكتشف أبدًا أنني أحد هؤلاء الأشخاص أيضًا.

كان كل شيء سيختلف لو لم يبدأ المطر. كنت سأضع المحتويات الرثة لمحفظة نقودها في جيبي وأمضي قدمًا. لم نكن لنبدأ محادثة، ولن نصبح أصدقاءً، ولم أكن لأنتقل للعيش معها.

ولم أكن لأقتلها.

لكنها بدأت تمطر، عاصفة رعدية صيفية مفاجئة عنيفة، ولم أشعر بالرغبة في أن تبتل ملابسي.

ربما لو كان هناك مقهى في الجوار، لكان بإمكاني انتظار انتهاء هطول الأمطار. كان المال المسروق كافيًا لشرب فنجان من القهوة. لكن لم يكن هناك أي مقهى في أي مكان.

ما لا يمكنك الحصول عليه في مسارات مستقيمة عليك أن تجربه بطرق ملتوية. لذا ركضت خلف السيدة العجوز تحت المطر، وتحدثت معها على عتبة باب منزلها. وقلتُ:

- لقد تركتِ محفظتكِ هناك قبل قليل.

وعندما عرضتُ عليها حمل حقيبة التسوق الخاصة بها لسحبها على درجات السلم الثلاث، اقتنعتْ أخيرًا أنني أفضل شاب قابلته على الإطلاق. حملتُ حقيبتها إلى المطبخ ثم قلتُ:

- حسنًا، سأخرج إلى المطر مرة أخرى.

لكنها بالطبع دعتني لتناول فنجان من القهوة قائلة:

- انتظر حتى تنتهي العاصفة الرعدية.

وهذا بالضبط ما أردت تحقيقه برغبتي في المساعدة.

طحنت حبوب البن يدويًّا وأوضحت أن مطحنة القهوة الكهربائية الخاصة بها معطلة منذ فترة طويلة. قيل لها في المتجر إنها لا تستحق عناء إصلاحها، وأن عليها شراء واحدة جديدة وقالت:

- لكن هذه المطحنة أهداني ابني إياها، ولا يمكنني استخدام أخرى.

حكت لي أن ابنها يعيش بالفعل في أمريكا منذ فترة طويلة، فهو يعمل مهندسًا في شركة طائرات، ومتزوج أيضًا ولديه ثلاثة أطفال، ولكن بعد ذلك انفصلت عنه زوجته وهو الآن يعيش بمفرده - مثلي - ونادرًا ما يرى أطفاله. لقد وعدها قبل فترة طويلة بأنه سيأتي لزيارتها قريبًا، لكنه كان رجلاً مهمًّا في شركته وليس من السهل أن يحصل على إجازة. قالت:

- لقد اتخذت قرارًا حازمًا، بمجرد أن يصل ويرى أنني ما زلت أحتفظ بالمطحنة، سأرميها وأشتري واحدة أخرى.

ثم ضحكت على نفسها من ذاك المنطق الملتوي.

أجرينا حوارًا من طرف واحد، كما اعتدنا أن نفعل ذلك لاحقًا. كانت تتحدث وأنا أستمع، وكان ذلك أفضل بالنسبة إليَّ، وليس فقط بسبب تلعثمي. كنتُ قد هربتُ لتوي من بيئة عائلية ذات عقاب شديد ودائم، وإهمالهم لي أفادني.

الأم "شباكمان". المرأة التي قتلتها.

في اليوم الأول، شربنا القهوة معًا، ثم تناولت كوبًا من الخمر المسكَّر بالنعناع. وعندما انتهت من الحديث، أرادت أن تعرف بعضًا من المعلومات عني. وعندما سمعت أنني كنت أبحث عن مكان للإقامة بأسعار معقولة، ابتسمت لي كما لو كنت قد قدمت لها هدية وقالت إن هذه المشكلة حلها بسيط. نظرًا إلى وجود غرفة ابنها خاوية، وفي حالة ما إذا جاء حقًّا من أمريكا، فباستطاعتها تدبير الأمر بكل تأكيد. وأخبرتني أنه ليس هناك داعٍ للتحدث عن الإيجار، حيث يمكنني الذهاب للتسوق لها بين الحين والآخر، لأن هذا يُعدُّ مقابلًا أيضًا. ثم خاطبتني بسرعة بضمير الخطاب "أنت"، بينما خاطبتها طوال فترة معرفتنا بصيغة "حضرتك". كنت أتحدث إليها دومًا بصيغة "حضرتك، الأم "شباكمان".

لم يتغير شيء في الغرفة منذ خروج ابنها منها. كانت نماذج الطائرات محلية الصنع لا تزال معلقة في السقف، والتي قدمتها لي بشكل فردي كما لو كانت تقدم لي بعضًا من أفراد أسرتها. قالت لي:

– هذه هي الطائرة المقاتلة "سبيتفاير" Spitfire، وهذه هي الطائرة المقاتلة "موسكيتو" Mosquito، أما هذه فهي الطائرة المقاتلة "جنكيرز" Junkers. بالمناسبة، سيكون ذلك مزية أيضًا إذا انتقلت للعيش هنا، على

حسب قولها، حيث يجب إزالة الغبار عن هذه النماذج بانتظام، وأنها كانت تجد صعوبة في الوقوف على كرسي لتتمكن من تنظيفها. وهو ما يمكنني فعله في المستقبل. كان السرير مرتبًا حديثًا، كما لو كانت تتوقع قدومي. وكانت عليه وسادة كبيرة لها غطاء أبيض بإطار من الدانتيل.

أحضرتُ أغراضي من السكن المشترك حيث سكنتُ. وفي أثناء ما كنت أضع متعلقاتي الصغيرة في الخزانة، وجدت مجموعة نماذج لطائرات من طراز "ميسرشمت" Messerschmitt يرجع تاريخها إلى الحرب العالمية الثانية موضوعة تحت زي كشافة مطوي بعناية.

ربما لم يتمكن ابن الأم "شباكمان" من تجميع القطع معًا.

(الآن فقط، عندما أستدعي كل هذا على الورق، لاحظتُ أن مضيفتي، على الرغم من كل الثرثرة، كانت دائمًا تقول "ابني"، ولم تعطني اسمه أبدًا، تمامًا مثلما أفعل عندما لا أعطي لأفراد عائلتي اسمًا في هذه اليوميات. ربما كان هناك شيء أرادت أن تنساه).

لقد عشت في هذه الغرفة مدة عامين تقريبًا مع ملصق "نيل آرمسترونج" على ورق الحائط الزهري الباهت، ولم أشعر قط بشعور راحة البيت في أي مكان إلا هناك. على الرغم من اعتلالاتها الجسدية، كانت الأم "شباكمان" تتمتع بموهبة الرؤية الإيجابية دائمًا في كل ما حدث لها. لدرجة أنها إذا دعستها سيارة، لكانت ستشعر بالسعادة أنها وصلت إلى المستشفى في سيارة ذات أضواء وامضة زرقاء وصفارات إنذار. قالت ذات مرة:

- سيزداد ظهري انحناءً مع الزمن، وهذا من حسن حظي. لأنه إذا فقد شخص ما ورقة بمائة مارك في الشارع، سأكون أول من يجدها.

كانت لا تهتم أبدًا بالأحداث غير السارة وكانت لا تحب التحدث عنها. وعندما كنت أسألها كيف حالها، كنتُ أتلقى دائمًا إجابة واحدة فقط:

– ما لا يمكنك تغييره، عليك أن تدعه يمر.

حتى اُضطررنا في النهاية إلى التحدث عما لا تريد التحدث عنه.

كانت تعلم جيدًا أن ابنها لن يأتي لزيارتها من أمريكا أبدًا، لكنها تجاهلت ذلك أيضًا. أصبح الأمر أهون بالنسبة إليها الآن بعد أن وجدت من تدلله عوضًا عن ابنها. وربما، من يدري، هرب ابنها من أمومة حاصرته. لقد استمتعت بأمومتها في كل لحظة. لقد حافظت أمي على نظافتي وأطعمتني بالطريقة التي كانت تنظف بها الأرض أو تسقي بها شجرة المطاط بالماء، بإخلاص لكن من دون مشاعر. لكن كان الأمر مختلفًا مع الأم "شباكمان".

يوجد رجل هنا في السجن يبدو ظاهريًّا وكأنه خزانة ملابس حقيقية، لكنه شخص مسالم للغاية. كان لديه على ذراعه قلب موشوم بكلمة "ماما" تحته، وعندما سخر منه شخص ما في أحد البارات، أصابه الجنون. والآن يقضي عقوبته بسبب ضرر جسدي خطير تسبب فيه لهذا الرجل. بالطبع كان هناك تأثير للكحول أيضًا، لكن يمكنني أن أتفهم ذلك. فإذا سخر شخص ما من الأم "شباكمان" مثلًا، فأنا لا أعرف ماذا كنت سأفعل به. أنا إذا فكرت بها فقط، يحدث شيء ما بداخلي، على الرغم من أنني بالتأكيد لست من النوع المرهف المشاعر. لكن إذا ما أراد المرء في أن تنقضي سنوات العقوبة، فلا بدَّ أن يمرِّن نفسه على التعايش مع نقاط ضعفه بشكل أفضل.

لن أقبل بالمساس بالأم "شباكمان" بأي شكل من الأشكال. لقد أحببتها.

لكنني قتلتها.

كان الوقت الذي كنا نقضيه معًا كل يوم رائعًا. لقد اعتنيتُ بالمنزل، وغسلتُ الصحون ورتَّبتُ الأسرَّة، حتى على الرغم من احتجاجها بفتور في كل مرة قائلةً:

- هذا العمل ليس من تخصص الرجال.

ذات مرة، وبدافع المزاح أيضًا، أبديت أنني مقتنع بهذا الاعتراض وقلتُ:

- أنتِ محقة أيتها الأم "شباكمان"، من الآن فصاعدًا سأدعكِ تفعلين ذلك مرة أخرى.

ثم نظرت إليَّ من الأسفل إلى الأعلى وأجابت:

- عين العقل! ولكن من ناحية أخرى، لا أريد إفساد متعتك أيضًا.

الشيء الوحيد الذي لم تتمكن من أن تكف عنه هو الطهي. حتى مع ازدياد ما كانت تشكو منه وبالرغم من تألمها الشديد في أثناء الوقوف، كانت تصر دائمًا أن يظل الطبخ مجالها. تحفتها الفنية التي كانت تظهرها فقط في المناسبات الخاصة - لكننا كنا بارعين في اختراع المناسبات الخاصة - كانت عبارة عن طبق اللحم المشوي الحامض "الرايني"، والذي ما زلت أتذكره بحنين، بالطريقة نفسها التي يتذكر بها السجناء هنا عشاقهم السابقين خلال الليالي التي لا نهاية لها.

في المساء، كنا نلعب الورق معًا في غرفة المعيشة. كنا نلعب لعبة قديمة تسمى "أمسك بالصبي" وعندما كانت تخسر، كانت تغش وأتظاهر بأنني لم ألحظ. كانت تبدو سعيدة جدًّا لحظتها مثل طفلة صغيرة سرقت علبة من البسكويت وتمكنت من الإفلات من العقاب. بعد بضعة أكواب من الخمر المسكَّر، كانت تربت على يدي وتنظر إليَّ نظرة كلها حب. وعندما

كانت تنهض لتخلد إلى النوم، كانت تخونها ساقاها أكثر من المعتاد، وهذا ما يضطرني إلى أن أسندها.

في غضون ذلك، وجدت عملًا لائقًا. لم أكسب منه الكثير، ولكن من دون التزامي بدفع إيجار كان يتبقى شيء من الراتب. في عيد ميلادها الثاني والثمانين، دعوت الأم "شباكمان" إلى مطعم فاخر. لم تكن قد خرجت منذ سنوات عديدة وكانت متحمسة مثلها مثل فتاة مراهقة قبل الموعد الغرامي الأول لها. صفَّفت شعرها على شكل خصلات مجعدة عند مصفف الشعر، تسريحة شعر لم تتماشَ معها على الإطلاق، لكنها أعجبت بها من كل قلبها. كان فستانها فضفاضًا جدًّا عليها، وكأنها انكمشت منذ آخر مرة ارتدته فيها. بالإضافة إلى ذلك، وضعت "بروشا" لم أره من قبل؛ على شكل رأس "يانوس" ذي الوجهين الفضي بخلفية سوداء، وجه يضحك في اتجاه، ووجه يبكي في الاتجاه الآخر. هذا البروش هو الشيء الوحيد الذي أخذته معي بعد وفاة الأم "شباكمان".

أو بالأحرى بعدما قتلتُ الأم "شباكمان".

كان النادل الذي خدمنا من النوع الثرثار، وظل يؤكد - بغرض الحصول على بقشيش - أنه من الرائع أن يدعو حفيد جدته خارجًا. وعندئذ، لم تستطع الأم "شباكمان" التوقف عن الضحك. بعدها قرعنا كؤوس الشمبانيا معًا وتصرفنا بأناقة رهيبة؛ دعوتها بـ"سيدتي النبيلة" ووصفتني بـ"السيد البارون"، ولأننا كنا نضحك بصوت عالٍ، نظر إلينا الموجودون بالمطعم بريبة. لقد اعتقدت أنه من المضحك أن تحمل جميع الأطباق أسماء فرنسية غريبة. عرض النادل أن يترجم لها تلك الأسماء، لكنها فضلت أن تجرب لعبة تخمين الاسم غير المفهوم لها بالمرة عند

تقديم كل طبق وماذا يعني. أخيرًا، طلبتُ لها crème de menthe "مشروب الخمر المسكَّر بالنعناع والقشدة" وطارت من فرط السعادة عندما اتضح لها أنه مشروبها المفضل بالنعناع.

أردت أن أستقل سيارة أجرة في طريق عودتنا إلى المنزل، لكن الأم "شباكمان" كانت متحمسة للغاية لدرجة أنها أصرت على المشي. لدرجة أنها بدأت في الغناء في الشارع:

- كأس أولى، كأس ثانية، ثم يسقط الإنسان على أنفه.

كانت الأغنية ستستمر لتصل إلى كأس ثالثة ورابعة وربما أيضًا إلى كأس خامسة وسادسة، لكنها كلما نسيت كلمات الأغنية المقفاة، كانت تبدأ الأغنية من أولها كل مرة.

لم يظهر عليها المرض فجأة، ولكن لأنها لم تأخذ أعراض المرض على محمل الجد، ولم تذهب إلى الطبيب في الوقت المناسب. في المستشفى، استأصلوا المرض وخيَّطوا الجرح مرة أخرى. لكن السرطان كان قد انتشر بالفعل في جميع أنحاء جسدها ولم تعد هناك فرصة للشفاء منه. أقامت في جناح الحالات الميؤوس منها مدة أسبوعين، وفي البداية رفضوا أن أظل معها لأنني لم أكن أحد أقربائها. لا يمكن أن تكون هناك علاقة أوثق من تلك التي كانت بيني وبين الأم "شباكمان".

في وقت لاحق، سمحوا لها بالخروج والعودة إلى المنزل. بالنسبة إلى إحصائيات المستشفى، كان من الأفضل أن يموت الناس في بيوتهم. حملتُها على درجات السلم الثلاث وكان الأمر كما لو كنتُ أحمل طفلًا بين ذراعيَّ. وضعتها في سريرها وغطيتها، عندما حاولت أن أكذب عليها بشأن الأشياء التي تُقال للمرضى الميؤوس من شفائهم:

- ستكوني بصحة جيدة مرة أخرى.

وما شابه من هذا الهراء المماثل. هددتني بإصبعها الذي صار عظمًا وقالت بصوت ضعيف:

- رصيد الأكاذيب في تزايد مستمر.

أعطوها المسكنات "لتسهيل الموت"، لكنها لم تمت، وفي مرحلة ما، توقفت الأدوية عن مفعولها. في البداية، حاولت إخماد أنينها، ليس بدافع الشجاعة ولكن لأنه يتعارض مع شخصيتها. ولكن سرعان ما استنفدت قوتها، وبدأت تئن بصوت أعلى وأعلى، لدرجة أنها كانت تصرخ أحيانًا. ثم أعطاني الأطباء أدوية أقوى وأوضحوا لي كيف أحقنها لها. ساعدتها تلك الأدوية بضعة أيام فقط، حتى لم تعد أقوى العلاجات تؤثر فيها.

لم يكن هناك ما يمكنني فعله أكثر من أجل الأم "شباكمان".

باستثناء شيء واحد فقط.

أتيتُ بالوسادة من فوق سريري؛ الوسادة التي كان ينام عليها ابنها، الوسادة ذات الغطاء الأبيض والإطار الدانتيل. ذهبتُ إلى غرفتها وضغطتُ بالوسادة على وجهها واستمررت في الضغط لفترة طويلة، في حين أن ذلك لم يكن ضروريًّا.

بعد إصدار شهادة الوفاة، قال الطبيب:

- لقد استغرق الأمر وقتًا أطول مما كنت أتوقع.

بحثت عن عنوان ابنها في متعلقاتها ولم أجده.

كانت قد أوصت بحرق جثمانها وكنت أعرف ذلك. لقد أخبرتني بسعادة ذات مرة:

- الخشب القديم جيد للنار.

لذا منحتُها رغبتَها. أخذتُ الجرة ورمادها بداخلها معي. وتركتها حيث سكنت عندما اُضطررت إلى تغيير مكان إقامتي بسرعة.

أما البروش ذو رأس "يانوس"، وضعته في ظرف بني اللون مع أشيائي الثمينة الأخرى. وعند إطلاق سراحي، سأستعيده من إدارة السجن.

لم تطلب مني الأم "شباكمان" أن أخلصها. لكنني قتلتها على أي حال وسأندم على ذلك طوال حياتي.

هذا هو اعترافي. قتلت شخصًا. الشخص الوحيد في حياتي الذي تقبلني وكنت موضع ترحيب عنده.

يوميات

انتظار رد فعل "بوكلر" أمر لا يطاق. عدم اليقين يدفعني إلى الجنون.

لا تتذمر. عليك بالتمرن.

تمرين للمهارة

انتظار

لم يحدث له ذلك من قبل. ولطالما تحمل الكحول دائمًا دون أي مشكلات، أفضل من زملائه. وبرغم السُكر، سرتُ بثبات مستقيمًا في الوقت الذي يضطر فيه الآخرون إلى التشبث بالجدران إذا ما شربوا المشروبات الكحولية. حتى في أثناء القيادة أيضًا، لم تكن هناك مشكلة.

لكن اليوم لا بدَّ أن يكون قد بالغ في ذلك.

يا لها من فكرة غبية؛ حفلات الشركة تلك التي تقيمها شهريًّا. كانت هذه هي النظرية الجيدة من وجهة نظرهم لبناء الفريق. مبدأ الإدارة عن طريق الشرب. وإذا ما سُئل أحدهم عن هذا المبدأ ستكون إجابته: "فكرة مجنونة".

فكرة مجنونة. عليه أن يتذكر ذلك، أن يتحدث عن ذلك في المكتب غدًا.

أو اليوم. في وقت لاحق.

أين كان على أي حال؟ لم تكن المنطقة مألوفة بالنسبة إليه. لم تكن هناك منطقة من الأساس. حسنًا، لقد جاء الضباب قبل أن يبدأ فبراير. وقت الكرنفال. كان دائمًا ضبابيًّا هناك. أو أنه مجرد غضب من الطقس.

شرب نخب الأخوة مع تلك المتدربة ذات الشعر الأحمر. نظارتها تجعلها تبدو غبية، لكنها تظل جميلة ولها قوام رشيق. سألته كيف يقيِّم فرصتها في الحصول على وظيفة دائمة، فتعمد أن يداري إجابته عنها. تلك الإجابة التي صفعته ذات مرة سابقًا.

فيما مضى، كان الأمر يتطلب جنسًا فمويًّا. "فالأمر يعتمد على نوع الممارسات التي تتقنينها". لم يعد بإمكان المرء اليوم أن يقول المزيد بصدد هذا الموضوع بسبب حملة MeToo "وأنا أيضًا".

You want to fuck and me too "تريد أن تمارس الجنس، وأنا أيضًا". إنه قانون الطبيعة. لكنه لم يعد يتحمل مزيدًا من الغضب، لأنه لا يوجد شيء عنده أهم من اهتزاز حسابه المصرفي لا أكثر.

الشيء نفسه يحدث دائمًا. يريدون شيئًا جديدًا تمامًا، وعندما تعطيهم إياه، يشتكون لأنك لم تنجزه مثل القديم. ما هم إلا حمقى. جميع العملاء مجرد حمقى.

تُرى كيف سارت الأمور مع هذه المتدربة؟ ما دام نسي، فلا بدَّ أنه شرب كثيرًا.

سار وحده. ثم نزل إلى مكان وقوف السيارات تحت الأرض، أدار السيارة. ثم تعطلت بسبب خلل في محرك السيارة.

أوقف السيارة في مكان ما. ما دمت شربت خمرًا، فلا بدَّ أن تتجنب قيادة السيارات.

لكن أين توقف بالسيارة؟

ثم فقد وعيه مدة قصيرة. ويبدو أن حالته السيئة ستعود مرة أخرى. لذا فعليه أن يطلب سيارة أجرة.

لكن بمجرد أن يخبرهم، من أين سيأخذونه؟

لا توجد أي لافتة على الطريق، ولا في أي مكان. حتى إن وُجدت فلن يراها.

هناك ضوء غريب. لا مزيد من الليل ولم يأتِ النهار بعد. ربما تكون الساعة الرابعة صباحًا، أو الخامسة. كان عليه أن ينام بسرعة مرة أخرى،

لأنه عليه أن يكون في الوقت المحدد على مكتبه وهذا ما يجب أن يكون. رغم أن هذا بالطبع مجرد هراء لشخص مبدع.

منذ متى وهو يسير في هذا الشارع الآن؟ خسارة هذه الأحذية باهظة الثمن، ذات الإطار المخيط. لكنه لم يكن لديه خيار أفضل مما كان فيه.

هل شعر كما لو كان الضباب يزداد سُمكًا؟ لدرجة أنه لم يكن يعرف أكان يمشي في الشارع أم على الرصيف.

الآن ماذا إذا جاءت سيارة؟

هل سيسمعها في الوقت المناسب؟

كانت الموسيقى في حفلات الشركة دائمًا ما تكون صاخبة جدًّا بالنسبة إليه. لكن لا أحد يشتكي من ذلك، وإلا قيل على الفور: "من يشتكي فقد تقدم في السن". في الواقع، يعتبر هذا غير منطقي بالمرة، لأن مع التقدم في السن يصبح السمع ضعيفًا، ومن ثم فلن يزعجنا الضجيج.

على أول الطريق، كان هناك بعض الحضور، جلبة من أصوات عديدة. ربما أقيم حفل لشركة ما هناك أيضًا. لا عجب فلقد قرؤوا جميعًا الكتيبات نفسها، وقلدوا الموضات اللعينة نفسها. موضة كيف تبني فريق عمل. مجرد كلمة، فهو لم يكن في حاجة إلى فريق، لكن كان في حاجة إلى أشخاص يفعلون ما يمليه عليهم. أما هو فقد بنى نفسه بنفسه بما فيه الكفاية.

كان عليه أن يدخل إلى الحفل بمنتهى البساطة، كما لو كان وجوده بها بديهيًّا. ثم يقف مع الآخرين ويقدم نفسه لهم، كما لو كان واحدًا منهم بالفعل. إلى أن يكتشف المكان الذي يقف فيه. ربما شرب كأسًا آخر معهم. فقط من أجل الصحبة، حتى تصل سيارة الأجرة.

اليوم لم يكن لديه أي إحساس بذلك العطش الشديد، والذي ما يحصل عادة عند شرب الخمر. ذاك الفم الجاف من تأثير الخمر. لكن على العكس تمامًا، شعر براحة شديدة. إنها مسألة تدريب ليس أكثر. فقط فقدان الوعي الجزئي المعروف الذي يبحث فيه المرء عن الزمن الضائع. يومك سعيد أيها السيد "مكتب المفقودات". لقد فقدتُ ساعة من عمري.

لا يجب أن نُرجع السبب الرئيس إلى الكحول. إنها قلة النوم. الإجهاد. لقد دمر نفسه من أجل الشركة. لم يعد في سن العشرين. على الرغم من أنه لا يزال بإمكانه مواكبة حياة الشباب الصغار بسهولة، بل بسهولة كبيرة.

كانت الأصوات أبعد مما كان يعتقد. على أي حال، كان هناك ضوء في الأفق. لكن كان لا يزال أمامه وقت.

كان لبخار الضباب تأثير بديع، يصلح لأن يكون فكرة جذابة في فيديو قصير. كان هناك بعض الأشخاص الذين يتخبطون بلا حيلة وهم يتلمسون طريقهم. ثم ظهرت فجأة فجوة في الضباب وظهر من خلفها شعار الشركة مصحوب بمؤثرات صوتية لنغمات "هاليلويا". بالإضافة إلى شعار "سنرشدكم إلى الطريق" أو شيء من هذا القبيل. هذا الشعار يحتاج إلى مزيد من العمل، لكن من حيث المبدأ لم يكن سيئًا، فقد حقق الهدف منه وهو التنويه.

تصاعدت أصوات الحضور أكثر. لا موسيقى. لا ضجيج. حتى "الدي چي" الذي يستأجرونه كل مرة رفع سماعاته من على أذنيه ووضعها حول عنقه. أصبح الضوء أكثر سطوعًا، وربما بضع خطوات أخرى وينقشع الضباب تمامًا. شعر بتشوش في تفكيره مرة أخرى، عليه أن يدخل ولن يتمكن بعدها من تذكر كيف حدث ذلك ومتى. عندما دخل،

وجد نفسه داخل قاعة ضخمة ذات سقف مرتفع لدرجة عدم القدرة على معرفة مصدر الضوء. قاعة لا يوجد بها أي مظاهر لتصميم داخلي، ولكن يبدو مثل الكرنفال، حيث يوجد الكثير من الناس في أزياء تنكرية ومن دون قناع. أزياء مثيرة للاهتمام، ليست كالمهرجين ولا الوحوش، على الأقل لا يوجد من يرتدي ملاءة سرير ويتصنع أنه شبح. كانت هناك أزياء تاريخية بالتأكيد بسبب الكرنفال، حيث تنتشر هذه الأزياء في مثل هذه الأيام في كل زاوية، ولكن هنا كانت بشكل أكبر، لأنه كان يتوجب على الكل أن يرتديها. إن حضور مثل تلك الحفلات لا يخرج منها المرء بشيء سوى إدراك أن الوظيفة قد التهمته تمامًا.

كان حفلًا مملًّا بالفعل، لا روح له. حتى إن الفرقة الموسيقية أعلنت أنها ستأخذ استراحة، وعلى الرغم من ذلك، انتظرها الحضور حتى الرابعة وربما الخامسة فجرًا.

كان عليه أن يكتشف هذا العنوان الموجود فيه، ليتسنى له طلب سيارة أجرة ويرحل. رأى رجلًا كبيرًا في السن مرتديًا سروالًا قصيرًا حتى الركبة وعلى رأسه شعر أبيض مستعار. كان محاسبًا يتنكر بهيئة "لويس الرابع عشر".

بدأ في الحديث معه قائلًا:

- إذا سمحت..

فأجابه:

- السماح ليس من طبعي..

ثم أكمل:

- يجب أن تنتظر حتى يحل دورك.

فقلتُ:

- وأين يحل دوري؟

فرد عليه:

- يحل دور المرء إذا كان يعرفه بالتحديد. أتعرف، أنا شكاك بطبعي.

ثم ذهب ببساطة واختفى وسط زحام الحضور. كان بومة مضحكة حقًّا.

ثم ظهرت بعد ذلك سيدة برداء بني اللون ذي مظهر مريح، مقصوص مثل قميص نوم، يبدو خشن الملمس، حافية القدمين، مبالغة في إظهار أصالة المظهر. سألت قائلة:

- منذ متى؟

- عفوًا؟

- منذ متى وأنت هنا؟

- لقد جئت للتو.

- حسنًا، استمتع!

وأكملت ضاحكة:

- أتمنى لك الكثير من المتعة.

سمعتها تضحك بسخرية، وبعدها اختفت عن الأنظار، وظهرت امرأة أخرى بقبعة مدببة وغطاء يشبه ما قد يرتديه أحد ما لصنع حساء جاهز، ما يسمى "مئزر طاهية" ولكن لا يمكن صنع أي حساء هنا. كانت ممسكة بطرف فستانها حتى لا تتعثر.

سألتها:

- أين نحن الآن على أي حال؟

فأجابت:

- أنا واثقة أننا في المكان الصحيح.

- أنا أسأل عن العنوان..

قالت المرأة:

- نحن أمام البوابة. أين من المفترض أن نكون؟

ثم رفعت طرف فستانها وتحركت إلى الأمام تاركة إياه واقفًا مكانه أمام البوابة. يوحي العنوان بأنه اسم ضاحية، من المفترض أن يجده على "خرائط جوجل". لكن لا يوجد اتصال بالإنترنت.

هؤلاء الأشخاص ذوي الأزياء التنكرية قد سببوا له تشويشًا أكثر، ولم يحصل من أحد منهم على إجابة معقولة. أشخاص غريبو الأطوار. بذلوا الكثير من الجهد في ارتداء ملابس التنكر والآن يقفون في ثبات ولا يفعلون أي شيء. حتى من دون كؤوس في أيديهم. كان هناك بالفعل شخص ما يرتدي ملابس فرسان بتسليح كامل، من معدن حقيقي يحدث صوتًا عندما يتحرك. يسير بأرجل مقوسة، كما لو كان قد نزل لتوه من على حصانه.

كان هناك أطفال أيضًا. أطفال صغار جدًّا إلى حد ما. لم يكن من المعقول وجودهم في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

وأخيرًا رأى رجلًا بلا زي تنكري. يرتدي بدلة عادية تمامًا. كان واحدًا من مكتب شئون العاملين، واحدًا من المنظمين.

قال له:

- هل بإمكانك إخباري...؟

فردَّ:

- لا أعرف متى سيُسمح لنا بالدخول أيضًا.

- من؟

- كل من يريد الدخول.

- وهذا هو...؟

- اسأل هذا الشخص هناك.

وأشار إلى رجل عجوز.

- لا بدَّ أنه يعرف، من الناحية المهنية على الأقل.

كان رجل دين في كامل شعاراته وهندامه الديني وكل شيء.

قلت له:

- أود أن أعرف..

قال الكاهن:

- كلنا نريد ذلك يا ولدي. لكن المعرفة لن تجعلك سعيدًا. الإيمان هو المهم.

فقلت له:

- الإيمان بمَ؟

- الإيمان بالحياة الأبدية. بالنعيم الأبدي. وإلا فلماذا نكون هنا؟

ثم ضرب على الصليب وابتعد.

ثم سادت ومضة من الذاكرة فجأة، كما لو أن أحدهم أشعل ضوءًا.

كانت المتدربة ذات النظارة ذات المظهر الغبي قد ضحكت عليه. ضحكت عليه هو. وقتما كان كل ما تحتاج إليه هو طقطقة أصابعها لأنهم لن يجددوا لها عقدها. "هل ترغبين في وظيفة جيدة في ماكدونالدز؟" لقد قال لها هذا الكلام الغبي الذي عاد إليه الآن، وخطر على باله مرة أخرى أنها لم تغضب على الإطلاق. كل ما قالته كانت كلمة واحدة فقط. قالت: "لطيف". أي شخص آخر مكانها كان سيصاب بالجنون أيضًا.

كان هذا هو السبب الوحيد الذي جعل سيارته تحتك بجدار المخرج الضيق لموقف السيارات تحت الأرض. فقط بسبب ذلك. كان يكره هذا الصوت المقرف. صوت احتكاك طلاء السيارة بالخرسانة. كان عليه أن يقود إلى ورشة تصليح السيارات مرة أخرى، ويسمح بمعاملته هناك كما لو كان ينام في مدرسة تعليم القيادة. متعجرفين. نحن العملاء، أي من نجلب لهم المال. كان الأحمق هناك يسأل دومًا:

- هل وقعنا في حادث مؤسف صغير آخر؟

يا له من أحمق! كانت السيارة تبدو بعد ذلك جديدة دائمًا، لذا كان يتركها لهم بقلب مطمئن. لكن كان لا بدَّ من السؤال عن الأسعار أولًا.

كان الجسر لا يزال مغلقًا أيضًا، بسبب سفلتة الشوارع.

المصائب لا تأتي فرادى.

ماذا يحدث الآن؟ إنها الرقصة البولندية بطيئة الإيقاع! أما زالت موجودة أصلًا؟ هذا الشيء كان لا يحدث إلا في الثمانينيات، بأغنيتها الشهيرة "الثقوب على وشك أن تخرج من الجبن".

أولًا، ظهر رجل في ثوب نوم أبيض طويل ثم رجل آخر من خلفه.

كانت الرقصة من دون موسيقى. بدوا وكأنهم موكب. يا لهم من تجمع مضحك!

لم يمكث كثيرًا بجوارهم، وفضَّل أن يجوب المدينة بأكملها.

كيف وصل إلى هنا؟ إلى هناك.

أو إلى الجهة الأخرى.

كان يوجد في المكان علامات إلزامية للخروج. مضاءة دائمًا. من أين أتى؟ من الخلف هناك أم من الجهة الأخرى؟ لم تبدُ طريقة عرض هذا المنتج غريبة بالنسبة إليه؛ عبارة لافتة لأحمق من شرطة الإطفاء..

باغتته الذكريات مرة أخرى. لا. لم تكن ذكريات. بل تخيلات. بعد كل هذه الكؤوس من الويسكي، لم تكن لديه المقدرة على السير في خط مستقيم.

بل مر بمنحنى. ثم استقر عند شجرة.

لو كان هذا هو ما حدث بالفعل، لكانت المتدربة مستاءة من ذلك. بل كانت ستلقي اللوم على نفسها أيضًا. ولكانت قد فعلت شيئًا آخر من أجل حياتها المهنية.

لكانت.. ولكانت.. حلقات موصولة ببعضها بعضًا مثل حلقات سلسلة الدراجة.

آثر أن يمكث في مكانه بضع دقائق، حتى تهدأ الأفكار في رأسه.

ثم مر بمنحنى، واستقر عند شجرة، وبعد ذلك.

هل استمر أحدهم في التقدم في السن فعلًا عندما مات؟

من أين تأتيه مثل هذه الأفكار المريضة؟

"في ريعان العمر"، كان هذا ما يُكتب دائمًا في نشرة الشركة.

"أُنتزع من منتصف طريق الحياة" لم يكتبوا أبدًا عبارة مبتكرة. ربما المتدربة هي من كانت تكتب لهم.

سيقانها جميلة، لكن نظارتها ذات مظهر غبي حقًّا.

"لقد مات في موقع الحادث" كانت هذه العبارة هي ما يفضلون استخدامها دائمًا. لكنه فكر في شيء آخر وهو أن يختلط بالحضور. بالتأكيد لم تكن أزياؤهم مبتكرة ولا وجوههم سعيدة بل صبورة. كما هو

الحال في غرفة انتظار الطبيب عندما يكون لدى المرء موعد ومن ثَمَّ يكون متأكدًا من دخوله، مثل أصحاب التأمين الصحي الخاص.

ماذا تنتظر في حفلة تنكرية؟

من فرقة الرقص البولندية ذات الإيقاع البطيء الذين غنوا "ستُفتح البوابة، ستُفتح البوابة"، من دون مصاحبة الآلات الموسيقية. دائمًا السطر نفسه ثم إعادته من البداية.

"ستُفتح البوابة، ستُفتح البوابة"، ربما لم تكن هناك بوابة على الإطلاق.

أو لم يكن هناك من يفتحها، أو من يريد أن يفتحها.

حلقة مفرغة من الانتظار.

برجاء الانتظار على الخط، سيسمح لك بالدخول على الفور. ربما لم يكن هناك ثمة شيء من الأساس.

برجاء الانتظار على الخط.

يوميات

قصة أخرى مات فيها شخص ولم يلاحظ موته أحد. وهذا ما سيدع القس يطرح السؤال التالي: "ما الذي يخصك في كل ما سردته؟".

إلى المرشح "كونتسه"

أظنك تتساءل الآن، ألا يمكننا أن نفعل ذلك بالطريقة التي اتبعتها مع من سبقك؟ لقد كنت تتراسل مع القس بخصوص المكتبة وأخبرك عن الاتفاق الذي كان بيننا. فأنت تقصد ألا يمكننا أن نستمر في اللعبة نفسها لأنك ممن يهتمون بالأدب أيضًا؟

أولًا، لم تكن لعبة.

ثانيًا، لم يكن القس مهتمًا بالأدب من الأساس، لقد كان مهتمًا بي أنا. أظنه حتى لو كان يشك في أنني أمتلك موهبة في ركوب الدراجة الأحادية، لكان شجعني على ركوب الدراجة الأحادية.

يبدو أنك لم تلحظ مدى غيرة كل شخص هنا على حماية بقايا الخصوصية التي تمنحها له قواعد السجن.

قبل توليك المنصب بوقت قصير، اشتبك مسجونان في الزنزانة نفسها في عراك دامٍ، ولماذا؟ لأن أحدهما علق صورة زوجته على الحائط وقال له الآخر إنها جميلة. مجرد مجاملة. لم تكن تعليقًا غير لائق ولا تلميحات جنسية. لاحظ فقط أن المرأة كانت جميلة وقال ذلك. لكن لم يكن لديه الحق في أن يلاحظ. لأن الوجه الموجود على الحائط ينتمي إلى العالم الخاص لزميله في الزنزانة، ولم يكن يخصه.

إذا كنت قد كتبت حلقات من حياتي، فقد فعلت ذلك من أجل القس، ليس لأي شخص آخر. ويبدو لي حقيقة أنك تريد الانضمام إلى هذه العلاقة - وسامحني للمقارنة - كما لو أن شخصًا ما كان يراقب زوجين

وهما يقيمان العلاقة الزوجية، وما إن فرغا حتى ذهب إلى المرأة وسألها: "ما شاهدته كان مضاجعة مثيرة، هل يمكنني الانضمام إليكما؟".

لا أجرؤ على أن أنعت ما كان بيني وبين مَن سبقك بالصداقة، لأنها ستكون كلمة كبيرة جدًّا بالنسبة إلى العلاقة بين سجين وراعي السجن. لكنها كانت علاقة. أما ما بيني وبينك فهو مجرد ارتباط، ليس أكثر.

لا، سيدي المرشح، لا أرى أي سبب يدعو إلى أن تكون قصة حياتي مصدرًا للترفيه عنك. إلا إذا قررت أن تنشرها في كتاب، حينها لن أتردد في السماح لك بقراءتها. وحتى ذلك الحين، فليقضِ كل منا وقته بالطريقة التي تناسبه. وفي هذا الصدد، ألتزم بقول "شوبنهاور": "يتمتع الشخص الذكي بتسلية ممتازة في أفكاره وخيالاته".

إذًا عليك بقيادة الكورال الخاص بك. لقد سمعت أنك عادة ما تحضر علبة كبيرة من البسكويت مع كل عينة. لن يكون من الصعب عليك العثور على أشخاص أكثر إثارة للتحدث معهم أكثر مني.

إلى القس

عزيزي القس،

ستندهش من وصول رسالة مني إليك بعد كل هذا الوقت. أستطيع أن أتخيل أنك لن تكون سعيدًا بذلك على أي حال. إنها القاعدة العامة، تكون على هذا النحو؛ بمجرد أن يطلق سراح شخص ما، فإنه لا يريد أن يسمع عن أولئك الذين لم ينتهوا من مدة عقوبتهم بعد. بالطبع، عندما غادرتَ، لم يكن إطلاق سراح بالفعل، لكنه الشعور نفسه. فأنا لا أستطيع أن أتخيل أنك يمكن أن تفكر بحنين إلى الوقت الذي قضيته هنا. بالمقارنة مع الرائحة الكريهة للإنسان التي كنت تستنشقها كل يوم هنا في السجن، لا بدَّ أن تشم الآن في مقر المجمع الكنسي الرهباني "تيزيه" روائح مثل رائحة السنبل الهندي العطري والزعفران وعود الوج والقرفة (كما ترى أيها القس، ما زلتُ على دراية بالكتاب المقدس).

لماذا أكتب إليك؟ لقد فصلني خَلَفُك، السيد المرشح، من إدارة المكتبة. إن التعبير بكلمة "الفصل" أفضل بكثير من "الطرد". لقد عدت الآن إلى المستوى "ج" مرة أخرى ويمكنني ثقب لوحات الترخيص.

تشك، تشك، تشك.

كان السبب الرسمي في هذا التراجع هو التمرد. الحقيقة أنني لم أستطع الحفاظ على فمي مغلقًا. وفي هذه الحالة، الفم هو القلم الجاف. لقد أراد السيد المرشح أن يرتدي حذاءك، فأخبرته إنه لا يليق به. أعترف بذلك، أنني لم أنتقِ لذلك صياغة مؤدبة بأدب لكن مقارنة بما كنت أكتبه لك أحيانًا، أعتبر أنني عبرت بشكل معتدل. شعر الشاب أن كرامته قد

انتهكت في مكتبه. فكلما زاد انعدام الأمان لدى شخص ما، زادت أهمية كرامته عنده.

أعلم أنك تركت كل هذا وراءك إلى الأبد، وأنا لا أكتب لك بغرض أن تدافع عني، لكن لديَّ سبب آخر. إن رد فعل خليفتك جعلني أدرك مدى قيمتك عندي. وجعلني أكتشف أنني لم أقدرك حق قدرك من الشكر. دعني أعوض عن ذلك كآثم تائب. لقد خطر ببالي الآن؛ أتتذكر رفيقي في الزنزانة "أمبروس" الذي كان مدمنًا للكلمات المتقاطعة؟ كان عليه ذات مرة أن يحل كلمة من أربعة أحرف مضاد لكلمة "آثم"، فكتب بالفعل كلمة "غائب" بدلًا من كلمة "تائب"، ولأجل هذا، أتقدم إليك بخالص الشكر. عندما طلبت منك أن تعطيني وظيفة في المكتبة، كان الأمر بالنسبة إليَّ مجرد الحصول على بعض التحفيز الروحي في السجن. ولقد قبلتُ أن يكون المقابل أن تجبرني على الكتابة إليك بانتظام. كنت سألمع حذاءك أو أنظف مكتبك. لقد اُستغرق الأمر وقتًا حتى أدركت أن ضربة الحظ لم تكن وظيفة المكتبة، بل الكتابة نفسها.

كيف عرفت أن هذه الوظيفة صُنعت من أجلي وأنا لهذه الوظيفة؟ ألم تصلك مني سوى بعض التعليقات فقط التي كنت أكتبها لك أحيانًا لأنني لم أتمكن من التعبير عن نفسي بشكل كافٍ في جلسات الخميس؟ إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن أكون ممتنًا ليس فقط لك ولكن أيضًا لتلعثمي.

أنت تعلم أنني حاولت دائمًا تنظيم مكتبتي بشكل صحيح. لم تكن المهمة صعبة للغاية وأعطتني الوقت الكافي لمحاولة الكتابة بين الحين والآخر. وعلى الرغم من أن ذلك لم يكن من مهام عملي بالمكتبة، فإنك لم تُشِ بي للإدارة مطلقًا، وأشكرك على ذلك أيضًا.

الآن فقط ألاحظ كم كانت هذه الساعات المسروقة ثمينة، عندما أصبح لا يُسمح لي بالجلوس أمام ورقة بيضاء إلا في المساء ورأسي لا يزال يقرعه ضجيج آلات التثقيب. أنا لا أشكو من ذلك، لا سيما إليك، أن يكون لديَّ شيء أكتبه أصلًا - ويا له من شيء! - يفوق هذا عندي أي إزعاج.

في الواقع، ليس بسبب الخرافات، أو على الأقل بسبب الخرافات، بالطبع، لم أرغب في إخبارك حتى الآن بنوع الباب الذي فتحته لي دون معرفة ذلك. ولن أخبرك حتى أتأكد من أنه مفتوح بالفعل. لكن لمَّا كنتُ أكتب إليك بالفعل، ولمَّا كنتُ أعلم أنك ستسعد لسعادتي..

فإن هذا ما حدث:

بعد أن نُشِرت مشاركتي في المسابقة في كتيب المجلة الدينية، اتصل بي ناشر وأبلغني أنه يفكر في إصدار كتاب عن يومياتي. في الوقت الحالي، كل ما يخص هذا الأمر هي مجرد أفكار، لكن احتمالية اختياره لفعل ذلك معي تحيرني. تخيل ذلك أيها القس! كتاب باسمي على الغلاف! إذا حدث ذلك، فسوف أشكرك على ذلك أيضًا. "يُهَلِّلونَ لاسمِهِ بالرَّقْصِ. يُرَتِّلونَ بالدُّفِّ والكَنَّارةِ" (المزمور 149). خلال فترة توليك المنصب، غالبًا ما كنت أسخر من حقيقة أنك تريد أن تجعلني شخصًا أفضل. لم أصبح أفضل، لكن بالتأكيد شخصًا مختلفًا، وأشكرك أيضًا على ذلك. لقد تحولت من المحتال المتلعثم إلى المؤلف المغرور. إن الكتابة هي أيضًا نوع من الخداع، نوع معترف به اجتماعيًا فقط ولا يعاقب عليه القانون. المهنة الوحيدة التي تحصل فيها على الثناء إذا كذبت جيدًا. وأكثر ما يناسبني بشكل خاص أنني ككاتب، يمكنني اختيار اسمي. أعتقد أن الاسم المستعار الذي اخترته لقصتي القصيرة يتناسب تمامًا مع نوع السيرة الذاتية التي أفكر

فيها، "يوهانس هوزاي". بصفتك عالم لاهوت، لديك تداعي الخواطر نفسه مثلي. سيحكي "هوزاي" عن عاهرة كزوجة وعن الأولاد الذين أنجبتهم. سيروي قصة عائلية حزينة، مثلما سأفعل. على أي حال، سيطلق "يوهانس" العنان "للوحي" في أثناء السرد.

بالضبط سيتأرجح كتابي بين هذين القطبين، لكن هذا لم يحدث بعد. أعتقد أن هناك الكثير من الصلوات في "تيزيه"، لذا أستسمحك أن تضمني إلى صلاتك.

لقد دق جرس إطفاء الأنوار الآن، لذا سأنهي الرسالة غدًا.

يوميات

واو!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

يُسلَّم إلى يد القس

لا بدَّ أنك صليت كثيرًا أيها القس! على الرغم من أنني لم أرسل الخطاب إليك حتى الآن.

أنا مغرور، سامحني. أرسم في مخيلتي الآن شكل العلاقة كما أودها أن تكون. وجودك يجلب لي الحظ دائمًا أيها القس.

عندما عدت من العمل اليوم، وكنت ممن أحسنوا التصرف في أثناء الطابور، كعادة من ينتمون إلى المستوى "ج" غير الآمن، كانت هناك رسالة موضوعة على طاولتي. كانت الرسالة التي كنت أنتظرها! عليها خط "بوبوفيتش" البدين، ستتذكره بالتأكيد. هذا الضابط الذي يراقب البريد في السجن، كتب على الظرف: "مبارك!".

بالتأكيد كان هناك سبب للتهنئة. لقد وافق الناشر!!!!! (في كتاب "قواعد الكتابة الصحيحة" الذي أعطيته لي ذات مرة، تنص إحدى القواعد على أنه على المرء تجنب استخدام علامات التعجب، ولكن في هذا السياق أود ملء صفحة كاملة بها!!!!!). لو كانت زنزانتي أكبر لكنت رقصت. لكن سأتلو دعاء الشكر ما دمتُ أؤمن بالله. لذا أشكرك أيضًا يا عزيزي، لأن لولا دعمك ما كان لشيء من هذا أن يحدث.

الناشر لا يريد فقط إصدار الكتاب، بل إنه على عجلة من أمره. كتب لي أنه سيكون من الجيد للتسويق إذا صدر "كتابي" (ويمكنك أن تتخيل كم استمتعت بقراءة هذه الكلمة!) في وقت خروجي نفسه من السجن. الآن عليَّ أن أكتب، أكتب، أكتب. سأكون السجين الوحيد في العالم الذي يخشى أن تُخفَّف عقوبته.

فجأة أصبح كل شيء يحدث بسرعة! لقد فكر الناشر - واسمه "بوكلر" - بالفعل في الكيفية التي يريد بها نشر الخبر. لا بدَّ أنه سيحمل عبارة رئيسة "قصة حقيقية". كما هو الحال في أفلام هوليوود، عندما يكتبون على الملصقات: "قصة حقيقية". كتب أنه من المهم أن ألتزم بالحقائق بأكبر قدر ممكن وأن أتحرى الدقة في كل ما أكتبه، لأنه سيكون ضارًّا بالمبيعات إذا ظهر شخص ما بعد ظهوره وقال: "ما حدث كان مختلفًا تمامًا".

لكن دائمًا ما يكون هناك شيء ما بالنسبة إلى التصريح بالحقيقة. أنت تعرف كم أحب اقتباسات "شوبنهاور". لقد قال ذات مرة: "الحقيقة هي جمال هش". من يمارس فعل الكتابة يكون كوسيط الزواج، أو كمن يزوج الحقيقة بالجمال، أو بالأحرى - إذا لم أسئ إلى مشاعرك بهذه الكلمة – كالقواد، حتى إن دعت الضرورة إلى تجميل الحقيقة، لأن هذا يُعدُّ جزءًا من العمل.

أعلم أنك ستشاركني سعادتي. لذلك آمل ألا تُسيء فهمي إذا سمحت لنفسي أن أطلب منك طلبًا يخص هذا الأمر. لا تقلق، لا أريدك أن تفعل شيئًا لي مرة أخرى. بل على العكس؛ أطلب منك ألا تفعل شيئًا، بكل بساطة أن تبقى صامتًا. أعتقد بالنسبة إلى شخص مثلك قرر أن يختار المجمع الكنسي الرهباني "تيزيه" لن يجد صعوبة في ذلك.

أنت تعرف الكثير عن الماضي الخاص بي أكثر من أي شخص آخر. تعرفه بكل تفاصيله. ولكن فقط بالطريقة التي أخبرتك بها. فعندما يُطرح كتابي وتقرؤه، لن تتمكن من التأكد إن كانت هذه القصة أم الأخرى هي التي أخبرتك بها. ستقول في نفسك: "لقد سردها لي بشكل

مختلف"، ستفكر كثيرًا بالأمر. وسوف تتساءل كيف كانت القصة الحقيقية حقًّا.

لقد تعرفتك شخصًا ذا مبادئ، وعلى هذا النحو قد تشعر أنك مضطر إلى الإشارة إلى التناقض بين الإصدارات المختلفة للناشر. لذا أطلب منك اليوم بالفعل عدم فعل ذلك. سيكون ضارًّا جدًّا لمحاولتي العثور على موطئ قدم في حياة جديدة.

من فضلك يا أيها القس.

يمكنني أن أحاول التأكيد على طلبي من خلال مناشدتي لنزعة حب الآخر المسيحية بداخلك. يمكنني أن أستشهد بإصحاح متى 6:12 أو مرقس 11:26. لكن في الواقع ليس لديَّ شعور بأنني فعلتُ شيئًا يستوجب أن أطلب التفهم أو حتى المغفرة من أجله. أما يوحنا 8:32 لا يعتد به وسط هذه الكتب.

في العمل الأدبي، لا يجب أن تكون الحقيقة واضحة، وهي لا تجعلك حرًّا أيضًا ولا تجعلك حتى كاتبًا ناجحًا.

يمكنك وزن كل حلقة بطريقة أو بأخرى. في ذلك الوقت، كتبت لك ما أعجبك ولم تشكُ منه. الآن أنتقل إلى القراء الآخرين، بأن أجعل القصة المناسبة لكل مستمع.

كان لدينا كتاب صغير في المنزل؛ الكتاب المقدس للأطفال. حتى والدي الملتزم بحرفية المقدس لم ينكر أن القصص الموجودة في الإنجيل تبدو مختلفة عن مثيلاتها الموجودة في خطب الأحد. كان من المهم فقط أن يثيروا إعجابنا نحن الأطفال. الكتاب المقدس نفسه لا يأخذ الحق على محمل الجد أيضًا. في الحقيقة لن تكون هناك جنة مع ثعبان يتحدث، ولن

يكون عمر "مُتَوَشْلِخ" في الواقع تسعمائة وتسعة وستين عامًا، ولن ينقذ نوح حيوانين من أي نوع من الغرق. إنه لم يبنِ حتى الفلك. لكنها قصص رائعة ينقض عليها أي ناشر. إذا شرحت نشأة الكتاب المقدس بشكل صحيح، فإن الناشرين قد انقضوا عليه أيضًا.

سوف تعترض الآن وتقول إن مثل هذه الروايات يجب أن تُفهم مجازيًّا. حسنًا، مقبول. لذا أطلب منك أن تفهم كتابي بشكل مجازي.

من وجهة نظري، الحقيقة هي حزام أمان للأشخاص معدومي الخيال. وبالمناسبة هم الغالبية؛ أولئك الأشخاص الذين يمكنهم رؤية كل شيء من المنظور الذي جربوه من خلاله فقط. يعيد كل إنسان كتابة قصته الشخصية باستمرار سواء الجانب الجيد منها أو السيئ بتعديل دوره الخاص فيها حتى يصل إلى مرحلة الرضا عن دوره فيها إذا ما تذكره.

أو حتى يصيغها بالشكل الذي يعتقد أنها ستعجب الآخرين. معظم الكتَّاب يفعلون ذلك تلقائيًّا، ولا يدركون أنهم يفعلون ذلك. من ناحية أخرى، يصمم المبدعون ماضيهم بوعي ويختارون بعناية لحاهم المستعارة وشعرهم المستعار. إن هدفهم العمل الذي يودون تقديمه للجمهور، ليس عرض الحقيقة، بل الاحتمال.

وهذا لا يعني إطلاقًا أيها القس أنني كذبت عليك في التقارير المنتظمة المتفق عليها في صفقتنا، أو أنني سأكذب على قراء كتابي. (عندما أرى كلمات "قراء كتابي" أمامي، أشعر برغبة في أن أضع سطرًا كاملًا مليئًا بعلامات التعجب بعدها). كبير الخياطين المحترف لا يحيك لكل زبون البدلة نفسها. يجب أن تكون ممتنًا لي على بذل هذا الجهد. يُضطر معظم الناس إلى الحصول على حقيقتهم من فوق الأرفف.

لكن جوهر الحقيقة هي مشكلة فلسفية في الأصل، أما مشكلتي فهي عملية للغاية. هل يمكنني بعد ذلك أن أجعل الأشياء التي كتبتها من أجلك تخضع لسرية الاعتراف؟ في الواقع، لم يكن عليك حتى إخبار خليفتك بوجود هذه المراسلات من الأصل.

أنا أعتمد عليك أيها القس!

"يوهانس هوزاي شتركليه"

إلى "بارنيه بوكلر"

عزيزي السيد "بوكلر"،

تريد وضع خطط محددة لإطلاق سراحي من الآن. ويعجبني هذا كثيرًا. أنا أيضًا حاولت دائمًا التفكير في المستقبل.

من العار أنهم لم يسمحوا لك بالتقاط الصور في مقر ثقب اللوحات. مع الضوء المناسب، كان يمكن أن يبدو كأنه كنز كئيب من العمل القسري. أحب فكرتك الجديدة. وكأنني أرى أمامي ما يدور في ذهنك؛ تُفتح البوابة المهيبة وأخرج مع حقيبتي الصغيرة المتهالكة. وربما يصافحني ضابط في أثناء إطلاق سراحي. لكن هذه ليست الطريقة التي يجري بها هذا الإجراء، فإجراءات إطلاق السراح لا تجري عند البوابة الرئيسية، ولكن من خلال بوابة جانبية صغيرة. لا أعرف اسم الشارع، لكنه هو الكائن في اتجاه المبنى الرئيسي على اليسار، لكنك سوف تجد المكان بالتأكيد. بقدر ما أتذكر من لحظة دخولي من تلك البوابة، فإن الباب الصغير لا يمثل صورة جذابة. مجرد مدخل لمبنى يمكن أن يكون في أي مكان ولا يمكنك رؤية السجن من هذا المنظور. ولكن يمكننا بعد ذلك الذهاب إلى البوابة والتقاط الصور التي تحتاج إليها، في أثناء تنفسي لهواء الحرية وما شابه. في الخلفية، كتلة تلوح في الأفق للمبنى الرئيسي بنوافذه ذات القضبان. للأسف، لا

يمكنني تحديد وقت معين لالتقاط تلك الصور، فعادة ما يكون توقيت الخروج من السجن في وقت مبكر جدًّا من الصباح. ولكن لا يوجد استحقاق قانوني بذلك.

نظريًّا، يمتد يوم الإفراج حتى منتصف الليل، خصوصًا إذا ما أخطأ السجين مع الضباط، فإنهم يتركونه أحيانًا ينتظر حتى المساء كشكل من أشكال القليل من التعذيب القانوني، لأنهم يعرفون بالضبط كيف ستمر هذه الساعات الأخيرة ثقالًا عليه. لا أتوقع أنني سأتعرض لأية مضايقات. لم أكن أبدًا سجينًا عنيدًا؛ أو على الأقل لم أكن مصدرًا للمشكلات مثل الآخرين. لذلك يمكننا أن نفترض أن كل شيء سوف يسير في مساره الطبيعي. بدء العمل بالإدارة الساعة السابعة صباحًا. يجب أن يكون المصور الخاص بك متاحًا من نحو الساعة السابعة والنصف. وإذا ما أضطر، على عكس التوقعات، إلى الانتظار فترة طويلة، فإنني أعتذر عن أي إزعاج يتعرض له، فليست لديَّ سيطرة على هذا الأمر.

فيما يتعلق بسؤالك عن أي مقابلات، لا أعتقد أن الصحافة ستهتم بمؤلف مجهول تمامًا مثلي. ولكن إذا فعلت بذلك، فمن الأفضل أن تفعل ذلك كتابة. يجب أن نتجنب ذكر التلعثم في المقالات فقط. سيكون ملحوظًا بدرجة كافية إذا جلست صامتًا في أثناء ندوات القراءة. لكن هذا يمكن أن يتحول إلى أمر إيجابي بالتأكيد. كأن تقول: "إنه يثق فقط بقوة الكلمة المكتوبة " أو شيء من هذا القبيل. سوف تفكر في شيء ما لتفعله به. أُرفق لك استبيانًا اكتشفته في مجلة وملأته كتدريب على المقابلة. ما رأيك، هل هذا تصرف صحيح؟

(بالإضافة إلى: أتعرف حقًّا سبب تسمية القائمة باسم الروائي "مارسيل بروست"؟).

مع خالص تحياتي

"يوهانس هوزاي"

ملحوظة: لا تقلق، سيُنتَهى من الفصل الكبير الأخير في الوقت المناسب. أنا أعمل بجد على كتابته. أعتقد أنه سيضع نهاية دراماتيكية للكتاب.

استبيان "بروست"

مُلِئ بواسطة المجرم والكاتب "يوهانس هوزاي".

- أين تريد أن تعيش؟

- أود أن أعيش في عالم لم أفعل فيه الكثير، لكن لا يزال بإمكاني فعل الكثير فيه. بالتأكيد ليس كما أنا الآن.

- ما هي السعادة المثالية بالنسبة إليك؟

- أن أستيقظ في الصباح، وأرى شروق الشمس ينعكس من خلال فتحات النافذة، وأسمح لذراعيَّ بالتمدد في الفراش، وجسد آخر بجانبي يؤكد لي أنني لست وحدي.

- ما الأخطاء التي يمكن أن تقبل العذر فيها على الأرجح؟

- أخطاء الآخرين، لأن المرء يمكن أن يعيش بشكل جيد بسببها.

- ما هي أكبر فاجعة تعرضت لها؟

- كان لديَّ أخت، ولم تعد لديَّ الآن.

- من هو بطل روايتك المفضلة؟

- بالطبع المحتال "فليكس كرول". فلو كان قديسًا في كنيسة صغيرة، لأضأتُ أمامه شمعة صغيرة كل يوم، أو كنتُ سأعده بشمعة أكبر ثم لا أفي بوعدي، وهذا ما كان سيعجبه بكل تأكيد.

بالإضافة إلى "دون كيخوتي". ذاك المحتال الذي وقع في شراك نفسه.

- من هي شخصيتك المفضلة في التاريخ؟

– "كازانوفا". ليس بسبب علاقاته الغرامية، ولكن لأنه أعاد اكتشاف نفسه مرارًا وتكرارًا طوال حياته. كان يعرف كيف يتعرف الفجوات في حياة الآخرين وكيف يستخدمها لصالح نفسه. محقق الأمنيات وراوي القصص وصانع السعادة.

– مَن هم البطلات / الأبطال المفضلين لديك في الواقع؟

– كل من يستطيع الضحك من دون سبب.

– ورسامك المفضل؟

– "أرتشيمبولدو"، لأنه سمح لنا برؤية الوجوه التي لا وجود لها.

– وماذا عن مؤلفك المفضل؟

– "آرتور شوبنهاور". أحب نظرته التشاؤمية إلى العالم. ولو كان الأمر بيدي، فلا بدَّ أن تحل أعماله محل الكتاب المقدس.

– والملحن المفضل لديك؟

– ملحني المفضل موجود هنا في السجن بعقوبة سجن مدى الحياة، صحيح أنه مجنون ولكنه غير مؤذٍ، فقد عقله وذاته. ولأنه لا يؤذي ولا يزعج أحدًا، لذلك لم يُنقل إلى مصحة نفسية. إنه يغني طوال اليوم، والمقطع نفسه دائمًا: "أنا لست هنا على الإطلاق، أنا لست هنا على الإطلاق، أنا لست هنا على الإطلاق". هذا هو ملحني المفضل.

– ما هي الصفات التي تقدرها أكثر في المرأة؟

– كلما مكثتُ هنا أكثر، قلَّت أهمية سمات المرأة بالنسبة إليَّ، المهم فقط هي حقيقة كونها امرأة.

– ما هي السمات التي تقدرها أكثر في الرجل؟

– عندما يعرف أنه ليس كما يدعي. ولكن يا للأسف، هذه السمة نادرة جدًّا.

– ما هي الفضيلة العظمى بالنسبة إليك؟

– لست على دراية بالفضائل.

– وهوايتك المفضلة؟

– الكتابة، أن أفكر في شيء للكتابة. أن أكتب شيئًا.

– من هو الشخص أو ما الشيء الذي كنت تتمنى أن تكون عليه؟

– قطة، نائمة في الشمس. فإذا كان هذا ليس ممكنًا، فأن أكون أنا شخصيًّا، ولكن في إصدار جديد جرى تحسينه من قبل المؤلف.

– ما هي سمتك الشخصية الرئيسية؟

– هنا لا يسعني إلا أن أجيب عن طريق التورية؛ لقد غادرتني سمتي الشخصية منذ فترة طويلة.

– ما هو أكثر شيء تقدره في أصدقائك؟

– لست مضطرًا إلى التفكير فيما هو الشيء الذي أقدره فيهم. فأنا ليس لديَّ أصدقاء.

– ما هي أكبر أخطائك؟

– أنني لكي أولد، اخترت المكان الخاطئ والعائلة الخاطئة.

– ما هو حلمك بالنسبة إلى السعادة؟

– السعادة التي يُحلم بها فقط ليست سعادة. ولكن تبين لي أن كل سعادة هي مجرد حلم.

– ما هي الكارثة الأكبر بالنسبة إليك؟

– أن أعيش حياتي نفسها مجددًا.

– ماذا تريد أن تكون؟

- متحدثًا. مغني راب. ممثل، الذي لا يتلعثم حتى في أطول حوار له مع نفسه. سأكون أيضًا سعيدًا إذا ما كنت قادرًا على طلب كعكة الزبيب في المخبز من دون تأتأة.

- ما هو لونك المفضل؟

- أزرق سماوي.

- ووردتك المفضلة؟

- موجودة هنا في ساحة السجن، حيث يسمح لنا بقضاء ساعة، نمت زهرة خشخاش، على الرغم من أنه في الواقع لا يمكن لشيء أن ينمو في هذه التربة. كل يوم، عندما أخرج، أتفقد لأرى إذا ما كانت لا تزال هناك أم لا. وحتى الآن، لم يقطفها أحد، وحتى أسوأ البلطجية هنا يشكلون قوسًا حولها لحمايتها.

- ما هو طائرك المفضل؟

- الببغاء، وهل يوجد غيره؟

- من هم أبطالك في الواقع؟

- كل من ينجح في أن يكون كما هو، ولكنني أتساءل أهناك مثل هؤلاء الناس؟

- ومن هن بطلاتك في التاريخ؟

- يقال إنه كانت هناك امرأة تمكنت من أن تصبح البابا. شيء مثل هذا القبيل يعجبني.

- ما هي أسماؤك المفضلة؟

- "إليزابيث".

- ما هو أكثر شيء تبغضه؟

- أحيانًا أنا، وأحيانًا أولئك الذين أذنبوا في حقي.

- مَن هم الشخصيات التاريخية الذين كرهتهم أكثر من غيرهم؟
- كل أولئك الذين ادعوا أن لديهم مهمة إلهية.
- ما هو الإصلاح الذي تستحسنه؟
- الذي لا يستفيد منه الداعون إليه.
- ما هي الموهبة الطبيعية التي تريد امتلاكها؟
- أن أكون قادرًا على تحقيق ما أستطيع. وألا أحتاج إلى ما لا أستطيع.
- كيف تفضل أن تموت؟
- بسرعة.
- ما هي حالتك العقلية في الوقت الراهن؟
- نافد الصبر.
- وما هو شعارك؟
- "لا يشعر أحد بالسعادة الكاملة، إلا إذا كان مخمورًا"، "شوبنهاور".

فصل من حياتي

دعس الترام أختي وهي في السادسة والعشرين من عمرها، وأجمع الكل على أن ما حدث كان حادثًا. ففكرة أن هذا من الممكن أن يكون متعمَّدًا غير مقبولة. ففي طائفتنا، لا أحد يقدم على الانتحار، إذ إن كل شيء بيد الرب فلا يوجد سبب يدعو إلى اليأس.

لم أكن قريبًا منها عندما حدث هذا. لذا قد أكون مشاركًا في جريمة قتلها هذه كما لو أنني مَن دفعها تجاه العربة.

كان الترام رقم ثلاثة واحدًا من أقدم عربات القطار ذي الكشاف في المنتصف بإطاره المعدني الذي لا بدَّ أنه كان أول شيء صدم أختي.

لا يمكن إلقاء اللوم على السائق على ما حدث، فقد حدث الاصطدام مباشرة بعد منعطف. حيث يمكن ملاحظة وجودها فقط في اللحظة الأخيرة.

التحقيق أوضح أن أقل مسافة لتفعيل المكابح ثمانية أمتار. ولكي تضع نهاية لحياتها، لم تجد أختي مكانًا أفضل من هذا.

أختي الكبرى.

كانت إنسانة مرحة. لقد كانت هكذا دائمًا. إذا قتلت نفسها – فلماذا ما زلت أكتب "إذا" بعد كل هذه السنوات؟ – ثم إنها لم تفعل ذلك بدافع الاكتئاب، بل خوفًا من أن يفتك بها يومًا ما، غضب ينمو بداخلها.

لم تنهِ حياتها بيديها.

موت أختي كان أول حالة انتحار في محيطي. كان الأمر الوحيد الذي أثَّر فيَّ حقًّا. مع الوقت، يعتاد الإنسان مثل هذه الأشياء.

يحدث هنا في هذه البناية في كثير من الأحيان الهروب إلى اللامكان، ولطمأنة المسؤولين، توجد استمارات مخصصة لهذا. ليس عليك أن تخاف من الأشياء التي لها استمارة، أبدًا، ما دامت هناك لكل تفصيلة خانة عليك فقط ملؤها.

وقت العثور على الجثة. الوقت التقريبي لوقوع الحادث. الأداة المستخدمة.

لا توجد مساحة كبيرة في الاستمارة، لذا يجب عليك أن تختصر.

الأداة المستخدمة: ترام. نلتمس من مسافرينا أن يتفهموا هذا التأخير الطارئ.

تركت أختي العديد من رسائل الوداع. وأيضًا العديد من الرسائل الإلكترونية. ولكنني لم أفهمها بشكل صحيح.

الناس كانوا يقولون: "كانت متزوجة وسعيدة". هذه كانت نصف الحقيقة فقط، فهي لم تكن سعيدة قط، بل كانت متزوجة فقط.

كل شخص يصدق فقط ما يريد أن يصدقه. لهذا في أي مكان، هناك الكثير من الكذب كما هو الحال في الرثاء. فالموتى لم يعودوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم، فلم يعد يهم أي شيء جرى نعيهم به. لقد تزوجت في عمر صغير، لكن الحقيقة أنها جرى تزويجها وهي في عمر صغير.

أهل عريسها كانوا ذا مكانة عالية في طائفتنا، ولكي يحتفظ "باخوفن" بقرب الناس منه، منح الألقاب الفخرية والمناصب مثل شماس أو قس. فقط لقب "الأكبر" كان حكرًا عليه. بالنسبة إلى أتباعه، كانت هذه الألقاب مثل النياشين، يعلقونها بفخر على صدورهم. الارتباط بمثل هذه العائلة الممتازة يعني في نظر والدي علوًّا اجتماعيًّا.

بالنسبة إليه.

لم يكن العريس الشخص الذي يمكنك أن تقع في حبه على الفور، ولكنه لم يكن هناك أيضًا سبب يجعلك تكرهه على الفور. شاب ليس لديه شيء يستحق الإخبار عنه. إنه يعمل عملًا ما في مكتب ما، وبلغ السن الذي يجب عليه الزواج فيه طبقًا لطائفتنا، لذا تزوج. قبل الزفاف، جلست أختي معه فقط مرتين لشرب القهوة وتناول الكعك. لم تكن تعرفه عن قرب واعتقدت أنه سيكون الشخص المناسب، فقد أُختير من قبل الوالدين ووافقَ عليه "باخوفن". فلم تكن تعرف طريقة أخرى. ففرحت بحفل الزفاف، حيث ستكون أول مرة في حياتها مركز الاهتمام. لطالما كانت تحب التمثيل على المسرح، حتى لو لم يكن هذا في منزلنا محل تقدير.

ذات مرة، وعندما كنت صغيرًا جدًّا في ذاك الوقت، كان عليَّ الاستلقاء في غرفة نوم الأولاد في السرير السفلي وأمثل دور الأب السلطوي النائم "يعقوب". جزء من الدور هو أن أنام وعيناي مفتوحتان، وإلا لن أتمكن من رؤية الحلم. في الحلم أرى أختي، وهي تتسلق السلم إلى السرير العلوي وتحلق هنا وهناك مثل الملاك. حتى الأجنحة صنعتها بنفسها، من عبوات رقائق الذرة، فقد قصَّتها وثبتتها على ظهرها بشريط لاصق. وعندما انحل الجناح، حاكت بصوتها صوت سقوط درامي. ثم تجلس على الأرض بجوار سريري وتضحك.

كانت أختي تحب الضحك. فعندما تبدأ بالضحك، لا تستطيع أن تتوقف مرة أخرى. لن أنسى أبدًا اليوم الذي ارتكب فيه والدي خطأً في آية الكتاب المقدس في تلك الليلة، وكان لا يزال من الممكن سماع أختي وهي تضحك فترة طويلة بعد نفيها إلى غرفتها دون عشاء، وكان السبب عندما

أراد أبي أن يستشهد بجملة من جمل النبي "أيوب"، فبدلًا من أن يقول: "سيشرق النور في طريقك"، قال: "سيشرق الثور في طريقك".

أحيانًا، عندما كنا أطفالًا، كنا نتوارى نحن الاثنين تحت الغطاء ونضحك. ولم نكن نحتاج إلى سبب خاص لنفعل ذلك. الضحك بصوت عالٍ كان شيئًا مكروهًا، ممنوعًا، مثل كل أحكام أبي التي يُتبعها دائمًا بآية من الكتاب المقدس "الحزن أفضل من الضحك، لأن الحداد ينقي القلب" تعبير الوجه الوحيد الذي يجده والدي مناسبًا لرجل مسيحي هو الابتسامة اللطيفة والتي أتقنها "باخوفن" ببراعة.

والدي لم يُولد ليبتسم.

في الأعراس في كنيستنا، كان شرب الخمر يُعدُّ شكلًا من أشكال التقوى. مثلما حدث في زفاف "قانا"، كما ورد في إنجيل "يوحنا". أمسك الجميع بإبريق تحول فيه الماء إلى نبيذ، أكثر من خمسين لترًا. كان كل إبريق تحول فيه الماء إلى نبيذ يحمل أكثر من خمسين لترًا. لم يكن يريد "يسوع" - كما فسَّر "باخوفن" القصة - أن يظل الضيوف يقظين. ونظرًا إلى أن معظم ضيوف الزفاف لم يكونوا معتادي الشرب، فقد أدى امتثالهم للشرب إلى جدال واعترافات دامعة.

بقي "باخوفن" بوعيه. رفع كأسه من أجل النخب، لكن بقي النبيذ فيه كأن لم ينقص منه شيء. وأظن أنه قد عرف الكثير عن أبناء أبرشيته من زلات لسانهم عندما كانوا في حالة السكر، وعن أفكارهم الخاصة وأخطائهم؛ المعلومات التي يمكن أن يستخدمها في وقت لاحق كدليل على فهمه الخارق. طريقة لا يمكن لأي فنان محتال أن يفعل أفضل منها.

لم يكن من الشائع بالنسبة إلينا تشغيل الموسيقى والرقص في الأعراس، لكن أختي كانت ترقص على أي حال. ولم تكترث بنظرات التوبيخ التي وجهها الحضور. فقط رقصت وغنت. كانت سعيدة جدًّا في ذلك المساء ومشرقة. كانت جميلة للمرة الأخيرة.

لم تكن أختي قبيحة قط، لا أقصد قول ذلك. لكنه ذلك الوهج الداخلي الذي جعلها مميزة، اختفى هذا الوهج بين عشية وضحاها. حرفيًّا بين عشية وضحاها. لم تتحدث أبدًا عن هذا الأمر، وبعد ذلك أعطت تلميحات فقط في رسائلها، ولكن يمكنك أن تتخيل ما حدث عندما يُطلق رجل عديم الخبرة تمامًا في الأمور الجنسية على امرأة، كل ما لقنوه لها عن جسدها أنه لا بدَّ أن تخفيه في خجل.

ما مرت به في ليلة الزفاف حدث لها وكأنه اغتصاب. لا يهم إن كان زوجها ثملًا أم لا، فلم يكن ليختلف كثيرًا عما لو لم يكن ثملًا. "الزوجات يخضعن لأزواجهن"، أليست هذه وصفة لحياة شهوانية جنسية؟

لم يجد أحد سواي أي شيء مميز حول هذا التغيير. كان من المسلَّم به أن المرأة المتزوجة لا ينبغي أن تكون سعيدة مثل العروس حديثة الزواج.

بعد تسعة أشهر من الزفاف، وُلد طفلهما الأول صبيًّا. وبعد عامين، جاء طفلهما الثاني وكانت فتاة. كانت أختي تبلغ من العمر عشرين عامًا فقط في ذلك الوقت.

لم تشتكِ قط. كانت ترى أن هذه وظيفتها الآن، وحاولت جاهدة أن تفعل كل شيء بشكل صحيح. فقد كانت ذا كفاءة في تحمل المسؤولية. فالأطفال كانوا يرقدون في أسرتهم في الوقت المحدد، والطعام يوضع على

الطاولة في الوقت المحدد. تفعل مثلما رأت والدتها تفعل. كانت مجرد إنسان آلي يقوم بالواجبات المنزلية وهو يرتدي مئزر المطبخ.

"أنا لا ألوم صهري. إنه ليس رجلًا سيئًا، هو فقط لم يتعلم غير ذلك". أجرى زواجه بالطريقة التي كان يعتقد أن الزواج يجب أن يجري بها. اتبع القواعد التي كان يعلمها. بعد وفاة أختي، فعل ما كان متوقعًا وتزوج بسرعة، حتى يكون هناك شخص ما يهتم برعاية الأطفال. لقد وجد شريكًا خاضعًا بدرجة كافية وهو الآن أكثر سعادة من ذي قبل. زواجه الجديد مثل زواج والديَّ؛ الرجل حاكمًا لشقة من ثلاث غرف، والمرأة خادمة له.

لم تكن أختي مناسبة لهذا الدور. عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري، وفكرت في الهروب من المنزل، كانت هي التي أقنعتني. قالت لي:

- لا يمكن أن تقضي حياتك في هذا السجن.

(وأنا أكتب هذا، أنظر إلى نافذة ذات قضبان. يا لسخرية القدر!). لقد قالت لي أيضًا:

- لا يجب أن تلقى مصيري نفسه. فأنت حر.

أخذت بنصيحتها وقلت لوالدي بكل شجاعة أنني أريد أن أعيش حياتي الخاصة. حتى إنني اخترت مقولة مناسبة لهذا القرار من الكتاب المقدس: "ولكنكم أيها الإخوة الأعزاء، مدعوون إلى الحرية!" ولكن لم يقنعه ذلك. فالكتاب المقدس يكون حاسمًا بالنسبة إليه فقط ما دام يعطيه الحق. رسم وجهه ملامح كأنه يريد أن يضربني، لكنني كنت قد كبرت بشكل كبير جدًّا على ذلك. عندما غادرت المنزل مع متعلقاتي، تتبعتني اللعنات. نزل بكائي حينها منهمرًا كبكاء "إرميا". قدمت أختي، والطفلان في يديها

إلى المحطة لتوديعي. عندما عانقتها، شعرت أنها قد زادت في الوزن، وقلت لها نكتة غبية حول هذا الموضوع. لم يخطر ببالي أنها من الممكن أن تكون حاملًا مجددًا بعد سنوات قليلة من ولادة طفلها الأخير.

كانت تلك هي المرة الأخيرة التي رأيت فيها أختي. فعادة لا يقوم المرء بزيارة ولو قصيرة إلى السجن الذي تمكن من الهرب منه. كانت بحاجة إليَّ، وكان عليَّ أن أعرف لو لم أكن مشغولًا بنفسي. لقد فشلت بدافع الأنانية حيث لم يكن من المفترض أن أفشل.

لطالما تصورتُ أنني أستطيع التعامل مع اللغة، لكنني لم أفهم ما أرادت أختي أن تقوله لي في رسائلها الإلكترونية. اعتقدت أن ما كتبته لي كان مجرد ثرثرة عائلية غير مهمة، أسعد بهروبي منها. كان مثل ما تكتبه الأمهات الشابات من ثرثرة معروفة. لم ألحظ كيف أصبحت حكاياتها اليومية تدريجيًّا صرخات طلبًا للمساعدة. أو بالأحرى لم أكن أريد أن ألاحظ ذلك، حتى لا أجد نفسي مضطرًا إلى أن أفعل لها شيئًا. أشعر بالخجل من هذا العمى المتعمد أكثر من أي شيء أُدِنْتُ بسببه.

كتبت لي أختي أنه كان من السهل الاعتناء بالاثنين الأكبر سنًا، لكن كل الشقاء في رعاية الطفل الصغير. بالطبع، حدث ذات مرة أن الكبير كان يعاني وجعًا في الأذن، وكان الطفل الصغير في مرحلة التسنين ولم تستطع النوم بضعة أيام. لم يكن الأمر سهلًا، لكنها تعاملت معه بروح الدعابة. قالت لي في إحدى الرسائل ذات مرة: **"إذا كانت الهالات السوداء حول عينيَّ مصنوعة من الذهب، فسأكون أغنى امرأة في العالم"**.

في السنوات القليلة الأولى، كانت لديها القوة الكافية لمنح أطفالها كل الحب الذي لم يتطرق إليه زوجها. بدا من الطبيعي بالنسبة إليها أن

زوجها لن يساعدها في تحمل تلك الأعباء. لا أتذكر والدي وهو يجفف طبقًا مثلًا أو حتى يحمله من فوق طاولة المطبخ إلى الحوض. كان يمكنها التغلب على التحدي مع طفلين. لكن بوصول الطفل الثالث، أصبح الأمر كارثيًّا. كان أصغر أطفالها صبيًّا أيضًا، كان طفلًا كثير البكاء. يصرخ ساعات، ليس فقط عندما يكون جائعًا أو عندما يؤلمه شيء. يصرخ طوال الليل، وكان عليها وقتها أن تأخذه على ذراعها وتحمله وتمشي به داخل الشقة، حتى يهدأ في وقت ما. وبمجرد أن تضعه، يبدأ في الصياح مرة أخرى. وعاجلًا أم آجلًا، كان يوقظ إخوته ثم يصيح الثلاثة معًا.

كل هذا كان من الممكن أن تتحمله بطريقة أو بأخرى لو أن زوجها أظهر مزيدًا من التفهم. فبدلًا من تقديم الدعم لها، كان يوبخها. كان يحتاج إلى قسطه من النوم، وعليها أن تحرص على حصوله عليه. فقد كتبت ذات مرة: **"في بعض الأحيان، كنت أود أن أضرب الصغير في الجدار"**. وأضافت على الفور: **"ليس هكذا بالطبع"**، ثم وضعت "إيموچي" لوجه ضاحك؛ نقطتان رأسيتان، شرطة، ثم قوس. لقد صدقتها عندما قالت "ليس هكذا" أو أردت تصديقها حتى لا أكون ملزمًا بفعل شيء حيالها.

لكن أصبحت التخيلات أقوى في رأسها. حاولت أن تشاركني خوفها منها، ولكنني لم أفهمها. كشخص يغرق أمام عيني، ووقفت مكتوف الأيدي بجانب الشاطئ. ولم أسمع صرخات الاستغاثة.

كانت الصخرة التي كان عليها أن تتسلق بها فوق الجبل كل يوم أصبحت ثقيلة جدًّا بالنسبة إليها. لا بدَّ أنها شعرت بفكرة إسكات الطفل بالقوة وإغراقه وإلقائه من النافذة وهزه حتى الموت وترسيخها بداخلها. كيف سيطرت هذه الفكرة عليها؟ أصبح الخوف من أنها قد تؤذي طفلها

بالفعل لا يطاق. لم تكتبها أبدًا بهذه الطريقة، لكن كان بإمكاني قراءتها من بين السطور. ويا ليتني قرأتها وقتها!

قلت لنفسي إن كل هذا كان مجرد مبالغة ساخرة. سخرية سوداء. لطالما كانت تحب الضحك.

ربما..

"ربما" هو عذر. من السهل قولها لنهون الأمر على أنفسنا. ربما.

عندما لم تعد أختي تملك القوة للدفاع عن نفسها ضد هوسها، عندما سيطر عليها الخوف من أنها سترتكب فعلًا لا تريده حقًّا، قررت فعل شيء آخر، لضحية أخرى. غطَّت طفلها الباكي بإحكام، وثبتت فرامل عجلات عربة الطفل وانتظرت عند نقطة لا يراها فيها سائق الترام إلا في اللحظة الأخيرة، على حين تسمع الترام قادمًا من بعيد، عندما تصدر العجلات صوتًا كالصراخ في المنحنى، وما كان عليها سوى السير بضع خطوات.

قررت أختي أن تخطو خطوات.

ذهبتُ إلى مسقط رأسي مرة أخيرة في يوم الجنازة. وصلت في وقت مبكر، وكان لديَّ ما يكفي من الوقت للعودة إلى المنزل قبل بدء مراسم العزاء، إلى المنزل الذي نشأت فيه. تخيلت العبارات التي سينطق بها والدي وسيتركها تبقى بداخله. بعد ذلك لم يكن من الممكن تجنب الزيارة، لكن ذلك كان أكثر من كافٍ.

بدلًا من ذلك، تجولت في المدينة مدة ساعة. يبدو لي أنها أصبحت أصغر. أضيق. ما زلت أعرف كل الشوارع، لكن الشوارع لم تعد تعرفني. عُلقت لافتات "للإيجار" على العديد من واجهات المتاجر. بدت اللافتات منهكة، وكأنها فقدت الأمل في التحسن. منذ وقت ليس ببعيد، كان سوبر

ماركت جديد قد التهم عملاء المتاجر الصغيرة. لقد كتبت لي أختي أنها لا تحب التسوق هناك لأنه كان من الصعب ترويض الأطفال وسط كل الإغراءات اللطيفة المعروضة هناك. لقد كتبت لي: "ليس من الممتع أبدًا أن تقول "لا" دائمًا".

آه لو كانت تعلمت أن تقول "لا"، لكان الحال أفضل الآن.

مررتُ من أمام مدرستي الثانوية ولاحظت كيف انغلق رأسي تلقائيًّا بمجرد مروري من أمامها. كما لو كان "نيلز" لا يزال بإمكانه نصب فخ لي. كأن يجبرني على نطق "طبخنا في مطبخكم طبختنا، فطبختم في مطبخنا طبختكم". مثل هذه المخاوف لا تلتئم تمامًا. في باحة المدرسة، كان هناك طفل صغير ينزوي في الزاوية التي كنت أختبئ فيها كثيرًا. كان يبكي. كان لا بدَّ أن يطيب أحدهم خاطره، لكنني أنا أيضًا لم يأتِ أحد أبدًا ليطيب خاطري.

لاحظت أن نادي كرة القدم أصبح له باب جديد وقفل أمان. أمسكت أصيص الزرع ذا نبتة إبرة الراعي الجافة ورفعته فرأيتُ المفتاح القديم الذي لم يعد حاليًّا مناسبًا لأي باب، لا يزال موجودًا. وضعته في جيبي وظل بحوزتي فترة طويلة.

لم يبقَ هناك أي عذر آخر، وذهبت إلى الجنازة. عندما دخلت قاعة الصلاة، كان الأرغن قد بدأ في العزف بالفعل. أدار الجميع رؤوسهم تجاهي وكانوا قد تساءلوا بالفعل أسيظهر الابن الضال أم لا؟ لقد بدا على أبي أنه لم يكن يتوقع مجيئي. في الصف الأمامي، حيث جلست العائلة، لم يكن هناك مكان متروكًا لي. وكان ذلك أفضل بالنسبة إليَّ، لأنني شعرت براحة أكبر في الصف الخلفي.

كانت آلة الأرغن الصغير المحاكاة الوهنة للأرغن الكنائسي في أي تجمع لطائفتنا. غنوا، "افتح لي الباب الجميل" و"باخوفن" واقف أمام الهيكل، متصنعًا الوجه المبتسم. فقد أصدر القرار بأن الموت لا ينبغي أن يكون سببًا للحزن، فإذا عاد شخص إلى أحضان الرب، ستكون حتمًا لحظة سعيدة، ولهذا غنوا: "يااااه، كم ستكون سعيدة روحي في هذا المكان". على الرغم من أن الأرغن بذل كل جهد ممكن لعزف لحن تتوافق وتيرته مع بهجة ما كانوا يتغنون به، إلا أن الغناء كان يتباطأ مع كل مقطع.

خطاب الرثاء الذي قاله "باخوفن" كان يناسب ألف امرأة، أو لا يناسب أحدًا على الإطلاق. فقد وصف أختي بما لم تكن عليه؛ وصفها بالزوجة المحبة والأم السعيدة وزينة الكنيسة. صور مقتطعة من قصص مدرسة الأحد. تقريبًا كما لو كانت قديسة. ربما كان يهرطق، فقد قال إن الحادث وقع لأنها كانت تصلي وأغمضت عينيها.

يا له من حقير! فقد داست على القضبان وعيناها مفتوحتان. أي شيء آخر لم يكن ليناسبها.

وقال "باخوفن" إنه لا ينبغي لنا أن نحزن عليها، فهي بخير وهي الآن ملاك. رأيت أختي أمامي وهي ترفرف بأجنحتها التي صنعتها من علب رقائق الذرة، حول سريرنا ذي الطابقين، فانفجرتُ بالبكاء. لحظتها استدارت امرأة كانت جالسة أمامي وهزت رأسها توبيخًا لي. فعندما يأمر "باخوفن" بالبهجة، فلا ينبغي البكاء.

في المقابر لم يكن الأمر مختلفًا. اصطففتُ بجوار أفراد العائلة. كانت أمي ترتدي فستانًا مشجرًا ووالدي يرتدي ربطة عنق بيضاء. في طائفتنا، لا يرتدي الناس في الجنازات اللون الأسود الكئيب، لأن هذا يعني أن المرء لا

يثق بوعد النعيم الأبدي. وللسبب نفسه، لا يقومون بجلب أي زهور معهم. "ففي الجنة الزهور أكثر جمالًا"، كان هذا قرار "باخوفن".

لقد شاركت في كل ما كان مطلوبًا مني، فعندما قرعوا بالصليب، قرعتُ بالصليب، وعندما قالوا "آمين"، قلت "آمين"، وعندما ألقوا التراب بالمجرفة على التابوت، فعلت مثلما فعلوا. وفي النهاية، اصطففتُ معهم في طابور العائلة، كما هو المعتاد في طائفتنا. كان "باخوفن" واقفًا في أول الصف ثم صهري مع طفليه الأكبر سنًا ووالدي وأمي وأخي وفي نهاية الصف وقفتُ أنا. مرَّ علينا أفراد الطائفة وصافحوا كل واحد منا، وبعضهم عانقنا. لا أعرف إن كانوا قد فعلوا ذلك من قبيل المواساة أم ليجعلوا "باخوفن" يشعر بدفء قلوبهم.

آخر شخص انضم إلى العزاء كان "فرانتس هارتمان". لم أكن أعرف حتى ذلك الحين أنه قد عاد إلى الطائفة. "باخوفن" الذي كان قد مد يده للجميع، تجاهله بشكل لافت وقلدهُ أبي المطيع دائمًا في فعله. عندما مر "فرانتس" بي، عانقني وهمس في أذني:

– الليلة. هنا في المقبرة سوف أنتظرك.

لكنه اختفى قبل أن أتمكن من الرد. عندما انتهى كل شيء، عادت كل العائلة إلى المنزل، أو من تبقى منهم. فقط صهري لم يأتِ، كان عليه أن يحل محلَّ جليسة الأطفال. كنت قد مشيت في هذا الطريق آلاف المرات، وأعرف كل منزل وكل زاوية، ومع ذلك بدا كل شيء غير مألوف بالنسبة إليَّ، كما لو اختطفني غرباء أخذوني رهينة في مدينة غريبة. مشى أخي بجواري يعاتبني بلهجته المتعالية التي طالما كرهتها فيه. لقد أصبتُ والديَّ بخيبة أمل عميقة، على حد تعبيره، وتسببت لوالدي بجرح عميق في روحه بسبب عقوقي – في الواقع كان يتحدث وهو حانقٌ جدًّا –

ينبغي لي أن أرجع وأعود مرة أخرى إلى طريق الرب. لم أرد عليه، لأنه هو أيضًا لا يحب أن يقاطعه أحد في أثناء خطبة الوعظ التي يلقيها.

في البداية جلسنا معًا في غرفة المعيشة، صامتين ومتصلبين بجوار بعضنا بعضًا، كما لو كنا في زيارة عند أنفسنا. لم يتغير شيء في الغرفة. على البوفيه، كان لا يزال هناك وعاء الحلوى، والتي كنت أود أن آخذ منه واحدة عندما كنت طفلًا، لكنها كانت موضوعة فقط للضيوف الذين لم يأتوا أبدًا.

بجوار ساعة الحائط التي كان مسموحًا فقط لوالدي بضبطها، كان لا يزال هناك القطع نفسه في ورق الحائط والذي كنت السبب فيه. دفعتني أختي عندما كنت أركب دراجة الأطفال ثلاثية العجلات، فسرت بسرعة داخل الشقة كما لو كنت متسابق "الفورميولا وان" "نيكي لاودا" واصطدمت بالحائط. أظن أنني تعرضت للضرب حينها، لم أعد أعرف. فالضرب كان أمرًا يوميًّا في منزلنا. كانت الستائر الثقيلة التي سُحِبَتْ بمجرد تشغيل الضوء في المساء – لأنه لا ينبغي لأحد أن ينظر داخل منزلنا – جديدة، حيث استُبدِلَتْ بنقشة زهرة قبيحة نقشة زهرة قبيحة أخرى. كان الهواء يعج بكل الأشياء التي لم يقلها أحد.

لاحقًا، في المطبخ، كانت لا تزال هناك الكراسي نفسها حول الطاولة باستثناء أنها أصبحت أربعة بدلًا من خمسة. أعدَّت والدتي حساءً وكانت تقطع الخبز بمنتهى التركيز كما لو أن مصير البشرية يعتمد على تساوي حجم الشرائح بالضبط. كان والدي قد أعدَّ آية من الكتاب المقدس التي علينا أن نتدبرها في أثناء الأكل. "افرحوا بالرب في كل حين!" (فيلبي 4:4). "ومرة أخرى أقول: افرحوا!".

عندما دفعت طبقي بعيدًا، لم يمنعني أحد. تعثرت بسبب الكرسي الخامس الموجود في الردهة. كانت والدتي قد أخرجته حتى لا يكون هناك مكان خالٍ على الطاولة يتسبب في غصة في القلب. كالعادة، لم يكن هناك ما يكفي من الضوء في بئر السلم، لكن كان بإمكاني قراءة التحذير من إمكانية قفل الباب الأمامي بالمفتاح من الساعة 9:00 مساءً حتى في الظلام الدامس. أمام المنزل وقف زوج من العشاق، وبدا لي أن رقتهما تجاه بعضهما كانت جزءًا من لغة لم أتعلمها قط.

كان يومًا مناسبًا تمامًا لمراجعة الحسابات القديمة، ولهذا ذهبت إلى المقابر مرة أخرى. لم أتوقع حقًّا أن أقابل "فرانتس هارتمان" هناك، لكنه كان ينتظرني عند قبر أختي. رائحة التراب الذي رُمِيَ حديثًا كان أول شيء نظيف صادفني في هذا اليوم. قال "فرانتس":

– جيد أنك أتيت!

إلى "بارنيه بوكلر"

عزيزي السيد "بوكلر"،

لا أستطيع تصديق ذلك! هل حقًّا ما كتبته لي؟ أنا سعيد بذلك، بالطبع، أنا سعيد جدًّا، لكنني لا أستطيع استيعاب هذا. أنا كاتب غير معروف على الإطلاق. لم يسمع أحد باسمي من قبل. لا أحد يعرف عن كتابي غير الذي موجود في قائمتكم. جيد، لقد وزعتم عينة من الفصل، لكن هذا وحده لا يمكن أن يكون سببًا في كل ما حدث.

والإعلانات لم تبدأ بعد. وحتى لو، لقد نبهتني منذ البداية أنه لن تكون هناك ميزانية كبيرة لذلك. لماذا إذًا؟

بالطبع، إنه أمر مفرح. بل أكثر من مفرح. لم أكن لأجرؤ حتى على أن أحلم بشيء كهذا، فالكتاب لم يكتمل بعد، وأنت تبلغني أنك تريد زيادة عدد الطبعات! لأننا ربما سنضرب على الوتر الحساس لدى الجمهور. بالطبع أريد أن أصدق هذا، ولكن كيف؟

من الممكن أن يكون الموضوع مثيرًا، ولكن هذه ليست أول مرة يكتب فيها من عليه حكم كتابًا عن حياته الخاصة. فأنا ببساطة لا أستطيع أن أستوعب الأمر.

أنا لست على دراية بعملك. أفعلًا حقًّا أن عدد حجوزات النسخ مرتفع بشكل غير عادي؟ كنت أود لو أستطيع أن أتحقق كيف يبدو الوضع على موقع "أمازون"، ولكن ليس لديَّ هنا اتصال بالإنترنت.

لا يهم. لا أريد أن أعرف كيف حدث ذلك. من المحتَّم أننا فعلنا شيئًا بشكل صحيح.

ما الذي يتوجب علينا فعله الآن؟ إذا كان لديك الحق وكنت تنتظر أخذ العديد من الصور لي عند إطلاق سراحي، فلا يمكننا بالطبع أن نصور المشهد بكل سهولة. ربما نستطيع فعل ذلك بطريقة استثنائية عند البوابة الرئيسية. حاول أن تنسق هذا مع إدارة السجن! فإذا حدث هذا الصدى المرجو، يمكن أن يكون لمثل هذا المشهد تأثير إيجابي على السجن (لقد دعمناه في موهبته الأدبية وجعلنا منه عضوًا مفيدًا في المجتمع مرة أخرى). وإذا كان هذا سيفيدنا في شيء، سأقول للصحفيين هذا بكل سرور.

الآن لن أتمكن من تجنب اللقاءات الحوارية المباشرة، وسيظهر التلعثم بين الحين والآخر. في بعض الأيام، يكون الحديث أفضل من غيره، لكنه سيكون أكثر فعالية إذا بالغت في تثبيط كلامي. خاصة عندما يكون هناك شخص ما من التليفزيون ويمكنه رؤيتي أيضًا ويقول: "لطالما عانى، لكنه شجاع". فلقد نجحت كثيرًا في هذا الموقف. ولأنه على ما يبدو أن الأمر سيصبح ذا أهمية، فلديَّ رجاء عندك؛ الملابس التي أحضروني بها إلى هنا في ذلك الوقت لا تبدو مناسبة للتسجيلات. فعندما أُعتقلتُ، كنت قد جئت للتو من الريف الجنوبي، والملابس تبدو ملائمة بشكل كبير للعطلات. ليست صورة المفكر النقي الذي نريد أن ننقلها.

سيكون من اللطيف لو أنك أرسلت لي بنطالَ چينز وسترة صوفية سوداء ذات ياقة. توجد هنا خزانة ملابس باسمي، رقمها مئة وثمانية وسبعين، وأنا رشيق القوام. (في السجن، النزلاء إما بُدُن وإما نُحَفاء، على حسب أكانوا سيصمدون أم لا). كما أريد نظارة شمس أيضًا. (فبعد كل هذه السنوات العديدة داخل الزنزانة، لم أعد معتادًا أشعة الشمس).

ما زلت لا أصدق ما على وشك أن يحدث. ستكتب عني أنني "ظاهرة". حسنًا، أريد أن أكون ظاهرة، لكن أخبارك جعلتني أرتبك حقًّا. ستكون الكتابة مستحيلة تمامًا في الوقت الحالي. لحسن الحظ، يمكنني أن آخذ قسطًا من الراحة منها في الوقت الحالي. أرفق الفصل الأخير الذي لم أنهِه بعد. أعتقد أن ما أخبرتني به سيكون طريقة جيدة لإنهاء الكتاب.

مع خالص تحياتي القلبية!

"يوهانس هوزاي"

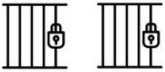

يوميات

من ناحيتي، ليس عليَّ أن أتصنع التواضع. فالناس قد قرؤوا عينة من الفصل ثم طلبوا الكتاب.

لا يجب أن أكون ممتنًا لأي شخص.

فصل من حياتي

تحدث معي "فرانتس هارتمان" كما لو كنا أصدقاء قدامى ولم نلتقِ منذ فترة طويلة. لقد قال لي:

– أنا في انتظارك. لقد أعطتني أختك عنوان بريدك الإلكتروني، لكن يبدو أن رسالتي لم تصل أبدًا. أنا آسف أنه كان علينا أن نلتقي مرة أخرى في ظل هذه الظروف. وربما كان يجب أن يكون هكذا. كونك هنا الآن يعني أن الوقت المناسب قد حان وأنه أخيرًا قد جاء.

بدا الأمر كما لو أن الكلمات تُنتزع منه بقوة شديدة. كواحدٍ فكر في شيء ألف مرة ولم يعد يستطيع أن ينتظر ليُشاركها أخيرًا مع أحد. قال:

– اليوم. اليوم. اليوم.

فكرت وهلة في تركه هناك والذهاب إلى محطة القطار مباشرة للحاق بالقطار المتجه إلى برلين. لكنني فكرتُ أنه إذا لم أستمع له الآن، فسأفكر مدى الحياة فيما كان يحاول إخباري به.

سكن "فرانتس" في بير السلم، في غرفة صغيرة تحتاج إلى صعود خمس درجات من السلم للوصول إليها وإلى نزول نصف سُلمة للوصول إلى المرحاض.

أُضطر إلى أن يزيل ما على الكرسي من الملابس أولًا. لا يوجد سرير للنوم، فقط شيء يشبه البساط الياباني، وحوض غسيل بإبريق. كل شيء كما لو كان في القرن التاسع عشر. الأشياء الوحيدة التي لم تكن تتناسب مع هذه الصورة هي جهاز "لاب توب" وطابعة كبيرة.

وعلى أحد الجدران، كانت صورة "باخوفن" معلقة في إطار باهظ الثمن. عرف "فرانتس" نفسه وكان يحرك يده اليمنى في إيماءات غير متزنة وغريبة كما لو أنه يريد رشم الصليب، لكنه لم يعد يعرف كيف يبدو شكل الصليب.

أصر أن أجلس على الكرسي. ولنفسه، لفَّ بساط النوم وحوَّله إلى كرسي غير مريح. وقال:

- في الماضي، كانت الخادمات يسكنَّ هنا. ولهذا استئجرتُ هذا المكان. فغرفة الخدم تناسبني.

قالها وكأنه يريد أن يمزح. عندما كان "فرانتس" مراهقًا، كان صبيًّا جميلًا ممشوق القوام. الآن أصبح نحيلًا. عيناه تبدوان أكبر من باقي ملامح وجهه. شخص يمكنك أن تتصور أنه على دراية بالعديد من الأشياء.

أكثر شيء تغير فيه كان صوته. كما لو أنه عانى أكثر من صاحبه. صوت إنسان لم يعد هناك شيء يفاجئه أو يخيفه حتى بكل تأكيد. قال:

- إذا كنتَ جائعًا، فيوجد هناك بعض من فتات الخبز. وعلى عتبة النافذة من الخارج، هناك نصف زجاجة لبن. فأنا لا أحتاج إلى الكثير.

فأجبته كذبًا:

- لقد أكلت للتو.

فرد "فرانتس":

- أوه نعم، العائلة. لقد نسيت أن هناك شيئًا مثل هذا. فأنا لم يعد لديَّ والدان.

- تُوفِّيا؟

- لقد غبت عن الأنظار. فقد كنت ابنًا عاقًا، مثلك تمامًا.

فأومأتُ برأسي، لأنه كان محقًّا.

سألته:

- لماذا رجعت إلى هنا؟

ضحك "فرانتس" ضحكة تعيسة وقال:

- بسبب "باخوفن". فقد طرد الشيطان مني. ومثل هذا الفعل خلق رابطة بيني وبين المكان، مثل التي خلقها بيني وبينك.

قلتُ:

- كنتُ..

لم يدعني أكمل حديثي وقال:

- أعرف. كنتَ طفلًا. أنا لا ألومك. ولكن هناك فاتورة لم تُسدد بعد.

عندما حكى عن نفسه، بدا كما لو كان يتحدث عن شخص يُشاع أنه يعرفه. حكى لي أنه عاش سنوات عديدة في مدينة أخرى. وتزوج ولم يعارض زوجته عندما أرادت الانفصال وقال:

- لقد أخبرتني أن لا أحد يطيق العيش معي. فبداخلي ينقصني شيء ما. وأظنه الجزء الذي استأصله مني "باخوفن".

لقد تسكع كثيرًا وترك نفسه للانجراف بين مدن ومهن مختلفة.

- ولكن لا أحد يستطيع الهروب من نفسه.

هذا ما قاله لي.

في النهاية، رجع وانضم إلى الطائفة مرة أخرى. منذ ذلك الحين، وحتى الآن من دون خطة محددة. فقط كان نوعًا من الأمل المجهول بأن يجد سلاحًا ضد "باخوفن" وهو بالقرب منه. أدى دور النادم وتوسل إلى "الأكبر" ليقبل انضمامه مرة أخرى. وقال لـ"باخوفن":

– أشعر أن الشياطين لم تغادرني تمامًا بعد. أحتاج إلى مساعدتك لأتمكن من طردها.

فوعده "باخوفن" بالمساعدة.

وعلى الرغم من أنني لم أصرح أمامه باعتقادي أنه مجنون، بأنه قد سمعها مني. وقال:

– كنت كذلك فيما مضى.

ثم ضحك مرة ثانيةً الضحكة التعيسة نفسها.

– لكنني استعدت عقلي الآن. "باخوفن" كان طيبًا وقبلني مرة أخرى، على الرغم من أن الشياطين ما زالت تقبع بداخلي. أتعلم؟ الشيطان "بافوميت" لم يكن الوحيد. "باخوفن" هو مَن أوضح لي هذا. إن الشياطين مثل الخرَّاج، إذا لم تنظِّفه كليًّا في أثناء العملية، فسينمو من جديد. لكنه سيحررني من كل هذا تمامًا.

ومرة أخرى، فعل الحركات الغريبة نفسها. ولكنني هذه المرة فهمتُ ماذا يفعل.

كان يتحسس بأصابعه شكل ندبات الجرح، بين شكل حروف "ألفا" و"أوميجا". قلت:

– لا أستطيع أن أصدق هذا. "باخوفن" وأنت..

قال "فرانتس":

– إنه يحبني.

– إنه حتى لا يصافحك!

– حتى لا يدنس نفسه. يداه في حاجة إلى نقاء مطلق. هذا من وجهة نظري. هذه المرة يريد أن يفعل كل شيء بشكل صحيح. حتى أكون

سعيدًا في النهاية. لقد وعدني بذلك. أنا أفهمه جيدًا. لم أفهم أحدًا مثله أبدًا. أحيانًا يكون الأمر كما لو كان لنا جسد واحد.

- لا أفهم كيف يمكنك أن تصدق كلمة واحدة من كلام هذا الرجل. إنه..

أردتُ قول كلمة "دجال"، لكن "فرانتس" لم يعطني الفرصة لأكمل جملتي. قال "فرانتس":

- أعلم ذلك.

ثم بدأ صوته يهدأ تدريجيًا. ويصير أكثر واقعية وأكمل:

- كونه دجالًا، هذه نقطة قوته، ولكن في الوقت نفسه نقطة ضعفه. لأنه يصدق أكاذيبه. لهذا وقع في شباكي. هو فخور جدًّا أنني التمست العون منه، وهو من سمح لي بالتقرب منه.

- وماذا يعني ذلك؟

- على ما يبدو أن الشياطين لا تتركني وشأني أحيانًا.

تشنج وجهه وأصدر أصواتًا غير مفهومة. ثم صار هادئًا فجأة تمامًا كما كان.

- إذا كان جمهورك مصممًا على تصديقك، فلن تحتاج إلى التمثيل. عندما ألاحظ أنني أشعر بالقلق مرة أخرى، كنت أخبره بذلك وبعد ذلك يمكنني أن آتي إليه بالليل. اليوم هي أول مرة التي لن أذهب إليه وحدي. سوف تأتي معي. في صومعته. حيث كنا معًا من قبل.

- أينبغي لي...؟

- لقد ألزمت نفسك بهذا، كتابيًّا. هل عليَّ فك زر قميصي لأريك توقيعك؟

هناك وعود لم يقطعها المرء على نفسه، وعلى الرغم من ذلك يتعين الوفاء بها.

لا، لم يكن "فرانتس هارتمان" مجنونًا. أو ربما كان بطريقة منطقية. فقد صاغ خطته للانتقام منذ فترة طويلة. درس وحسب جميع الجوانب. كان مقتنعًا بأنه لن يتمكن من عيش حياة طبيعية مرة أخرى فقط إلا عندما يتعامل بالمثل مع "باخوفن". قال:

- حينها سيكون كل شيء مختلفًا. وعندها سأستطيع أن أعيش كما لو أن كل هذا لم يكن.

الشيء المذهل في الأمر أنه ثبت أنه على حق. آخر مرة سمعت عنه أنه قد وجد شريكة جديدة وأسسا معًا متجرًا للكتب الروحية، وهي قصص عن الملائكة والشياطين. لذا فهو على دراية بها. حياة مدنية جيدة تحت اسم جديد.

(إنها ليست مكتبة لبيع الكتب حقًّا. لقد غيرت بعض التفاصيل. فـ"فرانتس" - الذي لا يدعى "فرانتس" أيضًا - لا يجب أن يصطدم مرة أخرى بماضيه بسبب هذا الكتاب).

نظر "فرانتس" إلى الساعة وأومأ برأسه وقال:

- ما زال لدينا وقت. "باخوفن" ينتظرني في منتصف الليل. في وقت السحر. هو مرن في مثل هذه الأشياء.

وصف لي خطته، كما لو أنها كانت تتمحور فقط حول تحديد موعد لتناول العشاء معًا. فكل شيء كان معدًّا سالفًا. وكان ينتظر فقط الرجل الثاني، الترس الوحيد الذي كان لا يزال مفقودًا في قطار التروس. قال:

- من المناسب أن يكون هذا الشخص أنت. هذا تقريبًا بمنزلة تطبيق العدالة السماوية.

كلما تأخر حدوث ما ينوي، تحدث أكثر. فقد كان هناك الكثير الذي يجب أن يتحرر. قال:

- هل يمكنك أن تتخيل كيف يكون الأمر عندما تشعر دائمًا بالذنب؟ مذنب طوال حياتك؟ على الرغم من أنك لم تفعل أي شيء؟ كنت مجرد مفعول به لا أكثر. كما حدث معك بالضبط أم أنك كنت تتلعثم من قبل ذلك؟

أما عن خطته والدور الذي كان من المفترض أن أؤديه فيها، وصفها لي على أنها أمر طبيعي:

- سأفعل هذا، ثم ستفعل ذلك، وسأفعل ذلك، وسرعان ما لن يكون هناك المزيد من "باخوفن". لا مزيد من "باخوفن"، هل تفهم؟ سيكون عالمًا أفضل من دونه.

كنت أتمنى أن أهرب في الليل مما طلبه مني، لكن هناك ديون يجب سدادها.

من أجل الوصول إلى "باخوفن"، قدم نفسه على أنه الضحية المتلهفة، الضحية التي لا تطيق الانتظار حتى تتعرض للتعذيب مرة أخرى. يقول "كافكا" عن "المحكوم عليه" في رواية "في مستوطنة العقاب": "بدا المحكوم على أي حال شديد الشبه بكلب خاضع، بحيث أن المرء قد يعتقد أن بالوسع تركه ينطلق حرًا في التلال المحيطة بالمكان".

كان "فرانتس" قد طرق باب الصومعة وقال لـ"باخوفن": "أوه، من فضلك، أطلق صافراتك لآتي إليك". قال "فرانتس":

- كنتُ أؤدي أمامه دور مَن تسكنه الشياطين، وهو من يطردهم. لقد أصبحت هواية حقيقية بالنسبة إليه. إنه ممتن حقًّا لي. فلقد أعطيته الفرصة ليفعل ما يحب فعله بشكل أفضل.

قلتُ له:

- طرد الشياطين؟

قال "فرانتس":

– يمكنك أن تسميها كذلك.

لم أكن أعرف من قبل كم يمكن أن تكون الضحكة مؤلمة. قال:

– ما يفعله بي ليس لطيفًا، لكنه ليس الأسوأ. على الأقل هذه المرة أعرف من الذي أتعامل معه.

عندما تتلعثم، لا تسمع الرعشة في صوتك، سألته:

– بالـ.. بالمشرط؟

نظر إليَّ "فرانتس" كمدرس يشعر بخيبة أمل لأن تلميذًا لم يفهم الدرس. قال:

– كان ذلك منذ وقت طويل. في غضون ذلك، أصبح لديه آلات أكثر متعة بالنسبة إليه. وسوف ترى.

كانت هذه هي المهمة التي أسندها إليَّ: أن أشاهد وأسجل. كان "فرانتس" قد أحضر كاميرا من طراز غالٍ، يمكنها أن تلتقط صورًا بأعلى جودة حتى في الإضاءة الخافتة. وقال لي:

– سيكون كافيًا إذا فتحت جزءًا صغيرًا من الباب المؤدي إلى الصومعة، وأنا سأتكلف بجعلك ترى كل شيء بوضوح.

فقلتُ:

– ألن يلاحظني؟

قال "فرانتس":

– صدقني عندما يكون منهمكًا بما يفعله، لا يلاحظ أي شيء وبعدها تزول عنه حاستي السمع والبصر.

كان قد حصل من "باخوفن" على مفتاح الصومعة وأخبرني:

– إنه يثق بي جدًّا.

لقد صنع منه نسخة ووضعها في يدي. المصلى نفسه لا يُغلق في وجهي. لقد كان هكذا، عندما كنت طفلًا صغيرًا.

- إذا احتاج أحد إلى أن يتكلم مع الرب، يجب أن يستطيع أن يفعل هذا أيضًا حتى في منتصف الليل. كما هو منصوص عليه في العهد القديم.

قال "فرانتس":

- لم يتبقَ سوى عشرين دقيقة. لقد حان الوقت لكي أبدل ملابسي. فلدينا طقوسنا، "باخوفن" وأنا؛ أن ننتظر حتى يدق جرس كنيسة "بطرس" في منتصف الليل. مع أول دقة جرس، أدخل المفتاح في القفل، ومع آخر دقة، أكون مستلقيًا على مكتبه.

- على المكــ..؟

ثم صدرت منه مرة ثانية الضحكة التعيسة نفسها وسأل:

- وماذا كنت تعتقد؟

عندما بدأ بخلع ملابسه، أردتُ أن أبعد وجهي ناحية الجهة الأخرى، ولكنه هز رأسه رافضًا وقال:

- سترى مني الكثير اليوم.

تحولت الندوب على صدره إلى خطوط رفيعة، لكنني ما زلت أستطيع قراءة الأحرف اليونانية.

"أوميجا" و"ألفا".

وقف عاريًا أمامي للحظة، ثم ارتدى الجينز والقميص نفسيهما، ولكن من دون ملابس داخلية. وقال:

- إنه غير صبور دائمًا.

لم تكن غرفة الصلاة بعيدة. في الطريق، لم يتفوه أي منا بكلمة واحدة. فقط عندما مررنا بكشك بيع الصحف المغلق الموجود على الجهة الأخرى من قاعة الصلاة، سأل "فرانتس":

- هل كنت تتصفح دائمًا مجلات النساء العاريات سرًّا هنا؟

عبرنا الشارع ثم فتح باب غرفة الصلاة وقال:

- تعالَ بعد خمس دقائق. أنت تعرف ماذا ستفعل.

كان قد اختفى بالكاد عندما سمع دقات الجرس الأولى لكنيسة "بطرس".

كنت أتوقع أن أشعر أن الوقت سيمر ثقيلًا، لكن كان العكس. ثلاث دقائق أخرى. اثنتين أخريين. الآن.

كانت الكراسي في غرفة الصلاة غير مثبتة في صفوف ذات طرقات واسعة. تحسست طريقي بينها في شبه ظلام تام، محاولًا عدم إصدار أي ضوضاء. على الرغم من أنها لم تكن لتسمع من خلال باب حرم المصلى المبطن.

عندما كنت على وشك وضع المفتاح في القفل، سقط من يدي. للعثور عليه مرة أخرى، كان عليَّ الركوع على الأرض. يبدو أنني كنت أصلي إلى أن وجدته في النهاية.

أخيرًا فُتح الباب.

شموع. الرفوف ذات الأناجيل. المكتب.

كان "فرانتس" مستلقيًا على ظهره عاريًا على المكتب وقريبًا جدًّا على بعد خطوة واحدة فقط من الباب لكي ألمسه وأدفعه. كان "باخوفن" يجلس القرفصاء فوق رأس "فرانتس" وقد أسدل سرواله ولسان "فرانتس"..

لا أريد أن أصف هذا، فهناك العديد من المواقع الإباحية الكافية حيث يمكنك أن تشاهد شيئًا مثل هذا هناك. لقد قال "فرانتس": "أحيانًا نكون كما لو كنا جسدًا واحدًا".

أغلق "باخوفن" عينيه وكان يئن. لقد كانت الأصوات التي كان يصدرها غريبة، ولكن عندما كنت طفلًا صغيرًا، كنت هناك أحمل مشرطًا بيدي وأعرف ماذا يعني هذا. "باخوفن" كان يئن بأسماء الشياطين، "سامينجا" و"موراكس" و"أستاروث" و"أكيفالوس" و"أكمودي".

لا، هو لم يكن يتوجع منهم بل كان يقذفهم، وليس هم فقط.

الكاميرا لا تصدر أصواتًا عند الضغط على زر التشغيل مرارًا وتكرارًا.

عندما انتهى "باخوفن"، جلس منهكًا ومؤخرته العارية على وجه "فرانتس". أغلقت الباب بهدوءٍ تام، ولكن حتى لو أغلقته بعنف، لم يكن ليسمع أيضًا.

فعلت ما طلبه مني "فرانتس" وأودعت الكاميرا في حوض المعمودية الفارغ.

بسم الآب والابن.

إلى أن جاء أول ترام، جلست القرفصاء في إحدى زاويا فناء مدرستي الثانوية القديمة والتي كنت غالبًا ما أبحث فيها عن الملاذ. ولم أرجع إلى بلدتي منذ ذلك اليوم.

وبعد مرور أسبوعين، شنق "باخوفن" نفسه.

فوق باب الصومعة، كان هناك خطاف داخل الحائط الذي ثبَّت الحبل بداخله. صعد على الكرسي؛ كرسيه المتواضع الذي كان شاهدًا على تكبره، وعقد الحبل حول رقبته ودفع الكرسي. السقوط لم يقم بكسر رقبته، مثلما عرفت من الصحف. لا بدَّ أن موته كان أليمًا.

لكنه لم يكن أليمًا بدرجة كافية.

الطائفة – التي لم تعد موجودة من دون معلمها – أقنعوا أنفسهم بأن اشتياقه ليكون بجوار الرب دفعه إلى فعل هذا. أولئك الذين يريدون أن يصدقوا سيجدون دائمًا المبررات للتمسك بقناعاتهم.

أنا أيضًا كنت متواطئًا مع موته، ويمكنني أن أعيش جيدًا من دون أن أشعر بالذنب.

من المحتمل أن "فرانتس" فعل كما خطط، أخذ الكاميرا من حوض المعمودية وطبع الصور. ربما يمكنني أن أتخيل أنه نظر في الصور مرارًا وتكرارًا. ويمكنني أن أتخيل أيضًا أنه لم ينظر إليها بإمعان، لأنه عاشها كلها. ربما انتقى أول صورة وأرسلها إلى "باخوفن" بعناية، أو أخذ واحدة من دون اختيار. لا يهم فلن يشكل هذا فارقًا.

صورة في ظرف من دون عنوان المرسِل ومن دون كلمة للتوضيح.

الخطاب التالي والقادم.

"باخوفن" لم يكن في حاجة إلى عنوان لمعرفة من الذي أرسل هذه الصور إليه. أعتقد أنه كان يبحث عن "فرانتس" أملًا في أنه يستطيع أن يُسكته، لأنه كان يثق بفنون الإقناع التي يمتلكها. ولكن الحجرة كانت فارغة لأن "فرانتس" لم يعد هناك. وبعد مرور عشرة أيام، أو بعد مرور أسبوعين، لم يكن هناك المزيد من الصور في الظرف، ولكن فقط تنويه.

"غدًا ستصل الصور إلى الصحافة"، فقام "باخوفن" بشنق نفسه.

لم يكن أخلاقيًّا ما فعله "فرانتس هارتمان"، أو ما فعلناه معًا. كلما كبرت في السن، شككت في أن هناك شيئًا يُدعى الأخلاق من الأساس.

يوميات

لماذا ما زلت أدوِّن هذا في يوميات لن أستطيع أن آخذها معي وبالتأكيد لا يمكنني أن أتركها هنا؟ لقد مزَّقتُ كل الصفحات الأخرى وألقيتُ بالقصاصات في المرحاض. وفي اليوم الذي سبق إطلاق سراحي، لم أعد مكلفًا بالعمل. أصبحتُ لا أعرف أن أفعل شيئًا في وقت فراغي سوى الكتابة. كان هذا جزءًا من تحولي. تحول في منتصف الطريق من السجين "شتيركله" إلى المؤلف "يوهانس هوزاي".

كان "بوكلر" متحمسًا من تزايد الإقبال على كتابي ويتحدث عن الضجة الكبيرة التي أحدثها. لأن الكثير من النسخ طُلِبتْ بالفعل، ثم طُلب منها المزيد أيضًا. كان الأمر أشبه بكرة الثلج، فبمجرد أن يبدأ، يصبح أكبر وأكبر.

لم يستطع تفسير هذا النجاح، لكن يمكنني أن أخبره ما السر وراء ذلك، فلم يكن بالتأكيد بسبب جودة كتاباتي، فجنون العظمة لا يليق بي.

قبل ثلاثة أيام، كان لديَّ رفقة وأنا أسير في الفناء. وعلى كل جانب يسير بجواره رجل مفتول العضلات من قسم الغسيل قاداني إلى المكان الذي يمكننا الجلوس فيه على الحافة تحت الشمس. لم تكن هناك شمس، لكننا جلسنا على أي حال. قال أطولهما:

- إنها رسالة من "المحامي"، يخبرك أنتما الآن متعادلان. لقد طلبوا ما يكفي من الكتب لضمان النجاح. هل تفهم ذلك؟

أومأت بالإيجاب.

فقال:

- جيد.

كان على وشك النهوض، ولكن ازداد فضوله بعد ذلك فسأل:

– أي نوع من الكتب يقصد؟

فوضعت إصبعًا على شفتي. وهذا يعني أن "المحامي" لا يحب الحديث عن أسراره.

لقد حافظوا على كلمتهم معي. وقال لي "المحامي": "سيكون كتابًا ناجحًا. لقد اعتنيتُ بالأمر بنفسي".

سأكون ممتنًا له، لكنني أشعر أيضًا بخيبة أمل طفيفة. كنتُ أفضل أن يقرأ الناس كتابي لأنهم أحبوه حقًّا. أما الآن فسيفعلون ذلك فقط لأنهم يعتقدون أن الآخرين أحبوه.

لا يهم.

سوف أخرج من هذه البوابة غدًا، وسيكون في انتظاري الصحفيون والمصورون وسأكون شخصًا آخر.

صدر من سلسلة كتب مختلفة:

.1	اسمي نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
.2	كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.3	أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.4	جريمة في بوينس آيرس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.5	شرخ في الحائط	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
.6	نقطة الصفر	ناريج ماليان	أرمينيا
.7	مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
.8	سأنتقم لموتك	كارما ريرا	أسبانيا
.9	الدبلوماسي	إليت أليشكا	ألبانيا
.10	قصص بسيطة: رواية من ألمانيا الشرقية	إنجو شولتسة	ألمانيا
.11	لأننا في مكان آخر	رشا الخيَّاط	ألمانيا
.12	سيلفي مع الشيخ	كريستوف بيترز	ألمانيا
.13	حب كالأفلام	فيكتوريا فان تيم	أمريكا
.14	أفلام في قصص	مجموعة مؤلفين	أمريكا
.15	مصنع الأحذية	چيفري لويس	أمريكا
.16	الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
.17	اليوم الرابع	سارة لوتز	إنجلترا
.18	حياة على باب الثلاجة	أليس كويبرز	إنجلترا
.19	ثم ابتلعه الحوت	أمير أحمدي أريان	إيران
.20	لا صديق سوى الجبال	بهروز بوتشاني	إيران/ كردستان
.21	الموت والبطريق	أندري كوركوف	أوكرانيا
.22	تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
.23	بيت من زجاج	ويندي إرسكين	أيرلندا
.24	عملية البنك الأيرلندي	ريتشارد أوراو	أيرلندا
.25	مشعلو الحرائق	جان كارسون	أيرلندا
.26	قصص من أيرلندا	مجموعة مؤلفين	أيرلندا
.27	جريمة الساحر	أرني ثورارينسون	أيسلندا
.28	شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
.29	العاصفة	إينار كاراسون	أيسلندا
.30	الفخ	ليليا سيجورادوتير	أيسلندا
.31	الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا

32. أسود صقلية	ستيفانيا أوشي	إيطاليا
33. حذارٍ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
34. من هو لو سيورتينو؟	أوتافيو كابيلاني	إيطاليا
35. أحلام سعيدة يا صغيري	ماسيمو جارميلليني	إيطاليا
36. سيارة اسمها النصر	إيلمار تاسكا	إستونيا
37. أرق من الجلد	أوزما إسلام خان	باكستان
38. سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
39. امرأة في حقيبة	رافاييل مونتيز	البرازيل
40. بيتنا في إزمير	تاتيانا سالم ليفي	البرازيل
41. كابوس ساو باولو	أنطونيو شيرشينيسكي	البرازيل
42. الروليت الروسي	رافاييل مونتيز	البرازيل
43. عائدة إلى الشمس	آنا ماريا ماتشادو	البرازيل
44. مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
45. نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
46. الأثر المقدس	إيسا دي كيروش	البرتغال
47. ماذا فعلت غدًا	برونو فييرا أمارال	البرتغال
48. أن تأتي متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
49. فندق الغرباء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
50. التعساء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
51. صانع الملائكة	شتيفان بريجس	بلجيكا
52. مخاوفي السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
53. جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
54. أبسنت	أيفر تونش	تركيا
55. أحلام محطمة	بيولنت سينوكاك	تركيا
56. ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
57. امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
58. توباز	هاكان جنيد	تركيا
59. ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
60. جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
61. جريمة في إسطنبول	أسمهان أيكول	تركيا
62. الطلاق على الطريقة التركية	أسمهان أيكول	تركيا
63. خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
64. ديستينا	ماين كيركانات	تركيا

65. الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
66. الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
67. لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
68. مينتا	سولماز كاموران	تركيا
69. نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
70. سحر	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
71. جريمة أبي	هاكان جنيد	تركيا
72. الرجل الذي باع العالم	ألبير چانيجوز	تركيا
73. المدينة ذات العباءة القرمزية	أصلي إردوغان	تركيا
74. الدرويش	صلاح الدين دميرتاش	تركيا
75. حكايات العمة روزا	سيفجي سويسال	تركيا
76. الوكالة السرية	ألبير جانيجوز	تركيا
77. جرائم براج	ميلوش أوربان	التشيك
78. معسكرات الشيطان	ياخيم توبول	التشيك
79. حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
80. حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
81. الجريمة المنسية	فيكتوريا هانيشوفا	التشيك
82. ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
83. سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
84. كافكا	فرانز كافكا	التشيك
85. المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
86. احذري يا آنا	ماريك سينديلكا	التشيك
87. الحب في زمن الاحتباس الحراري	جوزيف بانيك	التشيك
88. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
89. العقل المدبر	ديفيد أوجنر	جواتيمالا
90. آزوري	ك. سيلو دويكر	جنوب أفريقيا
91. المنتحر	أولجا سلافينكوفا	روسيا
92. في انتظار الطوفان	رومان سنشين	روسيا
93. رسائل سبتمبر	برايوني رحيم	زيمبابوي
94. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
95. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
96. يوغوسلافيا.. أرض أبي	جوران فوينوفيتش	سلوفينيا
97. الحياة هنا	ميرال قريشي	سويسرا

98. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
99. كرافت	يوناس لوشر	سويسرا
100. كاتبة وكاتب	فيولا رونر	سويسرا
101. المتلعثم	تشارلز ليفينيسكي	سويسرا
102. جريمة عيد الميلاد	أندريه روزلاند	السويد
103. بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
104. بنات الصين	يي مِاي	الصين
105. الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
106. رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
107. سبع ليالٍ في حدائق الورد	يي مِاي	الصين
108. النجمة الحمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
109. رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
110. أيام.. شهور.. سنوات	يان ليان كه	الصين
111. المبنى 21	تشو داشين	الصين
112. الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	الصرب
113. المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
114. جريمة في باريس	صوفي إيناف	فرنسا
115. أخي الكبير	ماهر جوفن	فرنسا
116. ندبات	دالي ميشا توريه	فرنسا
117. المجاعة البيضاء	آكي أوليكانين	فنلندا
118. التطهير	صوفي أوكسانين	فنلندا
119. اعترافات مؤجلة	ماجيلا بودوين	فنزويلا
120. الكاتدرائية السوداء	مارسيال جالا	كوبا
121. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
122. أين أنتِ؟	سانتياجو جامبوا	كولومبيا
123. فتاة كازابلانكا	إن كولي جان بوفان	الكونغو
124. فنانو الذاكرة	چيفري مور	كندا
125. العملية "سمكة الفيل"	أوتو أوزولس	لاتفيا
126. أمي عميلة سرية	أوندراش فورجاتش	المجر
127. صانع الزجاج	إرميس لافازانوفسكي	مقدونيا
128. القنَّاص	بلايز مينيفيسكي	مقدونيا
129. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
130. القزم	أليكساندر بروبوكيف	مقدونيا

131. د. مينجوس.. الأخ الأكبر	خيسوس ريكاردو فيليكس	المكسيك
132. الجريمة المكسيكية	إكتور آجيلار كامين	المكسيك
133. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
134. صيف بارد جدًّا	روي ياكوبسن	النرويج
135. جريمة العروس الهندي	كارين فوسوم	النرويج
136. جريمة على حافة البحيرة	كارين فوسوم	النرويج
137. سميته كرافتة	ميلينا ميشيكو فلاشر	النمسا
138. حرية حزينة	فريدريكه جيزفاينر	النمسا
139. ف.و.م.و	ألموت تينا شميت	النمسا
140. حزن غير محتمل	بيتر هاندكه	النمسا
141. ثقل العالم	بيتر هاندكه	النمسا
142. في ليلة مظلمة تركت منزلي الصامت	بيتر هاندكه	النمسا
143. عودة مطولة إلى الوطن	بيتر هاندكه	النمسا
144. أعيش مع شبح	لورا فرويدنتالر	النمسا
145. أختي قاتلة متسلسلة	أوينكان بريثويت	نيجيريا
146. دكّان الساري	عبدالله خان	الهند
147. أحزان هندية	روبا باجوا	الهند
148. جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
149. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
150. المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا
151. عمدة أمستردام	هيرمان كوخ	هولندا
152. تلك الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا
153. أجمل فتاة في چنوة	إيليا ليونارد فايفر	هولندا
154. قلق الأمسيات	ماريكا لوكاس رينفيلد	هولندا
155. عقيدة الأغنياء	ماريا تاسلر	كرواتيا
156. بذلة فضاء برتقالية اللون	لويد ماركهام	ويلز
157. المدينة الخاوية	جاري رايموند	ويلز
158. لماذا قتلت أعز صديقاتي؟	أماندا ميكالوبولو	اليونان

صدر من كتب عامَّة:

159. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
160. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
161. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
162. المختطفات: شهادات من فتيات بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
163. الشاي: ثقافات.. طقوس.. حكايات	كريستوف بيترز	ألمانيا
164. لماذا تنتفض الشعوب؟	جيرو فون راندوف	ألمانيا
165. الرمان: تاريخ وحكايات من حول العالم	برند برونر	ألمانيا
166. القمر	برند برونر	ألمانيا
167. السادات.. شميت: حوار الأزمات	كارل جوزيف كوشيل	ألمانيا
168. مستقبل النسوية	مجموعة مؤلفين	إنجلترا
169. إسكتشات مصرية	جيريمايا لينش	إنجلترا
170. شذرات من التاريخ المصري	آرثر بروم	إنجلترا
171. تشرنوبل: 01:23:40 الحقيقة كما حدثت	أندرو ليذربارو	إنجلترا
172. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
173. الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
174. القرصان الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
175. البيئة: لغز المستقبل	أندري سنار ماجنسون	أيسلندا
176. مختصر تاريخ الصين	مايكل ديلون	الصين
177. زيارة لمكتبات العالم: أشهر مكتبات بيع الكتب	خورخي كاريون	إسبانيا
178. ضد أمازون	خورخي كاريون	إسبانيا
179. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
180. الذكاء الأخضر	ستيفانو مانكوسو	إيطاليا
181. خيالات الشرق	إيسا دي كيروش	البرتغال
182. ضد الانتخابات: دفاعًا عن الديمقراطية	دافيد فان ريبروك	بلجيكا
183. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
184. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
185. كيفية حساب بصمتك الكربونية	دويين باهتشجي	تركيا
186. النشوة المادية	جي. إم. لو كلوزيو	فرنسا
187. لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
188. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
189. ماركيز: لن أموت أبدًا.. حكايات كتبه	كونرادو زولواجو	كولومبيا
190. الجري	ثور جوتاس	النرويج

191. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
192. اللعب مع الكبار	يوريس لونديك	هولندا
193. النسوية للرجال	ينس فان تريخت	هولندا
194. سوفييتستان	إريكا فاتلاند	هولندا
195. قصص يحكيها الأطباء عن مرضاهم	إلين دي فيسر	هولندا

المؤلف الحاصل على النوبل في الآداب 2019

بيتر هاندكه

1- حزن غير محتمل

2- ثِقل العالم

3- في ليلة مظملة تركت منزلي الصامت

4- عودة مطولة إلى الوطن